أدريانا ماذر

مكتبة

قَتلُ نوفمبر

المركز الثقافي العربي

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

أدريانا ماذر

قتلُ نوفمبر

الكتاب

قتلُ نوفمبر

تأليف

أدريانا ماذر

ترجمة

أسيمة الحسين

مراجعة

هيئة التحرير

في المركز الثقافي العربي

الطبعة

الأولى، 2025

الإيداع القانوني:

2025MO4229

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9920-657-99-0

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص. ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 303339 0522 ـ 307651 0522

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

العنوان الأصلي للرواية:

Adriana Mather

Killing November

© 2019 by Adriana Mather

All rights reserved

مكتبة

t.me/soramnqraa

أدريانا ماذر

مكتبة
t.me/soramnqraa

قتلُ نوفمبر

رواية

ترجمة: أسيمة الحسين

المركز الثقافي العربي

إلى ابني، هاكستن وولف ماذر،

الذي أناديه صغيري،

لكنه من يضيء عالمي كله.

1

مكتبة
t.me/soramnqraa

اسمي نوفمبر آدلي، ووُلِدتُ في شهر أغسطس. طبقاً لرواية أبي، كانت ليالي كونيتيكت باردة على غير العادة ذلك الصيف، وفي يوم ولادتي تألقت شجرة القيقب في حديقة بيتنا بألوانٍ تذكر بأواخر الخريف وهذا ما جعله يختار لي اسم نوفمبر. يقول أبي إن أوراق أشجار حديقتنا الأمامية تلألأت ذلك الصباح تحت أشعة الشمس ليبدو الفناء بأكمله متوهجاً، ويقول أيضاً إن هذا أحد أسباب هوسي بالغابات. أما أنا فلا أظن أن هنالك أي صلة بين الأمرين، لكنني أستمتع بالشعور الذي تبثه هذه القصة داخلي - ذكرياتٌ جميلةٌ لأوقاتٍ كان العالم ينعم فيها بالأمان، وعائلتي أيضاً.

الأمر الأكثر إثارة للحيرة حول الأمان - أماني الخاص تحديداً - هو أنه لم يخطر ببالي من قبل. غالباً ما يقول لي أبي، الموظف في وكالة المخابرات المركزية سي آي إي سابقاً، والمدير المالي حالياً، إنني أثق بالآخرين أكثر مما ينبغي، ولا يخفي اندهاشه من الاختلاف الكبير بيننا. بينما أرى أنا أن أبي هو سبب ثقتي المُفرطة بالآخرين، وهذا ما أقوله له دائماً، فقد عشت حياتي كلها في البلدة الصغيرة نفسها، ومع الأشخاص الودودين نفسهم، والذين في أخطر حالاتهم يمكن أن يكونوا بخطورة مجموعة من القطط

النائمة. يقول أبي ثمة رغبة في داخلي تدفعني لاعتناق فكرة أن الناس جميعاً طيبون، ومع أن هذا مثير للإعجاب، إلا أنه غير واقعي. ويدفعني رأيه هذا لسؤاله: كيف يمكن أن يكون في صالح المرء أن يعتقد أن الناس سيئون؟ يزعم أبي أن بعض الإحساس بالريبة تجاه الآخرين يُعدّنا لمواجهة أي خطر مُحتمل. وقد تعاملت مع أفكاره هذه على أنها مجرد نظرية. في الحقيقة كانت هكذا حتى أمس، رغم أنه كان يشدد على أن ثمة خطراً مُحدِقاً بعائلتنا، إلا أنني لم أصدّق ذلك. لا، لم توجد في حياتي أي إشاراتٍ توحي بالخطر البتة، لكن منذ بضع دقائق، تغيّر كل شيء حين استيقظتُ لأجد نفسي في قاعةٍ من طراز العصور الوسطى.

نظرتُ حولي متجهمة. على مقربةٍ مني، وقف رجلٌ أعتقد أنه أحد الحراس وقد ارتسمت على وجهه نظرة فارغة، متجاهلاً وجودي ومحاولاتي لفحص الباب الخشبيّ الداكن. حاولتُ بكل قواي تحريك المزلاج الحديدي، وجربت أن أدفع الباب بكتفي لكن عبثاً. توقفت عن دفع الباب وأنا أتأفف من التعب ثم رحت أتفحّص الغرفة. هناك مدفأة تتقد فيها النار وأثاثٌ مخمليٌ بلونٍ كستنائي موزع في أرجاء المكان، بدت قطعة واحدة منه أغلى ثمناً من منزلي بأكمله. لكن لا نوافذ هنا والمخرج الوحيد هو الباب الذي عجزتُ عن فتحه.

التفتُّ إلى الحارس قائلة: «أعرف أنك تسمعني»، لكنه لم يُجب. كان يرتدي ملابس سوداء وحزاماً وأساور جلدية، بدت أشبه بزيّ المصارع الروماني الذي ارتديته في الهالوين الفائت. فكرتُ أن أُفرقع أصابعي أمام وجهه لكنه كان أطول مني بكثير، وذراعاه أكثر ضخامة من ساقيّ.

ظلَّ صامتاً.

حاولتُ أن أغير طريقتي في الحديث إليه. «أنت تعلم أنني قاصر، صحيح؟ وتعلم أنه لا يمكنك أن تحتجزني في هذا. . . حسناً، أفترضُ أن هذه مدرستي الداخلية الجديدة، لكن أيُّ مدرسةٍ هذه التي تحتجز طلابها على هذا النحو؟». أخبرني أبي قبل مجيئي إلى هنا أن هذا المكان مختلف، لكن يصعب عليّ أن أصدق أنه كان يقصد أنني سأُحتَجَز في غرفة من دون نوافذ.

في تلك اللحظة، سمعتُ صوت مفتاحٍ يوضع في قفل الباب ورأيتُ الباب يُفتح، فابتعدتُ عنه قليلاً ليدخل الغرفة حارسٌ آخر يرتدي ملابس متطابقة مع الأول ويشيرُ لي أن أتبعه. نفّذتُ ما طلبه مني في الحال، لكن لسوء الحظ أتى الحارس الأول معنا أيضاً لأسير بينهما وأشعر غالباً أنني محتجزة كما شعرت في تلك الغرفة.

انتزع الحارسُ الذي يسير أمامي شعلةً من الجدار الحجري الرمادي ليضيء الطريق، فرحتُ أتفحص الأشياء حولي؛ لا كهرباء هنا، نظرتُ إلى السقف المُقبب والأبواب الخشبية التي تستخدم المزالج بدلاً من المقابض. لا يمكن أن أكون في الولايات المتحدة، يبدو هذا المكان كأنه مأخوذٌ من فيلم وثائقي شاهدته ذات مرةٍ عن القلاع الإيرلندية في العصور الوسطى. ومع ذلك، وجدت من شبه المستحيل أن أصدق أن أبي يمكن أن يرسلني إلى أوروبا، ناهيك عن عدم قدرته على دفع تكاليف ذلك. فنحن نكاد لا نغادر بيمبروك، فما بالك بمغادرة ولاية كونيتيكت.

في أثناء سيرنا، لفتَت انتباهي لوحات رائعة معلقة على الجدران، لوحات لفرسانٍ وقصورٍ ملكية ومعارك دامية، كما ساد السكون المكان، لا أصوات لبشرٍ يتحدثون أو سياراتٍ تعبر في الجوار.

كان البهو شديد البرودة، فسحبت أكمام سترتي إلى أصابعي

للشعور ببعض الدفء. لا أعلم أين ذهب معطفي وقفازاتَي ووشاحي التي كنت أرتدي حين صعدت الطائرة، فأنا لم أجدها حين استيقظت في تلك الغرفة. مررنا أثناء سيرنا تحت قنطرة ثم صعدنا درجاً ذا درجات حجرية متهالكة غير مستوية. صعدنا طابقين قبل أن نتوقف أمام بابٍ مزيَّن بمسامير حديدية. فتح الحارس الذي يسير أمامي الباب، فتدفّق الهواء الدافئ من الداخل.

ذكرني المكتب قديم الطراز بأحد المشاهد الكئيبة في فيلم يتحدث عن حياة ماري ملكة اسكتلندا. يأتي الضوء الوحيد في الغرفة من الشموع الموزعة في شمعداناتٍ فضية وعلى الجدران الحجرية، بينما أُسدلت ستائر ثقيلة على النوافذ وامتلأ جو الغرفة برائحة الخشب المحترق المنبعثة من المدفأة المشتعلة.

هناك امرأةٌ طويلةٌ ورشيقةٌ تقف خلف مكتب بدا قديماً، شعرها البني مرفوعٌ على شكل كعكة ومشدود إلى درجةٍ قد تصيبك بالصداع لمجرّد النظر إليه. أظن أنها في سنّ أبي تقريباً، لكن ملامحها الحادّة جعلتها تبدو أكبر.

قالت وهي تحاول رسم ابتسامة ترحيبٍ على وجهها: «أهلاً بكِ في أكاديمية أبسكونديتي، أنا المديرة بلاكوود، آمل أن رحلتك كانت مريحة؟». صوتها وسلوكها يفرضان الطاعة.

«لا أتذكر رحلتي»، قلت وأنا أشعر بعدم الراحة من نظراتها التي تراقبني بينما أزيل بعض الوبر عن بنطالي الجينز. بدا لي أن أسلوب التبجّح الذي تعاملتُ به مع الحراس في الأسفل لن يجدي، إذ الوضع هنا رسميٌ جداً. «أتذكر أنني غبتُ عن الوعي على متن الطائرة ثم استيقظتُ على أريكة في... بصراحة، أنا مشوّشة ولا أعرف كيف...».

«قاعة المدرسين»، قالت بلاكوود وهي تشير إليّ أن أجلس على

كرسيٍ بذراعين أمام مكتبها. كانت ترتدي سترةً سوداء فوق قميص أبيض مزركش، وجعلني هذا التناقض في ملابسها أتساءل عن نمط شخصية هذه المرأة؛ هل هي شخصٌ حادّ المزاج تحاول التظاهر بأنها ودودة؟ أم أنها إنسانة رقيقة تحاول أن تبدو صارمة؟ «لقد غبتِ عن الوعي لبعض الوقت». مكتبة سُر مَن قرأ

«كنتُ مسجونةً في الأسفل»، قلت، متوقعة أن يفاجئها كلامي لكنها لم تُفاجَأ. استدرتُ للنظر خلفي؛ ما زال الحارسان يقفان على جانبَي الباب المُغلق الآن، لا أدري ما إذا كانا هنا من أجل حمايتها أو من أجل منعي من الهرب، أو ربما للسببين.

أومأتْ بلاكوود كأنها تدرك ما يدور في رأسي. «لا يُسمح للحراس بالتحدّث إلى الطلاب، لا يمكنهم التحدّث إلا إلى أعضاء الهيئة التدريسية والموظفين. وبما أن الوقت متأخرٌ الآن، يمكننا تأجيل هذا الحوار غير المهم، ألا توافقينني الرأي؟». ثم استرقتْ نظرة سريعة إلى ساعةٍ معدنيةٍ داكنة معلقة على الجدار لها شكل برج قوطي، وذات مسننات مكشوفة.

أشارت الساعة إلى الواحدة والنصف، وبما أن «الوقت متأخر» كما قالت بلاكوود والممرات في الخارج خالية، فأغلب الظنّ أنها الواحدة والنصف بعد منتصف الليل. «لحظة... هذا غير معقول!». نظرت إليها وإلى الساعة غير مُصدقة. لا بد أنها مزحةٌ ما. لقد أوصلني أبي إلى المطار بعد منتصف الليل، وأذكر أنني نمت بعد ساعتين تقريباً. «هل يُعقل أنني غبت عن الوعي ليومٍ كامل؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ ولماذا لم أستيقظ عندما أحضروني إلى هنا؟ أو عندما هبطت بنا الطائرة؟».

«أتفهّم جيداً أنك مشوّشة الذهن قليلاً، فهي آثار جانبية لرحلتك المُريحة إلى هنا...».

«آثار جانبية؟»، قلت لها باستغراب. انقبضت معدتي وأنا أفكر أي أسبابٍ تلك التي جعلتني أنام لمدة أربع وعشرين ساعة. «هل يعقل أنهم قاموا بتخديري؟»، قلت بصوتٍ عالٍ وأنا أحاول التغلب على شعوري بالهلع.

بدأتُ باسترجاع ما حدث قبل فقداني الوعي. آخر ما أتذكره بوضوح هو أنني تناولتُ عصير الليمون على متن الطائرة. لطالما حذرني أبي ألّا أتناول أيّ طعامٍ أو شرابٍ يقدّمه لي شخصٌ غريبٌ، لكن رفض العصير الذي تقدمه لك مضيفة الطيران أشبه برفضك تناول الطبق الذي طلبته في المطعم.

نظرتُ إلى بلاكوود طلباً لتفسير ما حدث معي لكن وجهها كان خالياً من أي تعبير. بدا أنها تعتبر احتمال إعطائي مخدراً أمراً عادياً.

نهضتُ لأغادر الغرفة وفي داخلي صوتٌ يحفّزني على الهرب، لكنني أجهل تماماً أين أنا، باستثناء شعور مُبهم بأن هذا الهدوء يعني أنني في منطقة ريفية معزولة. «سيدة بلاكوود، هل يمكنني استخدام الهاتف؟ لا أدري ما إذا كان طلبي... أريد إجراء مكالمة قصيرة فحسب». تفحّصتُ مكتبها جيداً، لكن لم يبدُ أن ثمة هاتفاً.

- « للأسف، لا، لا يمكنكِ ذلك».

- «أنا متأكدة أن هذه مدرسة رائعة لكن...».

رفعتْ يدها في إشارةٍ لي بأن ألزم الصمت، وكأنها تفهم مقصدي تماماً لكنها لا ترغب بالانخراط في أي حديثٍ عن مخاوفي حالياً. «عليكِ أولاً وقبل مغادرة مكتبي أو التواصل مع أيّ أحد أن تفهمي جيداً قوانين هذا المكان، وأن توافقي على التقيّد بها أيضاً». صمتتْ قليلاً ثم تابعت: «وسأطلب منك أيضاً أن تناديني بالمديرة بلاكوود، فنحن نفتخر بأننا نتّبع التقاليد هنا».

نظرتُ إليها وأنا عاجزة عن الكلام، وهو أمر لم يحدث لي من قبل، حسناً. . . ربما مرةً واحدة كما قد تؤكد صديقتي إيميلي.

أشارتْ بلاكوود لي أن أجلس، وقالت: «ربما الأفضل أن ترتاحي وتركزي جيداً الآن، لأنني سأشرح لك أموراً ترغبين في معرفتها».

جلستُ مُكرهةً. أخبرني أبي أن وجودي في هذه المدرسة تحدٍّ من نوعٍ غريب، ورغم أنني أجد الأمر مُريباً، إلا أنني أثق بأبي. هو لن يُلقيَ بي في قلب الخطر. بل بالعكس تماماً، السبب الرئيسي لوجودي هنا هو إبعادي عن الخطر. أسندتُ ظهري إلى الأريكة الجلدية وطويتُ إحدى قدميَّ تحتي.

تأملت بلاكوود طريقة جلوسي المتراخية وهي ترفع أحد حاجبيها، ثم رفعتْ عينيها وكأنها تريد تعديل جلستي بنظراتها. «كان قدومك إلى هنا غير متوقع. قوانين الأكاديمية لا تسمح بقبول طلبةٍ جدد في منتصف العام أو منتصف الفصل».

«شكراً لكِ على إجراء استثناء. . .»، قلتُ لها وأنا أحاول أن أبدو مُهذبة بالرغم من أسلوبي الجاف. لم يعجبني استخدامها لكلمة **قبول**، وكأنها توحي بأن إقامتي هنا ستطول. أخبرني أبي أن وجودي هنا سيدوم بضعة أسابيع فقط، إلى أن يتمكن من حلّ لغز اقتحام منزل الخالة جو، ثم سيمكنني العودة بعدها إلى بيتي في أحضان بيمبروك الهادئة، وإلى حياتي السابقة.

فتحتْ بلاكوود مفكرة سوداء ذات غلافٍ قماشي ملفوفة بشريط حريري وبدأت بتقليب صفحاتها. «قبل أن أخبركِ بكلّ ما يتعلق بأكاديمية أبسكونديتي وطلابها، توجد ثلاث قواعد غير قابلة للنقاش عليكِ أن تعرفيها، وعلى الجميع طلاباً وأعضاء هيئة التدريس الالتزام بها». شبكتْ يديها فوق الأوراق على المكتب ثم تابعتْ:

«القاعدة الأولى: ممنوع الحديث عن حياتكِ خارج هذه الجدران أو الكتابة عنها أو الإتيان على ذكرها بأي طريقةٍ كانت. ممنوع أن تذكري بلدتك أو أقرباءكِ أو اسم عائلتك أو اسم أي شخص تعرفينه. أعلم أنكِ شخص اجتماعي، وأريد أن تكون الأمور واضحة لكِ تماماً، إذا خالفتِ هذه القاعدة لن تعرّضي نفسكِ للخطر فحسب، بل ستعرضين **عائلتكِ** أيضاً».

حدقتُ فيها. «كيف يمكن أن أعرّض عائلتي للخطر هنا؟ يُفترَض أن يكون هذا المكان عكس الخطر تما...».

«ما أعرفه أيضاً هو أنكِ كنتِ فتاةً مدللة تعيش في أحضان عائلتها»، قالت بلاكوود متجاهلة سؤالي وهي ترمقني بنظرةٍ استنكارية، «لكن الوقت كفيلٌ بتغيير ذلك».

لم أجب بشيء لأنني لم أفهم ما تقصده بالضبط، ولم أكن متأكدة من أنني أريد أن أفهم. ربما هي محقة بأنني أشعر بالارتباك، أو ربما كلامها ما يجعلني في حالة تخبّط.

«القاعدة الثانية تقضي بعدم مغادرة حرم الأكاديمية»، تابعتْ بلاكوود. «تقع هذه المؤسسة في أعماق الغابة، وهذه الغابة مليئة بالشراك، وأي محاولة لتجاوز هذه الجدران ليست تصرفاً أحمق فحسب، بل محفوف بالمخاطر أيضاً».

جلستُ أفكر. **هذه** هي الميزات التي استخدمها أبي ليقنعني بهذا المكان، فقد أخبرني أن هناك تدريبات في تسلق الأشجار، وحلّ الألغاز، وفنون رمي السكاكين. حسناً، إذا كان هذا المكان الغريب يشبه غابة شيروود، وسأعيش فيه مغامراتٍ تشبه مغامرات روبن هود، فأظن أنني يمكن أن أسامح أبي على هذه الرحلة الطويلة، وأن أغفر لبلاكوود احتمال إعطائي مخدر على متن تلك الطائرة. «أي نوع من الشراك تقصدين؟ وهل تمكّن أحدٌ من تخطّيها من قبل؟».

«لا، لم يحدث هذا أبداً»، قالت وكأنها أجابت على هذا السؤال مرات لا حصر لها ولا تزال تعتبره مزعجاً رغم ذلك. وقع نظري فجأة على شعارٍ باللونين الكستنائي والفضي معلق فوق رأسها على الجدار، وتحته كُتبت عبارة لاتينية تقول: Historia Est Magistra Vitae. وقبل أن أتمكن من فهم معناها، تابعتْ بلاكوود كلامها.

«القاعدة الثالثة تقول: إذا تسببتِ بالأذى لأي طالب فإن سياسة الأكاديمية تقضي بتطبيق مبدأ العين بالعين، على أن يقتصر القتال على القاعات الدراسية ويكون تحت إشراف أعضاء الهيئة التدريسية».

تلاشى الحماس الوجيز المرافق لفكرة قدومي إلى مكانٍ مليءٍ بالمغامرات، وحلّ مكانه شعور بالاستياء. أخبرني أبي بأن إرسالي إلى هنا هو مجرد إجراء احترازي، إذ يتحتم عليه البقاء مع الخالة جو لبضع أسابيع، وسيكون صعباً عليه أن يعتني بنا معاً. فأرسلني إلى هنا وطلب مني أن أثق به. ولم يخطر لي حينئذٍ إلا أنه يبالغ في حمايتي كعادته. لكن إذا كان **هذا المكان** بحد ذاته يُشكّل تهديداً، فما الفائدة إذاً من وجودي هنا؟ شعرت بألم في معدتي، لم يكن ألماً مفاجئاً، بل ألمٌ يتربّص بك ويتنامى في الظلام بصمتٍ، ويباغتك حينما تكون وحيداً.

نظرتُ ثانيةً إلى النوافذ المُغلقة، وإلى الباب والحراس. «أليس هذا أمراً مسلَّماً به... ألّا نؤذي الآخرين أبداً؟».

«لقد شهدنا عدداً من الوفيات في السنوات الاخيرة، لذلك لا. هذا ليس من المُسلّمات هنا». كانت تتحدث عن الموت بلا مبالاة كأنه أمرٌ عادي.

شعرتُ فجأةً بجفافٍ في حلقي وقلتُ بصعوبة: «ماذا تقصدين

بالوفيات؟ وإلى أي حدّ قد يصل العنف أثناء التدريبات هنا؟ ما السبب الذي يؤدي إلى موت الناس؟».

نظرت إليّ بلاكوود بازدراء وكأنني جرو تائه لا ترغب في مداعبته. «تختلف الدراسة هنا عن بقية المدارس التحضيرية؛ نحن نقدِّم لطلابنا أموراً أكثرأهمية بكثير. فتعتمد الأكاديمية في تدريباتها على المهارات وقدرات الطلاب الفردية. فعلى سبيل المثال، لا يتعلق رمي السكاكين بإتقان التسديد وحسب، بل يقوم الطلاب هنا بممارسة هذه المهارة أثناء الحركة وتحت الإكراه أيضاً. ويشحذ الطلاب أيضاً مهاراتهم في اكتشاف أساليب الخداع لدى الآخرين واستخدامها ضدهم بالمقابل. وبدلاً من تعليم اللغات، لدينا صف لتعليم اللكنات والثقافات وفقاً لمعايير اخترناها بدقة بحيث يصبح لدى طلابنا القدرة على التواجد في أيّ بلد دون أن يكتشف أحد أصولهم. إن ارتياد هذه المدرسة هو امتياز وليس حقاً مكتسباً. الأساتذة هنا ذوو كفاءاتٍ عالية، ويتم انتقاء نخبة الطلاب من كل بقاع الأرض. لدينا ثمانية عشر أستاذاً مُقيماً، أما بالنسبة للطلاب، فبعد وصولكِ، يا نوفمبر، أصبح عددهم مائة. يطمح كثيرون بالانتساب إلى هذه المدرسة، وطلابنا يدركون ذلك جيداً». كانت تحدّثني بنبرة تحذيرية كما لو أنها ستطردني إذا ما قمت بأي فعل خاطئ. «عليكِ الخضوع لفحصٍ نفسيّ وجسديّ قبل أن نقرر ما هي الصفوف المناسبة لكِ». أسندتْ ظهرها إلى الكرسي، في حين كانت الشموع على مكتبها تُلقي بظلالها على وجهها.

أكاديمية أبسكونديتي - اسم لاتيني بامتياز. بدأتُ بتقليب الأمر في ذهني، أبسكونديتي كلمة مُشتقة من كلمة Absconditum اللاتينية وتعني «مخفي» أو «سري»، **فهي إذاً إمّا الأكاديمية المخفية أو أكاديمية التخفي.** نظرتُ إليها بتعجب وأنا أحاول استيعاب كل هذا،

ولا أدري إن كنت متحمّسة أم خائفة من وجودي في مدرسةٍ سريّة بين زمرةٍ من خبراء رمي السكاكين المخادعين والمتلاعبين باللكنات.

بدأت الشموع تومض في الغرفة وكأنها تنبّه بلاكوود إلى أنها صمتت لوقت طويل، وحين استأنفت الكلام عاودني ذلك الشعور الغريب بأنها قادرة على قراءة أفكاري. «لهذه الأكاديمية نصيبٌ من اسمها، فنحنُ غير موجودين على خريطة العالم، لا أحد يعرف هذا المكان، ولا حتى والداك اللذان ربما كانا طالبين هنا».

حسناً، على الأقل كان أبي صادقاً عندما أخبرني بأنه لا يعرف إلى أين أنا ذاهبة بالضبط. هل يمكن أن يكون أبي قد درس في هذا المكان؟ من المُريب أنه لم يأتِ على ذكره من قبل، لكنه لم يحدّثني عن طفولته قط، لذا ليس الأمر مستحيلاً.

«كما ترين، لا كهرباء أو إنترنت هنا، وبالتالي لا يوجد أي اتصالٍ بالعالم الخارجي على الإطلاق. تنظم المدرسة مواعيد زيارات الأهل، ونملك كامل الحرية في القبول أو الرفض، هل هذا مفهوم؟».

نظرتُ إليها ملياً. هذا يُفسِر عدم وجود هاتف ورفضها أن أجري تلك المكالمة. لكن هذه العزلة الشديدة تعني أن ما يحدث هنا هو أحد أمرين؛ إما أنني سأخضع لأقسى أنواع تدريبات البقاء أو أن الخطر الذي يهدد عائلتنا أكبر بكثير من اقتحام منزل الخالة جو الذي تحدَّث عنه أبي، ولهذا السبب اختار أن يرسلني بعيداً إلى أن يتعامل مع ما حدث حقاً. تسارعت دقات قلبي؛ لا أريد أن أصدق أن أبي يُخفي عني أمراً هاماً كهذا.

«مفهوم،» أجبتُ بحذر.

«وهل توافقين على الالتزام بالقواعد؟».

«وهل لديّ من خيار. . .». تنحنحت قليلاً. «نعم أوافق».

«ممتاز»، قالت بلاكوود بارتياح، وبدت مسرورة أن الأمور تسير كما تريد. تابعت كلامها: «كما قلتُ سابقاً، لقد أتيتِ إلى هنا في سنٍّ متأخرة، أنتِ في السابعة عشرة. يبدأ معظم الطلاب هنا في سن الخامسة عشرة، وبين الحين والآخر يتم قبول طلاب في سن السادسة عشرة، لذلك سيتعين عليكِ بذل جهد أكبر للتأقلم بسرعة، رغم أنهم أكدوا لي امتلاككِ المهارات اللازمة ليس لمواكبة بقية الطلاب فحسب، بل لتتميزي هنا». لم تبدُ مقتنعة بهذا الكلام. «مع ذلك، طأطئي رأسك، راقبي الطلاب الآخرين وتعلّمي منهم، اكبحي ميولك الاجتماعية، التزمي بالوقت وكوني مهذبة، والأمر الأهم لا تزعجي أحداً».

كنت لأضحك، إلا أن الأمر لم يكن مُضحكاً، فأنا عكس ما قالته تماماً.

تابعت قائلةً: «ستكون لديكِ اجتماعات مع الأخصائي النفسي، الدكتور كونر، الذي سيساعدكِ على الاندماج هنا. أما الآن، فمن الأفضل لكِ أن ترتاحي هذه الليلة، وسيبدأ الدكتور كونر بإجراء التقييم في الصباح». ثم أشارتْ إلى الحارسين. «سوف يرافقكِ هذان السيدان إلى غرفتك حيث تنتظرك ليلى، شريكتكِ في السكن، التي ستعرّفك على المكان في الأسبوع الأول. لقد تلقّت الإرشادات اللازمة كي تُطلعكِ على الأمور الأساسية هنا، وأنا واثقة تماماً بأنها ستنجح في ذلك، فهي واحدة من أفضل طلابنا».

«كيف تهجئين اسم ليلى؟»، سألتها وكل ما أفكر فيه هو كيف يمكنني الحصول على المعلومة التي أريدها دون أن أطلبها على نحوٍ مباشر.

ترددتْ بلاكوود للحظة ونظرتْ إليّ مستغربة. أردتُ إخبارها أن

اسمها في اللغة الإنجليزية القديمة يعني «الخشب الأسود»، لكن كان واضحاً أنه لا معنى لذلك.

«ل-ي-ل-ى» هجأت بلاكوود الاسم ثم أغلقتْ المفكرة ووقفتْ.

وقفتُ أنا أيضاً. كان لديّ المزيد من الأسئلة لكن كان واضحاً أنها أنهت اللقاء.

«شكراً حضرة المديرة بلاكوود، ليلة سعيدة».

أومأتْ برأسها غير مبالية فتوجهت نحو الباب. رفع الحارس الذي يحمل الشعلة المزلاج ومشيت خلفه في الممر. كان أطول مني بكثير رغم أن طولي نحو 180 سنتيمتراً. ومرة أخرى، جعلني الحارسان أسير بينهما.

لم أسمع سوى وقع قدمَي على الأرض، لا صوت لأقدام الحارسين. هبطنا السلالم ووصلنا إلى ردهة اصطفت على جانبيها أبواب خشبية مقوسة ومزينة بالحديد المشغول. لا توجد أسماء أو أرقام على الأبواب للتمييز بينها. توقّف الحارس الذي يسير أمامي وطرق على الباب الثالث على اليسار، وفي أقل من ثانية سمعنا صوت مزلاج معدني يتحرك في الداخل وانفتح الباب.

أطلتْ من خلف الباب فتاةٌ ذات شعرٍ أسود طويل يصل إلى خصرها، كان شعرها ناعماً ولامعاً لدرجة أنني رأيت انعكاس ضوء الشعلة عليه. عيناها بنيتان داكنتان وشفتاها ورديتان ممتلئتان. تفحّصتني بتجهّم من رأسي إلى أخمص قدميّ، وذكّرتني ببلاكوود ونظرتها المتعالية.

ورغم أنها كانت ترتدي ثوب نوم أبيض عادياً، إلا أن حذائي الملطخ بالطين بسبب رحلتي الغريبة وسترتي الصوفية الواسعة جعلاني أشعر بأن ثيابي رثة.

«أنتِ ليلى؟» سألتُها وأنا أدخل الغرفة وأرسم ابتسامة على وجهي لكسر حاجز الصمت. «أخبروني أننا شريكتان في الغرفة، أنا نوفمبر». مددتُ يدي لمصافحتها لكنها ردّت التحية بانحناءة صغيرة. ضحكتُ فجأة رغماً عني، فنظرت إليّ بانزعاج ثم أغلقتْ المزلاج بقوة.

«أنا آسفة، لم أقصد شيئاً عندما ضحكت، كل ما في الأمر أنكِ فاجأتني عندما انحنيتِ، أعطني فرصة أخرى». لو كانت صديقتي إيميلي معي الآن لوبختني بسبب الضحك في وقتٍ غير مناسب.

«لا عليكِ، انسَي الأمر»، قالت ليلى كأنها مُجبرة على أن تتصرف معي بتهذيب.

عزّزت الغرف في الجناح انطباعي الأول أننا في قلعةٍ قديمة في مكان ما في أوروبا. وبما أنني لستُ محتجزة، يمكنني أن أقيم الآن تصاميم العصور الوسطى على نحوٍ أفضل. رأيتُ حولي الشمعدانات المُعلقة على الجدران الحجرية والتي تبدو كأن عمرها ألف عام. هناك مدفأة كبيرة، وأريكة مخملية رمادية فاتحة، وأريكة أخرى مزدوجة، وطاولة طعام أمام نافذة مِقوسة تغطيها ستائر كستنائية ثقيلة. ذكّرني اللونان الكستنائي والرمادي في هذه الغرفة بالرمز المعلق في مكتب بلاكوود. همست، «هكذا إذاً».

أشارت ليلى إلى يميني. «غرفتكِ هناك»، قالت وكأنه قرار لا أملك الاعتراض عليه. كان وجهها خالياً من أي تعبير.

نظرتُ حيث أشارت فرأيتُ باباً يشبه باب الجناح الذي دخلت منه لكنه أصغر.

فكرت في نفسي: اسم ليلى كان رائجاً في العصور الوسطى، وأظن أنه قد ورد في قصيدة من القرن السابع عشر. أنا واثقة أنه اسم عربي، وإذا كانت بلاكوود قد هجأته بشكلٍ صحيح، فمن

المُرجّح أنه اسم مصري. ما يثير حيرتي هو أن طريقة كتابة الاسم تغير المعنى... «حسناً، هل كنتِ تعلمين أن اسمكِ يعني الشخص المولود ليلاً؟». التفتُّ إليها لكنني لم أجدها. نظرتُ إلى الباب المغلق المقابل لغرفتي وسمعتُ صوت المزلاج من الداخل. لم أشعر بها حين ابتعدت. هي لا تشبه إيميلي بكل تأكيد، فلا بد أن إيميلي في بيتنا الآن تسأل عني لتعرف أين اختفيت ولماذا لا أردّ على رسائلها النصية. كنت أتمنى لو أن والدي أتاح لي الوقت لإخبارها.

فتحتُ باب غرفتي - غرفتي **المؤقتة**. هناك طاولة بجانب السرير عليها شمعة مضائة بجوار إبريق وكأس للشرب، وعلى منضدة الزينة يوجد حوض ماء أفترض أنه لغسيل الأيدي. رأيتُ على طرف سريري ثوب نوم أبيض كالذي ترتديه ليلى. بدا السرير ملكياً، بمظلة خشبية ولوحٍ أمامي بنقوش مميزة. حقائبي ليست هنا مع الأسف، وحتى لو كانت موجودة، أنا متعبة جداً ولا يمكنني ترتيبها. خلعت حذائي وبنطال الجينز وألقيت بهما على الأرض ثم جلست على السرير المريح والناعم كوسادةٍ ضخمة.

هممتُ بخلع سترتي لكنني غيرتُ رأيي ودسستُ ساقيّ تحت الغطاء بسرعة، ثم أطفأتُ الشمعة وألقيت بنفسي على الفراش الوثير. شعرتُ في تلك اللحظة بغصّة في صدري وبالحنين إلى بيتي.

تنهدتُ بعمق وأنا أحدّق في مظلة السرير، وبدأتُ أفكر...

أستطيع الصمود لمدة أسبوعين في أي مكان، لقد استطعتُ الصمود في مخيم كرة القدم الصيف الماضي، في حقلٍ تفوح منه رائحة الملفوف العفن، وسأنجح في ذلك هنا.

2

ارتديتُ بنطالاً أسود اللون وقميصاً من الكتان الأبيض، كانا على سريري حين خرجت من الحمام. رحتُ أتأمل نفسي أمام المرآة. الشيء الوحيد الذي عرفته هو ضفيرتي الطويلة، أما مظهري فبدا كأنني أرتدي زيّ قرصان في مهرجانٍ لأزياء عصر النهضة. سوف تضحك إيميلي لشهورٍ إذا رأتني. تمنيت لو كان هاتفي معي لألتقط صورة.

ثمة طرقة على باب غرفتي.

«تفضّل!» قلت، فانفتح الباب ببطء.

ارتدت ليلى نفس الملابس مثلي، إلا أن زيّ القرصان يليق بها أكثر. شعرها اللامع مرفوعٌ بشكل ذيل حصانٍ يصل إلى أسفل ظهرها، وبدت حتى أكثر أناقة من الليلة الفائتة. «يجب أن نذهب حالاً وإلا سوف نتأخر، وليس من عادتي أن أتأخر».

«أنا معتادة على التأخر»، قلت بنبرة لطيفة، «ربما أتغير بسببك».

قطّبتْ حاجبيها.

«هل تعرفين من جاء بهذه الملابس؟»، سألت مشيرة إلى حذائي

الأسود ذي الأربطة. «لقد وجدتها على الصندوق بمحاذاة سريري عندما خرجتُ من الحمّام».

ازداد عبوسها. «الخادمة».

«الخادمة؟»، قلتُ بدهشةٍ. «لا بد أنكِ تمزحين». لم يسبق لأبي إحضار مُدبرة للمنزل، والآن أصبح لديّ خادمة؟ لا بد أن هذه المدرسة قد كلفته كل مُدخراته. تشنجت معدتي أكثر من البارحة، هناك أمرٌ مُريب وراء قرار أبي ووراء كل ما يحدث.

عدّلت ليلى طريقة وقوفها، مع أنها كانت تقف بشكل شبه مثالي. «لا أمزح على الإطلاق».

يا إلهي! إنها أكثر صرامة من مدرّس الفيزياء العجوز في مدرستي. «حسناً، هل لديكِ أي فكرة أين اختفت ملابسي؟ وأيضاً الأشياء التي أحضرتها معي من» - تذكّرت كلام بلاكوود عن القاعدة الأولى - «منزلي. لم أجدها في أيّ مكان».

- «الأشياء الشخصية ممنوعة داخل حرم الأكاديمية. المديرة بلاكوود تحتفظ بها في خزانة خاصة».

«حتى أدوات الزينة و...».

«كل شيء».

أمرٌ لا يُصدق. أفتقد منذ الآن غطاء وسادتي المطرّز بنقوش أشجار الصنوبر. كان هذا الغطاء أحد القطع في طقم الملاءات المفضّل لديّ، وأفتقد أيضاً الوشاح الذي حاكته إيميلي الشتاء الماضي وأصبح عنصراً أساسياً من ملابسي على الرغم من أطرافه غير المتناسقة - كلّ أشيائي المُحببة وأجزاء كثيرة من حياتي مخبأة في مكانٍ ما ولا يمكنني الوصول إليها.

«وما هو سبب كلّ هذه السرية وكلّ هذه القوانين؟».

حدجتني ليلى بنظرة ارتيابٍ وقالت: «لماذا تسألينني هذا السؤال؟».

لم أتوقع منها بالطبع أن تبدأ الحديث عن خصوصيات هذا المكان، نظراً لقوانين بلاكوود الصارمة في هذا الخصوص، لكنني لم أتوقّع أيضاً مثل هذا الردّ المتحفّظ. أشعر بالفضول الآن لمعرفة سبب تصرفها. استخدمتُ ابتسامتي البريئة لتعديل الموقف. «لا بأس، كنت آمل بعض التوضيح وحسب».

«لا تكوني سخيفة»، قالت وأشاحت بوجهها بسرعة. لم أتفاجأ بهذا التهرّب الاستعراضي، فبدت كأنها كانت تنتظر الفرصة المناسبة للتصرّف على هذا النحو.

لحقتُ بها إلى غرفة الجلوس، حيث فَتحتْ خزانة كبيرة وأخرجت منها معطفين طويلين بغطاءٍ للرأس وناولتني أحدهما.

تفحصتُ المعطف بفضول، كان مصنوعاً من الصوف المبطن بالمخمل، مع قفازين في جيوبه.

«هل هذا هو الرداء الرسميّ هنا؟».

صوّبتْ كلامي قائلةً: «إنها **عباءة**، وهي عالية الجودة».

تحمل الجهة اليسرى من صدر العباءة الشعار المعلّق في مكتب بلاكوود نفسه، مُطرزاً بخيوطٍ فضية وكستنائية. قرأتُ الشعار بصوتٍ عالٍ: Historia Est Magistra Vitae. معرفتي ممتازة بالجذور اللاتينية للكلمات - إنه مجال حَظِيَ على اهتمامي في الفترة التي جذبني فيها علم أصول الأسماء - لكنني ضعيفة في قواعد اللغة. بدأتُ بتهجئة العبارة: «تاريخ، معلم، حياة؟».

«**التاريخ معلِّم الحياة** - إنه شعار أكاديمية أبسكونديتي»، قالت ليلى ثم تنهّدت وكأنها مُجبرة على الكلام. «يرمز اللون الكستنائي إلى الصبر في المعركة، ويرمز اللون الفضي إلى السلام، بينما تحيل

شجرة البلوط إلى العمر الطويل والقوة، أما الشعلة فتمثل الحقيقة والذكاء، ويرمز أبو الهول إلى المعرفة المطلقة والسرية». وقبل أن تُنهي كلامها، فتحتْ ليلى الباب الخارجي المقوّس لجناحنا وخرجت دون أن تنتظرني.

لحقتُ بها وأغلقتُ الباب خلفي وأنا أفكر بذلك الشعار بينما أرتدي عباءتي. كانت الإضاءة في الممر الحجريّ أقوى من الليلة الماضية، لكن الهواء لا يزال بارداً، ما أضفى إحساساً موحشاً على المكان.

ذكرتْ ليلى خُلاصة ما تعنيه تلك الرموز، وهذا ليس مجرد شعار عادي لمدرسة. عضضت شفتي ورحت أفكر. . . من الغريب أن يختار أحدٌ ألواناً ترمز إلى «الصبر في المعركة» و«السلام»، فهذا تناقضٌ غريب. ورغم أنني لا أعرف الكثير عن الرموز إلا أنني أعلم أن أبا الهول يرتبط عموماً بالحضارتين المصرية والإغريقية. «بالعودة إلى تلك السرية. . .».

- «لا».

نظرتُ مليّاً إلى ليلى، أتساءل ما الذي سيحدث إذا ما التقتْ بأبي. أراهن أنهما سيتبادلان نظراتٍ باردة ولن يتحدّثا أكثر من بضع كلمات. أنا متأكدة أنها من صنف الفتيات اللواتي يتظاهرن بأنهن لا يطلقن ريحاً أبداً، وإن حدث ذلك فقد يفقدن الوعي من شدة الخجل. أضحكتني هذه الفكرة.

التفتتْ ليلى إليّ وقالت بنبرة حادة: «ما الأمر؟».

فكرتُ للحظة أن أخبرها بما يدور في رأسي. «حسناً، نحن هنا معاً الآن، أليس كذلك؟ في هذه. . . القلعة، وسنبقى معاً لعدة أسابيع على ما أظن، على الأقل إلى أن نعود إلى منازلنا في موسم الأعياد. . .». **وأعود إلى بيتي إلى الأبد.**

ردّت باستياء: «**أنا** لا أعود إلى المنزل في الأعياد».

نظرتُ إليها بحثاً عن أيّ تعبير عن العاطفة، لكن لا شيء. لا يمكنني تحمّل فكرة قضاء الأعياد بعيداً من عائلتي. «لا بأس إن ذهبنا أو بقينا، لكن يمكننا أن نجعل وقتنا هنا أكثر متعة، ألا توافقينني الرأي؟».

ابتعدتْ ليلى عني وتابعت سيرها عبر الممر الحجري الذي تمتد على جانبيه سلسلة من النوافذ المقوّسة الضيقة. حجارة هذه الجدران سميكة جداً، حتى إنه يمكنك الجلوس على عتبات النوافذ. تخيّلتُ كيف كان الرماة يتربصون من خلالها بالأعداء ليمطروهم بالسهام.

تابعت ليلى كلامها متجاهلةً تعليقي: «تحتاجين بعض الوقت للتعرّف على المبنى، الممرات هنا متعرجة لكن تذكّري أن الهيكل الخارجي للبناء مستطيل الشكل، وإذا اتخذتِ الجدار الخارجي كدليل، يمكنك دائماً إيجاد طريقك مجدداً».

كان حديثي مع ليلى يشبه الحديث مع أغنس بائعة السوبر ماركت التي لا تكف عن الكلام، وتكاد لا تصغي إلى أحد. فبدلاً من الإجابة عن أي سؤال يُوجَّه إليها، تردّ بما يجول في ذهنها. أنا وإيميلي نعتبر كلامها مثل كعكة الحظ. إذا قالت مثلاً إن محصول الخرشوف وافرٌ هذا الموسم أو إن براعم البطاطس تبدو مثل أصابع الزومبي، فهذا يعني أن هناك مشاكل تلوح في الأفق. أما إذا بدأت بالتحدّث عن شحنة مثلجات جديدة، فهذا يعني أن نهاراً رائعاً بانتظارنا.

«وإذا وجدتِ نفسكِ خارجاً في فناء أو حديقة، فهذا يعني وجودكِ في وسط المستطيل». كان صوتها رتيباً وكأنها تقرأ كتيباً للإرشادات. «تتكوّن الأبنية كلها هنا من ثلاثة طوابق باستثناء برج واحد مكوّن من أربعة طوابق».

«بناء مكتب بلاكوود»، قلتُ بحماسٍ لأنني استذكرتُ شيئاً من تضاريس هذا المكان.

«أجل»، ردَّت ورمقتني باستغراب. «يمكنكِ تحديد الاتجاهات بحسب ذلك البرج، فهو يقع في الشمال وسكن الطالبات في الشرق. ومقابلنا مباشرة، في الجهة الغربية، يقع سكن الفتيان».

لكي أحفظ الطريق، أحصيتُ الأبواب والمنعطفات أثناء سيرنا، والأحجار المتصدعة، والدرجات الزلقة، وخزنتها في ذاكرتي. كنتُ دائماً من يقود أصدقائي في مدينة الألعاب لأنني لا أحتاج أكثر من جولة واحدة لمعرفة تفاصيل أي مكان. يقول أبي إن هذه الموهبة أتت من هوسي الدائم باستكشاف الغابة القريبة من بيتنا، والتي يصعب معرفة جغرافيتها أكثر بألف مرة من مبنى أو مدينة ألعاب.

وصلتْ ليلى إلى نهاية الممر وهبطت ثلاث درجات ثم استدارت يساراً. «أظن أن جدول الدروس هنا سوف يكون مختلفاً عمّا اعتدتِ عليه. فبينما تكون بعض الدروس متتالية، إلا أن معظمها ليست كذلك، نظراً لأن الكثير من الدروس تتطلّب جهداً بدنياً عالياً. البرنامج الدراسي حافل من الاثنين إلى الجمعة، أما في نهاية الأسبوع فهو أقل ازدحاماً. وللأساتذة الحقّ في إجراء أي تحدٍ مفاجئ متى أرادوا». أعادت ترتيب خصلات شعرها المتطايرة. «سوف ندخل الآن الجزء الشمالي من المبنى حيث الفصول الدراسية ومكاتب أعضاء الهيئة التدريسية». أشارت إلى الجدار. «أما الجهة الجنوبية فتحوي الغرف العامة، مثل قاعة الطعام والمكتبة وغرف الأسلحة وغير ذلك».

توقفتُ فجأة. «لحظة، ماذا تقصدين بغرف الأسلحة؟».

توقفتْ هي أيضاً: «لدينا مجموعة كبيرة جداً من السيوف، ولدينا أيضاً أفضل أنواع الأقواس والسكاكين».

ابتسمتُ بحماسٍ. لم يسبق لي أن استخدمت سيفاً حقيقياً، فأثناء تدريباتي مع أبي كنا نستخدم السيوف الخشبية، وغالباً ما كنتُ أكسرها. غرفة مليئة بالسكاكين؟ أنا متحمسة لهذه الدروس.

«لكن السموم أمر مختلف تماماً»، تابعتْ ليلى وكأنها تتحدث إلى نفسها، «لا فائدة من الحديث عنها الآن، فنحن لن نذهب إلى ذلك القسم من المبنى قبل موعد الغداء».

تلاشتْ ابتسامتي. «هل قلتِ سموم؟».

«سمعتُ أنهم سيقومون بتوسيع المناهج في الفصل الدراسي القادم، وربما سيطورونها». كانت تتكلم وكأنه موضوع عابر.

السبب الوحيد لدراسة السموم على حدّ علمي هو إما لأنك تنوي استخدامها أو لأنك تخشى من أن يستخدمها أحدٌ ضدك، والسببان مرفوضان بالنسبة إليّ. «هل يمكنني معرفة سبب دراستنا السموم؟».

نظرت إليّ وكأنها لا تصدق سخافة كلامي. «تحمستِ لاستخدام السكاكين بينما تعتبرين دراسة السموم أمراً غريباً؟ إذا كنتِ تحاولين التظاهر بالبراءة فمن الأفضل أن توفري هذه المحاولات».

حدّقتُ فيها وقلت: «إن استخدام السكاكين والسهام والسيوف هو مهارة وفن، أما السموم فهي تُستخدم لإيذاء الناس فحسب».

«أنتِ محقة، نحن نستخدم السكاكين لننشر المحبة»، قالت ببرود وعادت لمتابعة سيرها. «لديكِ موعد الآن مع رئيس قسم التقييم، مكتبه في نهاية هذا الرواق».

أمسكتُ بمعصمها لكنها سحبت يدها ونظرت إليّ بسخط، ولأول مرة رأيتُ إنفعالات حقيقية على وجهها. «إياكِ أن تفعلي هذا مرة أخرى».

- «أن ألمس ذراعكِ؟ آسفة، ولكن هل يمكنك الانتظار قليلاً،

أنا جادةٌ، ماذا بخصوص هذه السموم؟ وقانون العين بالعين الذي عفا عليه الزمن؟». كانت مخاوفي تزداد. ثمة غموضٌ يلفُّ هذا المكان، ينبغي لي أن أعرف المزيد عنه. «وماذا عن قصة موت الطلبة هنا التي ذكرتها بلاكوود؟ أعلم أنه غير مسموح أن أسأل عنهم وعن أساميهم، لكن هل يمكنك تفسيرهذا الأمر لي ولو قليلاً؟ وهل عليّ أن أخاف الآن؟».

بدا عليها الارتباك للحظة ثم قالت: «لا أدري ما الذي تريدين مني أن أقول».

«الحقيقة فحسب. ما الذي يدفع أهلنا لإرسالنا إلى هذه المدرسة المعزولة حيث تتمحور جميع القوانين حول خطرٍ محدق؟».

إنه لأمر مزعج ألا أعرف أين أنا، لكن ما لا يمكنني تقبّله هو إخفاء أبي كل هذه المعلومات عني.

«هذا المكان أقل خطراً من أي مكان آخر»، قالت ليلى وكأنني جرحتُ مشاعرها.

«هو ليس كذلك من منظوري».

اقتربت مني وقالت بصوتٍ هادئ: «أخبرتكِ أن تكفّي عن التظاهر بالبراءة».

«أنا لا أتظاهر بالبراءة». تردّدتُ قليلاً قبل أن أقرّر تصعيد النقاش. «أعتذر لأن كلامي أزعجك، لكن بما أن أبي ليس هنا لأسأله...».

قاطعتني بحدّة وكأنها تأمرني. «اخفضي صوتكِ». نظرتْ خلفها نحو الرواق الخالي ثم دفعتني بقوة إلى الخلف نحو بئر السلم الذي خرجنا منه للتوّ. «ربما لا تتظاهرين وأنت لا تعلمين حقاً، لكن الغباء ليس مُستحبّاً هنا». كاد صوتها لا يُسمَع ويحمل في نبرته اتهاماً صريحاً.

«لماذا تعتقدين أن أسئلتي هي مجرد تظاهر بالجهل؟ أي فائدةٍ سأجنيها من ذلك؟».

«لا تزال إجابتي لا»، همستْ ليلى. «أنتِ لا تكفّين عن ذكر والدك، والدك **فقط**، ما يعني أن والدتكِ متوفية على الأرجح. بإمكاني استنتاج بعض الأمورعنك من خلال كلامك، بالإضافة إلى حقيقة أنك ترعرعتِ في الولايات المتحدة، وهذا واضحٌ من لهجتك. وتدلّ ملابسك التي كنتِ ترتدينها بالأمس على أنكِ من منطقة شمالية، وطريقة تنسيقكِ لها أقرب للأسلوب الريفي منه للحضريّ. توحي ملامحكِ بأن أصولك من أوروبا الغربية، من جنوب إيطاليا تحديداً، ويعود تخميني هذا للون شعرك وعينيكِ، وهذا يضعنا أمام عددٍ محدود من العائلات التي يُحتمل أنك تنتمين إلى إحداها. هل تريدين أن أتابع؟».

حدقتُ فيها. من تكون هذه الفتاة؟ «عائلات؟ أي **عائلات** تقصدين؟».

اتسعت عيناها وشدّت قبضتها. «أنتِ مثيرة للمشاكل ومتهورة، وصوتك عالٍ، ولن تحصلي مني على أيّ معلومات. تمثيلكِ لا بأس به، لكنك لن تخدعيني». كان كلامها قاسياً.

«لحظة...».

«انتهت هذه المحادثة. **لا أصدق** أن المديرة بلاكوود اختارت أن نكون شريكتين في السكن». أنهت كلامها وابتعدت مسرعة.

تبّاً. لا شيء ينجح مع هذه الفتاة. لم ينفعني الأسلوب الودود، ولا التصرف بغطرسة. رفعت يديَّ مستسلمة. «اسمعي، لم أقصد إزعاجكِ، صدقيني، دائماً ما تقول لي صديقتي المقربة إنني أُلحّ كثيراً على الآخرين إلى درجة تُخرجهم عن طورهم أحياناً. أعرف

أنك لا تثقين بي، لذلك سأفعل ما بوسعي لتصبح علاقتنا أفضل، وأعدكِ بالتوقّف عن طرح الأسئلة، لكنني لا أتلاعب بكِ، ولا أدري ما الذي فعلتُه لتعتقدي أنّني "لن أخدعك"».

وقبل أن يتسنى لها الردّ، سمعتُ صرير أبوابٍ تُفتح حولنا وطلاب يخرجون إلى الردهة، يرتدون جميعاً الثياب والعباءات نفسها التي نرتديها. هل انتهى درسٌ للتوّ؟ لم أسمع حتى صوت جرس. عادة ما ينخرط الطلاب بالأحاديث الصاخبة والضحكات والتدافع عند انتهاء الحصص، لكن الطلاب هنا يتهامسون فحسب ويسيرون بانتظام.

شقّت ليلى طريقها بين الطلاب. كان هدوؤهم مخيفاً. استرقوا إليّ بعض النظرات، متحفظة لدرجة أنني كنت لأعتقد أنهم لم يلاحظوا وجودي ما لم أكن مركزة عليهم بشدة، فلا وجود هنا لتلك النظرات الغريبة عند قدوم طالبٍ جديد كما كان يحدث في مدرستي القديمة.

ارتجفت. ثمة شيء مُقلق في هذا المكان، جعلني أتساءل كيف قرّر أبي أن يرسلني إلى هنا. هل يضعني في اختبارٍ ما؟ ربما كانت هذه طريقته في إثبات قناعته التي لطالما عبّر عنها بأنني مخطئة في ثقتي الزائدة بالآخرين. أكاد أسمعه يقول: «انظري جيداً إلى هذا المكان واعترفي بأنني محقّ، هناك أسرار يخفيها الناس **دائماً**». والغريب هو أنه رغم اختلافنا في الرأي فيما يتعلق بالثقة بالآخرين، إلا أنني دائماً ما كنت أشعر بأنه فخورٌ بي في أعماقه لأنني أبحث عن الجانب الإيجابي لدى الآخرين. لا أدري، قد أكون مخطئة.

رأيتُ شاباً يتجه نحونا ينادي: «ليلى». قطع صوته سلسلة أفكاري. إنه يشبهها كثيراً، إلا أنه أطول منها. فبينما هي أقصر مني ببضع سنتيمترات، يفوقني هو طولاً بنفس الفرق. الميزة المشتركة

بينهما هي امتلاكهما حضوراً طاغياً والملامح الحادة نفسها. «أنا متفاجئ، ظننتكِ في مكتب التقييم حالياً». وغمز لها.

بدا من كلامه أنها أخبرته عني منذ الصباح. إما هذا، أو أنهما كانا يعلمان مُسبقاً بقدومي، وهو ما يقلقني أكثر. لا هواتف هنا أو إنترنت للتواصل مع العالم الخارجي، لذا فإن الطريقة الوحيدة ليعرفا بقدومي هي أنه كان مُرتباً له منذ أيام، حتى قبل أن أعرف أنا.

«ظروف طارئة»، قالت ليلى وهي تنظر إليّ وكأنني كائنٌ غريب. «أقدم لك نوفمبر يا آش، شريكتي الجديدة في السكن. نوفمبر، أقدم لكِ آش».

«ليلى تقبل السكن مع فتاةٍ أخرى، هل يُعقل هذا؟». كان يتكلم وهو ينظر إليّ، فتراجعتُ لاشعورياً خطوة إلى الخلف. ثمة شيء في نظرته جعلني أشعر بأنني مكشوفة تماماً، وكأنه يسلّط ضوءاً كاشفاً على بثرة في وجهي كنت آمل ألا ينتبه إليها أحد. وبعكس ليلى، بدا آش ودوداً، لكن ترحيبه بي كان بارداً.

سألتها: «لم يسبق أن كان لكِ شريكة في السكن؟». أخبرتني بلاكوود أن هناك مائة طالبٍ فقط، والبناء ضخم، لذا من الطبيعي أن يقيم بعضهم في غرف منفردة، إلا أنه خيار غريب في هذا المكان الكئيب.

«لا نمتلك جميعنا مهارة التكيّف مع الآخرين»، قالت ليلى وكأنها توجّه تحذيراً مُبطّناً.

قال آش قبل أن أتمكن من الردّ: «أتخيّل أن ليلى تهتم بكِ جيداً؟». وكلما تكلّم أكثر، لاحظتُ الشبه الكبير بينه وبين ليلى في أمورٍ كثيرة - حركة الحاجبين، عظام الوجنتين البارزة، وحتى خط الشعر.

«هي مرشدة ممتازة، لكن أنا من يزعجها بأسئلتي التي لا

تنتهي». صمتُّ قليلاً لترتيب الأفكار في ذهني. «هل آش هو اختصار لِـ. . . آشاي؟».

ابتسم ابتسامةً عريضة لكن متكلفة. «أجل. أنا مندهش أن ليلى أخبرتك عني، هذا ليس من عادتها».

إطلاقاً. «هي لم تتحدث عنك. كلّ ما في الأمر أن آش ليس اسماً مصرياً، وبما أن ليلى هو اسم مصري، فقد افترضتُ أن اسمك كذلك أيضاً. أعني أنكما شقيقان، أليس كذلك؟». لم أشعر بالحماس كعادتي حين أقوم بتحليلات كهذه، بل بالعكس، شعرتُ بأنني قلت الشيء الخطأ.

لم يوجّه آش نظره إليّ بل إلى ليلى. «أخبرتها أننا مصريان؟».

حسناً، أكّدت كلمة **أننا** ظنوني بأنهما شقيقان.

رفعت ليلى رأسها بأسلوبها المتعالي وأجابته: «لا، طبعاً».

تبادلا النظرات لبضع ثوانٍ دون أن ينطقا بكلمة، ورغم ذلك، بدا لي أنهما يتواصلان بطريقةٍ ما عبر هذه النظرات الحادة.

التفت آش إليّ. «ليس لديّ ما أفعله بعد ظهر اليوم، ربما يمكنني الانضمام إليكما في هذه الجولة، أو ربما رافقتكِ بدلاً من ليلى إذا كانت مُتعبة؟».

يهمس لي حدسي أن أرفض، وأن أسارع بالاعتذار لليلى، وأعدها بالتزام الصمت كي لا تتركني معه.

لحسن الحظ هزّت ليلى رأسها رافضةً. «أنت تعلم أنها مسؤوليتي». كنت مُمتنة لردّها هذا، لكن ليس لأجل الجزء المتعلق بكوني مسؤوليتها.

«حسناً إذاً، سأراكما على الغداء. أوه، ليلى. . .». كان يحمل ضفيرة صغيرة مصنوعة من أوراق الصنوبر.

فتّشتْ ليلى جيوب عباءتها لتجدها فارغة، بينما ارتسمت على

وجه آش ابتسامة النصر. «خمسة مقابل أربعة»، قالت ليلى بشيء من الانزعاج. «أنت تفوز».

انحنى آش مودعاً واختفى بين حشود الطلاب الذين بدوا أكثر شبهاً بالجواسيس في تصرفاتهم. بدتْ شخصيته طاغية عن قُرب، لكن بينما كان يبتعد اكتشفتُ أيضاً أنه يصعب أن تبعد نظرك عنه، ولست متأكدة مما إذا كان انجذابي إليه بدافع الافتتان أم الخوف.

3

جلستُ في مكتب التقييم على إحدى الأرائك الكستنائية التي بدت زاهية بفضل انعكاس وهج لهب المدفأة. ثمة صور كثيرة على الجدران لنساءٍ ورجالٍ من كبار السن بملامح صارمة، وهناك عوارض خشبية متصالبة في السقف. جررتُ حذائي على بساط باهت قديم ونظرتُ خارجاً عبر نافذةٍ ضيقة، لا تُظهر سوى أغصان أشجار كثيفة.

وضع الدكتور كونر على الطاولة أمامي صينية فضية عليها خبزٌ ساخن وبعض الزبدة والمربى. رائحة الطعام جعلت معدتي تُقرقر، إذ ليس هناك ما هو أشهى من الخبز الساخن. وبسبب تخديري في تلك الرحلة، لم أكن متأكدة متى تناولت طعاماً آخر مرة.

«والآن، يا نوفمبر، سوف أطرح عليكِ بعض الأسئلة»، قال الدكتور كونر وهو يتهيأ للجلوس على أريكةٍ أمامي. بدت لكنته بريطانية، وكان يرتدي سترةً سوداء شبيهة بسترة بلاكوود، إلا أن لسترته جيباً كستنائياً مربعاً. وإذا أردت التخمين، أعتقد أنه في سنّ أبي أو أصغر قليلاً.

«إجابتكِ بصدق أمرٌ بالغ الأهمية»، قال الدكتور كونر وهو يضع ساقاً فوق الأخرى ويفتح ملفاً جلدياً أمامه. «سيساعدنا ذلك في

اختيار الصفوف التي تناسبك. وبما أننا لا نقبل طلاباً جدداً في منتصف العام عادة، خاصة إذا كانوا أكبر من السن المسموح به كما في حالتك، فلا وقت لدينا لتقييم نقاط قوتك وِضعفك بتروٍّ كما نفعل عادةً».

«بالتأكيد، هات ما عندك»، قلتُ بينما عقلي مشغولٌ بتقييمٍ خاصٍ به. **كونر - اسم مشتق من كلمة Cunnere التي تعني «مفتش» وكلمة Cun التي تعني «يتفحص»**. «هل وصلكَ أي معلومات عني من مدرستي القديمة؟».

رفع حاجبه قائلاً: «بالتأكيد لا. أؤكد لكِ أنه لا توجد أي معلومات تخصك هنا، وكل ما يقال في هذا المكتب سريّ للغاية ويُستخدم لأغراض تربوية فقط. أنا والمديرة بلاكوود فقط من يحق لنا الوصول إلى ملفات الطلاب هنا».

تردّدت تحذيرات ليلى وبلاكوود في عقلي. هل خطر له أنني أختبره لأرى ما إذا كان يملك أي معلومات عني؟

قلتُ له ببرود: «حسناً، لنبدأ بهذه الأسئلة».

أخذ يمرر يده فوق ذقنه وهو ينظر إليّ مقطباً حاجبيه. «هل أنتِ شخص انطوائي أو منفتح؟».

أجبته: «منفتح مائة في المائة».

«هل لديكِ أي إصابات من شأنها أن تعيق حركتك؟».

«لا، لا إصابات».

«أيُّ مستوى من التوازن يصفك بدقة أكثر: القدرة على المشي على الحافة، أم على غصن شجرة، أم على حبلٍ مشدود؟».

ركّزت جيداً وأنا أفكر في الإجابة. **ماذا يريد من هذه الأسئلة؟** بدا هذا كاختبار قبول لممارسة الرياضات الخطرة وليس تقييماً

لمدرسة. «غصن شجرة. هل يوجد في هذه المدرسة من يمكنه أن يمشي على حبل مشدود؟».

تابع كونر متجاهلاً سؤالي: «ماذا عن مهارات التسلق؟».

«ممتازة».

رفع نظره لبرهة. «إلى أي درجة هي ممتازة؟».

بدأتُ أدرك أن أيّاً من هذه الأسئلة لن يكون عن مهاراتي الأكاديمية. «أنا ماهرة في تسلّق الأشجار، لكن بإمكاني تسلّق الصخور والأعمدة... ببساطة، إذا كانت خشنة الملمس أو مزودة بقبضات فأنا أستطيع تسلقها، إنها نوعٌ من -». سكتُّ قبل أن أخبره عن رهانٍ بيني وبين أصدقائي في بيمبروك عن الأشياء التي أستطيع تسلقها ومدى سرعتي. **القاعدة الأولى**، أذكّر نفسي.

رفع حاجبيه. «هل أنتِ شخص ليليّ أم نهاريّ؟».

«كلاهما».

«هل أنتِ شخص ليليّ أم نهاريّ؟».

«كلاهما، حقاً».

«أنا سعيد أنك تعتقدين ذلك»، قال بطريقة لا تعكس سروره إطلاقاً، «لكن حين أمنحكِ خيارات، أتوقع منكِ أن **تختاري**».

عدّلتُ جلستي على الأريكة على الرغم من عدم حاجتي لذلك.

«شخص ليليّ».

«لماذا؟»، قال، ثم نظر إليّ.

«حسناً»، قلت له، ثم صمتُّ قليلاً. «الظلام لا يزعجني البتة، بل يمكن أن يكون مفيداً أحياناً».

أومأ برأسه ودوّن ملاحظة تمنيت لو أراها ونحن نتبادل هذا الحديث الغريب.

«ما هي الحاسة الأقوى لديكِ؟».

«حسناً، دعني أفكر...». هناك لعبة اعتدتُ لعبها مع أبي عندما كنت صغيرة، حيث يكون أحدنا معصوب العينين وعليه أن يتبع الآخر عبر الغابة وبعيداً عن المنزل لمدة خمس دقائق. كان على من يسير في المقدمة التحرّك في طرق متعرجة والدورانُ في نفس الحلقة أحياناً محاولاً إرباك الشخص معصوب العينين قدر الإمكان، لكن إذا تمكّن هذا الأخير من إيجاد طريق عودته إلى المنزل، فهو الفائز. كنت أنجح فيها دائماً باستخدام السمع ولمس الأشجار، فيما كان أبي يؤكد أنه ينجح فيها عن طريق الشمّ غالباً، ما بدا لي صعب التصديق. كنت في السادسة حين توفيت أمي، وبدأ أبي في ذلك الوقت بتصميم ألعاب هكذه في الهواء الطلق تعتمد على البراعة والتخطيط. كنا نذهب في رحلات تخييم في عطلات نهاية الأسبوع فيعلمني خلالها كل أنواع الحيل ومهارات البقاء. أظن أَن هذا هو الهدف منها حقاً رغم أنها كانت تبدو كألغاز أو ألعاب في ذلك الحين. لم يقل صراحةً أنه كان يدربني، لكنني أعتقد أنه كان يحاول أن يرهقني جسدياً وذهنياً ليشغلني عن التفكير بأمي وطرح الأسئلة.

تنحنح كونر. «السؤال التالي».

«انتظر، أريد الإجابة».

نظر إليَّ بحدّة. «قلت السؤال التالي، يا نوفمبر».

«مزيج من السمع واللمس»، قلتُ بسرعة قبل أن يستأنف كلامه ثانيةً، ليس لأنني لم أستطع تخطي سؤاله، بل لأنني لا أحب أن يسكتني أحد.

لم يُبدِ أي ردّة فعل. «ماذا تفضلين بين هذه الأشياء: تسلق شجرة أو الذهاب إلى البحر أو عدم المعاناة من الألم؟».

تردّدت قليلاً. كان أبي يجري لي اختباراتِ الشخصيةِ هذه على شكل ألغاز، وكنت أمازحه قائلةً بأنه لا يزال متأثراً بحياته السابقة

كموظف في وكالة المخابرات المركزية. لكن ما أريد معرفته الآن هو ما علاقة ذهابي إلى البحر، والحاسة الأقوى لديّ، وكوني شخصاً ليلياً أو نهارياً بما ينتظرني.

قال كونر: «ليس هذا بالسؤال الصعب»، وبدأت بالتفكير.

ربما يعني **تسلق شجرة** رغبتك بقضاء وقت ممتع أو عيش اللحظة فحسب. **الذهاب إلى البحر**؟ ترك المكان الذي أنت فيه لأنك غير راضٍ عن وضعك الحالي. **عدم المعاناة من الألم**... رغم معناها الواضح، لست متأكدة مما تقصده هذه الأخيرة.

أمسك كونر لحيته وجالَ بنظره بيني وبين الملف وهو يدوِّن ملاحظاته.

«عدم المعاناة من الألم»، قلتُ له رغم أن **تسلق شجرة** هو الأنسب لي بالتأكيد، لكن إذا كان هناك شيء واحد لا تقدِّره هذه المدرسة، فهو بالتأكيد قضاء وقت ممتع بلا قلق.

نخر وسألني: «وماذا عن قدراتك بما يخص العلاقات المكانية؟».

«متينة».

«القدرات الرياضية؟».

«لطالما شاركتُ في ألعاب رياضية كثيرة... لذا يمكنني أن أقول إنها قوية».

«الشيفرات؟».

«تقصد اختراقها؟». يا إلهي، هذا الرجل لا ينطق بأي كلمة زائدة.

«أقصد اختراقها أو إنشاءها».

هززتُ كتفَي. «لا خبرة لديّ فيها».

رفع نظره إليّ للحظة فشعرتُ أنه لم يصدق كلامي. «حسناً، جيد، هذا سيعطينا نقطة نبدأ منها، على الأقل بالنسبة إلى الواجبات الدراسية».

الواجبات الدراسية - فهمتُ الآن أن الدروس التي تحدثت عنها بلاكوود وليلى ليست مجرد مواد اختيارية، بل إنها المنهاج نفسه. لا يعني هذا أنني حزينة لترك الرياضيات واللغة الإنجليزية، لكنني مندهشة كيف أن مدرسة إعدادية لا تركز أكثر على الجانب الأكاديمي.

وضع كونر الملف الجلدي على الطاولة ونظر إلى صينية الطعام التي ما زالت على حالها. «ألن تتناولي بعض الخبز والمربى؟».

- «لا، شكراً، يمكنك تناول طعامك من دوني»، قلت وأنا أحاول عدم النظر إلى الخبز الشهي.

- «لا بد أنكِ جائعة، فأنتِ لم تتناولي فطوركِ بعد»، قال وهو يبتسم.

مستحيل أن أتناول هذا الطعام بعد أن خدّروني على متن الطائرة. نظرتُ إليه مباشرةً. «هذا مكتب تقييم وأنت هنا لتقييمي، أليس كذلك؟ الشيء الوحيد الذي يخطر لي هو أن هذا الطعام جزء من تقييمي، ولا أظن أنني أريد معرفة محتواه».

تغيّرت ملامحه وكأنه اكتشف أمراً هاماً. «أنتِ كثيرة الشك، أو ربما أنتِ لا تثقين بي فحسب».

شعرتُ بالدهشة للحظة. إنها المرة الأولى التي ينعتني فيها أحد بأنني كثيرة الشك. بدت هذه الملاحظة مختلفة عن سابقاتها على نحوٍ ما، وكأنه يستكشف بواطن نفسي بدلاً من مجرّد جمع معلوماتٍ عني. «لا أحب أن أرتكب الخطأ نفسه مرتين»، قلتُ بحذر.

انتظرَ لبرهة، وكان بإمكاني تصوّر ما يدور في رأسه من أفكار

وهو يحاول اتخاذ قرار بشأني. من المُزعج أن تُخضَع لتقييم لا تعرف فيه ما الذي يبحثون عنه أو أي نتائج سيصلون إليها.

أسند كونر ظهره إلى الأريكة، وجعلتني طريقة جلوسه العفوية أشعر بالألفة، كأنني أتحدث إلى أحد آباء أصدقائي وليس إلى مسؤول تقييم متزمت. **أبي**. شعرت فجأة بالحنين إلى بيتي يقبض على معدتي الخاوية.

«ماذا تعرفين عن الأكاديمية، يا نوفمبر؟»، سأل كونر.

«القليل جداً»، قلت له، ويمكنني الجزم أن نظرته تشي بأنه صدقني.

«طلبت مني المديرة بلاكوود التحدّث إليكِ قليلاً عن تاريخ الأكاديمية وماذا نتوقع منكِ هنا»، قال لي فانحنيتُ للأمام.

«نعم، من فضلك». كنت أتوق إلى الحصول على أي معلومة قد تعطى لي.

شبك يديه في حجره. «لكن»، قال بتوكيد، «هذه المقدمة المُختصرة لن تعوضك عن كمّ المعلومات الهائل الذي فاتكِ في العامين المنصرمين».

شعرتُ أنه يحذرني، وهذا ما زاد من حيرتي. لماذا يسمحون لي بالانضمام إلى الأكاديمية إذا كانوا قلقين بشأن كل الأشياء التي فاتتني؟

«قبل أن نبدأ هذا الحديث، لقد أوضحت لكِ المديرة بلاكوود القاعدة الأولى هنا، أليس كذلك؟».

«لا تفصح أبداً عن أي معلومات شخصية عنك أو عن عائلتك»، قلت له.

أومأ كونر. «نطلب منكِ أيضاً توخّي الحذر مع أي طالب هنا قد تتعرفين إليه. نحن نتفهّم أنه لا بد من أن البعض منكم يعرفون

بعضهم البعض مسبقاً، لكن في تلك اللحظات التي تشعرين فيها بالأمان، ستكونين الأضعف»، قال، وشعرتُ مجدداً أنه يبحث عن شيء ما.

«لا داعي للقلق»، قلت له، «أنا لا أعرف أحداً هنا».

نظر إليَّ مطولاً ثم تنحنح وتابع قائلاً: «لنرَ هنا... صمَّم الأكاديمية وبناها المجلسُ الأول للعائلات كمؤسسة نخبوية ليدرس فيها أولادهم الأفضل والأذكى. كانت هذه هي المرة الأولى التي تجتمع فيها كل العائلات للعمل معاً من أجل تحقيق هدف مشترك. لقد تم الاتفاق آنذاك، كما هو الحال اليوم، على إعطاء الأولوية للتميُّز الاستراتيجي ولأمان أولادهم على السياسة».

لم أعد أفهم شيئاً. أردت أن أسأله، **أي سياسة تقصد؟** لكنه تابع كلامه قبل أن أنبس بكلمة.

«لا يمكنني تحديد التاريخ الذي أُنشِئت فيه هذه المدرسة بالضبط، إذ إن قانون السرية حال دون توثيق بعض المعلومات، إلا أن البعض يُقدِّر أنها أُنشئت قبل ألف وخمسمائة عام تقريباً، أي بعد ما يقرب من ألف عام من تكوين العائلات الثلاث الأصلية الأولى. ما يمكنني قوله لك هو أن أكاديمية أبسكونديتي اتخذت هذا البناء بالذات مقراً لها منذ عام 1013». رفع رأسه قليلاً كعلامة افتخار.

العائلات. هذه الكلمة من جديد. عندما سألتُ ليلى عنها كانت ردة فعلها وكأنني أتعمّدُ إزعاجها، وها هو كونر أيضاً يفترض أنني أعرف ما تعنيه، ولست متأكدة ما إذا كنت أريده أن يعرف أنني أجهل الموضوع تماماً. أومأتُ برأسي وكأنني أفهم ما يقول.

«يلتزم جميع الطلاب بحضور المقررات الأساسية»، قال كونر، «ولديهم حرية انتقاء مواد اختيارية مثل اللكنات، والفنون القتالية، والشيفرات، والملاكمة، والرماية، والبستنة. وبينما يتفاوت مستوى

بعض المهارات بين الطلاب في مختلف الأعمار، إلا أنَّ هناك فرقاً كبيراً بين المستوى المبتدىء لطلاب السنة الأولى والثانية، والطلاب في المستوى المتقدم. ولا يُسمح لطلاب المستوى المبتدئ بالبقاء هنا إذا لم يتمكنوا من الانتقال كما ينبغي إلى متطلبات المستوى المتقدم». صمتَ كونر قليلاً وكأنه يريد مني أن أستوعب أهمية كلامه.

سألته: «ولأنني في السابعة عشرة، أفترض أنني في السنة الثالثة، وبالتالي في المستوى المتقدم؟».

«أجل. لقد أكدوا لنا أن مهاراتكِ البدنية مناسبة تماماً، لكن المقرّر الأساسي الذي يربط بين كل ما نفعله هنا هو التاريخ، وللأسف لقد فاتتكِ سنتان ونصف من الدروس التي لا تكشف عن تاريخ العائلات الأصلية فحسب، بل تحلل الأحداث التاريخية المهمة التي أثرت فيها هذه العائلات أيضاً. إن الاستراتيجيات التي تُناقَش في سياق هذه الأحداث التاريخية هي ما يصوغ المعرفة التي تكتسبينها هنا. وتَأْمَل المديرة بلاكوود أن يكون أساتذتك قد أبلوا بلاءً حسناً بحيث لا يتأخر بقية الطلاب بسببك، فكما قلت لكِ سابقاً، التميّز أمرٌ ضروري».

أصبح واضحاً أن **التاريخ معِّلم الحياة** شعار منطقي جداً للمدرسة. وأبي سيقتلني في حال رسبت في صفّ التاريخ الغامض هذا بعد أن أنفق كل تلك الأموال لحمايتي في هذه المدرسة الخاصة بعيداً عن بيتنا. فركتُ راحتيّ يدي ببعضهما. «وإذا أردتُ الدراسة لوحدي في حال احتجت لذلك، هل هناك كتاب يمكنني قراءته أو ما شابه؟».

عبس كونر ونظر إليّ طويلاً جداً إلى درجة أنني بدأت أسعل على أمل أن يشغله صوت السعال عن التحديق بي. «إذا لم تدركي

أن هذا التاريخ ليس مدوّناً، فأخشى أنه من المستحيل أن تصمدي هنا مع بقية الطلاب».

جعلتني كلمة **تصمدي** أشعر بالقشعريرة. لذلك ضحكت. ضحكت لأنني بارعة في هذا الأمر، ولأنه أسلوب لطالما اعتمدته لجعل الآخرين يشعرون بالاطمئنان، ولأنني شعرت أن أوراقي كُشفت ويجب عليّ تغيير خطتي في الحال. «لم أكن أقصد كتاباً عن تاريخ **العائلات**، ما قصدته أنني أريد كتاباً يساعدني في تطوير مهاراتي الفكرية».

تأفّف وكأنه لا يصدقني، لكن نظرة التهديد اختفت من عينيه.

«أو أي شيء يخطر لك»، قلت له، «كلي آذان صاغية».

استرخى على الوسائد خلفه. «حسناً، هذا أمرٌ عليكِ أن تكتشفيه بنفسك».

كنتُ على وشك الردّ عليه، لكنني ضبطت نفسي. يا له من أحمق.

وقف الدكتور كونر. «تعالي معي الآن إذا سمحت، بقي أمرٌ واحد عليكِ أن تفعليه هذا الصباح».

نهضتُ عن الأريكة الفاخرة ورددتُ ضفيرتي فوق كتفي.

سحب كونر كرسيين قرب الجدار ووضع أحدهما مقابل الآخر. انتظرته ليجلس لكنه لم يفعل. وبدلاً من ذلك، عدّل سترته ووقف خلف الكرسي الموجود إلى اليمين. «اجلسي رجاءً، على الكرسي الذي تريدينه».

إن جلست على الكرسي البعيد منه فسيكون الباب خلفي. لا أدري إن كان لهذا علاقة بفلسفة الفينغ شوي، لكنني لا أشعر بالراحة إذا جلست وظهري إلى المَخرَج. لكني لن أجلس أبداً على الكرسي الذي يقف بضع سنتيمترات وراءه. ألقيتُ نظرة سريعة حولي، وبدلاً

من أن أختار كرسياً، جلستُ على الأرض وأسندت ظهري للجدار حيث كان الكرسيّان أولاً.

لم أُكلف نفسي عناء شرح تصرفي وهو لم يسألني. لم أسمع خطاباً حول «منحه لي الخيارات» هذه المرة. لقد اكتفى بتدوين المزيد من الملاحظات فحسب.

بعد لحظة، أعطاني كونر ورقةً عليها ثمانية مربعات ملونة. «أرجو أن تضيفي رقماً إلى كل مربعٍ بحيث يكون واحد هو لونك المفضّل وثمانية هو أقل لون تفضلينه. لا داعي للتفكير، اختاري الألوان التي تفضلينها وحسب».

نظرتُ إليه. في البدء كل تلك الأسئلة الغريبة والآن اختبار ألوان؟

مدّ لي كونر قلم حبر وقلم رصاص.

أمسكتُ بقلم الرصاص وكتبتُ 1 إلى جانب اللون الأصفر و2 إلى جانب اللون الأخضر. يذكّرني هذان اللونان بالشمس والأشجار، ويناقضان تماماً وجودي في هذا البناء الرمادي الكئيب. كتبت 3 إلى جانب اللون الأحمر فانكسر قلم الرصاص في يدي، انكسر رأس القلم كاملاً. نظرتُ إلى كونر الذي يراقبني عن كثب ولم يبدُ متفاجئاً. لم يكلف نفسه عناء تقديم قلم الحبر أو قلم رصاص آخر.

هل ينتظر ليرى إن كنت سأطلب المساعدة؟ تبّاً لذلك. حشرتُ قلم الرصاص في فمي ورحت أعضُّ الخشب ثم سحبتُ قطعاً منه بأظافري حتى أصبح الجزء المكشوف من السن على شكل طرف مدبب وتابعت كتابة الأرقام. كان كونر يراقب كل حركاتي.

انتهيت من الكتابة ثم وقفتُ وأعدتُ له القلم والورقة.

أومأ كونر برأسه إلى الورقة وكأنه كان يعرف ما سأكتب، ثم أدار رأسه نحوي قائلاً وهو يعود إلى مكتبه: «يمكنكِ الذهاب».

«هل يمكنني أن أسألك سؤالاً؟»، قلت له. «هل الطعام الذي قدمته لي صالح للأكل؟».

استدار كونر وأخرج قارورة صغيرة من جيب سترته، وقال: «الترياق»، ثم ابتسم.

نظرتُ إليه برعبٍ. لقد عرفتُ أن للطعام علاقة بهذا التقييم، لكنني لم أتوقع أن الرجل الذي يُفترَض به أن يساعدني على التأقلم هنا كان سيدُّس لي السمّ.

جلس إلى مكتبه. «والآن عليكِ الذهاب، لديّ جدول أعمال لأحترمه».

أمسكتُ بمزلاج الباب، وغادرت ذلك المكتب بأسرع ما استطعت.

4

تلمّستُ الجدران الحجرية الباردة وأنا أهبط السلالم خلف ليلى بصمت. سألتها عن خيار الكراسي وكذلك عن قلم الرصاص، لكنها اكتفت بسؤالي عن تصرفي حينها، ما جعلني أتساءل ما المعلومات التي سأعطيها إياها إذا أجبتها، فآثرت الصمت.

قادتني ليلى عبر البهو ذي الجدران المغطاة بالقماش المنجَّد الذي مشيت فيه الليلة الماضية في طريقي إلى مكتب بلاكوود. توقفتْ أمام باب خشبي كبير قام بفتحه حارسٌ في مقتبل العمر، كان يرتدي الحزام نفسه والأربطة الجلدية نفسها التي كان يرتديها الحراس أمس.

«شكراً»، قلتُ عندما مررتُ أمام الحارس لكن ليلى لم تقل شيئاً. لم يعجبني تصرفها، إلا أنني لم أُظهر شيئاً.

تلاشى غضبي ما إن لامست قدماي العشب الرطب في الفناء المستطيل. أصبح الطقس بارداً فجأة، لكن ليس بقسوة البرد الذي توقعته في شهر ديسمبر. الغرف هنا أبرد من بيتي بالطبع، لذلك ربما لا ألاحظ الفرق بين الداخل والخارج. أما الرطوبة فتبدو مشابهة للرطوبة في الديار، ما جعل التنبؤ أين نحن صعباً، إذا أخذنا في الحسبان أن الشتاء في الكثير من مناطق أوروبا مماثل للشتاء في

بيمبروك. كان الهواء كثيفاً ويعبق برائحة التراب الرطب والطحالب التي أعطتني شعوراً كأنني في قلب الغابة.

تحيط بالمكان أشجار السنديان بأجذاعها العملاقة، لكن هذا لم يساعدني في معرفة مكاني باعتبار أن أشجار السنديان تنتشر أيضاً في أوروبا وأمريكا الشمالية. ورغم أن الأشجار لم تقدم لي أي دليل، إلا أن منظرها كان مُدهشاً. كانت قممها مشذبة لتشكل معاً مظلة كثيفة مقببة تغطي المكان بأكمله وتحوّل الضوء الذي يتخلل الأغصان إلى لوحة مزخرفة مرسومة على الأرض، كما تتدلى من بين الفروع عرائش كثيفة بأطوال متفاوتة، ليصبح المكان كأنه هاربٌ من إحدى حكايات الخيال.

مررتُ يدي على إحدى العرائش وجذبتها نحوي. «أعتقد أن هناك بعض الأشياء الجميلة في هذا المكان». خرجت الكلمات من بين شفتيّ الجافتين، فأدركتُ أن فمي كان مفتوحاً وأنا أشاهد المناظر من حولي، «يصطاد الذباب» كما تقول إيميلي.

«يُستخدم هذا الفناء في تدريباتنا الرياضية، ويُمنع منعاً باتاً تسلق العرائش من دون حضور أحد المدربين»، قالت ليلى لتقطع الطريق أمام رغبتي في تسلق هذه الأغصان، لكنها لم تستطع أن تفسد جمال هذه اللحظات رغم ذلك.

«متى موعد هذا الدرس؟»، سألتها.

«غداً»، أجابت.

«للطلاب القدامى والمستجدين أم للجميع؟». أخذتُ نفساً عميقاً وأنا أستمتع برائحة العشب المجزوز ورائحة الأغصان.

«لا نقسِّم الصفوف بهذه الطريقة. يُعتبر الطلاب في أعمار الخامسة عشرة والسادسة عشرة مبتدئين، وطلاب السابعة عشرة

والثامنة عشرة الفئة المتقدمة»، قالت ليلى، «وصفوفنا منفصلة عن صفوف الطلاب الأصغر، فهم لديهم عادةً جدول دراسي مريح يتيح لهم المزيد من الوقت للتدريب».

أومأتُ لها. هذا يتطابق مع ما قاله كونر. «لديّ سؤال: إذا كان كل شيء هنا سريّاً، فكيف يتقدم الطلاب للتسجيل في الجامعات بعد التخرّج من هنا؟ أفترض أن هذا المكان لا يمنح أيَّ وثائق».

نظرت ليلى إليَّ نظرة استخفاف. «هذا إذا كنا سنلتحق بالجامعة».

«لماذا إذاً الذهاب إلى مدرسة تحضيرية تُوصف بأنّها لا تستقبل سوى المتميزين إذا لم تكن الجامعة هي الخطوة التالية؟»، سألتها.

«ولماذا نضيُّع أربع سنواتٍ في دراسة مواد عديمة الفائدة في الجامعة في حال وجود بديل يفي بالغرض؟»، أجابتني.

اتسعتْ عيناي دهشةً. هذه إذاً ليست مدرسة إعدادية غريبة تُركز على فنون القتال ومهارات النجاة مثلما اعتقدت، بل هي تقدم نوعاً من التعليم يعتقد هؤلاء الطلبة أنه كافٍ لهم. أما السؤال الأهم، ما هي المهن التي يمكنك مزاولتها مستقبلاً إذا كانت مهاراتك الأساسية هي استخدام الأسلحة ودراسة التاريخ وفنون الخداع؟ الجاسوسية؟ القتل المأجور؟ الخدمات الاستخباراتية؟ أتمنى أن يكون ظني خاطئاً، وأن أبي لم يرسلني إلى هذا المكان وهو يعرف حقيقته، لكنني صراحةً لم أفهم ما تقصده ليلى. «إذاً ماذا يفعل الطلبة بعد التخرج من هنا إذا لم يلتحقوا بالجامعة؟»، سألتها بحذر.

نظرت إليَّ بارتياب. «نحن نفعل ما تحتاجه منا عائلاتنا»، قالت وأشاحت بوجهها، «كوني مستعدة، لا تزال لدينا أعمال كثيرة».

سرتُ خلفها إلى ممر عبر الأشجار وكل تفكيري يدور حول إيجاد طريقة تمكّنني من الاستفسار عمّا أريد معرفته من دون

الحصول على إجاباتٍ غامضة أو أن أستفزّها. وأكثر ما أثار قلقي بعد ما سمعته ورأيته اليوم هو أن هذا المكان ليس مكاناً تمر به مرور الكرام لمدة أسبوعين ثم تغادره ببساطة، فأنا على يقينٍ الآن أن أبي أخفى عليّ أمراً مهماً، ولستُ مرتاحةً للأفكار التي تدور في ذهني حيال ذلك.

مررنا عبر بوابة مقببة تغطيها العرائش، ومنها إلى حديقة مليئة بالألوان والأشجار الكثيفة المُشذّبة بعناية على شكل مظلة عملاقة تشبه تلك التي في الفناء الخارجي. الفرق هنا أنه لا توجد عرائش للتسلق، وبدلاً من ذلك زُيِّن هذا الفناء بأكاليل من التوت الأرجواني والأزهار البيضاء. أجل، إنه توت أرجواني إذا أسعفتني الذاكرة، فقد قرأت عنه في كتب النباتات التي حرصتُ على الاحتفاظ بها دائماً، ولم أسمح لأبي أن يتبرع بها للمكتبة. توزعت في أرجاءٍ أخرى من المكان صخورٌ مغطاةٌ بالطحالب منحوتة بشكل مقاعد، وأزهارٌ زرقاء وبيضاء وأرجوانية مرتبة بطريقة متداخلة.

«استراحة الحديقة»، قالت ليلى بفخر. «يُسمح للطلاب بقضاء وقت فراغهم هنا نهاراً. لا تسمح مظلة الأشجار الكثيفة بوصول الثلوج إلى الحديقة، ونظراً لوجود نبع حار يجري تحت المدرسة ويبعث الدفء في المكان، يمكننا الاستمتاع بمنظر الأزهار طوال العام تقريباً».

أول فكرة خطرت ببالي هي معرفتي بوجود الينابيع الحارة في كلٍّ من بريطانيا، وفرنسا، وآيسلندا، وألمانيا، وإيطاليا، وهناك بالتأكيد أماكن أخرى لا أعرف عنها، فمرة أخرى لا أجد في هذه المدرسة أي دليلٍ يخبرني أين أنا.

«هذا المكان مدهش»، قلتُ وأنا أستنشق الهواء العابق بعطر الأزهار. لكن تفكيري بموضوعات الجاسوسية والقتل المأجور،

والأهم من ذلك أبي، كل هذا وقف عائقاً بيني وبين الاستمتاع بجمال المكان.

«لدينا خبير بستنة مقيم يُدرِّس مادة اختيارية عن علم النبات ويعمل أيضاً مع أستاذ مادة السموم»، قالت ليلى، «لكنه لا يزرع أبداً نباتات قاتلة هنا»، تابعت كلامها وقد لاحظت نظرة القلق المرسومة على وجهي. «تقع **تلك** الدفيئة في المحيط الخارجي».

«المحيط الخارجي؟»، سألتها.

«هناك بين المدرسة والجدار الخارجي، حيث يسمح لمجموعة محدودة فقط من أعضاء الهيئة التدريسية بالدخول إليها، كما تُزرع هناك المحاصيل الغذائية وتُربى الأبقار والدجاج»، أجابت ليلى مشيرة إلى ممر مُقبّب آخر يمكن رؤيته من خلال الأشجار. «يمكن الوصول عبر هذا الطريق إلى حقل مفتوح يَجري فيه درسُ رمايةٍ الآن».

«هل تقصدين بكلمة **مفتوح** أنه خالٍ من الأشجار والمظلات؟»، سألتها.

هزّت رأسها. «كل المساحات الخارجية مُموّهة، حتى أن هناك أشجاراً مزروعة على أسطح المدرسة، وعرائش على أسوارها».

رمشتُ بعينَي، ولأول مرة بدأت الحقائق تتكشّف أمامي، فأنا الآن داخل بناء قديم لا يعرف موقعه أحد، مع عدم وجود أي وسيلة للتواصل مع العالم الخارجي. «وهذا كي... لا يكتشف سكان المنطقة أمرنا، أو من أجل تضليل الطائرات؟».

«في الواقع»، قالت ليلى وهي تنظر إلى السماء، «يقولون إن هناك شبكة تمويه بتقنية متقدمة تغطي المكان وتمنع أي رادار من رصده، ليصبح المكان برمّته غير قابل للكشف ويظهر على أنه مجرد تلّة».

أصبحتُ مقتنعة الآن أنه أيّاً كان الأمر الذي يحاول أبي حمايتي منه بإرسالي إلى هنا، هو أمرٌ خطير فعلاً. وهذا ما دفعني للقلق عليه وعلى الخالة جو. ما أندم عليه حقاً هو عدم محاولتي الإلحاح على أبي أكثر ليخبرني بالتفاصيل.

اتجهت ليلى نحو الممر المُقبب الذي أشارت إليه توّاً ولوّحت لي بيدها لأتبعها.

لحقتُ بها. «ظننتكِ قلتِ إن هناك صفاً يجري حالياً؟».

«أجل»، قالت ثم دخلت إلى الفناء المجاور وأنا أتبعها.

أخذتُ ألهث.

كان هناك على يسارنا خمسة طلابٍ يقفون بالوضعية نفسها ويحملون أقواساً وسهاماً جاهزة للتسديد، وخلفهم نحو عشرة طلابٍ آخرين ينتظرون دورهم، وعلى يميننا جدار ثُبتت عليه أهداف خشبية، لم يكن لها شكل دائري، بل كانت إشارات بشكل حرف X ليست أكبر من قطعة نقدية معدنية.

«إطلاق!»، أعطت الأمر سيدة نحيلة ذات وجنتين بارزتين، ترتدي ملابس سوداء مثل التي نرتديها.

اخترقت خمسة أسهم الفضاء أمامنا بسرعة إلى درجة أنني شعرت باندفاع الهواء على وجهي، واستقرت في قلب الهدف. لم يخطىء أيٌّ منها وجهته.

«كان هذا سهلاً كفاية»، قالت المُعلِّمة.

كان هذا رائعاً. لا أصدق كم هم بارعون.

«والآن المحاولة نفسها وأنتم تتحركون»، قالت المُعلِّمة، وتمكنتُ من تمييز لكنةٍ فرنسية.

تقدّم أحد الرماة بضع خطوات إلى الأمام، وجعلتني نظراته أشعر بعدم الارتياح، تماماً كما شعرت عندما تحدثتُ إليه سابقاً. إنه

آش. ألقى علينا التحية بابتسامة مدروسة وبحركة سريعة مدّ ساقه جانباً وأطلق السهم في الهواء. لم يكتفِ بإصابة الهدف فحسب، بل جاء سهمه في منتصف حرف X ليشقّه إلى نصفين.

كان الأمر مدهشاً. «هذا لا يُصدَّق»، قلتُ لليلى.

التفتتْ المُعلِّمة ونظرت إليَّ. «بما أنكِ تتحدثين خلال حصتي، فأستنتج أنكِ تودّين المحاولة».

وقبل أن أنطق بكلمة، عَبرَ سهمٌ الهواء واخترق الأرض المعشبة أمامي، فتراجعتُ لا شعورياً إلى الخلف، ثم رمى أحدهم قوساً في اتجاهي.

«اممم، لا أرغب...»، بدأت أقول.

انتزعت ليلى القوس من أمامي، وقبل أن أنهي جملتي، كانت قد سدّدت وأطلقت السهم. لم تصب الهدف فحسب، بل شقّت السهم الذي أطلقه شقيقها إلى نصفين. «هذا لن يتكرر، يا بروفيسور فليشييه»، قالت ليلى.

فليشييه - كلمة فرنسية بكل تأكيد، لكنها ترتبط أيضاً بكلمة Fulcher في اللغة الإنجليزية القديمة وتعني «صانع السهام». بدأتُ أدرك أن أسماء الأساتذة هنا لا بد أن تكون مُستعارة، نظراً لمعناها الحرفي.

سمعت صوت ارتطام معادن بعضها ببعض فنظرتُ إلى لوح التسديد خلفي، حيث استقر سهمٌ آخر في نفس النقطة التي أحدثها سهمُ آش. أطلقه شابٌ طويل ذو شعر بخصلات بيضاء تبدو عليه الثقة، الأمر الذي يجعل ألا تلاحظ وجوده صعباً. غمز لي فابتسمت له بالمقابل.

دفعتني ليلى في الحال إلى الخلف عبر الممر المقبب عودةً إلى حديقة الزهور. «كيف تجرئين على إحراجي هكذا!».

نظرتُ إليها بذهول. «ما أنا متأكدة منه هو أنني أحرجتُ نفسي، أما أنتِ فقد شققتِ السهم إلى نصفين، وبعد رؤيتي ذلك، أنا نادمة على كل إزعاج تسببتُ لكِ به».

«هنالك قواعد، وتحالفات، وسلوكيات»، قالت ليلى وقد بدت مستاءةً مني. «لا ينبغي مقاطعة أي معلِّم أبداً، وبالأخص... البروفيسور فليشييه... إياكِ فعل ذلك مجدداً، وإلا سأطلب أن ينقلوك إلى غرفةٍ أخرى».

زممتُ شفتَيّ. لم يسبق لي أن رأيتُ طالباً بهذا الغضب بسبب الحديث أثناء الدرس، ولم يسبق لي أن رأيتُ ردّة فعلٍ كهذه من مُعلِّم. لستُ فقط في مكانٍ لا أنتمي إليه، بل أشعر أيضاً بأنني تائهة تماماً. «أنا آسفة، يا ليلى، آسفة حقاً. أنا لم أعتدْ قوانين هذا المكان بعد».

بدا عليها الارتياح قليلاً وشرعت بتعديل عباءتها رغم أنها لا تحتاج ذلك. «هذه ثاني مرة تعتذرين فيها إليّ اليوم».

ابتسمتُ ابتسامة باهتة. «ستعلمين أنني في وضعٍ حرج عندما أبدأ بشراء الهدايا لكِ»، قلت لها. «كانت أعز صديقاتي تحتفظ بقائمة طلبات جاهزة».

نظرت ليلى إليَّ بفضول. «لنذهب»، قالت بنبرة تدل على أنها لم تعد غاضبة مني حقاً.

شقّت طريقها عبر أحواض الزهور باتجاه الجدار البعيد حيث ظهر حجر رمادي بين الأشجار، ودفعتْ الباب الخشبي لتعبر منه إلى الجهة الأخرى. نهضتُ مُرغمةً عن العشب الوثير فسرتُ خلفها ويدايَّ تعبثان بأغصان الأشجار. أغلق أحد الحراس الباب خلفنا، كان أعلى حاجبه الأيمن يحمل ندبة غريبة بشكل حرف X. ومع أنه لم ينطق بكلمة، إلا أنه كان يحدِّقُ بي طوال الوقت.

أشارت ليلى إلى السقف العالي للممر، وإلى الدروع المعلقة على الجدار، وإلى تمثال فارسٍ مدرع. «نحن الآن في الجانب الجنوبي من المبنى. تخلّد هذه الدروع بعضاً من أهم الإنجازات التي حققتها عائلاتنا - باستثناء المئتي عامٍ الأخيرة طبعاً».

ألقيتُ نظرةً فاحصةً على الدروع، فتبادر إلى ذهني كلام كونر عن التاريخ، لكن ليلى بدت مستاءةً عندما سألتها آخر مرة عن العائلات بشكلٍ مباشر. كما أن الحارس لم يرفع نظره عني وهو أمر اقشعر له بدني.

«وهل تعرفين لمن كل هذه الدروع؟»، سألتها وكأنني أختبر معلوماتها.

ابتسمت ابتسامةً ساخرة وأشارت إلى يساري. «هذا الدرع يمثل مستشار آسوكا المقرَّب، وذلك الدرع يمثل الفتاة التي أحبها الإسكندر العظيم، وهنا عمة يوليوس قيصر، ولدينا هناك صديقة كليوبترا المُقربة، وأحد أبناء عم الإمبراطور أكبر هنا أيضاً، ومستشار القيصر بطرس الأكبر، والخبير الاستراتيجي لدى جنكيز خان، وخادمة إليزابيث الأولى. هل أُتابع؟».

هززت رأسي في محاولة مني لإقناعها وإقناع ذلك الحارس الذي يحدِّق بي أنني أعرفِ ما تتحدث عنه، لكن الحقيقة أنني الآن مشوشة أكثر من ذي قبل. لماذا يعلقون دروعاً للخادمات والأصدقاء المقربين في هذه المدرسة؟

«اجلسي، يا نوفا»، قال أبي وهو يشيرُ إلى الأريكة.

ارتميت على الأريكة وغطيت ساقيَّ ببطانيتي المفضلة ذات المربعات الحمراء والسمنية.

جلس أبي إلى جانبي. راح يفرك راحة يده الخشنة بإبهامه، وظلّ صامتاً لبضع ثوانٍ شعرتُ كأنها ساعاتٍ طويلة. «لا وقت

للشرح إذا كنتِ ستغادرين على متن تلك الطائرة الليلة، علاوةً على عدم حاجتك لمعرفة أي شيء الآن. سأهتم بكل الأمور هنا، وفي هذه الأثناء اذهبي لتعلّمُ بعض المهارات في استخدام السكاكين وتقنيات النجاة».

نظرتُ إليه بعبوسٍ. كان من عادته عدم التحدثّ في المواضيع مباشرة، لكن ثمة شيءٌ في صوته جعلني أشعر بعدم الارتياح، شيء أشبه بالشرخ في ثقته. «هل تخفي عني شيئاً بخصوص الخالة جو؟».

بدا متعباً. «ليست لديّ كل التفاصيل، وهو جزء من سبب ذهابي إلى هناك والمساعدة في حل الأمور، والتأكد من أن كل شيء على ما يرام، وأن الجميع بخير».

«حسناً»، قلتُ بنبرة بطيئة. «لكنك أخبرتني أنها تعرضتْ للسطو. ليس هذا كل ما في الأمر، أليس كذلك؟ أقصد، حتى لو كان الأمر متعلقاً بعملك السابق مع وكالة المخابرات المركزية، فهل تعتقد حقاً أنه مبررٌ كافٍ لإرسالي بعيداً إلى...».

«أريدكِ أن تثقي بي، يا نوفا. هل يمكنكِ ذلك؟». لم تكشف تعابير وجهه عن شيء، لكن نبرته كانت تدلُّ على خطورة الموقف.

«بالطبع»، قلت له وأنا أرغب بفهم الأمر أكثر، إلا أنه كلما طلب مني الوثوق به كان لديه سبب وجيه لفعل ذلك، وأثبت في كل مرة أنه على حق.

أومأ برأسه وقد بدا عليه بعض الارتياح.

ساد الصمت للحظات، وبقيت الأسئلة التي لم يُجب عنها عالقةً بيننا مثل ضبابٍ كثيف.

قال وهو يتأملني: «أعلم جيداً أن الأمر يبدو مفاجئاً، لكن ليست لديّ العديد من الخيارات حالياً، وكل ما أعلم هو أنني لا

أستطيع المجازفة حين يتعلق الأمر بكِ. إذا كانت خالتك معرضةً لأي نوعٍ من الخطر، فقد نكون معرضين للخطر نحن أيضاً. أريد معالجة الأمر مهما كان، والتأكد من أنه لن يطال حياتنا هنا».

لم أكلف نفسي عناء السؤال عمّا سيحدث إذا حصل ذلك، لأنني أعرف جيداً أنه سيفعل أي شيء لحمايتي، بما في ذلك انتقالنا إلى مكانٍ آخر. لقد أخبرني بذلك بنفسه ذات مرة حين كنتُ صغيرة، وما زلتُ أذكر كلامه جيداً. لا يوجد الكثير مما قد يفوق حبي للعيش هنا في بيمبروك، فإذا تحتّم عليَّ المغادرة إلى مدرسة بعيدة لبضعة أسابيع ريثما يُنهي هذه المسألة كي لا نضطر إلى مغادرة بلدتي الحبيبة، فسأفعل ذلك بالتأكيد.

ضحك فجأة وكسر الصمت بيننا. «هل تذكرين تلك المرة التي ركل فيها ذلك الرجل كلبه فقامت الخالة جو بركله بالمقابل؟ هددها بأنه سيتصل بالشرطة فقالت له: ''افعل ذلك، أتمنى أن يرسلوني إلى السجن، فعندها سيكون لديّ ما يكفي من الوقت للتفكير بالطريقة التي سأقتلك بها عندما أخرج''».

ابتسمت وقلت: «صغيرة وشرسة. صدقني، أعرف جيداً لماذا تريد الذهاب إلى بروفيدنس. فمن يعرف ما الذي ستفعله إذا ما تُركَت على هواها؟».

وبهذا عدنا إلى وئامنا المعتاد. لا ضباب بيننا. ولا مزيد من الإجابات أيضاً. لكن لطالما كان الحال مع أبي على هذا النحو، ولا بأس بذلك، لأنه حتى لو كنتُ لا أعرف تماماً ما الذي يحدث، كنت أعرف أبي جيداً.

أخذتُ نفساً عميقاً. «بضعة أسابيع بعيداً عن البيت لن تكون نهاية العالم».

أومأ برأسه وكأنه يعلم منذ البداية أنني سأصل إلى هذه

النتيجة. «جيد، نحن متفقان إذاً. أعرف أنَّ لديكِ الكثير من الأسئلة، يا نوفا، وأعرف كم تحاولين ضبط نفسكِ كي لا تجادليني بشراسة لتفهمي كل شيء، لكنني أعدكِ أنك تعرفين ما يكفي للحفاظ على سلامتك. وسأتولى أنا أمر ما يجري».

نظرتُ بتجهمٍ إلى الدروع. لا، أنا لا أعرف ما يكفي للحفاظ على سلامتي. وكيف علم أبي بوجود هذه المدرسة أصلاً؟ أفترض أنها أحد البرامج الجنونية الغريبة التي عرف بها أيام عمله مع وكالة المخابرات المركزية. لكن الطلاب ليسوا أمريكيين، بل هم من جميع أنحاء العالم، كما أن الدروع تعود لحقبٍ تاريخية بعيدة عن بعضها كل البعد. فأنا لا أرى الرابط بينها وبين الاستخبارات الأميركية.

دخل شاب وفتاة إلى الردهة وهما يتهامسان، لكنهما توقّفا بدلاً من متابعة طريقهما.

«آريا»، قالت الفتاة وهي تعرّف عن نفسها وتنحني احتراماً. كان لونُ بشرتها شبيهاً بلون بشرة ليلى، وشعرها مسندل ومموج. **آريا هو... اسم سنسكريتي، أنا متأكدة من ذلك، لكنه اسم رائج في الكثير من الثقافات حول العالم أيضاً.**

«وهذا فيليكس»، تابعت آريا، واستطعتُ تمييز لكنةٍ بريطانية. انحنى الشاب احتراماً. وبينما بدت هي مسترخية، بدا هو جامداً، وكانت لديه ندبة أعلى وجنته تصل إلى أذنه.

«نوفمبر»، قلتُ واضعة يدي على صدري للتحية. «أنا لا أحبّذ الانحناء للتحية».

ضحكت آريا، رغم أن ما قلته ليس مُضحكاً.

«يمكنكِ الانضمام إلينا إذا لم يكن لديكِ التزام على الغداء»، قال فيليكس بلكنةٍ بريطانية أيضاً، إلا أن ملامحه ظلّت جامدة، بل

بدا محرَجاً حتى. إنه لا يشبه آريا في سلوكه البتة، بحيث صعُب عليّ أن أتخيلهما صديقين.

«أوه، شكراً»، قلت له، سعيدة بهذا الترحيب الطبيعي أخيراً. «يبدو هذا رائعاً».

وهكذا أومأ الاثنان برأسيهما سريعاً وغادرا من دون كلمة أخرى. حسناً، ربما لم يكن ترحيباً طبيعياً **جداً**، لكنه بالتأكيد التفاعل الأكثر ودّيةً الذي حظيت به حتى الآن.

التفتُّ نحو ليلى لكن تعابيرها بدت أكثر بروداً من ذي قبل.

«هل ارتكبتُ خطأً ما؟»، سألتها فالتفتَ الحارس نحونا قليلاً.

خرجتْ ليلى بسرعة من الغرفة ذات السقف العالي إلى الرواق، ثم توقّفتْ في منتصفه تقريباً ونظرتْ في كلا الاتجاهين للتأكد من أننا وحدنا، وهمست: «آريا . . . من عائلة **بنات آوى**».

نظرتُ إليها كأنها توّهتني. «لكنها بريطانية، أليست كذلك؟».

هزّت ليلى رأسها. «لا يعرف أحدٌ أين ترعرعت، فهي بارعة في اللكنات، إنها الأفضل هنا».

نظرتُ إلى ليلى. «هل أخبرتني للتوّ معلومة شخصية عن أحدٍ هنا؟». لم أستطع إخفاء ابتسامتي.

«ما قلته لكِ هو أن آريا من عائلة بنات آوى، ومن خلال ردِّ فعلك لتحليلي لكِ سابقاً، يمكنني القول إنك إيطالية».

«أنا . . .». أمسكتُ لساني عن إخبارها بأن كلامها يحمل نصف الحقيقة، إذ أمي إيطالية وأبي أميركي. عائلة بنات آوى؟ بدا شيء في الأمر مألوفاً على نحوٍ غريب. «ماذا تقصدين بكونها من عائلة بنات آوى؟».

بدتْ على وجهها علامات صدمة حقيقية. «قلت لكِ أن تتوقفي عن ذلك».

أبقيتُ فمي مغلقاً لكوني متأكدة من أن أي ردٍّ سيصدر مني سيكون غير مناسب.

«لستِ مؤهلة بما يكفي لمنافسة آريا»، قالت ليلى، «وستسببين الأذى لنا جميعاً بغبائكِ هذا».

زفرتُ بصوتٍ عالٍ. «لا أعرف ماذا أقول لكِ بصراحة. لا تسمحين لي بتوجيه الأسئلة، وتصرخين بوجهي إذا قلتُ إنني لا أعلم ماذا يجري. أتفهّم أنكِ قد لا تحبين آريا، لكن إذا أرادت دعوتي للغداء، فأنا لا أرى ما الخطب في ذلك. إلا إذا غيّرتِ رأيكِ وقررتِ فجأة توضيح الأمر».

نظرت ليلى إليَّ ملياً، وبدا وكأنها تريد أن تسألني شيئاً، لكنها استدارت دون أن تنبس ببنت شفة وحثّت الخطى أسرع من ذي قبل.

ناديتها وهي تبتعد: «ليلى؟».

«أنا بحاجة إلى التفكير»، قالت، وكان عليَّ الركض للحاق بها.

وخلال الساعة التالية، لم تتكلم معي إلا عند الضرورة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

5

دخلتُ خلف ليلى إلى الكافيتيريا التي تشبه قاعة ولائم ملكية في تصميمها. ثمة ثلاث طاولات. الطاولة الأولى موضوعة على منصةٍ مرتفعة في المقدمة وتتسع لعشرين شخصاً تقريباً، تقابلها بشكل عمودي طاولتان طويلتان تتسع كل منهما لخمسين شخصاً على الأقل، تحيط بكل طاولة كراسيّ مخملية كستنائية مصفوفة بشكلٍ أنيق، أما المفارش فمصنوعة من قماشٍ أبيض ناصع لا يتناسب البتة مع جماعة من الطلاب المراهقين. توزعت في منتصف الطاولات زينة من أغصان التنوب والورود البيضاء، وتدلّت من السقف ثريات من الحديد المشغول تضيئها شموع حقيقية.

اتخذ المعلِّمون أماكنهم إلى الطاولة المرتفعة، وتوزّع الطلاب في أماكنهم بهدوءٍ وانضباط. ملأت أصواتُ همساتهم المكان، لكنها لا تشبه أبداً ضجيج الكافيتيريا في مدرستي القديمة.

تبعتُ ليلى إلى وسط الطاولات. يوجد أمام كل كرسي أطباق من الخزف وأوانٍ فضية لامعة، وهو مشهدٌ لطالما اعتقدتُ أنني لن أراه إلا في الأفلام. وبينما كنتُ أتأمل فخامة المكان، سمعتُ أحدهم ينادي اسمي، فنظرتُ باتجاه الصوت ورأيتُ آريا تبتسم لي على الجهة الأخرى من الطاولة.

«اجلسي، اجلسي»، قالت آريا، فيما سحب فيليكس كرسياً.

«ليلى، هل تريدين أن...»، قلتُ.

«لا»، أجابتني، وتابعت سيرها.

نظرتُ إلى ظهر ليلى وهي تبتعد عني.

«لا تقلقي كثيراً»، قالت آريا، «تتولى ليلى القلق نيابةً عن الجميع هنا».

جلستُ على الكرسي الذي سحبه فيليكس من أجلي، ورغم أنني شعرت بالغرابة لكوني لم ألحق بليلى، إلا أنني اعتبرت أن لا بأس بأن نفترق لبعض الوقت.

«شكراً»، قلتُ لفيليكس الذي جلس بجواري.

«الجميع يتحدث عنكِ في المدرسة»، قالت آريا وهي تدفع باتجاهي أطباقاً من القرنبيط والجزر المشوي وصينية لازانيا، والتي استقبلتها بحماس. «هم لن يخبروكِ بهذا طبعاً».

التفتتْ فتاة ذات شعر أحمر مضفور إلى منتصف رأسها مثل أحد أفراد الموهوك ونظرتْ إلى آريا.

«ما الأمر؟»، سألتها آريا، «هل من مشكلة؟».

هزّت الفتاة رأسها بالنفي وعادت لإكمال طبقها من دون أن تبدو مستاءة. إن كان ظنّي صحيحاً، فهي صديقة آريا، وبدا لي من الغريب أن تكون لفتاة جريئة ومرنة مثل آريا صديقة بهذا التحفظ وصديق بهذا الجمود.

سكب لي فيليكس كأساً من الماء، ولاحظت بعد جلوسي بمحاذاته أن الندبة على وجهه هي خط مستقيم، كأنها ضربة سكين أو سيف، تشبه الندبات التي تراها على وجوه الفرسان أو القراصنة في كتب الأطفال المصوّرة. بدت شاحبة، وكأنه تعرّض لها منذ زمن طويل. هل يُعقَل أن أحداً شطب وجهه وهو طفل صغير؟

«هذا مُضحك»، قلتُ، «لم ينظر أحدٌ باتجاهي هنا، ناهيك عن التحدث إليّ».

«لسنا المجموعةَ الأكثر وداً وانفتاحاً»، قال فيليكس وكأنه يحبذ أن تكون الأمور على هذا النحو.

«تكلم عن نفسك»، قالت آريا، «أنا فتاة مرحة».

رفع حاجبيه وقال: «أراهن أن أغلب الموجودين هنا يخالفونك الرأي».

«انظروا من يتكلم، أكثر الأشخاص كآبةً، والقادم من المستنقعات الرمادية الماطرة»، قالت آريا وفمها مليءٌ بالطعام، مما دفعني للاعتقاد أن لكنة فيليكس البريطانية حقيقية حتى وإن كانت لكنة آريا غير ذلك.

نظر إليها مُحذِّراً.

«حسناً، حسناً»، قالت له متظاهرة بالخضوع، «أنت لست كئيباً، أنت منبع من الضحك، لا يستطيع الناس أن يتمالكوا أنفسهم بوجودك، لا بد أنك شَبَه...».

«آريا»، قال بنبرة أكثر حدة، ثم عدَّل جلسته بحيث أصبحت أكثر استقامةً.

ضحكتْ قائلةً: «عليك أن ترى ملامح وجهك، يا صاح».

أخذتُ أنظر إليهما بالتناوب وأنا أمسك بقطعة من الخبز بالثوم. قد يكون هذا المكان موضوع شك، لكن الطعام فيه رائع على نحوٍ فريد.

«حسناً، يا نوفمبر، أخبرينا كل شيء عنكِ»، قالت آريا.

ابتسمتُ. «ظننتُ أن عدم الكلام عن حياتنا الخاصة هو القاعدة الأولى هنا».

«هل خطر لكِ حقاً أننا لا نتشارك أمورنا الخاصة هنا؟»، سألت

آريا، «أتعلمين ما هي القاعدة الأخرى التي لا يتبعها أحد؟ لا مواعدات».

كدتُ أختنق بعصير التفاح فضحكت آريا ضحكة مجلجلة، ما جعل بعض الطلاب المجاورين ينظرون إليها، فنظرت إليهم بسخطٍ إلى أن أشاحوا بنظرهم.

«حسناً إذاً، أنا مسرورة لأنني سأعود إلى بيتي قريباً»، قلت.

«بيتك؟»، سأل فيليكس.

«خلال عطلة الأعياد»، قلت له.

تبادل فيليكس وآريا نظرة سريعة، وشعرتُ أنهما قاما للتو بتقييمٍ ما، فنظرتُ إلى ليلى عند طرف الطاولة وأنا أتساءل ما إذا كان ينبغي لي أن أتركهما وأنضم إليها.

«الأمر هنا صعب في البداية»، قالت آريا، «كان علينا جميعاً التأقلم وقد جئنا إلى هنا في سن مبكر. أما أنتِ، فما عمركِ؟ سبعة عشر عاماً؟».

رفعتُ كتفي متجاهلةً سؤالها. «ما يُعتبر سنّاً كبيراً في هذا المكان».

غمس فيليكس قطعة خبز في صلصة الطماطم وهزّ رأسه. «ليس الأمر كذلك، كل ما هنالك أنها المرة الأولى التي نسمع بها عن طالب أتى في هذا السن المتأخر. كيف تدبرتِ الأمر؟ لا بد أن الثمن كان باهظاً». أتاحت لي نبرة صوته وطريقة جلوسه بتفحّصه عن كثب. لم يسبق لي أن التقيت بشخصٍ يجمع بين خجل طالب غريب الأطوار ومظهر قرصان جذاب.

أومأت آريا برأسها.

«أنا..». إذا أخبرتهما أننا لسنا أغنياء، فسيكون هذا أمراً

خاصاً عن عائلتي، وإذا قلت لهما إنني لا أعرف، فسأكشف عن مدى جهلي بوضعي. تباً، تبادُل الحديث في هذا المكان أشبه بالسير في حقل ألغام.

ضحكتُ كي أصرف انتباههم عن عدم إجابتي. «يجب للأسرار أن تبقى أسراراً»، قلتُ لهما، ولمحتُ ابتسامةً خفيّة على فم الفتاة ذات الشعر المضفور. «حسناً، كفانا حديثاً عني، ماذا عنك، يا فيليكس؟ من طريقة لفظك لاسمك بتوكيد الياء، أظن أنك بريطاني». سكتُّ قليلاً ثم تابعت، «هل تعلم أن اسمك يعني "محظوظ" أو "ناجح"؟ وأنتِ يا آريا، اسمكِ في الأصل سنسكريتي وهو اسم الإلهة دورغا، لكنه أيضاً اسم شائع في بلدان كثيرة». نقرتُ بأصابعي على الطاولة وأنا أحاول تذكّر ما أعرفه عن أصل اسمها. «لكن السنسكريتية لغة منقرضة، ناهيك عن أن آريا اسم يُطلق على البنات والأولاد. غريب كيف أن اسمك قابل للتغيير، كما لكنتك. قد يكون اسماً مستعاراً ربما؟».

صفّقت آريا بطريقةٍ استعراضية وقهقهت بصخبٍ، ما جعل الطلاب يرمقونها بنظرات حادة مجدداً. «ها قد بدأت اللعبة! أنا أحب هذه الفتاة».

تناولتُ لقمة لازانيا.

«نوفمبر»، نادى صوت ذكوري من خلفي، فالتفتُ لأرى آش بشعره الأسود الأنيق ورموشٍ أطول من رموشي، واقفاً خلفي أي باسترخاء لكن عينيه شديدتا التركيز.

«أوه، اذهب إلى حال سبيلك، يا آش، لقد بدأ المرح للتو»، قالت آريا ثم ضربت الطاولة براحة يدها، ما جعل بعض الأطباق تهتز من حولها، فنظرت إليها الفتاة ذات الشعر المضفور. «إذا أخذتَ نوفمبر الآن فسأبقى عالقةً هنا مع هذه البائسة»، أشارت نحو

فتاة الماهوكا، «وهذا الكئيب»، أضافت وهي تومئ برأسها نحو فيليكس.

«بقدر ما يؤسفني أن أفسد عليكم لعبتكم، أقصد **مرحكم**»، قال آش بصوتٍ كان ليبدو جذاباً لولا سلوكه الحاد، «إلا أن لدى نوفمبر الكثير ما تستكشفه من جولتها في المكان، والأفضل أن نمضي قبل انتهاء الغداء».

ضحكت آريا ساخرةً، لكن لم يبدُ التوتر عليها ولا على آش، بينما كنتُ وفيليكس نشع طاقةً عصبية.

«لماذا لا نسأل نوفمبر عمّا تريد فعله؟ هه؟»، قالت آريا وهي تنظر إليّ. «هل تودين التجوّل عبر تلك القاعات المنعزلة مع هذا اللص ذي الكلام المعسول، أم تفضلين البقاء هنا ومشاركتنا الأكل والضحك؟».

«أوه، يا آريا، أنت ما زلتِ مستاءةً لخسارة سكينك، أليس كذلك؟»، قال آش وسرت قشعريرة في جسدي، فكلما تحدّث بلطف، بدا أكثر حدة.

وقفت آريا بسرعة إلى درجة أن كرسيها أصدر صريراً عند رجوعه إلى الخلف. «حسناً، يا آشاي»، قالت بنبرة بطيئة، «كيف حال توأمك المجتهدة، تلك الفتاة المُنظمة جداً والقابلة للتنبؤ؟ إن كان هناك شخص يمكنني العثور عليه دائماً، فهي عزيزتي ليلى». كانت تتحدث بلكنة مصرية مُتقنة، والتهديد يشع من عينيها.

وضعتُ منديلي القماشي على الطاولة وقلت لها: «هل تعلمين من يرافق ليلى دائماً؟ إنها أنا، شريكتها في السكن، الفتاة التي التحقت بهذه المدرسة بعد تجاوز السنّ المسموح، وفي منتصف العام الدراسي. أتساءلُ أيّ شيء آخر أستطيع فعله ولا تستطيعونه أنتم جميعاً».

نهضتُ ودفعت بكرسيّي بعيداً عن الطاولة، لكن فيليكس سارع إلى سحبه، فدفعني إلى الخلف قليلاً، ثم همس في أذني: «أنا **أعرف**».

بدأ قلبي يخفق بقوة. «المعذرة؟».

لكن تصرّف فيليكس وكأنه لم يقل شيئاً.

بدأتُ السير مبتعدةً لكن آش أوقفني.

«تفقدي جيوبك، يا نوفمبر»، قال آش، ففعلت.

أخرجتُ شوكة للسلطة من جيب عباءتي. لا أدري ماذا يعني هذا لكن أنبأني إحساسي أنه ليس بالأمر الجيد. أخذ آش الشوكة من يدي ورماها، فأصدرت رنيناً عند سقوطها على الطاولة.

رمت لي آريا قبلةً في الهواء.

تركتهم ولحقتُ بآش إلى خارج الكافتيريا، وأنا أشعر بالندم الشديد لأنني لم أستمع لليلى منذ البداية. وما إن انغلق الباب خلفنا حتى بادرته بالحديث. «ماذا كان ذلك بحق الجحيم؟».

«إن أخذ أي شيء من قاعة الطعام هو مخالفة للقواعد، لا سيما الفضيات التي يمكن استعمالها كأسلحة»، قال آش وهو ينظر إليّ. «يقوم العمال في المطبخ بعدِّ الأواني بعد كل وجبة، وكانت الشوكة المفقودة ستؤدي إلى حملة بحث».

«لكن متى. . .».

«عندما سحب فيليكس كرسيكِ»، أجاب آش قبل أن أنهي سؤالي.

«هما نصبا لي فخاً إذاً؟».

راقبني آش وأنا أستوعب المعلومة، وأدركتُ فجأة أننا وحدنا.

نظرتُ يميناً ويساراً في الردهة. «ألن تأتي ليلى؟».

«لا، إنها تُنهي طعامها».

«ألا ينبغي لنا. . .»، بدأت في القول، «ألم تكن ترغب في أن تريني المكان بنفسها؟».

ابتسم آش وتراجعتُ لاشعورياً خطوة إلى الوراء نحو الكافتيريا.

«لقد اخترتِ الجلوس مع آريا في حين طلبت منكِ ألا تفعلي».

«ربما ينبغي لنا. . .». لا أستطيع أن أجد سبباً كي لا أذهب برفقته.

«ليلى فتاة بارعة»، قال آش وهو يشدّد على كلمة **بارعة**، ولم أكن متأكدة ما إذا كان يقول ذلك لئلا أشعر بالقلق من تهديد آريا، أو أنه يقصد أن ليلى لا تحتاج مساعدتي.

«ليس لديّ شكٌ في ذلك»، قلتُ له.

بدأ آش يشقّ طريقه عبر الردهة بتأنٍ كأنه لا يأبه لشيء قط.

أخذت أراقبه بطرف عيني أثناء سيرنا. حتى لو كان يعتقد أن ليلى لا تحتاج مساعدة شخص مثلي، مجرد أنني تضامنت معها هو أمر يستحق التقدير، أليس كذلك؟

«إذا كنتِ ترغبين أن تسأليني شيئاً، فاسألي»، قال لي بصوتٍ ناعم كالحرير.

قطبت حاجبَي. كان يقرأ كل حركاتي حتى من دون أن ينظر إليّ. «هل ينبغي لي أن أقلق بشأن آريا الآن؟».

«أجل»، قال، «لكن ليس بسبب تلك المحادثة وحسب. فأن تحظي باهتمام آريا هو إشارة سيئة بشكلٍ عام. ماذا قالت لكِ؟ ربما أستطيع مساعدتكِ على فهم الأمر».

«مباشرةً قبل أن نغادر، همس فيليكس في أذني "أنا **أعرف**"».

أومأ آش برأسه. «إما أنه يخبركِ بأنه يعرف من تكونين، أو أنه يعرف أمراً لا تريدنه أن يعرفه، أو ربما كان يعبث معك ليضع الشوكة في جيبك».

«حسناً، لا يمكنه أن يعرف من أنا، فأنا لم ألتقِ به من قبل»، قلتُ.

بدا الارتياب على وجه آش. «لم أسمع في حياتي منطقاً أكثر سذاجةً مما تفوّهتِ به. قد يعرف من أنتِ لأنه يعرف عائلتك، أو ربما لأنه عرف بطريقةٍ ما أنكِ قادمة إلى هذه المدرسة. هناك أسباب كثيرة تساعد الناس على استنتاج من تكونين، وحقيقة أنكِ لم تلتقِ بهم من قبل ليست لها علاقة بالأمر».

حدقتُ فيه لبرهة. أردتُ إخباره أنني لست كبقية الطلاب هنا، وأنه مخطئ تماماً في ظنه أن أحداً ما هنا قد يعرفني، لكن سيكون هذا إفشاءً لمعلوماتٍ عني. «متى عرفتَ بقدومي؟».

زم شفتيه على نحوٍ طفيف. «عرفت ليلى بقدومكِ في الليلة التي وصلت فيها، قبل قدومك إلى هنا بساعات قليلة».

حدّقتُ في أرجاء الرواق محاولةً فهم مغزى إجابته. الأمر الوحيد الذي تخبرني به هو أن المدرسة كانت على علمٍ بقدومي، وهو أمر طبيعي، فلا يُعقل أن يقبلوني هنا لمجرد أنهم وجدوني عند الباب. لكن لا يخبرني كلامه منذ متى علموا بقدومي وما الأمور التي أخفاها عني أبي.

«هل قالت لكِ آريا شيئاً آخر؟»، سأل آش، منتشلاً إياي من أفكاري.

«أرادتْ أن تعرف كيف قُبِلت في هذه المدرسة في سنٍ متأخر كسني».

توقّف قبالة بابٍ ولسببٍ ما، بدا مستمتعاً. «هل أنتِ تقولين الحقيقة دائماً؟».

عظيم، كيف سأجيب عن هذا السؤال؟ «هل أنتَ تحدّق في الناس بتلك النظرة الثاقبة دائماً؟».

ضحك، لكنه لم يبدُ أكثر خفة.

وقفنا هناك للحظة، ثم مددتُ يدي لأرفع مزلاج الباب لكنه سبقني إليه.

فتح لي الباب، ومد يده مشيراً. «قاعة الطلاب المتقدمين».

ارتخ كتفاي. إنها الغرفة الأكثر حميمية من بين كل الغرف التي زرتها اليوم، بمدفأتها المُتّقدة، والبيانو، والضوء القادم من النافذة الكبيرة. كانت هنالك أرائك مُريحة حول المدفأة، كما وُضِعَت مقاعد وثيرة مع متكأ للقدمين قرب طاولات القراءة. كانت القاعة فاخرة كبقية أرجاء المكان، لكنها بدت أيضاً مُفعمة بالحياة.

توجهتُ مباشرة إلى النافذة الكبيرة، وهي أكبر نافذةٍ رأيتها في هذه القلعة، ووضعت يدي على الزجاج البارد. كانت هناك بعض الأبقار التي ترعى في الخارج، وأخرى مستلقية بكسلٍ تحت ظلال أشجار السنديان. ذكّرتني بالأبقار التي يربيها بِنْ، صديق إيميلي، وعائلتُه.

دخلتُ وإيميلي ساحة بلدة بيمبروك، وهي ساحة نموذجية لولاية كونيتيكت، بمنازلها ذات الطراز الفكتوري وواجهات المتاجر الحجرية ذات اللافتات المرسومة باليد. إنه وقت متأخرٍ من صباح يوم السبت، والناس ينزهون كلابهم، ويتبضعون من سوق الخضار وسط الساحة، ويبحثون عن تحف نادرة في متجر القطع الأثرية.

«ما هو برنامجكما المهم لهذا اليوم بحيث أنكما لا تستطيعان، أنتِ وبِنْ، الذهاب إلى السينما؟»، سألتُ إيميلي.

هزَّت كتفيها دون أن تنظر إليَّ. «لا شيء مهم، سنقضي بعض الوقت في منزله فحسب».

توقفتُ أمام مطعم لوسيل التي تتفاخر بأنه أفضل مطعم في

بيمبروك. هو أيضاً المطعم الوحيد في بيمبروك. «لا شيء مهم؟ هل هذا رد الفتاة التي لم تفعل شيئاً خلال الأسبوعين الماضيين سوى التحدث عن بِنْ وإخباري بكل تفصيل ممل بخصوصه؟».

«أعتقد أنه يريدُ أن يريني شيئاً».

«ما هو؟».

احمرَّت وجنتا إيميلي. «لا شيء».

ابتسمتُ بمكر. «مهارته بفكّ صدريتك؟».

تحوّلت وجنتا إيميلي إلى اللون القرمزي، ولم أستطع إلا أن أبتسم. «لا، أيتها الحمقاء، أنت تعلمين جيداً أنه لم يقبلني بعد».

رفعتُ حاجبيّ وقلت لها: «سأحاول أن أخمّن».

راحتْ تسترق النظر إلى المشاة من حولنا، والذين نعرفهم جميعاً، وأصبحت عدائية فجأة. «يُفضَّل ألا تفعلي».

تظاهرتُ بأنني أفكر. «امممم... لنرَ ما لدينا هنا، ربما يريدك بِنْ إدواردز أن...».

«يريدني أن أساعده في حلب الأبقار، هل ارتحتِ الآن؟»، صرخت في وجهي.

نظرتُ إليها وأنا في حالة صدمة. «لحظة. دعيني أستوعب ذلك. إيميلي بانكس، التي لن تسمح لنفسها بأن تتسخ، حتى في أسوأ كوابيسها، والتي ارتدت كعباً عالياً إلى حفل التخرج في الغابة العام الماضي، ستقوم بحلب الأبقار؟!».

«اخرسي، قالت، هذا ليس مضحكاً»، لكنها كانت تضحك.

«لا أوافقك الرأي»، قلتُ وأنا أحاول كبح ضحكتي.

حاولتْ الحفاظ على رباطة جأشها، لكنها لم تفلح، فانفجرنا كلتانا ضاحكتين.

«هل ستستمران بالتصرف كالحمقى أمام بابي وإغلاق الطريق

أمام زبائني؟ أم ستدخلان لتناول كعكة الفراولة؟»، قالت لوسيل وهي تفتح باب المطعم، وضفيرتها الفضية تتدلى على كتفها.

«كعكة الفراولة!»، صرخت إيميلي بصوتٍ مبتهج.

حاولت لوسيل إخفاء ابتسامتها. هي عرَّابة إيميلي، وتعلم جيداً أنها الحلوى المفضلة لديها. «ادخلا قبل أن يهرب الدفء من المكان»، قالت ثم دفعت بنا عبر الباب.

«هل اشتقتِ لنا؟»، سألتُها وطبعت قبلة على خدها.

«بقدر ما اشتقتُ لآلام البواسير»، أجابت وهي تسير بنا نحو طاولتنا المفضلة قرب النافذة، وتُزيل لوحة «محجوزة» عنها.

شعرتُ بآش يراقبني وأنا أتأمل الأبقار. «أخبرتني ليلى أنكِ لم تكوني على علمٍ بأمر قدومك إلى هذه المدرسة».

اختفت ابتسامتي في الحال وبدأتُ بتفحّص الغرفة، هناك باب واحد وهو الذي دخلنا منه. «وظنّت ليلى أنني أكذب».

«هل تكذبين؟» سألني وهو يحدِّق بي بتمعّن.

هززت كتفيَّ وعدتُ للنظر من النافذة محاولةً أن أبدو طبيعية، لكن قلبي كان يخفق بشدة.

«الأمر مثيرٌ للاهتمام»، قال آش.

«ما هو المثير للاهتمام؟»، قلتُ له مشدّدةً على كلمتَي ما هو.

«أنكِ لم تكوني على علم مُسبق»، قال لي.

نظرتُ في عينيه مباشرةً. «لم أقل ذلك».

«بلى، فعلتِ»، قال لي، «إذا افترضنا أنكِ كنتِ مستعدة للقدوم وتحاولين التظاهر بالعكس، فلن تحاولي في هذه الحالة لفت انتباهي للأمر، وكنتِ ستستمرين في هذه اللعبة، بالإضافة إلى تسارع نبضكِ عندما سألتكِ، والإشاحةِ بنظركِ عني».

نظرتُ إليه بغضب. «وكيف بإمكانك أن تعلم أن نبضي تسارع؟».

«ذلك الوريد في عنقك».

«لا شأن لك بعنقي»، قلتُ له وقد تحوّلتُ إلى نسخة من إيميلي.

ابتسم ابتسامة متكلفة. «وهززتِ رأسك قليلاً أيضاً ففهمتُ أن إجابتكِ هي لا، إضافةً إلى أنكِ أخذتِ نفساً عميقاً عبر فمك بدلاً من أنفك، وهذا دليل على توتركِ». صمتَ لبعض الوقت في انتظار أن أرفع رأسي. «ما تفعلينه بالأسماء - جمع حروفها على شكل كلمات والتعرف على الآخرين من خلالها؟ أنا أفعله مع لغة الجسد».

«حسناً؟» قلت له وأنا أخشى النطق بأي كلمة بعد تحليله هذا.

«أنتِ شريكة أختي في السكن»، قال لي وتعابير السعادة لا تغادر وجهه. «لا تحاولي الكذب عليَّ لأنني سأعرف».

«هل هذا تهديد؟».

«لا، إلا إذا اضطر الأمر».

مسحت وجهي براحة يدي. «أتعلم ماذا؟ أظن أنني سأعود إلى الكافتيريا».

«قاعة الطعام»، قال مُصحّحاً كلامي.

كنتُ أتنفس بسرعة، وأنا متأكدة أنه لاحظ ذلك. ابتعدتُ عن النافذة.

«أنتِ لا تحبين هذا المكان»، قال لي وأنا أحاول إخفاء انطباعاتي. قدرته على قراءة أفكاري مزعجة جداً. «ربما ستحبينه أكثر إذا توقّفتِ عن إظهار ما في داخلك للجميع طوال الوقت».

«كنت سأحبه أكثر لو كان الجميع هنا أقل غرابة»، قلت له وأنا

أشعر بالإحباط، فما كان منه إلا أن زاد ابتسامته اتساعاً. «توقّف عن الابتسام بهذه الطريقة، فإذا كان على أحدهم التوقّف عن الاستعراض هنا، فهو أنت وتفاخرك».

انفجر ضاحكاً، وبدا متفاجئاً من كلامي، تماماً كما تفاجأتُ بنفسي كيف قلتُ هذا الكلام. توقّف عن الضحك وقال: «لم يكن من الذكاء التصرف هكذا مع آريا».

«كنتُ أدافع عن أختك»، أجبته بغضب.

«هل تظنين حقاً أنكِ دافعتِ عنها؟». هزَّ رأسه وتابع كلامه بجدية. «لقد أظهرتِ نفسك أمام آريا بمظهر الفتاة المخلصة بلا تبصّر، ووقفتِ في صفّ شريكتكِ في السكن التي لم يمضِ على معرفتكِ بها سوى يوم، وهذا يعني أنكِ عاطفية، ومن السهل استفزازكِ بتهديد شخصٍ قريب منكِ، وربما من السهل إيذاؤك عن طريق الأشخاص المقربين منكِ. لم يكن ما فعلتِه دفاعاً عن ليلى، لقد جعلتِ منها هدفاً».

شعرت بتشنجٍ في فكّي. «لا تُجيدون سوى الألاعيب والخداع هنا. لماذا قد يرغب أحدهم بإيذائي؟ أنا هنا منذ يوم واحد فقط. هذا المكان مُقرف، لا أطيق الانتظار حتى ينتهي هذان الأسبوعان».

بدا أن رباطة جأشه قد انهارت قليلاً. «أسبوعان؟»، قال مندهشاً.

«أجل، إلى أن يحلّ موسم الأعياد».

«موسم الأعياد»، كرَّر كلامي ونظر إليَّ وكأنني كشفتُ سراً خطيراً.

هل ينبغي عليَّ سؤاله؟ «أَتعلمُ شيئاً؟ لقد نظرت آريا إليَّ بالطريقة نفسها عندما قلت لها ذلك».

صفّر آش متعجباً. «نحن لا نعود إلى بيوتنا في الأعياد. آريا

على يقينٍ الآن أنك تجهلين تماماً كيف تسير الأمور في هذه المدرسة، أنك لا تعرفين شيئاً عن ثقافة هذا المكان».

«لحظة، هل تقصد بقولك **نحن**، أنت وليلى، أم تقصد **نحن** جميعاً؟».

«جميعاً»، قال آش، فشعرت أن الأكسجين ينفذ من الغرفة. «نحن لا نحتفل بأي عيد هنا، ويمكن ألا نحتفل بالعام الجديد أيضاً، تمرُّ بداية العام هنا مثل أي يومٍ آخر. يمكنكِ القول إننا لا نحتفل بشيءٍ هنا».

لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. كان كلام أبي واضحاً حين قال **بضعة أسابيع**. سأفتقد كثيراً إضاءة شجرة الميلاد في ساحة البلدة، وترانيم الأعياد، والمسرحية المُريعة التي تُعرض على مسرح بيمبروك كل عام. سأفتقد أضواء الشموع في مطعم لوسيل، وعصير التفاح الذي يعدونه مع الدونات الطازجة. مسحتُ جبهتي وضغطتُ شفتاي ببعضهما. هناك غصةٌ في حلقي. لقد دخلتُ إلى هذا المكان بشكلٍ استثنائي، وربما أستطيع المغادرة بشكلٍ استثنائي أيضاً. لاحظ آش التوتر على ملامحي، ولأول مرة لم يحاول استغلال الموقف وإحراجي.

نظر إليّ وكأنني لغز صعب. «لم يسبق لي أن التقيتُ بأحدٍ لا يرغب بالمكوث في هذا المكان، أو لا يعتبر وجوده هنا شرفٌ عظيم».

«يصعب عليّ تصديق ذلك»، قلتُ بغضب، «لا أحد يضحك هنا، الكلّ صعب المراس، لا مكان **للمرح** على الإطلاق».

«بلى، هناك مرحٌ، لكنني لستُ متأكداً مما إذا كنتِ ستعتبرينه مرحاً، أو ستتمكنين من مجاراته».

نظرت إليه بتمعّن للحظة ثم قلت: «لِمَ لا تجرب؟».

فكّر قليلاً ثم قال: «لنرَ هنا. يمتد حظر التجول ليلتيّ الجمعة والسبت حتى منتصف الليل، ويجري تبديل الحراس ما بين الثانية عشرة والثانية عشرة وعشر دقائق، مما يقلل نقاط المراقبة إلى الثلث. إذا كنتِ تعتقدين أن بإمكانك مجاراتي، قابليني خارجاً عند أشجار الكرمة ليلة الغد».

تأملتُ وجهه لبعض الوقت. يريدني أن أتسلل خارجاً لتسلق بعض الأشجار؟ يبدو أننا سنتفق، لا بد أن ليلى أخبرته كم أحببتُ ذلك الفناء.

«لا بأس إن لم ترغبي بالقدوم»، قال وهو يبتسم.

حاولتُ إخفاء حماسي للفكرة. «لماذا ينبغي لي الوثوق بكَ بحق السماء؟».

«ينبغي ألا تثقي بي».

نخرتُ.

«لكن بما أن قدومكِ إلى هنا كان مفاجئاً، فأعتقد أن لديكِ بعض الأسئلة».

نظرتُ إليه بارتياب، إنه بارع. «هل يعني هذا أنك ستجيب عن أسئلتي؟».

سمعتُ صرير الباب ثم دخلت ليلى بخطواتها الرشيقة التي تكاد لا تمسّ الأرض.

تسمّرتُ مكاني، وانقلب سلوك آش تماماً. ابتعد مني، مائلاً بجسده على النافذة بتكاسل وكأننا لم نكن نتبادل الحديث منذ لحظات.

«مرحباً آش»، قالت ليلى وهي تحمل أوراق الصنوبر المضفورة.

«واحد صفر».

6

استلقيتُ على سريري ثم أمسكتُ بطرف ضفيرتي. كان ضوء الشمعة الموضوعة على طاولة السرير يُلقي بظلاله على سقف غرفتي لتتراقص مثل أشباح الرسوم المتحركة.

«هذا غير منطقيّ»، قلتُ في سري للمرّة الثانية.

لا بد أن أبي يعرف هذه المدرسة جيداً، لأنه على حدّ علمي، إما أنكَ على علمٍ بكل شيء هنا، أو لا تعلم شيئاً على الإطلاق. لقد جاء بي إلى هنا بعد تجاوزي السنّ المسموح، إضافةً إلى اختياره هذا المكان تحديداً لأقيم فيه إلى أن ينتهي من مشكلة الخالة جو.

قال لي: **أعدك بأنك تعرفين ما يكفي للحفاظ على سلامتكِ.** أتساءل ما إذا كنت أعرف أكثر مما أعتقد. ربما أخضع لاختبارٍ ما، نسخة مُتطورة من ألعابنا الاستراتيجية في الهواء الطلق، لكنني لا أستطيع التخلص من الشعور بأنه يُفترَض بي أن أقلق - أن أقلق على أبي وعلى الخالة جو، والأمر الأهم، أن أقلق من وجودي هنا بشكلٍ عام.

استدرت إلى جانبي، تذكرتُ ما أشارت إليه بلاكوود في مكتبها. لا أعتقد أن أبي درس هنا، لكنني لم أعد متأكدة من شيءٍ. وفي حال كان قد درس هنا فعلاً، فهل يعني هذا أن كل قصصه عن

نشأته في ولاية مين كفتىً ريفي بسيط هو مجرّد هراء؟ هل كان أبي يكذب عليَّ طوال الوقت؟ مجرد التفكير بهذه الطريقة جعل معدتي تنقبض. يمكنني غض النظر عن قصة ولاية مين طالما أن ما أخبرني به عن مشكلة الخالة جو صحيح. فهناك أشياء كثيرة يمكنني تقبّلها، لكن أن تكون عائلتي في خطرٍ حقيقيّ وأنا عالقة هنا ولا أستطيع الوصول إليهم، فهذا ما لا يمكنني تقبّله.

نهضتُ من سريري وفتحتُ باب غرفتي. كانت ليلى مستلقية على الأريكة المخملية ذات اللون الرمادي، ساقاها مطويتان تحتها وغارقة في قراءة كتاب. نظرتُ إلى الساعة، كانت تشير إلى 11:50 مساءً، ثم توجهتُ نحو الباب. إذا كنتُ أنوي التسلل مساء الغد، فربما من الأفضل معرفة الصعوبات التي قد تعترضني.

وضعتُ يدي على المزلاج الحديدي.

نظرتْ ليلى إليَّ من خلف كتابها، كتابٌ بغلافٍ قماشي بالٍ وحروف ذهبية باهتة. «التجول ممنوع الآن».

«أريد إلقاء نظرة على الردهة فحسب».

هزّت ليلى رأسها وتموّج شعرها الداكن مثل شلال على كتفيها. «لا تفعلي ذلك إلا إذا كنتِ ترغبين بتلقيّ ملاحظة».

«ملاحظة؟».

«بسبب الخروج بعد حظر التجول، أو بسبب التسلل إلى منطقة محظورة، أو بسبب فتح الستائر ليلاً ونفاذ الضوء من النوافذ، إلخ... ثلاث ملاحظات وتتلقين عقوبة يختارونها».

«مثل ماذا؟».

«هذا يعتمد على الشخص نفسه، لكن عقوباتهم قاسية دوماً».

تأملت فكرة إخبارها باقتراح شقيقها بأن نلتقي عند أشجار

الكرمة بعد حظر التجول، وهي مخالفة قد أتلقى عليها عشرين ملاحظة.

«ليلى؟».

وضعت إصبعها عند الصفحة التي تقرأها. «نعم؟».

اخترتُ كلماتي بعناية. «إذا كانت أسئلتي في غير مكانها، فلا تجيبي عليها. لقد كنتِ مُحقّة بخصوص آريا، لقد ارتكبتُ خطأً، ولا أريد أن أكرر ذلك ثانيةً».

خفّ جمود تعابير وجهها قليلاً.

أخذتُ نفساً وتابعتُ كلامي بهدوء. «لم يسبق أن قابلتُ أحداً من... عائلة بنات آوى، وأيضاً، حسناً... لا أعرف كيف أقول ذلك... هل هناك أي شيء يمكنك أن تخبريني به؟».

زمّت شفتيها ونظرت إليَّ بتركيز كأنها تحاول أن تقرر شيئاً. «أغلب الظن أن القصص التي تروى صحيحة. نحن متأكدون تقريباً أن عائلة بنات آوى هي المسؤولة عن قيام سائق سيارة فرانز فرديناند بانعطاف خاطئ عام 1914، الأمر الذي أدى إلى اغتيال الأخير وزوجته وتسبّب باندلاع الحرب العالمية الأولى. ونحن على يقين بأن لها دوراً في ترك بوابة القسطنطينية مفتوحة "من غير قصد" عام 1453، وهو ما أدى إلى سقوط المدينة وموت الإمبراطور قسطنطين. ولن آتي على ذكر حريق المخبز "العرضي" في لندن عام 1666، الذي كان السبب في دمار أكثر من ثلاثة عشر ألف منزل، والكثير من الحوادث الأخرى. أنا لا أقول إن عائلة بنات آوى لا تسبّب سوى الفوضى والكوارث، لأنه وكما تعلمين ليست هناك عائلة معصومة من الخطأ، فجميعنا نرتكب الأخطاء. لكن ما أقصده أن عائلة بنات آوى تفعل ما يخدم مصالحها الشخصية بغض النظر

عن مصلحة مجلس العائلات. كما أن توزعها في الكثير من البلدان يجعل التعرّف على أفرادها في غاية الصعوبة، فهم يتقنون كل اللغات، ويندمجون بسهولة في كل مكان. إنهم مخلصون لصفاتهم أكثر من أي عائلة أخرى. مخادعون، مبتكرون، أذكياء. وسوف يسببون لكِ الأذى متى تمكنوا».

تجمّدتُ في مكاني، ليس بسبب ما ذكرته ليلى توّاً عن عائلة آريا، وكيف كان لها يدٌ في اندلاع الحرب العالمية الأولى، بل لأن صدى الوصف الذي تفوّهت به لا يزال يتردّد في رأسي. **مخادعون، مبتكرون، أذكياء**. ولأنني تذكّرتُ أين سمعتُ عن عائلة بنات آوى. فقد ذكرتهم أمي من قبل.

تحرك المزلاج تحت يدي فقفزتُ مُتراجعة للخلف. فُتح الباب بقوة وعلى الجانب الآخر وقف الحارس ذو الندبة على شكل X فوق حاجبه. نظر إليّ نظرة متشككة، وبادلته النظرات لبضع ثوانٍ، وفي اللحظة التي كنت أوشك فيها على سؤاله لماذا ينظرّ إلي هكذا، ابتعد دون أن ينطق بكلمة.

نظرتُ إلى ليلى بحثاً عن جواب، لكنها كانت قد نهضت عن الأريكة وقالت: «ارتدي ثيابك، بسرعة!».

هرعتُ إلى غرفتي والتقطتُ ملابسي عن الأرض، وارتديتها خلال دقيقة واحدة، ومع ذلك وجدت ليلى تنتظرني عند الباب وكأنها جاهزة منذ ساعات.

ألقتْ إليّ عباءتي، وأسرعتُ خلفها في الردهة التي يتسلل إليها الضوء عبر الأبواب المفتوحة التي يتوافد منها الطلاب. أردت أن أسأل ليلى عما يحدث، لكن آخر ما أريده هو استعراض جهلي أمام الجميع.

لحقنا ببقية الفتيات، ونزلنا ثلاثة طوابق إلى البهو الذي يؤدي

إلى الفناء حيث أشجار الكرمة. المكان هنا نسخةٌ عن الفناء الموجود في الجهة الجنوبية حيث الدروع وتمثال الجندي، لكن لا يوجد هنا إلا مشعلان وبضع لوحات قماشية باهتة معلَّقة على الجدران.

جلستْ الفتيات القرفصاء في صف على شكل حرف U، وكنتُ وليلى من بين آخر المنضمات إلى المجموعة. بدأتُ بإحصاء الفتيات في الحال، كنّ خمساً وعشرين فتاة بمن فيهن أنا. ربما هذا صف الطالبات المتقدمات فقط.

جلست آريا على الطرف المقابل لي من المجموعة، وأخذت تبتسم لي بينما كانت صديقتها الهادئة صاحبة الضفائر الحمراء تلهو بطرف عباءتها. بادلتُ آريا النظرات وأنا أتساءل ما إذا كانت لعائلتها علاقة بلعبة الخيال التي كنتُ ألعبها مع أمي أثناء طفولتي، أو ما كنت أعتقد أنها لعبة خيال.

«أهلاً بكنّ»، قالت بلاكوود مرحّبةً بنا، وآتية من جهة الدرج. كانت ترتدي نفس القميص المزركش والسترة والبنطال الأسود التي ارتدتها ليلة أمس. ما يثير الغرابة أن لا أحد يغير ملابسه هنا. حتى تسريحة شعرها لم تتغير، فهي نفس الكعكة المشدودة.

«أنا متأكدة أننا سنجد غرفكنّ مرتبة إذا قمنا بجولةٍ تفقدية هذه الليلة»، قالت بلاكوود وهي تنظر إلينا. أومأ الجميع برؤوسهنّ، وأحسستُ بالخوف للحظة وأنا أتذكر الشوكة، وقررت أن أسأل ليلى ما إذا كان بإمكان فيليكس أن يعلم مسبقاً بالجولة التفتيشية هذه الليلة.

«كما تعلمن جميعاً، انضمت إلينا اليوم طالبة جديدة»، قالت بلاكوود وهي تنظر إليّ، «لهذا فكرتُ في أن نلعب لعبة استراتيجية». عدَّلت طريقة وقوفها قليلاً وتصنعت الابتسام. «دائماً ما نتحدث عن أفضل الطلاب الذين مروا على هذه المدرسة، وعن إنجازاتهم والأثر الذي تركوه خلفهم، لكن قلَّما نأتي على ذكر إخفاقاتهم». صمتتْ

قليلاً. «منذ خمسة وعشرين عاماً، كانت هناك فتاة في هذه المدرسة، فازت في عامها الدراسي الرابع بكلِّ تحدٍ شاركت فيه في الألعاب الاستراتيجية التي تجري عند منتصف الليل هنا، لم تخسر ولا مرة. الأمر الغريب أنها غالباً ما كانت تخسر في هذه الألعاب في سنواتها الثلاث الأولى، وكان بإمكان أي شخص أن يفوز عليها وهو مغمض العينين. فبماذا تفسرن ذلك؟».

«لقد أمضت ثلاث سنوات وهي تخطط بمهارة وترصد الثغرات لدى الآخرين من حولها»، قالت آريا بلكنةٍ إيطالية هذه المرة، «وبهذه المعلومات التي جمعتها أصبحت لديها رؤية واضحة لنقاط القوة والضعف لدى الآخرين، وهذا ما ساعدها على التحكّم بزمام الأمور كما تريد، بالإضافة إلى امتلاكها عنصر المفاجأة بعد أن افترض الجميع أنها ستخسر كالعادة».

«صحيحٌ تماماً»، قالت بلاكوود، «يمكنكن تعلّم الكثير من خلال دقة الملاحظة. لنأخذ آينس على سبيل المثال، لديها قدرة على رؤية تفاصيل لا تستطيع أكثريتكن أن تلاحظها». ثم نظرت إلى صديقة آريا الهادئة التي بدا عليها الخجل بعد إطراء بلاكوود.

نظرت فتاة صغيرة الحجم تجلس بجوار آريا إلى آينس نظرة لا يمكن تفسيرها إلا كنظرة غيرة وحسد. نظرت آريا إلى الفتاة التي أشاحت بوجهها في الحال، ما أكّد لي وجود أمر مُريب.

«يخضع الجميع هنا لتدريب مُكثف لفهم إشارات لغة الجسد ولغة الكلام»، تابعت بلاكوود، «أنتن بارعات في التحليل، لكن لديكن مشكلة مع الغرور. إذا سمحتن لرغبتكن في الفوز أن تطغى على دقة الملاحظة لديكن، فسوف تفوّتن الكثير. تلك الفتاة لم ترتكب هذا الخطأ».

شبكت بلاكوود يديها خلف ظهرها. «إليكن هذا المثال أيضاً:

في منتصف القرن الثامن عشر، شهدت فتاة في الثانية عشرة من عمرها تدعى مارغريت نايت حادثةَ تعطل آلة في مصنع للقطن أسفرت عن إصابة أحد العمال، وبسبب تلك الحادثة، ابتكرت الفتاة غطاءً لحماية العمال من هذه الآلة، لقي نجاحاً كبيراً آنذاك. للأسف، لم تحصل الفتاة على التقدير الذي تستحقه على اختراعها، هذا لأنها كانت أصغر من أن تتقدم بطلبٍ لتسجيل براءة اختراع باسمها، لكنها لم تكترث ببراءة الاختراع لحظة ابتكارها لهذا الغطاء، بل كان ما يعنيها حقاً هو مساعدة هؤلاء العمال. إذا أردتَ أن تكون عظيماً، عليك أن تبادر لإيجاد مخارج وحلول لأمور قد لا تخدمك بشكلٍ مباشر. ما الذي يمكننا استنتاجه أيضاً بخصوص طالبتنا السابقة؟».

تحركت ليلى بخفّة بجواري. «لتتمكن من الفوز بكل تحدٍ شاركتْ فيه لمدة عام كامل، كان عليها القيام بأكثر من مجرد جمع معلومات عن بقية الطّلاب»، قالت ليلى، «كان عليها أن تعرف كيف يفكر كل طالب، ثم التفكير بطريقة مغايرة. نحن دائماً ما نتوقع أن تكون ردود أفعال الناس مثل ردود أفعالنا، فعندما نضرب شخصاً نتوقع منه أن يردّ الضربة، وعندما نساعد شخصاً نتوقع منه أن يكون ممتناً، ونتفاجأ عندما يتصرفون خلافاً لتوقعاتنا».

نظرت بلاكوود إلى ليلى باستحسان. «لم تقتصر دراسات ليوناردو دافنشي على حقلٍ واحد، فهو كان مهتماً بالفنون، والتشريح، والهندسة، وهذا غيضٌ من فيض. لم ينظر إلى العالم كما هو، بل كما يمكن أن يكون، وجَمَعَ بين اهتماماته ليتمكّن من دراسة أفكارٍ مثل طيران الإنسان. كان يعلم أن هناك طرق عديدة لحل نفس المسألة، إذا امتلكتِ الجرأة الكافية لتحلمين بها. لذلك أجل يا ليلى، أنتِ محقّة، هذه الفتاة قامت بذلك بالضبط. قامت في كل مرة

بما لم يتوقعه أحد، وفي اللحظة التي تظنين أنك تعلمين خطوتها التالية، تقوم بتغيير طريقتها مجدداً. كانت هذه الفتاة من أكثر المُخططين الذين مروا على هذه المدرسة شجاعةً».

نظرتُ إلى الوجوه من حولي، كانت بقية الفتيات يصغين بكل تركيز، وأمكنني رؤية نظرات الإعجاب والطموح بأن تكون كل واحدةٍ منهن هي الأفضل، لكنني تساءلتُ ما إذا كنّ يعرفن هوية الفتاة التي تتحدث عنها بلاكوود.

«دعونا نبدأ هذا التحدي الآن»، قالت بلاكوود وهي تنظر إليّ. «قفي، يا نوفمبر».

راح قلبي يخفق بشدة، أنا متأكدة أن الوريد الذي لاحظه آش قبلاً على وشك الانفجار.

أشارت بلاكوود إليّ لأقترب منها حيث تقف في الطرف الآخر من المجموعة. «استديري».

استدرتُ باتجاه الفتيات اللواتي حدّقن بي بنظرات فارغة، جميعهن ما عدا آريا، التي بدت مستمتعة. كان من الواضح أن الفتيات من جنسيات مختلفة، ومع ذلك لم أسمع غير الإنجليزية هنا. شعرتُ بالامتنان فجأة؛ إذ لم يكن ينقصني سوى ألا أفهم ما يُقال ليصبح هذا المكان أكثر غموضاً.

«قوانين اللعبة على النحو التالي»، قالت بلاكوود وهي تخلع عني عباءتي. سقطت العباءة على الأرض بنعومة وتسرّب نسيم الليل البارد على الفور عبر ملابسي. «لا ضوء، ولا يُسمح بمغادرة هذه الغرفة».

ألقيتُ نظرةً خاطفةً من حولي. هناك حارس بجوار باب الفناء، وآخر من جهة بلاكوود عند أسفل الدرج، وحارسٌ عند كل مخرج يؤدي إلى الردهة، وخلف حراس الردهة، أُطفئت المشاعل بالفعل.

«ستحصل كل فتاة مُشاركة على قطعة واحدة من هذا القماش». كانت بلاكوود تحمل قطعتَي قماش رماديتي اللون. «سيُدسُّ هذا القماش في الجزء الخلفي لسراويلكن وسيبقى هناك، والغاية من اللعبة هي الاستلاء على قماش الفتاة الأخرى. وأول من تنجح في ذلك تفوز».

يا إلهي. نظرتُ من حولي مجدداً، وحفظتُ في هذه المرة كل معالم الغرفة؛ الدرج خلفي مباشرةً، وإلى يمينه هناك بساط وممر يقف به حارس، يوجد بساطٌ آخر وشرخٌ في الجدار بارتفاع أوطأ من خصري، فوق الشرخ هناك حامل مشعل، بساطٌ آخر وباب. وفي الجانب الآخر من الغرفة، تكرر المنظر نفسه باستثناء الشرخ في الجدار.

«سنحتاج إلى فتاةٍ أخرى»، قالت بلاكوود، فرفعت آريا يدها عالياً في الحال. «سيبقى الجميع في أماكنهن. نوفمبر، ستكونين شريكة مع. . . » - تفحّصت بلاكوود مجموعة الفتيات ووقع اختيارها على الفتاة الصغيرة الحجم بجوار آريا التي نظرت إلى آينس نظرة غيرة - «نيكس».

نيكس، راح دماغي يترجم، **آلهة الليل عند الإغريق، سيدة النوم و. . .** صحيح، تذكّرت، **سيدة الموت**. ومن الهرج الخفيف بين الفتيات وضحكة إحداهن، فهمتُ أن الاسم يناسبها. نهضت الفتاة بعد أن خلعت عباءتها ووقفت إلى يساري، نظرت إليَّ سريعاً وأكاد أجزم أنها رأتني خصماً ضعيفاً. حسناً، انتظري وسنرى من الأضعف.

نيكس فتاة قصيرة جداً إلى درجة أن طولها يصل إلى كتفي فقط، والآن بعد أن أصبحتُ أقرب إليها، لاحظتُ خطاً رفيعاً أسود اللون فوق رموشها يمتد خارج زاوية عينها ليعطيها مظهر عين القطة. وبما

أن بلاكوود لا تسمح لنا بالاحتفاظ بأي أشياء شخصية هنا، لا يمكنني إلا أن أفترض بأن نيكس إما تصنع مكياجها بنفسها، أو أن هذا الخط وشم. ليس من عادتي أخذ المكياج بعين الاعتبار إذا ما أردت تقييم خصمي، لكن في هذه الحالة تحديداً يمكنني القول إنها ماكرة وعنيدة ولا ترضخ لإرادة الآخرين.

دسّت بلاكوود القماش في الجزء الخلفي لسروالينا. عاودتُ النظر إلى الشرخ في الجدار، أظن أنه على مستوى قطعة القماش في سروال نيكس.

أمسكتْ بلاكوود أيدينا وسحبتنا، أنا إلى يمينها ونيكس إلى يسارها. أومأتْ برأسها إلى الحارسين خلفنا فانتقلا إلى المشاعل على جانبَي البهو. الحارس ذو الندبة يقف على مقربةٍ مني. تباً، هذا الرجل في كل مكان أذهب إليه.

رفع كل حارس قمعاً معدنياً فوق القناديل المعلقة وأطفأها. غرقت الغرفة في الظلام - ذكرني ذلك بلعبة الأعين المعصوبة. أنا واثقة بأنني لن أرى أي ضوء حتى لو تكيّفت عيناي مع الظلام، فلا نوافذ هنا.

سمعتُ صوت طرقٍ من جهة الرواق، افترضتُ أنه صوت الحراس وهم يعودون إلى أماكنهم. الهدوء هنا لا يُطمئن، لا أسمع حتى أنفاساً.

«لنبدأ»، قالت بلاكوود ثم أفلتتْ يدي.

كاد قلبي يقفز من مكانه. لا شيء يصف إحساس التواجد في الظلام الحالك، تلاحقك نينجا إغريقية من النوع الذي يطاردك في كوابيسك. إذا لم أنجح في هذا التحدي، فسأكون بنظر الجميع هنا أشبه بذبابة في بحر من العناكب.

تحركتُ بضع خطوات حذرة لأبتعد عن مجموعة الفتيات

الجالسات. لا بد أنني اقتربتُ كثيراً من الفتاة في آخر الصف لأنني شعرت بحرارة جسدها قريباً مني. خطواتي غير مسموعة، والمشكلة أن خطوات نيكس غير مسموعة أيضاً. **لو كان بإمكاني فقط الوصول إلى حامل المصباح هناك...**

قمتُ بالالتفاف خلف صف الفتيات حتى اقتربتُ من المكان الذي ينبغي أن تكون الشعلة فيه. رفعت يديَّ بحذر شديد أمامي في محاولة لتحسس حرارة جسد نيكس، لكن لا شيء إلا الهواء البارد. **لا شيء حتى الآن.** تحركتُ باتجاه الجدار وشعرتُ بشيءٍ يعلق بكاحلي، تعثرتُ للأمام مُحدثةً ضجة، فعلا صوت ضحكة، أراهن أنها ضحكة آريا. هذه الفتاة تُفقدني أعصابي.

«أنت تتقنين الغش، يا آريا»، قلت لها.

في الأحوال العادية، كنتُ سأستمر في اللعبة من دون أن أتكلم، لكن لا يمكنني جعل بلاكوود وأولئك الفتيات يعتقدن أنني خرقاء إلى درجة التعثر بلا سبب.

«من الذي يغش؟ هذا ليس خطئي، أنتِ فتاةٌ خرقاء شريرة»، ردّت آريا بلكنة أميركية مُتقنة.

سمعت صوت إشعال عود ثقاب، ثم أضيئت الغرفة.

رفعت بلاكوود شمعةً أمام وجهها. «يكفي هذا، يا آريا، لا علاقة لكِ بهذا التحدي. لقد طلبتُ حرفياً أن تبقى كل واحدةٍ منكن في مكانها. أما أنتِ، يا نوفمبر، فعليكِ توقع المفاجآت، فالناس لا يلتزمون بالقواعد. هل كنتِ تظنين أن هذا التحدي سيجري بطريقةٍ عادلة؟».

نظرنا جميعاً إليها، بما في ذلك نيكس، التي تقف بجواري وقماشي بين يديها، وعلى وجهها ابتسامة عريضة كأنها تقول: «كنت

أعلم أنني سأنال منكِ». لم تكن شماتة بقدر ما كانت أمراً مُسلَّماً به بالنسبة إليها.

اللعنة، لم أخسر فحسب، بل حصلت على ميزة إضافية تتمثل في الظهور بمظهر الحمقاء. «دعيني أحاول مرةً أخرى»، قلت لبلاكوود.

«لقد خسرت، يا نوفمبر»، أجابت.

«أعلم ذلك، لكنكِ أخبرتنا للتوّ قصة عن فتاة خسرت في البداية لتتمكن من الفوز لاحقاً»، قلتُ لها وأنا أبتسم. «لنرَ ما إذا كانت نيكس ستهزمني من دون مساعدة آريا».

«لا أحتاج إلى مساعدة آريا لأهزمكِ»، قالت نيكس وقد بدا عليها الانزعاج من كلامي. أراهن إنها يونانية، فلكنتها تدلّ على ذلك.

خيَّم الصمت على الغرفة بينما كان الجميع ينظر إليَّ وإلى بلاكوود. كانت بلاكوود تقلِّب الفكرة في رأسها، ثم أومأت بالموافقة، فسارعتُ إلى نقطة الانطلاق قبل أن تغيّر رأيها.

أعادت بلاكوود حشر قطعتَي القماش في سروالينا. نظرتُ إلى نيكس التي رمقتني بنظرةٍ متعجرفة جعلتني أتساءل ما إذا كنت قد تسرّعت، ففي النهاية هي خصمٌ لا يُستهان به، فقد تمكّنت مني بكل سهولة.

أطفأت بلاكوود الشمعة وغرقت الغرفة في الظلام مجدداً. دقّ قلبي ثلاث مرات ثمَّ أفلتتْ بلاكوود يدي.

ركضتُ نحو الجدار، دون أن أكترث حتى لصوت خطواتي، ضربتُ الجدار براحة يدي وأنا أسمع ضحك الفتيات. حركتُ يدي بسرعة على شكل دوائر بحثاً عن الشرخ. **وجدته**. مددت يدي عالياً وانتزعت المشعل المُطفأ من حامله ورميته بكل قوتي إلى الجهة الأخرى من الغرفة بعيداً من الفتيات.

شهقت الفتيات عندما ضرب المشعل الأرض، ثم سحبتُ حافة البساط الثقيل نحوي، ودفعته بقوة فتركته يتأرجح فيما آمل أن يكون باتجاه الحارس صاحب الندبة الواقف في الرواق. سمعتُ صوت صرير جلدٍ، أظن أنه الحارس يحاول تسوية ثيابه. كنت سعيدة لأنني أصبتُ هدفي. وفي خضم هذه الفوضى أمسكتُ بحامل المشعل الفارغ فوق رأسي بكلتا يديّ.

بإمكاني سماع الفتيات يتهامسن. سحبت ساقيَّ إلى الأعلى وعلقتُ نفسي بحامل المشعل، وحشرتُ حذائي بين حلقات الحديد المشغول كي أتوازن وأخفف الوزن قليلاً عن يدي. كان الحديد متيناً ومن السهل التمسّك به، لكن رغم ذلك لن أتمكن من البقاء بهذه الوضعية المقلوبة لوقتٍ طويل. طلبت بلاكوود من الفتيات السكوت ولم يكن عليّ سوى الابتسام عند تذكّر نصيحة أبي: فهو لطالما قال لي إذا لم يكن بمقدوركِ فعل شيء دون أن يلاحظك أحد، قومي بخلق بعض الارتباك.

وضعتُ ضفيرتي بين أسناني بحرصٍ وتركتُ ذراعي اليمنى تتدلى على طول الجدار لتحسّس الشرخ في الحجارة. وانتظرت.

لم يمضِ سوى ثانيتين قبل أن أشعر بهواءٍ دافئ بالقرب من يدي. حبستُ أنفاسي، ها هي نيكس تلاحقني من جديد. يا إلهي، هذه الفتاة لا تضيع وقتاً. إن كانت تلاحقك فلن يمنعها شيء، هكذا وبكل بساطة. نظراً إلى أنني لا أسمع صوت أنفاسها، فيما كان رأسانا متقاربين إلى حدٍّ ما، خمنتُ أني خلفها تماماً. مددتُ يدي إلى الأمام، لكنني أخطأتُ في تقدير طولها وأمسكتُ بقميصها فوق الخصر. لكن لحسن الحظ، أمسكت بطرف القماش أيضاً، وقمتُ بسحبه بأطراف أصابعي.

صرخت نيكس من المفاجأة.

أضاءت بلاكوود شمعة، ونظر جميعهنّ إلينا وعيونهنّ تومض تحت الضوء الخافت، مذهولات من الصدمة. حرّرتُ قدمي من حامل المشعل وقفزتُ أرضاً.

نظرت نيكس إليَّ بحقد. «الفوز **بعد الخسارة** يبقى خسارة»، تمتمت.

ابتسمتُ لها. «لكن ألم نتعلم لتوّنا أن الجميع لا يتذكرون إلا الفوز **الأخير**؟».

«أحسنتِ صنعاً»، قالت بلاكوود وهي تشير إلى قطعة القماش في يدي الممدودة، ونبرة صوتها توحي بالارتياح، وكأنها حسمت لتوّها أمر بقائي في هذه المدرسة.

«لا يمكن اعتباره فوزاً وأنتِ خاسرة في الجولة الأولى»، قالت نيكس بصوتٍ خافتٍ كدت لا أسمعه. تلاشت ابتسامتي. إنها حازمة، شديدة التركيز، وصريحة جداً، ومن الواضح أنها لا تحبني. راودني شعورٌ أنه مقابل فوزي هذه الليلة، سأخسر شيئاً عمّا قريب.

7

فتحتُ ستائر غرفتي، فغمر الضوء الغرفة وأضفى عليها وهجاً دافئاً لطيفاً، لكن الأرضية باردة كالجليد إلى درجة أنني جفلتُ عندما لامستها قدماي العاريتان. أخذتُ جواربي الملقية على الأرض، وكدتُ أسقط أرضاً وأنا أحاول ارتداءها.

استيقظتْ كل حواسي بسبب البرد وتسارعتْ أحداث الليلة السابقة في ذهني. التحدي، تهديد نيكس لي، وحديثي مع ليلى عن عائلة بنات آوى. لا أدري كيف يمكن أن يكون استخدام ليلى لكلمات **مخادعة**، **مبتكرة**، **وذكية** لوصف آريا هو مجرد مصادفة، فهي الكلمات ذاتها التي استخدمتها أمي لوصف عائلةٍ من دمى الحيوانات المحشوة التي كنا نلهو بها حين كنت صغيرة. كانت لعبة طفولية، أو كنتُ أراها كذلك على الأقل. قالت أمي إنها لطالما لعبت هذه اللعبة مع الخالة جو وجدتي سابقاً في إيطاليا. كان لدى كل عائلة من الحيوانات ثلاث كلمات لوصفها، وكلها لا تزال عالقة في ذاكرتي مثل أغاني الطفولة.

كدتُ أتجمد برداً، واضطربت معدتي. يا إلهي، كيف غابت هذه الفكرة عن بالي أمس؟! تذكرتُ الآن أن أبي عندما أتى ليخبرني بأمر مغادرتي إلى هذه المدرسة، أمسك بواحدة من دمى الحيوانات

المحشوة وقال: «هل تتذكرين تلك اللعبة التي كنتِ تلعبينها مع أمك؟ لا شيء كان يمكنه أن يجعلكما تتركانها». كان يبتسم وهو يروي هذه الذكرى، كما يبتسم كل مرة يأتي فيها على ذكر أمي. لم أفكر كثيراً بكلامه حينها، لكن الآن. . .

فتحتُ باب غرفتي وأنا غارقة بأفكاري، وفجأة تجمدتُ من الصدمة. وجدتُ أمامي شابة تبدو في العشرينات توشك على قرع الباب، وهي تحمل ملابس مكوية. كانت ترتدي ثوباً صوفياً كستنائياً وقطعة بلون أبيض ناصع أظن أنها. . . قلنسوة؟ لوجنتيها لون وردي طبيعي يشبه ألوان الزهور.

«لم أقصد إخافتكِ، آنسة نوفمبر. أتيتُ لأخبركِ أنني أحضرتُ شاي الصباح مع الخبز والمربى كما طلبتْ الآنسة ليلى». نظرت إليّ وكأنها تحاول حفظ ملامحي، لكن ليس بالطريقة المرعبة التي رأيتها في عيون الطلاب والأساتذة هنا. ورغم أن نظراتها فضولية، إلا أنها ودودة.

وضعتُ يدي على قلبي لأُهدئ من روعي. «لا، لا. لستِ السبب، آسفة لكنني لم أتوقع وجود أحدٍ وراء الباب عندما فتحته».

انحنت وابتسمت لي. «أنا بيبا، الخادمة الخاصة بكِ وبالآنسة ليلى. أرجو أن تخبريني إذا احتجتِ شيئاً»، قالت بيبا بلكنة إيطالية. عبرت من أمامي ودخلت غرفتي ثم وضعت الملابس التي تحملها فوق صندوق الملابس عند نهاية سريري.

بيبا، هذا اسمها. **قد يكون اسم التحبب لفيليبا، مؤنث الاسم الإيطالي لفيليب، الذي يعني. . . «صديق الخيول»؟** أرى أن الاسم يناسبها. يذكّرني سلوكها المرح بالأوقات التي نقضيها في نزهةٍ تحت أشعة الشمس.

«شكراً لكِ»، قلت لها عندما شرعتْ في ترتيب بطانيتي، «لكن

ما أقصده أنه ليس عليك أن تفعلي ذلك. أنا أفضّل أن... شكراً لك».

«لا مشكلة»، قالت بيبا وعادت إلى غرفة المعيشة وأنا أتبعها.

كانت ليلى تجلس إلى الطاولة القريبة من النافذة المقوّسة، ومنظر الخبز الطازج جعلني أشعر بسعادةٍ تكفي لأن أعانق الجميع.

«يا إلهي، لقد أضفيتِ السعادة على صباحي، يا بيبا»، قلت لها وأنا أنظر إلى الخبز.

جلستُ في مقعدي ووضعتُ المنديل على حجري بكل حماس.

«أحضرتُ لكِ رغيفاً طازجاً»، قالت بيبا بفخر، «أمسكتُ به في اللحظة ألتي أخرجه فيها الطباخ من الفرن».

أخذتُ قطعة من الرغيف والبخار يتصاعد منه ليمتزج مع هواء الصباح البارد. «ربما ستصبحين من الآن فصاعداً الشخص المفضّل لديّ».

«شكراً لكِ»، قالت ليلى بنبرةٍ جادة قبل أن تتمكّن بيبا من الردّ، وبطريقة تخبرني أن على بيبا المغادرة.

«أجل، شكراً لكِ!»، قلتُ وأنا أقطع الزبدة الذهبية بسكيني.

أغلقت بيبا الباب خلفها ثم نظرتْ ليلى إليّ بغضب.

«ماذا هناك؟»، سألتها وأنا أمضغ الطعام.

أخذت ليلى رشفةً من الشاي. «هل تتصرفين دائماً بهذه الطريقة الوديَّة مع الغرباء؟».

«في الحقيقة... أجل»، قلت لها. كنت أرغب بإخبارها أنها تشبه أبي عندما ينتقد ثقتي المُفرطة بالآخرين، لكن من شأن هذا أن يخرق القاعدة الأولى.

«حسناً، لا تفعلي»، قالت ليلى.

مسحتُ فمي بالمنديل ونظرتُ إليها. «تبدو لي بيبا لطيفة. وألا تظنين أن خدمة مجموعة سريّة من الطلاب في قلعةٍ معزولة عن الحضارة والكهرباء هو أمر مقيت بما يكفي؟ أنا واثقة أنها ستشعر بالامتنان عند سماعها كلمة لطيفة من حين إلى آخر».

صمتت ليلى قليلاً وكأنها حائرة في أمري. «نوفمبر، جميع أفراد **استراتيجيا** يعملون لخدمة مصالح عائلاتهم بشكلٍ أو بآخر، جميعهم بلا استثناء، إضافةً إلى أن بيبا لن تبقى هنا أكثر من بضع سنوات إلا إذا رغبت بالبقاء».

استوقفني كلامها. وضعتُ قطعة خبزٍ في فمي وبدأتُ أشعر بوخزٍ في جلدي. لقد سمعتُ هذه الكلمة من قبل. «هل تقصدين أن تقولي إن بيبا هي أيضاً من أفراد استراتيجيا؟»، سألتها وأنا أحاول التظاهر بأنني أعرف الكلمة.

«أجل، كل شخص في الأكاديمية هو فردٌ من استراتيجيا. الأساتذة، عمّال المطبخ، الحراس، عمّال الحظائر والإسطبلات. هل تعتقدين أننا سنسمح لشخصٍ لا ينتمي إلى استراتيجيا بالتواجد **هنا**، في هذا المكان؟». نظرتْ إليَّ نظرة حائرة.

«لا، لا أعتقد ذلك»، قلتُ لها. لا تقتصر المشكلة على افتراضها معرفتي بمعنى استراتيجيا وحسب، بل إذا كان **الجميع** هنا ينتمون إلى استراتيجيا، فأين يضعني ذلك؟ سكبتُ كوباً من الشاي، محاولةً التفكير في طريقة لسؤالها عن معنى هذه الكلمة من دون أن أبدو جاهلة في نظرها. «التكنولوجيا لا تُدرَّس في هذه المدرسة». **القتلة والجواسيس يحتاجون إلى التكنولوجيا**. «لماذا؟».

هزّت كتفيها. «إنها مجرد مضيعة للوقت. ليست لدينا إلا أربع سنوات هنا، يمكننا تعلم مهارات التكنولوجيا عندما نعود إلى

الديار، وهي ليست أولوية بما أن لدى الجميع أفراداً متخصّصين في التكنولوجيا في عائلاتهم».

أفرادٌ متخصصون في التكنولوجيا، وعمل إجباري من أجل العائلات، ومجلس العائلات الذي ذكرتْه ليلى أمس، وأياً يكن الطلاب هنا. . . بدا أن هذه العائلات تتمتع بحكم ذاتي، وتعتمد على ذاتها، **وأنها تمتلك نفوذاً واسعاً**.

نظرت ليلى إليَّ بطريقة غريبة. «أسرعي واشربي هذا الشاي، علينا الذهاب إلى قاعة الطعام لملاقاة آش».

* * *

«هل نحن بحاجة إلى كتبٍ أو أي مستلزمات من أجل الدرس؟»، سألتها ونحن ننزل السلالم. لقد ضاع نهارنا كاملاً أمس بين التجول في المكان، وحصة التقييم، والاطلاع على الصفوف المُتاحة، لكننا لم نحضر أيّاً منها فعلياً.

هزّت ليلى رأسها. «باستثناء صف دراسة السموم، فإن الغالبية العظمى من الطلاب المتقدمين لا يستخدمون الكتب ولا يدوّنون الملاحظات. نحن نتعلم».

تبعتها عبر البهو إلى الفناء الخارجي حيث أشجار الكرمة. «ماذا يعني ذلك؟».

«لماذا تستمرين بسؤالي ماذا **يعني** كل شيء؟»، قالت وهي تنظر إليَّ نفس نظرات الارتياب عندما تناولنا الشاي. «لو كنت مكانكِ لتجنبتُ أسئلة كهذه أمام الآخرين».

كنتُ أسير بسرعة لمجاراتها. إنها لا تزال تتصرف بالبرود نفسه منذ أن جلستُ مع آريا على الغداء أمس.

كنت على وشك الردّ على كلامها عندما دخلنا استراحة الحديقة

وكدنا نصطدم بشابين يتحدثان بهدوء، أحدهما كان الرامي الواثق ذا الشعر البلاتيني الذي غمز لي أمس. أما صديقه فقد كان بنفس الطول والوسامة، ويظهر تحت كمّ قميصه المرفوع قليلاً وشمٌ بشكل نبات اللبلاب، لكن لم تبدُ عليه ملامح الشخصية القيادية التي يتمتع بها صديقه، فبمجرد رؤيتهما يتحدثان يتضح الفرق وتفاوت القوة بينهما.

«إذاً، هذه هي الفتاة الجديدة»، قال الرامي ذو الشخصية القوية وهو ينظر إليَّ مبتسماً. كان يتحدث بلكنة بريطانية.

طوى صديقه ذو الوشم ذراعيه إلى صدره وقال: «ألن تعرّفيها علينا، يا ليلى؟ أين ذهبت لياقتكِ؟». بدت لكنته فرنسيةً وكان صوته عذباً، لن أتفاجأ إذا كان مغنياً في فرقة.

«هذا برِندان»، أشارتْ ليلى إلى الرامي، ثم إلى الشاب صاحب اللكنة الفرنسية، «وهذا تشارلز. أقدم لكما نوفمبر»، قالت بفتورٍ وكأنها تقرأ قائمة تسوّق أو تؤدي مهمة رغماً عنها. ممتاز، أنا الآن قائمة تسوّق.

«سررتُ بمعرفتكِ»، قال برِندان مُرفقاً ترحيبه بانحناءة، لكن ثمة أمر خادع في طريقة كلامه الودودة. إنه مختلفٌ عن آش الذي يبدو دائماً وكأنه يقوم بتقييمٍ ما. سلوك برِندان الودود يبدو مزيفاً بعض الشيء. «هل أمضيتِ وقتاً طيباً في أول يومين لكِ في ثانوية فانتوم؟(*)».

«ثانوية فانتوم؟»، قلت بابتسامة مُتكلفة. «اسم طريف. كل ما يمكنني قوله هو أن الطعام رائع... شرط ألا يكون ساماً».

ضحك تشارلز ضحكةً مُصطنَعة، وشعرت أنني وسط رقصة جماعية أجهل خطواتها. نظرتُ إلى ليلى بحثاً عن شيءٍ يوضح هوية

(*) Phantom High بالإنجليزية أي ثانوية الأشباح - المترجمة.

هذين الشابين، لكن تعابير وجهها لا توحي بشيء. بدت مرتبكة، كأنها تريد أن تتركهما وتبتعد، وبما أنها لم تفعل، فيمكنني الافتراض أنها تعتبر هذا تصرفاً غير لائق.

«حسناً، هذا ممتاز، الملكيون وغريبو الأطوار يتبادلون الحديث»، قالت آريا بلكنةٍ أمريكية وهي تقترب منا وبصحبتها آينس. «ماذا يحصل في العالم؟».

«إنه عالمٌ لا تنتمين إليه، يا آريا»، أجابها برِندان، ومرةً أخرى شعرتُ بشيءٍ عدواني وراء نبرة صوته المبتهجة.

«أوه، سأبكي الآن»، قالت آريا بسخرية وهي تسير مبتعدة. أمسكت آينس ذراع آريا وكأنها تشير إليها أن تتوقّف.

ألقيتُ نظرةً فاحصةً على برِندان وتشارلز. من الواضح أن هناك أمراً لا أفهمه، فليلى تشعر بالتوتر حيال هذين الشابين، وآينس لا تريد أن تدخل آريا في صدامٍ معهما.

وبطبيعة الحال التفتت آريا إلينا قبل أن تدخلا المبنى. «أنت لا تهتم لرأيي، يا برِندان؟ لكن هل أتابع كلامي؟».

«ربما الأفضل ألا تفعلي»، أجابها تشارلز، وبعكس برِندان، كانت نبرة التهديد في صوته صريحة.

قلبت آريا عينيها ثم دخلت المبنى وكأن شيئاً لم يحدث، لكن آينس بدت عابسة.

استغلت ليلى الموقف للابتعاد عنهما فلحقتُ بها.

«الجميع يهرب منّا»، قال تشارلز، ثم ضحك الاثنان.

نظرتُ خلفي بعد برهة قبل أن ندخل المبنى في آخر الفناء، فشعرتُ بقشعريرة تسري في جسدي. كان برِندان وتشارلز يحدِّقان بي، وإذا كان اهتمام آريا ذا دلالة سيئة، فإن حدسي ينبئني أن هنالك أمراً أسوأ يتعلق بهذين الشابين.

نظرتُ إلى ليلى وقد اكتشفتُ سبباً جديداً لتقدير هذه الفتاة. صحيح أنها متزمتة ومنغلقة، لكنها على الأقل لا تنبعث منها ذبذبات توحي بالخطر مثل الطلاب الآخرين.

«ليلى، بخصوص ما قلته لكِ الليلة الماضية... عن كونكِ محقّة بشأن آريا»، خاطبتها بهدوء.

تابعتُ كلامي بصوتٍ خافتٍ. «ما أردتُ قوله هو أنني لم أتعلم التعايش هنا حتى الآن، وأجل، أنا أسأل الكثير من الأسئلة بالتأكيد، لكنني سأبذل قصارى جهدي للتأقلم وفهم الأمور. أفهم الآن لماذا ظننتِ أنني متهورة وطائشة، وأنا أعلن إخلاصي المطلق لكِ». شعرتُ بالفزع للحظة وأنا أتذكر كلام آش بأنني أبالغ في إخلاصي للآخرين، لكن لا يمكنني تغيير ذلك، هذه طبيعتي، لا أخون أصدقائي أبداً، حتى الجدد منهم.

نظرت ليلى إليَّ وأقسم أنني لمحتُ شيئاً من التأثر خلف ملامحها المتحجرة.

«أريدك أن تعلمي أنني أصغي إليكِ ولا أتجاهلك البتة»، قلت لها، «وأُقدّرُ كثيراً الوقت الذي تقضينه في مساعدتي وشرح أدقّ التفاصيل».

أومأت لي برأسها، وكان واضحاً تلاشي بعض الجمود الذي طغى على تصرفاتها.

توجهنا بصمتٍ نحو قاعة الطعام، ثم قالت بعفوية: «أخبرني آش بما حدث مع فيليكس وتلك الشوكة»، ونظرت إليَّ نظرة خاطفة.

اكتفيتُ بابتسامة. أدركتُ من طريقة كلامها أنها قبلت اعتذاري، فاقتربتُ منها قليلاً وهمستُ: «ما هو احتمال معرفة فيليكس بأمر التفتيش الليلة الماضية؟».

«أودّ القول إنه كان يعلم»، أجابت ليلى، «لأن التوقيت مثير

للشك، ولأن الصدفة هي الأمر الوحيد الذي **لا مكان** له هنا. لكن الطريقة الوحيدة ليعلم بالتفتيش هي أن يخبره أحد أعضاء الهيئة التدريسية، وهذا ممنوع. إلا إذا سمع عرضياً شيئاً لم يكن يُفترض به معرفته. في الحقيقة، لا أعرف».

أومأتُ برأسي. «وماذا عن آينس؟ كيف حدث وتوافقت مع أشخاص مثل آريا وفيليكس؟».

«آينس وآريا تتشاركان السكن»، قالت ليلى ثم توقّفتْ أمام باب قاعة الطعام، «بالإضافة إلى أنها واحدة من أبرع طلاب المدرسة في التخطيط، لكنها لا تتحدث إلا مع آريا وفيليكس، وأغلب الوقت مع آريا. وربما هي مُحقّة بعدم الحديث مع أحد».

وددتُ أن أسألها ماذا تقصد بكلامها، لكنها سرعان ما فتحتْ الباب ودخلتْ وأنا أتبعها. قاعة الطعام وقت الإفطار تختلف تماماً عن وقت الغداء أو العشاء، إنها أكثر حيوية. الطلاب يجلسون في مجموعات، حتى أنني سمعتُ ضحكات خافتة. أغلب الظن لأن الأساتذة لم يحضروا بعد.

أثناء سيرنا بين الطاولات، لمحتُ شاباً بكتفين عريضتين وآخر بشعرٍ طويل يراقباننا ونحن نقترب. تبادلا بعض الكلمات، وإذا لم أخطئ، كانا يتحدثان عني.

وفي لحظة مرورنا بالقرب من الشاب عريض الكتفين، تحرك كرسيه إلى الخلف وارتطم بساقي، فراح صديقه ذو الشعر الطويل يضحك، على الجانب الآخر من الطاولة.

«أوه، انتبه»، قلت له وأنا أُدلك ساقي.

وقف الشاب عريض الكتفين، وكان أطول مني بنحو خمسة عشر سنتيمتراً. «ردود أفعالك البطيئة ليست مشكلتي». كان يتحدث

بلكنة إيطالية تشبه لكنة خالتي جو وبنبرة كادت تصل إلى حدّ التهديد.

لا بدّ أن ليلى سمعت نبرته أيضاً، لأنها راحت تنظر إلينا وكأنها تدبر أمراً ما. «وليست مشكلتها أنك ضخمٌ جداً للجلوس على هذه الكراسي، يا ماتيو»، قالت ليلى بهدوء.

فتحتُ فمي مُتعجّبة. لم تقل ليلى شيئاً لآريا، أو برِندان وتشارلز، لكنها ترد بملءِ فمها على هذا الشاب الضخم؟ ماتيو، على ما أعتقد، **يعني بالإيطالية «هدية من الله» أو «جامع الضرائب»**.

رفع حاجبه بمكرٍ وهو ينظر إلى ليلى، لكن نظرته أصبحت حادة عندما حوّلها إليّ. انتابني إحساسٌ بأنه يعلم أمراً أجهله، أمراً لا يعجبه. هدية من السماء! مستحيل. هذا الشاب لا يليق به إلا أن يكون جامع ضرائب.

«أنتِ محظوظة لأنكِ برفقة ليلى».

«أعرف ذلك»، قلتُ بلطف، ولمحتُ بعض الرضا على وجه ليلى.

مرَّ بجانبي وضرب كتفه بكتفي بقوة إلى درجة أنني كدتُ أسقط أرضاً.

«إنه لا يشكل أي تهديد»، قالت ليلى.

«قد يكون كذلك»، قلت وأنا أراقب ماتيو يبتعد وأحاول التظاهر بعدم الانزعاج. «لكن لماذا كل هذه العدوانية؟».

نظرتُ خلفي إلى ليلى لكنها كانت قد ابتعدت وعليَّ أن أُسرع للّحاق بها.

«الجميع هنا يختبرك»، قالت ليلى، «لكنهم سيتوقفون عن ذلك في غضون بضعة أسابيع».

توقفتْ ليلى عند الكرسي المقابل لأخيها، الذي بدا غامضاً كعادته. زفرتُ بقوة. **بضعة أسابيع؟ مستحيل**. استرجعتُ في مخيلتي الحديث مع آش حول عدم مغادرة أحد في الأعياد، فانتابني إحساس مزعج، وشعرتُ فجأة بالحاجة إلى هواءٍ نقي ومكانٍ للتفكير بهدوء.

«هل توجد حمامات هنا؟»، سألتُ ليلى.

«إلى اليمين بعد الخروج من الباب».

مررت بين الطاولات في طريقي إلى الخارج، وكنت حريصة على عدم النظر إلى أحد كيلا أثير المزيد من العدوانية ضدي. لم أختبر مشاعر كهذه من قبل، فالناس في بلدتي لطفاء جداً، ومَدْرَستي مكانٌ لطيف، ولا أظن أن هناك شخصاً في بيمبروك لا أعرف اسمه، وعنوانه، والبيتزا المفضّلة لديه.

فتحتُ الباب وتسللتُ إلى الرواق الهادئ، ابتعدتُ قليلاً عن الحارس الذي يقف عند باب قاعة الطعام، أسندتُ ظهري إلى الجدار للحظة وأغمضتُ عينيَّ. لأول مرة في حياتي لستُ متحمسة للقاء الناس، لأول مرة أرغب أن أبقى **بمفردي** بدلاً من التواجد وسط الحشد. بإمكاني الخروج، وربما الجلوس في تلك الحديقة. هززتُ رأسي. سيستغرق هذا وقتاً طويلاً، وقد أسبب الذعر لليلى لأنني سأفسد جدولها.

سمعتُ صرير الباب ونظرتُ باتجاه الصوت.

«اللعنة»، همستُ لنفسي.

خرج ماتيو من مكانٍ أعتقد أنه الحمّام. بدا مرتاباً حين رآني، لعله يظن أنني لحقتُ به إلى هنا، وإذا ما حاولت التبرير الآن فسيظهر الأمر وكأنني فعلتُ حقاً.

«أنتِ تشبهينها كثيراً»، قال وكأنه يشعر بالاشمئزاز، لكنه أبقى

صوته منخفضاً لئلا يستطيع الحارس الواقف أمام قاعة الطعام سماعه.

خفق قلبي بقوة. لا يمكنني أن أتخيّل مَن الذي يشبهني من معارفه، فأمي هي الشخص الوحيد الذي يقول الجميع أنني أشبهه، والتي يزعم أبي أنني أبدو نسخةً منها. لكن كيف بحقّ السماء يمكن أن يعرف ماتيو بذلك؟

«لا أعرف ما الذي تريد مني قوله»، قلتُ بصوتٍ واثقٍ ومحايدٍ، مثلما تفعل ليلى، وأنا أكرر كلماتها في رأسي: **إنه يختبرني وحسب.**

تفحّص ماتيو وجهي جيداً، كأنه يبحث عن شيءٍ ما. ربما ينتظر مني الإنكار؟ «أنتِ حمقاء لأنك أتيت إلى هنا»، قال لي، «وأكثر حماقة لأنكِ لحقتِ بي إلى هنا».

شددتُ قبضتَي. «لم أفعل...».

لم أتمكن من إنهاء جملتي، لأنني تلقيتُ لكمة قوية مفاجئة بقبضته الضخمة على وجهي، فتخلخلت عظام فكي ورأسي وتراجعتُ لأرتطم بالجدار ثم تهاويتُ أرضاً.

وضعتُ يدَي في الحال على وجهي، الذي كان الجانب الأيسر منه قد تورم بالفعل. سمعتُ صوت قدمَي الحارس وهو يركض باتجاهي. أنفي لا ينزف، مما دفعني للاعتقاد أنه لم ينكسر، لكن الألم لا يُحتمل ودموعي تنهمر على خدي الأيسر رغماً عني.

نظرتُ إلى ماتيو بعيني السليمة. كان الحارس يقوم بتقييده ووضع يديه خلف ظهره، واندفع الطلاب من قاعة الطعام وتجمّعوا حولنا في الفناء، ثم أخذ الحارس ماتيو بعيداً دون أن تصدر عنه أي مقاومة.

أمسكت ليلى بذراعي لتساعدني على النهوض، ولمحتُ في

عينيها نظرة قلق وخوف عليّ، لكنها لم تقل شيئاً. استندتُ إلى الجدار خلفي. كان رأسي يطن مثل الطبل، أردت أن أصرخ في وجه ماتيو لكن الغصة في حلقي منعتني من ذلك، وخشيت أن أنفجر بالبكاء إن تفوهت بكلمة.

أفسح الطلاب الطريق للمديرة بلاكوود، التي أخذت تنظر إليّ وإلى ماتيو وكأنها تحاول قراءة لغة جسدينا لفهم ما جرى.

«إنزل أرضاً»، قالتْ بلاكوود، وأجبر الحارس ماتيو أن يجثو على ركبتيه، ثم التفتتْ نحوي. «حسناً، قومي باللازم».

لا «هل أنتِ بخير؟». لا «لقد تعرضتِ للضرب من قِبل شاب ضعف حجمك، ربما يجب أن يراكِ الطبيب».

نظرتُ إليها برعب وقلت: «قومي باللازم؟».

«العين بالعين، تماماً كما قلتُ لكِ»، قالت بلاكوود وهي تترقبني، «كل ما في الأمر أنني لم أتوقع أن يحدث ذلك حرفياً وبهذه السرعة».

هذه ليست مجرد مدرسة غريبة ذات قوانين مخيفة، فالناس هنا أشرار فعلاً، بمن فيهم المسؤولون عن التنظيم وتطبيق القوانين.

«تريدين مني أن ألكمه على وجهه؟»، سألتها بصوتٍ مرتجفٍ وأنا غير مُصدقة.

«اضربيه!»، صرخت آريا من بين الحشد، ورأيتُ برندان بين الجموع، عرفته من الخصلة البيضاء في شعره، كان هو وتشارلز يترقبان ما سيحدث.

شعرت بانقباضٍ في معدتي. رفعت بلاكوود يدها في إشارة لآريا بأن تصمت. نظرتُ إلى ماتيو، بدا هادئاً وكأنه قد نفّذ مهمته بنجاح.

«أوه... امـمـم»، تـلـعـثـمـتُ، عـاجـزةً عـن الـكـلام مـن وطـأة الصدمة.

«حسناً، هيا اضربيه»، قالت بلاكوود، ولم أصدق إصرارها.

«أنـا... أنـا لـن أضـربـه»، قـلـت لـهـا، وعـلـتْ الـدهـشـة وجـوه الجميع. لم يسبق لي أن ضربت أحداً على وجهه، وبالتأكيد لن تكون المرة الأولى الآن، لن أضرب شاباً قد يؤذي وجهُه يدي أكثر مما يمكن أن أؤذيه.

«هل تظنين أن القوانين لا تنطبق عليكِ؟»، سألتني بلاكوود.

«لم أقل ذلك، أنا فقط... ما الذي سأثبته إذا لكمته؟». كنتُ أفكر في سؤالي، وخطرت لي الإجابة. «ليست المشكلة أنني أرفض ردَّ الضربة، المشكلة الحقيقية هي أنه تجرأ وضربني في الأساس». أردتُ إخبارها ما هو رأيي بهؤلاء الطلبة، وبـ«اختباراتهم»، وبنظام العقوبات الذي عفا عليه الزمن، لكنني كنتُ مضطربة ولا أستطيع أن أستجمع أفكاري لأتحدث من دون أن أبدو خائفة.

رفعت بلاكوود رأسها وقالت بصوتٍ عالٍ: «الأمر الواضح أن نوفمبر ترى نفسها أعلى قدراً من الانتقام، لذلك إذا ما شعر أحدكم أنه بحاجة للتنفيس عن غضبه، يمكنكم اعتبارها هدفاً سهلاً، فهي لن ترد الضربة».

لا أصدق ما سمعته. هل أخبرتْ جميع الطلاب توّاً أنهم يستطيعون ضربي؟ شعرتُ بضيقٍ شديد وبغصةٍ في حلقي. أعرف الآن بالضبط ما قصده كونر حين نبّهني من أنني قد لا أتمكن من البقاء هنا. وبين الحشود رأيتُ عينيّ ليلى الغاضبتين.

لم يرفع ماتيو عينيه عني، وها هو يتمتم الآن: «كما قلت لكِ، أنتِ حمقاء».

بدأ الغضب يستعر في صدري. لقد تعرضتُ للضرب، ولم أفهم

شيئاً واحداً مما يجري هنا منذ أن وطأت قدماي هذا المكان، لم أفهم حتى سبب وجودي هنا. هذه أسوأ مدرسة في العالم.

«هذه فرصتكِ الوحيدة، يا نوفمبر»، قالت بلاكوود وكأنها توضّح لي عرضها في حال لم أفهم بعد.

تقدمتُ خطوة. لا يمكنني أن أدع الجميع يعتقدون أن يمكنهم ضربي متى شاؤوا. أنا واثقة أن هناك بعض الأشخاص في هذا الحشد سيفعلون ذلك إذا سنحت لهم الفرصة. لكن في نفس الوقت يصعب عليَّ تصديق أنني في وضعٍ يتوجب عليّ فيه ضرب طالب آخر في هذه المدرسة، وأن المديرة هي من تطلب ذلك. كل ما أريده الآن هو الابتعاد والعودة مباشرة إلى بيمبروك.

رفعتُ قبضتي لأضربه، كنت أرتجف.

ضحك ماتيو، وكانت ضحكته كفيلة بالقضاء على ما تبقّى من رباطة جأشي، فلا شيء أسوأ من التعرض للضرب من دون سبب سوى أن تكون موضع سخرية الآخرين علناً.

تباً. حركتُ قدمي اليسرى خطوة إلى الأمام، وسحبتُ قدمي اليمنى إلى الخلف، ورفسته بين ساقيه بكل قوتي.

اتسعت عينا ماتيو، صرخ من الألم، ثم سقط منهاراً على الأرض أمام دهشة بلاكوود.

«لم أقصد أن أضربه بهذه القوة»، قلت لها بصوت متحشرج.

«حسناً، أنتما متعادلان الآن»، قالت بلاكوود. «لن يكون، أكرّر، لن يكون هناك انتقام بعد ذلك. ستنصرفان الآن متعادلين».

«مفهوم»، أجبتها رغم أنني لم أفهم حقاً، ثم انصرف الجميع بلمح البصر.

«كانت هذه ثالث ملاحظة ضدك، يا ماتيو. قابلني في مكتبي

بعد انتهاء الدرس»، قالت له بلاكوود. نهض ماتيو، فتراجعتُ لاإرادياً خطوة إلى الوراء.

«هيا»، قالت ليلى، «لنأخذكِ إلى المستوصف».

مرَّ ماتيو بجانبي، ورأيتُ آش يقول له شيئاً إلا أنني لم أستطع سماعه.

8

في مساء ذلك اليوم، جلستُ أمام المدفأة في غرفتنا على السجادةِ القديمة المنقوشة برسوم الأشجار. كنتُ أتأمل النار ترتفع وتتراقص فوق الجذوع المحترقة، وأتحسس برفقٍ عيني المصابة. ساعدتْ الكمادة ذات الرائحة النفاذة التي وضعتها الممرضة على وجهي طوال اليوم على تخفيف التورم، لكنني متأكدة أن الكدمة لن تزول قبل أسبوعين، وإذا لم يكن الطلاب يثرثرون عني قبل فهم حتماً سيفعلون الآن.

لقد اتخذتُ قراري بالتحدّث إلى بلاكوود غداً. قد لا يكون لديهم هاتف هنا، لكن لا بد من وجود وسيلة للاتصال بأبي. يستحيل أن يقبل ببقائي في مدرسةٍ يهاجمني طلابها في وسط الردهة، وينتظر مني المدرسون ردّ الضربة انتقاماً.

نظرتُ إلى الساعة الخشبية على رفّ الموقد، كانت تشبه ساعة الوقواق لكن من دون طائر داخلها: إنها الثانية عشرة إلا ست دقائق ليلاً. أنا متأكدة أن التسلل خارجاً الآن ليس بالفكرة الجيدة، لكنني متأكدة أيضاً أنني تعرضت للضرب لأسباب غامضة، وإذا لم أخرج لمقابلة آش الآن، فلن أعرف شيئاً عن حقيقة هذا المكان.

سمعتُ باب غرفة ليلى يُفتح للمرة الأولى هذه الليلة. أظن أنها كانت تتحاشاني، وآمل ألا تعتبرني عبئاً ثقيلاً الآن.

«لم أكن أعرف أنه سيفعل ذلك»، قالتْ بهدوء.

«ماذا تقصدين؟»، سألتها وأنا ألتفتُ نحوها.

ظلّت واقفة عند الباب. «عندما قلتُ لكِ إنه لا يشكّل أي تهديد، أريدكِ أن تعلمي أنه لم يكن لديّ أي فكرة أنه سيضربك».

نظرتُ إليها وأنا أقطّبُ حاجبيّ، فشعرتُ بألمٍ في الجهة المصابة. «لم يخطر لي أنك تعرفين».

«حسناً، أنا حقاً لم أعرف»، قالتْ مؤكدةً، ثم أخذتْ نفساً عميقاً.

«هل تعرفين لماذا فعل ذلك؟»، سألتها بحذر.

هزّت رأسها، فانعكس وهج النار على شعرها.

«على أية حال... تصبحين على خير»، قالت ثم انسحبت إلى غرفتها قبل أن أتمكن من الحصول على كلمة أخرى.

حدّقتُ لبضعِ لحظاتٍ في باب غرفتها بعد أن أغلقته. خلال هذه المدة الوجيزة التي عرفت فيها ليلى، يمكنني الجزم أن هذا كل ما ستخبرني به، وهو على الأغلب كل ما تعرفه.

إنها الثانية عشرة إلا دقيقة، منتصف الليل. رحتُ أنقر بأصابعي على السجادة، كنتُ متردّدة، ثم ما لبثتُ أن نهضتُ مسرعةً. لن أجلس مكتوفة اليدين في انتظار أن يهاجمني شخصٌ آخر. سأذهب للحصول على بعض الإجابات بنفسي.

انتعلتُ حذائي ووضعت عباءتي على كتفيّ، إنها واسعة، لكنها داكنة وستساعدني على التخفي وسط الظلام. رفعتُ مزلاج الباب وفتحته بكل هدوء. كان الممر خالياً والهدوء يلفّ المكان. تسللتُ خارجاً وأغلقتُ الباب خلفي، وتوجهتُ إلى نهاية الممر. وحين

وصلتُ إلى الدرج توقفت وألقيت نظرةً إلى الأسفل. لا شيء سوى الظلام والسكون. رغم ذلك، تمنيتُ أن تهدأ دقات قلبي قليلاً كي أتمكّن من الإنصات جيداً.

هبطتُ الدرجات بسرعة، مع التوقّف من حين إلى آخر للإنصات إلى أصوات قد تصدر عن الحراس، وتسللتُ بمحاذاة الجدار باتجاه مدخل الطابق الأول. تمسّكتُ بالحجارة الباردة ورحتُ أختلس النظر بقلق إلى نهاية الممر المقبب. هناك حارسٌ يقف أمام الباب المؤدي إلى الفناء حيث أشجار الكرمة. هل قاموا بتبديل المناوبات فعلاً؟

وبينما كنت أتراجع من الممر المقبب اصطدم كتفي بشيءٍ ما. كنت على وشك الصراخ لكن يداً غطّت فمي قبل أن أفعل، ثم سحبني أحدهم إلى الجهة الأخرى. ارتعدتُ خوفاً للحظة إلى أن أدركتُ أنه آش. كان يحدّق بي في الظلام، يقف قريباً جداً مني إلى درجة أنني شممتُ رائحة دخان المدفأة العالق بعباءته. أشار لي بيده أن أصمت ثم أشار نحو مدخل الردهة. نظرنا مرة أخرى بينما كان الحارس يفتح الباب ليخرج إلى الفناء ذاته الذي يُفترَض أن نلتقي فيه.

رفع آش يده وبدأ العدّ على أصابعه تنازلياً. **خمسة، أربعة، ثلاثة، إثنان، واحد.** توجّه نحو الباب مباشرةً، بهدوء وبأقصى سرعة. أوه، يا لها من فكرة سيئة. لا أصدق أنني أفعل ذلك. توقف آش في وسط الغرفة ونظر إليّ مُحذراً. سمعتُ صوت أحدهم يتنحنح في الطابق العلوي، أو ما شابه.

تبّاً... إنه حارسٌ آخر!

ابتعدتُ عن الدرج وتوجهتُ نحو الباب بسرعة. رفع آش المزلاج بحذر وتسللنا خارجاً، ثم أُغلقَ باب الفناء في اللحظة التي غادر فيها الحارس من جهة السلالم التي قدمنا منها توّاً.

أمسك آش بكتفيَّ وسحبني نحو ركن صغير قبل أن أتحرك خطوة أخرى. الظلام حالك هنا، لا أستطيع رؤية شيء، ولا أجرؤ على الحركة.

أمسك آش بيدي ورفعها، فلامستْ أصابعي قماشاً يشبه ملمس الستائر السوداء المعلقة على جميع النوافذ في هذا المكان. لا بد أنهم يسدلون الستائر بين الممرات ليلاً لمنع تسرب الضوء عند دخول وخروج الحراس.

وقفنا هناك للحظات، مرَّ فيها الوقت بطيئاً قبل أن يفتح آش الستارة. كان ضوء القمر الخافت ينعكس على أغصان الأشجار، فبدأت أشعر ببعض الارتياح. كان الهواء بارداً، لكن رائحة الأشجار تبعث على الطمأنينة على نحوٍ أليف.

كان عليّ أن أسرع للحاق بآش وهو يشقّ طريقه بين الأغصان المتدلية. توقّف عند جذع ضخم بشكلٍ لافت على الجانب الآخر من الفناء وبدأ بتسلّق إحدى الكروم. راقبته وهو يتسلق غصناً يرتفع حوالي ستة أمتار فوقي، ما أثار إعجابي. تبعته بدوري لأتسلق الشجرة، مدَّ لي يده لمساعدتي لكنني رفضت وتسلقت الجذع إلى أن وصلت إلى الغصن المجاور له. توقف قليلاً وألقى نظرة مُتفحصاً الأشجار من حولنا، ثم نظر إليّ، وتابعنا التسلق أعلى فأعلى.

وصل آش إلى غصنين متجاورين إلى درجة أنهما شكّلا ما يشبه المقعد فوق الأشجار، كان الغصن السفلي عريضاً بما يكفي لأجلس عليه بكل راحة وأسندُ ظهري إلى الجذع خلفي. جلس آش فوق الغصن وساقاه تتأرجحان في الهواء، وبدا مرتاحاً جداً. لو وجدت شخصاً مثله في بيمبروك، شخصاً بارعاً في تسلق الأشجار ورمي السهام، ناهيك عن أناقته وشخصيته الجذابة، لما تردّدت في عرض

الزواج عليه. لماذا لدى الشبان الرائعين تاريخٌ مشبوه؟ إنه أحد تلك الألغاز التي لن نجد لها حلاً أبداً.

بدأ يتحدث بصوتٍ منخفض. «درجة الصوت مناسبة جداً هنا، نحن في وسط الأفنية الخارجية الثلاثة، بعيداً عن أي غرف وعلى ارتفاعٍ كافٍ حتى لا يسمعنا أحد طالما أننا لا نرفع أصواتنا. أظن أنه المكان الوحيد الذي يمكن أن ننعم فيه ببعض الخصوصية هنا».

ابتسمت له، ولا يزال قلبي يخفق من نشوة تسلق الأشجار. «لقد كنتَ محقاً، هذا مُمتع جداً». رأيت أنفاسي تتحول إلى غيمة بيضاء أمام فمي، وأدركتُ كم كنتُ بحاجة إلى هذه المغامرة.

تأملني للحظة. «هل نشأتِ قريباً من الغابة؟».

تردّدتُ قليلاً قبل أن أجيب. كان ضوء القمر كافياً لإظهار معالم وجهي بوضوح بحيث يمكنه اكتشاف ما إذا كنتُ أقول الحقيقة أم لا، إضافةً إلى أن إخباره بوجود غابة قريبة من منزلي لا يعدُّ إفشاءً لأسرار محظورة، فهنالك آلاف الغابات في جميع أنحاء العالم. «أجل. كانت الغابة مُلاصقة للفناء الخلفي لمنزلنا».

أومأ برأسه. «أخبرتني ليلى أن هذا الفناء هو أكثر ما أثار إعجابكِ خلال جولتكِ».

كنتُ أعلم أنها أخبرته. «أجل، لكن حتى نشأتي بجوار غابة لا تعني أنه بإمكاني تسلق الأشجار بهذه البراعة، فما الذي جعلك تعتقد أنني قادرة على ذلك؟».

رفع حاجبه وهزّ رأسه ثم نظر إليَّ وكأن الإجابة بديهية للغاية. «أولاً، لأنكِ طالبة في هذه المدرسة، حيث القدرات الجسدية شرط أساسي. بالإضافة إلى أنني سمعت كيف تغلبتِ على نيكس».

يبدو أن ليلى تخبره بكل شيء. «حسناً، بما أنك تعرف كل هذه الأمور عني، ما رأيك أن تخبرني ببعض الأشياء بالمقابل؟».

اتكأ بكسلٍ على الغصن خلفه واستدار نحوي. «ما الذي تودّين معرفته؟».

وجدت نفسي أبتسم وأفكر كيف سأختار أسئلتي من دون أن يلاحظ مدى جهلي بالكثير من الأمور، فلا يتطلب الأمر كثيراً من الذكاء لمعرفة أن الجهل في هذه المدرسة هو مرادف للضعف. «أخبرني عن العائلات هنا».

لم ينزعج من سؤالي، بل اعتبره منطقياً. «حسناً، هذا موضوعٌ شاسع».

«أخبرني عن نشأة العائلات قبل ألفين وخمسمئة عام»، قلتُ له وأنا أسترجع المعلومات المهمة التي استجمعتها خلال مقابلتي مع كونر.

ضحك آش. «هل تسللتِ إلى هنا في منتصف الليل وقد تعاقَبين إذا ما كُشف أمركِ للسؤال عن نشأة العائلات؟ ألا تعتقدين أنه يتوجّب عليكِ استغلال وقتكِ بحكمة أكبر؟».

هززت كتفَي وكأنه لم يقل أمراً مهماً. «اسمع، أنا أفهم ما تقصده، ولديَّ الكثير الكثير من الأسئلة الأخرى. لكن حديثي مع كونر في مكتبه جعلني أشعر بأنني لستُ مطّلعة على التاريخ مثل بقية الطلاب هنا، وكل ما أريده هو أن أكون قادرة على مواكبة دروسي. لذلك أرجو مجاراتي في هذا الأمر». كنتُ أتحدث بنفس النبرة التي أستخدمها مع إيميلي عادةً عند محاولة إقناعها بفعل أمر لا ترغب به.

نظرَ إليَّ آش للحظات، وعيناه تتساءلان. «سألتزم باتفاقنا»، قال ثم وضع يديه خلف رأسه واستند إلى الخلف. «تأسست العائلات

الثلاث الأولى في عصرٍ كانت فيه السلطة والغزو أمراً بالغ الأهمية. بدؤوا كمستشارين وأصدقاء موثوقين ومقرّبين من الملك الفارسي» - وضع يده على صدره مُشيراً إلى نفسه - «أو من الإمبراطور الروماني» - أشار إليّ - «أو الملك الإغريقي. وكان لهؤلاء المستشارين تأثيرٌ على قرارات الحكّام. وبمرور الأيام، انتشرت أخبار هؤلاء المستشارين المهمين، وأصبحوا هدفاً للقادة من الحضارات الأخرى، فما من طريقة لإضعاف أي إمبراطور أفضل من القضاء على المستشارين الحكماء من حوله». ابتسم آش وكأن القتل في العصور القديمة كان أمراً صائباً. «وهكذا بدأ حكام الإمبراطوريات الإغريقية، والرومانية، والفارسية الأخمينية بإخفاء هؤلاء المستشارين، رجالاً ونساءً، وسرعان ما أصبحت قوة هؤلاء المستشارين تكمن في السرية المحيطة بهم». صمت آش ثم نظر إليّ.

«تابع كلامك»، قلت له، وأنا أفكر أنه إذا كان ما يرويه آش حقيقياً، فلا بد أن يكون بمقدور الطلاب هنا تتبع تاريخ شجرة عائلتهم إلى عصر الإغريق القدامى.

«خلال القرون التي تلت ذلك، ازدادت أعداد هؤلاء المستشارين السريين وتطورت مهاراتهم. لم تعد مهامهم تقتصر على تقديم المشورة فحسب، بل أصبحوا يجمعون المعلومات، ويسمّمون أعداء الحكام، وكان لهم دورٌ كبير في اختراق الإمبراطوريات الأخرى. فقام الملوك، ومن باب الاعتراف بالجميل، بمنحهم عقاراتٍ وأراضي، وأموالاً، وأصبحت لهم شعاراتهم الخاصة التي تعتمد رسوم الحيوانات بشكلٍ أساسي. الأمر الوحيد الذي لم يحصل عليه هؤلاء المستشارون هو الألقاب الرسمية، لكن كانوا يُعرفون سراً بـ **عائلات الحكام**».

«عائلات» لديها شعارات برسومٍ للحيوانات. حتى لو لم أجنِ

أي معلومة أخرى من هذا الحديث، فعلى الأقل بدأت أفهم من أين أتى اسم بنات آوى.

«ومع مرور الزمن، بدأت العائلات بالاستقلال عن الحكام القدماء واتجهت إلى خدمة مصالحها الخاصة»، تابع آش، «فقاموا ببناء منازلهم في مواقع سرية، وانتخبوا مجالس حكم خاصة بهم، حتى أنهم قاموا بالتواطؤ مع عائلات من إمبراطوريات أخرى لتزوير حقائق وأحداث تاريخية بما يخدم مصالحهم». كان آش يتحدث بحماسٍ واضح يجعلك تشعر وأنت تستمع إليه بأنه أمضى حياته في رواية القصص.

انتبهتُ إلى أنني أميل بجسدي نحوه فقمت بتعديل جلستي وسألته: «هل تقصد أنهم استقلوا عن الحكام، أم قرروا أنهم أكثر براعة منهم في الأمور الاستراتيجية؟».

ابتسم آش. «حسناً، ربما الاثنان. كان الحكام في تلك المرحلة يظنون أنهم هم من يمسكون بزمام الأمور، لكن لنكن واقعيين. Vincit qui se vincit، **ينتصر من ينتصر على نفسه**».

«**الحسناء والوحش**»، قلت له.

«ماذا تقصدين؟»، سأل آش وأبعد يديه من خلف رأسه.

«Vincit qui se vincit، **ينتصر من ينتصر على نفسه**. هذه العبارة محفورة على الزجاج الملون في القلعة حيث يعيش الوحش»، أجبته.

«هل أنتِ جادة؟»، سأل آش. «أنتِ تذكرين اقتباساً من حكاية خيالية؟».

«بل فيلم رسوم متحركة»، قلت مصحِّحة. نظر إليّ مندهشاً، وكأنني مخلوقٌ من كوكبٍ آخر. «لم أقصد المقاطعة»، قلت له في الحال، «تابع القصة من فضلك».

عدّل آش جلسته قليلاً، وبدا لي أنه كان يحاول تكوين انطباع ما عني. صمتَ قليلاً ثم تنحنحَ وتابع قائلاً: «إذاً، وكما تعلمين، ازدادت الحضارات القديمة كبراً وأصبحت أكثر تعقيداً على المستوى السياسي، فبدأت بالانهيار الواحدة تلو الأخرى، لكن بحلول ذلك الوقت أصبحت استراتيجيا أكثر قوة وتطوراً. ومع انهيار الحضارات العظيمة، وجدت استراتيجيا الفرصة المناسبة لتستقل بذاتها فعلياً. انقسمت القارة الأوروبية بمرور الوقت إلى ممالك أصغر، وانقسمت استراتيجيا الإغريقية، والفارسية، والرومانية إلى المزيد من الفروع - فالبريطانيون أصبحوا الأُسود في ما يُعرف اليوم بالمملكة المتحدة، والإفرنج أصبحوا الغزلان في فرنسا وألمانيا، والإسبان أصبحوا الثعالب في إسبانيا والبرتغال. لكن ستجدين في وقتنا هذا أفراداً من هذه العائلات في كل مكان في العالم، فقد وصلنا إلى العالمية إن صح التعبير»، قال مبتسماً.

كان تركيزي منصبّاً على ما يقوله، بحيث كان ذلك واضحاً على وجهي. بدأ الأمر إذاً بثلاث عائلات أصلية، ثم تفرَّعت عنها ثلاثٌ أخرى أحدث، لكنه لم يذكر شيئاً عن شعار عائلة آريا. «وماذا عن عائلة بنات آوى؟»، سألته.

نظر إليّ مُتعجباً. «هل تعتقدين أنني كنت سأتغاضى عن بعض التفاصيل؟». بدا المكر جليّاً على ملامحه. «لا أحد يعلم تماماً متى وأين نشأت عائلة بنات آوى. لكن من المعروف أنهم المتمردون في استراتيجيا. لا يُعرف بلد محدد لنشأتهم، لكن الاعتقاد السائد أنهم جاؤوا من أماكن متفرقة، وبدؤوا بعدها بتشكيل ائتلاف خاص بهم بغض النظر عن السلالات التي ينحدرون منها. ومثلما تعيش بنات آوى في جماعات صغيرة، اختاروا أيضاً هذا النمط من الحياة، تماماً مثل الحيوان الذي اتخذوه شعاراً لهم. وهم يتباهون بعدم

التزامهم بالتنظيم الذي تتمتع به العائلات الأخرى. وبطبيعة الحال، استغرق الأمر قروناً قبل أن تقوم استراتيجيا بتشكيل **مجلس العائلات**، وهو نوع من منظمة الأمم المتحدة الخاص بها إن صح التعبير، لتأسيس نظام مركزي. وحوالي العام 500 بعد الميلاد، اجتمع أفراد من جميع العائلات للمرة الأولى، ولم يمضِ وقتٌ طويل قبل أن يتفق أعضاء المجلس على أن العلوم المُكتسبة عبر مئات السنين لا يمكن تدريسها بالطرق التقليدية، وهكذا انتهى الأمر بإنشاء هذه الأكاديمية العظيمة التي تنتمين إليها اليوم»، قال ثم فتح ذراعيه مشيراً إلى الفناء أمامنا.

كنتُ في غاية الدهشة. كلامه يعني أن **القتل والجاسوسية** لم تكونا خاطئتين، هما ليستا صحيحتين فحسب. ومهما يكن من أمر هذه العائلات فهي أكثر تعقيداً في الحقيقة - إنها عبارة عن مجتمع سري قديم يقوم بالتحكم بالعالم من خلف الستار. لكن السؤال الذي يصعب عليّ إيجاد إجابة له هو لماذا قامت **عائلتي** بإرسالي إلى مكانٍ كهذا، مع كل هؤلاء الطلاب المنحدرين من مجتمع سري. أنا من بيمبروك بولاية كونيتيكت، أقود شاحنة قديمة كُتب عليها من الخلف «أنا أقود بسرعة بسبب حاجتي لدخول الحمام»، والأمر الأكثر غموضاً عني هو اختياري تناول الغداء في المدرسة أو الذهاب لتناول البيتزا في المطعم، بحق السماء.

«حسناً؟»، قال آش، فأدركت أنني أنظر بتجهّم إلى الأغصان الكثيفة أمامنا.

«حسناً. . . شكراً لك»، قلتُ له وأنا أحاول أن أبدو طبيعية، «هذا يوضّح الكثير من الأمور. أنا فقط. . . لقد حاول ذلك الغبي كونر أن يزعزع ثقتي بنفسي»، أضفتُ ثم ضغطتُ راحة يدي بإبهامي لأجبر نفسي على الاسترخاء.

«هل تريدين الاستفسار عن شيء آخر؟»، سأل آش وهو يراقب يديّ.

أوقفتُ حركة يديّ واستعضتُ عنها بفرك كفيَّ ببعضهما. «أخبرني بكل ما تعتقد أنه سيحميني من التعرّض للضرب مجدداً».

نظر إليّ بجدية وأومأ برأسه في إشارةٍ إلى أنني أسأل الأسئلة الصحيحة أخيراً. «حسناً، المشكلة هي أنني وليلى لا نعرف لماذا حدث ذلك. أنتم الإيطاليون لديكم دائماً هذه الخلافات فيما بينكم. أنتم تبالغون في ذلك أحياناً، ولكنكم تعتنون بعضكم ببعض في نهاية المطاف. حاولتُ أن أستفسر من ماتيو لكنه لم ينطق بكلمة، وبرأيي أن لديه أسباباً شخصية ومهمة».

«لكنني لم ألتقِ به من قبل قط!»، قلتُ بإحباط، ووقفت مرة أخرى حائرة أمام القوانين الغريبة لهذا المكان. كيف يمكن أن يكون الأمر شخصياً وماتيو غريب عني تماماً؟

«صحيح، لكن لا أهمية لهذا الأمر حقاً، فجميع الأفراد في العائلات مرتبطون سواء أرادوا ذلك أم لا»، قال آش، «والدببة تحديداً».

كلما أمعنتُ النظر إليه أدركتُ مدى جدية حديثه. فهمت أنه يقصد أن الرومان دببة، لكن ما لم أفهمه هو لماذا يتحدث معي وكأني فردٌ من تلك العائلة. أقصد أن الدببة كانت الحيوان المفضّل لدى أمي من بين الحيوانات المحشوة التي كنا نلعب بها، لكن هذا لا يثبت شيئاً ولا علاقة له بي إطلاقاً. أليس كذلك؟ راحت نبضات قلبي تتسارع.

لم أقل شيئاً، فتابع آش حديثه. «كل ما أعرفه أن ماتيو يشع غضباً. هل رأيتِ قبضتيه المشدودتين عندما كانت بلاكوود تتحدث

إليه؟». صمت آش قليلاً ونظر إلى الأشجار. «الغريب في الأمر، وبرغم ما حدث، هو أن ماتيو يكنُّ لكِ الاحترام على ما أعتقد».

أخذتُ نفساً عميقاً محاولةً تهدئة أعصابي. «من أين أتيتَ بهذا الاعتقاد؟».

«لأنه رفع رأسه»، أجاب آش، «هذه إشارة معروفة تدل على احترام الخصم في المعركة».

فكرتُ قليلاً قبل أن أعلّق على كلامه. أخشى أنه إذا ما شعر بارتباكي، فسيبدأ بتوجيه الأسئلة لي بدل العكس. «أخبرني إذاً، عدا ماتيو، هل هناك عائلاتٌ أخرى عليَّ تجنّبها؟».

نظر إليَّ آش متعجباً كأنني قلتُ شيئاً ينبغي ألا يُقال. «عليكِ اختيار حلفائكِ بنفسك، لكن كما سبق وأَخبرتْكِ ليلى، ليس من الحكمة الوثوق بأي شخصٍ من عائلة بنات آوى، لا سيما بالنسبة لشخصٍ ينحدر من عائلةٍ ذات نفوذ مثل عائلة الدببة. لا يوجد الكثير من أبناء عائلة بنات آوى هنا، لكنهم دائماً ما يُثبتون وجودهم، ويصعب توقّع تحالفاتهم».

حاولتُ التكلّم ببرود لإخفاء هواجسي المتزايدة، فالأسوأ من الشعور بالاضطراب بسبب وجودي في هذا المجتمع السري العنيف الذي لا أعرف عنه شيئاً، هو اكتشاف هؤلاء الفتيان المدرَّبين على أن يصبحوا قتلة محترفين جهلي بكل شيء هنا. «وماذا عن فيليكس؟».

«آه، إنه أسد. ما أعرفه أن عائلته كانت تتمتع بنفوذٍ قوي لكنها فقدت مكانتها منذ سنواتٍ - وبالتالي تحالف مع آريا وتلك الثعلب».

«آينس؟».

استند آش ورفع ذراعه فوق رأسه. «أجل، تحالفهم هذا ليس

طبيعياً، لا أحد يعرف تماماً الغاية منه على المدى البعيد، لكن إذا أردتِ رأيي، فيليكس مغرم بآريا منذ سنوات، رغم أن هذا لن يفضي إلى شيء أبداً، وآينس تستغل آريا لتكون في الواجهة مع البقية، فلا تضطر هي لمواجهة أحد منا».

«هذا يبدو منطقياً»، قلتُ له، رغم أنه لا وجود لأي منطق هنا. أظن أنني بحاجة للتفكير ملياً في تلك اللعبة التي كنت ألعبها مع أمي، فقد أكتشف أنني أعرف أموراً أخرى أنا غافلة عنها الآن. أذكر جيداً وصفها للعائلات، لكنني لا أذكر علاقاتهما المتشابكة.

«وماذا عن عائلتكَ؟»، سألته.

نظر إليَّ نظرة سريعة وكأنني أعلم الجواب مُسبقاً. «أنتِ تعلمين أنني من عائلة الذئاب، لكن اسمعي، يمكنني تبسيط الأمر لكِ، فبدلاً من البحث في تاريخ المائة طالب كل واحد على حدى، لماذا لا تخبريني عن موقفك؟». قال آش ذلك بشكل عفوي، لكن حدسي يخبرني أن كلامه ينطوي على أمرٍ مهم.

«موقفي؟».

«هل أنتِ مؤيدة، أم معارضة، أم حيادية؟»، قال آش مؤكداً على كل كلمة، بحيث تأكدت أنه يسأل عن أمرٍ هام، أمر ينبغي أن أكون على علم به.

«عليكَ أن توضح ما تقصده»، قلت له بحذر، وأنا أدرك تماماً أنه يراقب كل حركةٍ أقوم بها. لا ينبغي أن أستغرب أن تكون لدى آش دوافع خفية لدعوتي إلى هذا المكان، فكل تصرفاته تعكس تفكيره الاستراتيجي، وأسوأ ما في الأمر أنني عرفت ذلك منذ أن وقعت عيناي عليه، ولن أغفر لنفسي إذا فكرتُ بخلافِ ذلك.

«هل تريدين إقناعي أنكِ لست منخرطة في سياسة العائلات؟».

كان لا يزال مسترخياً، لكن عينيه كانتا شديدتَي التركيز.

«لست كذلك فعلاً. أقصد، ليس حسب علمي». حاولت أن أقول ذلك بشكلٍ حيادي قدر الإمكان وأنا أتساءل عمّا إذا كنت سأندم على إجابتي هذه فيما بعد، لكنني لم أستطع التفكير بجوابٍ أفضل.

قال بصوت هادئ وثابت: «هذا غير معقول. لقد التحقتِ بهذا المكان في وقتٍ متأخر، في منتصف السنة الدراسية، وآريا حاولت النيل منك، وبرندان دخل معكِ في تحدٍ، وماتيو وجّه لك لكمة على وجهك».

«أترى؟ أنت تخمن الأمور مثلي»، قلتُ له.

صمتَ للحظة وهو يحدِّق بي. «إما أنكِ أصبحتِ تُجيدين الكذب بشكلٍ مفاجئ، أو أنكِ تقولين الحقيقة. لا أدري أيَّ الأمرين هو الأصح».

كان أفضل له أن يعتقد أنني لا أعرف شيئاً عن سياسة العائلات بدل أن يكتشف أنني أكذب بخصوص وقوفي في صف مَن، بغض النظر عن حقيقة أنني أجهل تماماً ما هي الصفوف هنا. قلتُ له بنبرة مُلطّفة: «صدّق ما تشاء».

هزَّ رأسه. «ثمة أمورٌ أخرى تحدث هنا، أمور لا تريدين أن أعرفها... ولا تظني أنني لم أنتبه أن هناك أمراً ما أزعجكِ عند سماع قصة نشأة العائلات». كان يمعن النظر جيداً في وجهي، محاولاً فهم ما يدور في رأسي. يا إلهي، كم أتمنى لو بإمكاني الاختفاء من أمامه. «ما هي سمات عائلة الدببة؟»، سألني فجأة.

حاولتُ إرخاء كتفي. «ما هي سمات عائلة الذئاب؟»، قلت له لرمي الكرة في ملعبه.

«حدسيون، مخلصون، مجتهدون»، أجابني من دون تفكير،

وتذكرتُ فجأة أنها ذات الكلمات التي اعتدنا ترديدها في اللعبة التي كنت ألعبها مع أمي.

ابتسمتُ في محاولةٍ لتلطيف الطابع الجّديّ الذي ذهب إليه الحديث. «مخلصون لمن؟».

«أوه، أليس هذا السؤال الوجيه دائماً؟». رأيتُ في عينيه نظرة ماكرة، وكأنني أصبحتُ تسليته المفضّلة للتوّ. «أخبريني الآن. ما هي سمات عائلة الدببة؟».

حاولتُ التظاهر بالاسترخاء والنظر في عينيهِ مباشرة رغم أن قلبي كان يخفق بشدة. «مُبتكرون، حُماة، شُجعان».

تمتم آش وهو يرمقني بنظراتٍ غريبة، كأنه مرتابٌ مني لأمرٍ ما، لكن وفقاً لمجريات هذه المحادثة، من الواضح أنه يعتقد أن معرفتي أوسع بكثير مما أعرفه حقاً، ما يجعل من الصعب عليه تخمين الحقيقة.

«إليكَ حقيقة الأمر»، قلتُ وأنا أحاول التظاهر باللامبالاة. «لقد سألتكَ عن قصة نشأة العائلات لأختبر معلوماتك التاريخية فحسب. كل ما هنالك أنني تأخرتُ في الالتحاق بهذه المدرسة وفاتني عامان ونصف من دروس التاريخ، فأردتُ فقط أن أتأكد من أنني في مستوى الطلاب». ما هو أقل هو أكثر هنا.

غيَّر آش مكانه على الغصن. «حسناً، أصبحت الأمور مشوّقة الآن. هل تريدين مني أن أعطيكِ دروساً في تاريخ العائلات؟».

«أنت محللٌ بارع وتجيد رواية القصص»، قلت له وأنا أعني ذلك حقاً.

ابتسم قائلاً: «يفتح الإطراء أمامك كل الأبواب، لكن ماذا لديك في المقابل؟». بدا لي أكثر استرخاءً، واستشعرتُ بعض الدفء في نبرته الحادة عادة.

ترددتُ قليلاً، ليس لأنني حائرة وحسب، لكن لأنني وجدت صعوبةً في كبح ابتسامتي. «ما الذي تريده؟».

«بعض المعلومات»، قال آش، «فهل من شيء آخر؟».

تبّاً. لا أعرف ما إذا كان لديّ شيء ذو قيمة لأقدمه له. وإذا كنت أعرف شيئاً مهماً، فهل سيكون آمناً أن أخبره به؟

«على سبيل المثال كبداية، كيف سمحوا لكِ بالالتحاق بهذه المدرسة متأخرة جداً؟»، قال آش ونظر إليّ منتظراً إجابتي.

لم أنطق بشيء، وأنا آمل أن يفهم صمتي كترددٍ وليس جهلاً.

ابتسم ثم قال: «اسمعي، لقد اختاروك لتكوني شريكة أختي في السكن، وهذه ليست مصادفة، إذ **لا مكان** للصدفة في هذه المدرسة. الاحتمال الأكبر هو وجود قواسم مشتركة كثيرة بيننا».

لا عجب أن الجميع هنا نصحني بالتزام الصمت. خطر لي فجأة أنه ربما تكون آينس الأكثر ذكاءً في هذه المدرسة.

بعد لحظاتٍ من الصمت، عاود آش الكلام ثانيةً، لكن بنبرة أكثر حماسةً هذه المرة. «لا بد أنكِ تتساءلين عن مكان هذه الأكاديمية، ألستُ محقاً؟». عدّل جلسته من جديد ليصبح مواجهاً لي تماماً. «يخطر هذا السؤال ببال كل من يأتي إلى هنا. لا يهمّ أبداً مقدار التدريب الذي نتلقاه بشأن عدم التحدّث في هذا الأمر، فالفضول أمرٌ فطري لدى البشر، **ولا سيما** بالنسبة إلى استراتيجيا. إن مجلس العائلات يدرك ذلك جيداً. وبعد بضع محاولاتٍ فاشلة للإبقاء على سرية المدرسة في مبانٍ سابقة، وقع اختيارهم على هذا المكان. إضافةً إلى ذلك، قاموا بابتكار نظام تمويه شديد التعقيد ساعد في الإبقاء على موقع الأكاديمية مجهولاً لأكثر من ألف عام. هل يمكنكِ تخيّل ذلك؟». هزَّ آش رأسه ثم تابع، «الآن، الاحتمال الأكبر الذي يفكر به الجميع هو إنجلترا، وقد توصّلوا إلى هذا

الاستنتاج عبر نوعية الفصول ودورة حياة الأشجار، لكن إذا دقّقتِ في الأمر أكثر فستجدين أن هذه الفصول ودورة حياة الأشجار يمكن أن تنطبق على أماكن كثيرة، وهذا الأمر ليس عبثاً. لكن أغلب الظن أنهم اختاروا هذا المكان الذي يدل على أننا في إنجلترا لأننا **أبعد** ما نكون عنها. يتحدث الجميع هنا الإنجليزية الآن، لكن الأمر لم يكن كذلك فيما مضى. وستلاحظين أن الطلاب هنا يتوقّفون عن توجيه أسئلة كهذه بعد عامهم الأول، لأنه لا جدوى في ذلك. وإذا فشلت أعظم العقول على مدى الألف سنة الماضية في اكتشاف مكاننا، فلن يكون بمقدوركِ ذلك، إضافةً إلى أنه لا فائدة من معرفة مكان الأكاديمية، فأنتِ فقط ستعرضين نفسك والجميع هنا للخطر».

صمت للحظة ليتأكد مما إذا كنتُ أصغي إليه حقاً، وهذا ما كنتُ أفعله تماماً.

«العقول التحليلية والطموح الذي يملؤنا، والتي تدفعنا لاستكشاف موقع المكان الذي نقيم فيه، هي نفسها ما يجعلنا ننظر إلى التاريخ **على نحوٍ مختلف**. ففي صف التاريخ، نحن لا ندرس مجرّد أحداث وتواريخ، بل ندرس الانتصارات الكبرى لعائلاتنا وإخفاقاتها الأكثر كارثية. فالأمر لا يشبه ما تعلمناه عن نشأة عائلاتنا حين كنا صغاراً. فالدروس تُعَدّ لتركّز على استراتيجيات وأساليب مناورات معيّنة، وبقدر ما تتعمقين في دراستك، تلاحظين كيف أن الأحداث تسير بشكلٍ نمطي. لن تنتبهي لهذا النمط في البداية، لكن في نقطة ما وفجأة. . . » - طقطق آش أصابعه بحركة سريعة - «يتضح كل شيء، وتبدئين بفهم الطبيعة الدورية للأحداث التاريخية - السبب والنتيجة - بطريقة لم تخطر لكِ من قبل، لأنكِ لم تكوني مدركة من قبل أن أحد أفراد عائلتك لم يكن مسؤولاً عن هذه الأحداث التاريخية فحسب، بل ناور استراتيجياً ووجّهها أيضاً».

كانت حركات يديّ آش مُعبّرة أثناء حديثه، ولم أره بهذا الحماس من قبل. «خذي البابا غريغوري التاسع على سبيل المثال. بعد أن أعلن أن القطط مرتبطة بعبادةٍ شيطانية، حثّ الناس على قتلها في جميع أنحاء أوروبا، أليس كذلك؟».

أومأتُ برأسي موافقةً، إذ تذكّرت هذه القصة من درس تاريخ العالم.

«لكن ولأن هذا الأمر تسبّب في القضاء على المُفترس الطبيعي للجرذان، وجدت القارةُ الأوروبية نفسها خلال القرون الوسطى وسط معاناةٍ بسبب ازديادٍ كبيرٍ في أعداد الجرذان، الأمر الذي تسبّب في انتشار الطاعون الدبلي أو ما يُعرف بالموت الأسود الذي حصد حياة **عشرين مليون إنسان**». هزَّ آش رأسه بأسى، وأردف: «وبالنظر إلى الوراء، نرى **اليوم** بوضوح كم كان هذا القرار خاطئاً، لكن المُميّز في دراسة التاريخ هنا، أنكِ تدركين أن عائلاتنا رأته خاطئاً **وقتها** وقامت بمحاولاتٍ كثيرة لإيقافه. فعندما تفكرين في الأمر جيداً، ستكتشفين أن مسار التاريخ ليس خطياً، بل عبارة عن شبكة من الأحداث المترابطة، كل حدث يقود إلى الآخر، وعندها ستتعلمين التنبؤ بالأحداث القادمة بدلاً من الاكتفاء بردّ الفعل. هذا جوهر كل ما نقوم به في هذه المدرسة. فإذا استطعتِ التنبؤ بما سيفعله شخصٌ ما، ليس في لحظة معينة فقط، بل على مدى خمس خطوات إلى الأمام، عندئذٍ ستتصرفين بفعالية ومهارة».

كان حماسه مؤثراً، فوجدت نفسي أومئ له برأسي. كيف يمكن لتوأمين أن يكونا مختلفين إلى هذا الحد؟ آش كثير الكلام، أما ليلى فهي عكس ذلك تماماً. كما أنها شخص يلتزم بالقوانين حرفياً، فيما يبدو آش مستعداً لخرقها متى سنحت له الفرصة.

«بالنسبة إلى الجزء الذي يخصني من الاتفاق، سوف أخبركِ عن

الأمور الأساسية، بحيث يسهل عليك تفادي المواقف المحرجة من الآن فصاعداً»، قال وهو يبتسم.

«سأفكر بالأمر»، أجبته، رغم أن هذا قد يكون أفضل عرضٍ أتلقاه. إلّا أنني لا أعلم ماذا يمكن أن أقدم له بالمقابل، أو كيف يمكن لكل ما سمعته اليوم أن يتوافق مع ما أعرفه عن عائلتي، والتي من الواضح أنني لا أعرفها حق المعرفة كما كنت أعتقد.

«حسناً، اسمعي، كان ممكناً أن تكون الأمور أسوأ، كأن تتشاركي السكن مع فتاةٍ أخرى، وعندئذٍ لما سنحت لك الفرصة لتتحدثي معي»، قال آش وابتسامته تملأ وجهه.

ومرة أخرى، وجدت نفسي لا أملك إلا أن أبتسم له أيضاً.

«هكذا إذاً؟».

انحنى نحوي وقال: «مَن سواي يمكن أن يخبركِ بأسرار في هذه المدرسة؟».

«ومَن سواك يمكن أن يشجعني على مخالفة القوانين؟»، قلت له بأسلوبه المازح نفسه.

«بالحديث عن القوانين، حان وقت العودة»، قال آش وهو ينزلق من غصنٍ إلى آخر أدنى منه.

«لا بأس بكَ في التسلق»، قلت له وأنا أهبط للحاق به. «أنا **أفضل** منك، لكن لا بأس بك أيضاً».

هزَّ رأسه موافقاً. «هذا ما عليكِ فعله تماماً، هذه الثقة بالنفس ستمكنكِ من الصمود هنا»، قال ثم أمسك بالغصن أمامه وتأرجح إلى غصنٍ أدنى.

قمت بالحركة نفسها لكن بيد واحدة، فضحك، وضحكت أيضاً.

«هل نتسابق في الهبوط؟»، سألني، وقبل أن ينهي جملته، كنتُ قد بدأتُ بالنزول.

نزلنا عن الشجرة بلمحِ البصر ووصلتُ إلى الأرض قبله بثانية، فاكتفيتُ بنظرة الانتصار بما أن الكلام الآن غير وارد بعد أن أصبحنا على مقربة من الأرض.

أمسك بغصن شجرة الكرمة التي كنتُ أتعلقُ بها وسحبها نحوه، مددتُ يدي أمامي كيلا أصطدم به فاستقرتْ راحة يدي على صدره، كانت عضلات صدره بارزةً وشعرتُ بدقات قلبه المتسارعة تحت قميصه الرقيق.

اقترب ليهمس في أذني، فسرت قشعريرة في عنقي بفعل أنفاسه الدافئة على جسدي البارد. «الحراس على وشك تبادل المناوبات من جديد، وفي اللحظة التي تسبق التبادل سنقف على جانبَي المدخل ونختبئ خلف الستائر. وحين يفتح الحارس الستارة ليخرج، سنتسلل خلفه بمحاذاة الجدار نحو باب الاستراحة. إذا لم يصدر عنكِ أي صوت أو تقومي بتحريك الستائر، فلن ينكشف أمرنا».

تلاشتْ كل الأفكار التي تدور في رأسي حول قربه مني، وأنفاسه الدافئة، وعضلات صدره تحت راحة يدي، فأبعدتُ يدي عنه وهمستُ معترضةً: «هذه خطة سيئة، لماذا لا ننتظر الحارس حتى يغادر الفناء ثم نتسلل خلف الستائر؟».

«إذا انتظرنا مغادرة الحارس، فلن يبقى لدينا وقت كافٍ قبل أن يأخذ الحارس الآخر مكانه عند الباب».

«ألم تقل إنهم يخفّضون عدد الحراس عند منتصف الليل؟».

«هم لا يخفّضون عدد الحراس البتة»، همس آش، «يحدث ذلك فقط عند تبادل الأماكن فيما بينهم، فتصبح بعض النقاط فارغة لأنهم يتحركون بينها، وليس لأنهم أخلوها».

تراجعتُ للخلف ونظرتُ إليه بلومٍ ليفهم أنني أعتبره وغداً لأنه ضلَّلني. غمز لي وتابع نزوله إلى أسفل العريشة بصمتٍ وعندما أصبح قريباً من الأرض قفز على العشب، فحذوتُ حذوه، ثم مشيت خلفه على مضض نحو الستارة الثقيلة التي تغطي باب الفناء.

وقف كلٌّ منّا على جانب. فعلتُ مثله تماماً واختبأت خلف الستارة، حيث أصبح جسدي ملتصقاً بالجدار الحجري خلفي، محاولةً البقاء بعيدة عن الممر المقبب قدر استطاعتي.

مرت دقيقة ونحن على هذه الحال، كنتُ أتنفس ببطء كي لا أصدر صوتاً، لكن معدتي كانت تتخبط. وفجأة سمعنا صوت مزلاج يتحرك فتأهبتُ بكل حواسي في الحال. سمعت بعدها الباب يغلق وتحركت الستارة معه، فتسللت إلى الممر المقبب وأنا أحبس أنفاسي في الظلام، حريصة ألا أرمش بعيني حتى، خوفاً من أن يسمعني الحارس ويضربني بالسيف. صحيح أنني لم أرَ الحراس يحملون سيوفاً من قبل، لكن الاحتمال وارد.

مرّت الثواني ببطءٍ قبل أن يفتح آش الباب. تعثّرت قليلاً وأنا ألقي بنفسي إلى الداخل، وفي اللحظة التي أُغلق فيها الباب بدأت بالركض باتجاه السلالم لكن آش أمسك بي، أزاح بيديه خصلات شعري للخلف وأحاط فمه بيده وهو يقربه من أذني.

«سيمسكون بكِ بهذه الطريقة. عليكِ أن تسلكي الممر في الجهة اليمنى حتى النهاية، ثم اصعدي ذلك الدرج وامشي بمحاذاة الجدار الأيسر». رفع القبعة فوق رأسي ثم تركني.

انطلقتُ مباشرةً ووقعُ قدمَي على الأرض لا يكاد يُسمع. الممر الذي أخبرني آش أن أسلكه مظلل بالكامل مما يعيق الرؤية الواضحة، كما اضطررت لإبطاء سرعتي لأنني لا أريد إصدار أي صوت أثناء سيري. لطالما قال أبي إنه إذا كنتَ تتحرك بسرعة وتُحدث ضوضاءً

فلن تستطيع تحرّي ما يدور حولك. مشيتُ بهدوء ويداي ملتصقتان بالجدار الأيسر تماماً مثلما قال آش، ورغم برودة الجدار الشديدة إلا أن يديّ كانتا تتصببان عرقاً بسبب ارتفاع الأدرينالين.

في منتصف الممر الطويل، لاحظتُ تغيراً في الظلال أمامي، التي بدت داكنة ومختلفة. توقفتُ لأنظر خلفي. لا أحد هناك والمكان هادئ. دقّقتُ النظر في الظلال أمامي لفهم شكلها الداكن. لم ألاحظ أي حركة أو أي شيء يشير إلى أنها تتحرك، لكن بالمقابل لا يُفترض أن يكون هناك أي شيء على أرضية هذا الممر، فقد مررتُ به برفقة ليلى سابقاً وكان فارغاً تماماً - لا أثاث، ولا سجاد، ولا لوحات قماشية على الجدران. تابعتُ طريقي بخطواتٍ صامتة.

حبستُ أنفاسي عند الاقتراب من نهاية الممر. أردت التحقق من الظلّ الطويل فوكزته بقدمي، وشعرتُ بوجود شيءٍ ما لكن لم يصدر عنه أيّ صوت. انحنيتُ في الظلام لأتحقق من الأمر وعندها اكتشفت ما الذي أنظر إليه. إنهما **قدمان**. لقد لمس حذائي قدم شخصٍ أخر. **يا إلهي، لا**. فركتُ عينيّ جيداً لأتأكد. **أنا لا أصدق ما أرى**.

دقّقت النظر في تفاصيل الجسم بينما كان نبضي يتسارع والشرايين في رأسي تكادُ تنفجر. إنه رجل، هذا ما يبدو من ثيابه، رجل مستلقٍ على ظهره، وهناك شيءٌ ما... **يا إلهي**، أظن أنها... **إنها سكين، سكينٌ مغروزة في صدره**. بمواصلة تفحّصي له، لاحظتُ أن ثيابه داكنة من الأمام رغم أنه يرتدي القميص الأبيض الذي يرتديه الطلبة... «إنه دمٌ»، قلت لنفسي وأنا ألهث، وقد جفّت حنجرتي من الخوف.

جثوتُ بجواره، وساقاي ترتجفان خوفاً. تجاهلت الخوف ومددت يدي لأتحسس عنقه، فارتجفت أصابعي عندما وجدته بارداً

بلا نبض، كما انسدل شعره الطويل على وجهه. **شعرٌ طويل... يا إلهي. إنه صديق ماتيو الذي كان بصحبته في قاعة الطعام.** نظرتُ من حولي لفهم ما حدث، بحثاً عن أي مساعدة، لكن لا شيء ولا أحد، كان السكون يعمّ المكان. ميت، إنه ميت. كنتُ أحاول استيعاب الموقف وشعرتُ بغشاوةٍ على عينيّ، وظننتُ للحظة أنني سأفقد الوعي.

أردتُ الصراخ طلباً للمساعدة لكنني كتمتُ الصرخة قبل أن تخرج من فمي. لا يوجد أحد لأناديه. إذا هرعتُ لإخبار الحراس، فمن المؤكد أنهم سيظنون أنني مَن قتله، ناهيك عن عقوبة العين بالعين المُتبعة هنا. نظرتُ مرة أخرى من حولي بيأس وكأنني سأعثر على أي إجاباتٍ في هذا الظلام.

هززتُ رأسي في محاولةٍ لاستعادة رباطة جأشي. يجب أن أغادر هذا المكان حالاً. لن أنجو من الاتهام بالقتل إذا ما رآني أحدهم بالقرب من الجثة، وسيكون الأمر أسوأ إذا قبض عليَّ القاتل الحقيقي، إذ من المحتمل أن مَن فعل هذا لا يزال قريباً من المكان.

في اللحظة نفسها، انتابني ذلك الإحساس المخيف بأن خطراً ما يحدق بي، ذلك الإحساس الذي كان يدفعني للركض هرباً من قبو منزلنا عندما كنتُ طفلة صغيرة. نهضتُ لمغادرة المكان وأنا أشعر بالأسى لأنني سأتركه غارقاً بدمه في الظلام، لكن شعرتُ في الوقت نفسه بالرعب من البقاء هناك. **مَن الذي يمكنني أن...**

ليلى... ليلى هي مَن سينقذني من هذه الورطة.

ركضتُ بمحاذاة الجدار للابتعاد عن المكان. دفعني الخوف للإسراع بالخروج، غير عابئة باتخاذ الحيطة والحذر. وصلتُ إلى السلالم حيث انصبّ تركيزي على تذكّر كلّ تفاصيل المكان من حولي؛ الدرجة الثالثة المهترئة، الحجر غريب الشكل بالقرب من

السقف، الصمت الذي يسود المكان. صعدت السلالم بحذر وأنا أنصت بانتباهٍ شديد وأتفحص كل ظلٍّ من حولي.

ألقيتُ نظرةً خاطفة على الناصية عند مدخل الطابق الثالث، كان الممر خالياً. ما زلتُ بعيدةً عن غرفتي مع الأسف، وعليّ الإسراع لقطع المسافة المتبقية. يجب أن **أركض**. أغمضت عينيّ للحظة وأخذتُ نفساً عميقاً ثم خرجتُ من بئر السلم. وصلتُ أمام باب غرفتي وفتحته بحذر، تسللتُ إلى الداخل وقلبي يخفق بشدة، وفي اللحظة التي أوشكت فيها على إغلاق الباب، رأيتُ الحارس ذا الندبة على شكل X يصعد الدرج الآخر، فالتقتْ أعيننا بينما أنا أغلق الباب. **اللعنة!!!**

استندتُ إلى الجدار خلفي وأنا ألهث وكدت لا أستطيع التقاط أنفاسي. نظرتُ طويلاً نحو باب غرفة ليلى. كنت على وشك مناداتها لكنني لم أفعل، لا أدري كيف سأشرح لها ما حدث. كنت ألوم نفسي لأنني لم أخبرها عن موعدي مع آش منذ البداية. والآن، ومع وجود جثة في الخارج، ماذا لو أنكر آش أننا كنا معاً؟ سوف تصدّق كلامه بالتأكيد. لكن لحظة. آش هو من أرسلني عبر ذلك الممر، وهو الذي قال لي أن أسير إلى جهة اليسار.

هل يمكن أن يكون آش قد تعمَّد إرسالي من ذلك الطريق الطويل كي يورطني في هذه الجريمة؟ كان الحارس سيمسك بي لو لم أركض في آخر لحظة، وآش يعرف مواعيدهم بدقّة.

جلستُ على الأرضية ووضعتُ رأسي بين يديّ. كنت في ورطة كبيرة.

رفعتُ رأسي عن ركبتيّ بسرعة عند سماعي صرير الخشب. خرجت ليلى من غرفتها في تلك اللحظة، ولم تبدُ ثقيلة ومترنحة كأنها استيقظت توّاً، بل كانت بكامل تركيزها.

انتبهتْ في الحال لجثومي قرب الباب ورأتْ التوتر الواضح على وجهي. «لقد تسللتِ للخارج». كانت نبرة صوتها تحمل اتهاماً.

«أجل»، أجبتها بصوتٍ مرتجف.

وقفت تنظر إليّ، وأقسم أنني كدت أسمع ما يدور في رأسها: **تسللت للخارج رغم تحذيري لك بألا تفعلي.**

«لقد قابلتُ آش في فناء أشجار الكرمة».

نظرتْ إليّ بدهشة وزمّت شفتيها بغضب ثم قالت: «لقد اكتشفوا أمركِ».

أخفيتُ وجهي خلف راحتَي يديّ وضغطتُ على صدغيّ. «لا. حسناً، لقد كُشف أمري إلى حدٍّ ما، لكن ليس برفقة آش». نهضت بسرعة إلى درجة أنني شعرتُ بالدوار. نظرتُ إلى ليلى مليّاً محاولة استعادة تركيزي. «لقد ذهبنا إلى تلك الأغصان التي تشكّل ما يشبه المقعد المعلّق في السماء، وتحدّثنا عن المدرسة، لم يكن حديثاً

مهماً حقاً. وعند عودتنا طلب مني أن أسلك الطريق الطويل لتجنّب الحراس، و...». اختنق صوتي ولم أستطع أن أكمل.

رمقتْ ليلى الباب بنظرة خاطفة ثم نظرت إليّ وقالت بقلقٍ واضح: «نوفمبر».

«ارتطمت قدمِي بشيءٍ في الظلام، بجثة، ارتطمت قدمي **بجثة**». غطيتُ فمي بيدي. «أظن أنها جثة صديق ماتيو، الفتى ذو الشعر الطويل». كانت الكلمات تتغرغر في حنجرتي.

للحظة، تجمدت ليلى في مكانها تماماً.

تحركتُ نحوها وأنا أتلعثم بكلماتي. «ليلى، لقد كان ميتاً، كان **بارداً**. لم أعرف ماذا عليّ أن أفعل. لم أكن أريد أن أتركه مرمياً هناك، لكنني أُصبت بالذعر فهرعتُ عائدةً إلى غرفتنا. أظن أن أحد الحراس رآني وأنا أُغلق الباب».

«كيف مات؟»، سألتني بصوتٍ خافت.

«هناك سكينٌ مغروزة في صدره، ودماء، كانت الدماء تملأ ـــــ».

«يكفي». أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً.

وأخذتُ نفساً عميقاً أنا أيضاً.

«أنتِ تعرفين القوانين هنا»، قالت لي بصوتٍ ثابتٍ.

أومأت برأسي وأنا أضغط يديَّ ببعضهما إلى درجة الألم.

«إذا كان الحارس قد رآكِ، فسوف يستجوبونكِ بالتأكيد. وعندها لا بد أن يستجوبونني أيضاً. علينا أن نذهب إلى غرفتينا. **في الحال**».

«يا إلهي! لقد تركته مرمياً على الأرض هناك، يا ليلى»، قلت وأنا أنظر باتجاه الباب المؤدي إلى الممر.

«إذهبي إلى النوم، يا نوفمبر»، قالت لي بنبرةٍ قاسية. «إذا

جاؤوا إلى هنا ووجدونا نتحدث عن جثة، كوني متأكدة أنهم سيلقون بنا في السجن».

«**السجن**؟». ارتفع صوتي بحدةٍ لكنني تداركتُ الأمر وخفضته في الحال. «ألا ينبغي لنا على الأقل أن...»

«لا يمكننا فعل شيء الآن، فأي شيء سنفعله سيزيد الموقف تعقيداً». تكلمتْ بعصبيةٍ شديدة إلى درجة أن الشرر كان يتطاير من عينيها وانكمشت أصابعها الرهيفة في قبضتين عنيفتين. «لقد غادرتِ الغرفة، وخاطرتِ بمخالفة القوانين، وسحبتني معك في هذه الفوضى».

تراجعتُ خطوةً إلى الخلف، إذ جعلتني كلماتها الغاضبة أصحو من الصدمة. «آش ـــ».

«لا يعنيني آش. لا أريد سماع هذا الاسم الآن، ولستُ بحاجة إلى سماع كلماتك البائسة كذلك. أنتِ لم تعرفي ستيفانو حتى!»، قالت ثم استدارت مبتعدة إلى غرفتها قبل أن أنطق بكلمة.

وقفت هناك أنظر إليها، وقد عاد قلبي ليخفق بقوة حتى بات بإمكاني سماعه، وتعرّقتْ راحتا يديَّ. تذكرت صدر ستيفانو المُضرّج بالدماء، وشعره الملتصق بوجهه، ولونه الشاحب، فشعرت بمعدتي تنقبض وهرعتُ باتجاه الحمّام.

10

فتحتُ عينيَّ عند سماع صرير باب غرفتي، ونهضتُ بسرعةٍ إلى درجة أن بيبا اندهشت حين رأتني. كان شعرها مدسوساً تحت قبعتها، وتحمل بيدها ملابس مكوية مُعلقة على شمّاعات.

«صباح الخير»، قالت بصوتٍ مرحٍ.

«مرحباً»، قلتُ لها، وقد جعلت حشرجةُ صوتي بسبب البكاء تلك الكلمة تبدو غريبة. كان جسدي متعرقاً رغم برودة الطقس، ولم أستطع النوم أكثر من بضع دقائق متواصلة طوال الليل.

دخلت ليلى غرفتي فجأةً وضحكتْ عندما رأتني على هذه الحال. «هل عانيتِ من الأرق مجدداً؟ تبدين بحالةٍ مريعة، لكن لا تقلقي! سوف تعتادين على هذا السرير قريباً».

لم أصدق ما سمعته. من هذا الكائن اللطيف الذي راح يسكن جسد ليلى؟

«يمكنك وضع الملابس أينما تريدين، يا بيبا»، قالت ليلى في إشارةٍ لبيبا بأن تضع الملابس وتغادر بعدها.

وضعت بيبا الثياب النظيفة على صندوق الملابس قرب السرير، ثم نظرت إليَّ باستغراب وكأني لغز ينبغي حله، وبالكاد انتبهتْ إلى

وجود ليلى. «الإفطار جاهز في غرفة الجلوس. تناهى إلى سمعي أنهم ينظفون قاعة الطعام، لكن إذا أردتما رأيي ــ».

«هذا رائع، شكراً لكِ»، قاطعتها ليلى قبل أن تكمل كلامها.

بدت الخيبة واضحة على وجه بيبا حين لم تبادر ليلى بطرح الأسئلة. في الأحوال العادية، كنت سأشكرها بحرارة وأعبّر لها عن مدى امتناني لكل ما تقوم به، لكنني لست في مزاجٍ متحمس هذا الصباح، وكل ما يتبادر إلى ذهني الآن هو عنق ستيفانو البارد تحت أصابعي والدم الذي يغطي صدره. انحنت لنا بيبا على عجل ثم غادرت الغرفة.

سقط القناع اللطيف عن وجه ليلى في اللحظة التي أغلقت فيها بيبا الباب خلفها. «يجدر بكِ التجول في الأرجاء وأنتِ تضعين لافتة على ظهركِ تقرين فيها بذنبكِ إذا كنتِ ستواصلين التصرف بهذه الطريقة العاطفية. هل تظنين أنهم لن يستجوبوا الخادمات عن أي تغيّر في تصرفاتنا؟». قالت ذلك وقد بدا الاشمئزاز واضحاً في عينيها، ثم تركتني وخرجت.

ألقيتُ أغطية السرير بعيداً عني ونهضت بسرعة لأتبعها إلى غرفة المعيشة حيث توجد طاولة بجوار النافذة، مُغطاةٌ بمفرشٍ قماشي فوقه بعض المناديل وأطباق من الخزف الرهيف. «لم أتوقع أن ــ».

«لا أكترث بما كنتِ تتوقعينه»، قالت ليلى ثم جلستْ ووضعت منديلاً على حجرها. «نحن في الأساس مُستهدفتان».

جلستُ بدوري وأنا أحاول الموازنة بين الواقع المرعب المتمثل باكتشافي لجريمة قتل الليلة الماضية وما تتوقعه ليلى مني، فهي تريدني أن أتصرف وكأن شيئاً لم يحدث. «إذا كان يُفترَض أن نتصرف بشكلٍ طبيعي، فلماذا قلتِ أمام بيبا أن شكلي يبدو مُريعاً؟».

رفعت ليلى نظرها عن صحن البيض المقلي ونظرت إليّ عابسةً.

«لأن الحديث في أمرٍ ما يجعله يبدو طبيعياً. حاولتُ أن أجعلها ترى تصرفاتك كنتيجة طبيعية لليلةٍ من النوم السيّئ على فراشٍ مزعج، وحين ابتسمتُ أردتُ إعطاءها انطباعاً بأنني أتقبل وجودكِ معي. تعرف بيبا جيداً أن لديّ رؤية صائبة للأمور وأنني لن أتقبل وجودكِ هنا ما لم تكوني أهلاً للثقة». صمتتْ قليلاً وأمعنت فيّ النظر. «هل أنتِ جادة، ما خطبكِ؟ هذا ما نتعلمه هنا في السنة الأولى من دروس فنون الخداع». تلاشى الغضب والانزعاج اللذان بدَوَا عليها الليلة الماضية، وحلَّ مكانهما سلوكها البارد المعتاد.

غرزت الشوكة في قطع البطاطا بصحني لعلَّ شهيتي للطعام تتحسن. لا أدري كيف سأستوعب كل الأمور التي حدثت في الأيام القليلة الماضية، وكونها تشعرني بالرعب هو أقل ما يمكن أن يقال عنها.

لقد أمضيتُ الليلة وأنا أسترجع اللحظة التي طلب مني آش فيها العودة إلى غرفتي عبر ذلك الممر. ولا يمكنني تجاهل حقيقة تلقي ستيفانو تلك الطعنة في صدره في نفس اليوم الذي تحدث فيه آش وآريا عن سكينٍ مفقودة وقت الغداء، حتى أن الأمر وصل بها إلى اتهامه بسرقة السكين. لكني في الوقت نفسه، لا أستبعد أن تكون آريا قد لفقت تلك الكذبة من أجل هذه الجريمة.

«إنهم يقومون بتنظيف قاعة الطعام ــــ»، قلتُ لها.

«هم لا يريدون أن يحظى الطلبة بفرصةٍ لتبادل الأحاديث فيما بينهم. أغلب الظن أنهم يحاولون مراقبة تصرفات الجميع، ومَن يسعى وراء مَن»، قالت ليلى ثم التهمت قطعة كبيرة من البطاطا المحمّرة.

شعرتُ بتشنجٍ في معدتي. «ألهذا السبب لم يطلب أحد استجوابنا بعد أن رآني الحارس الليلة الماضية؟».

«لا أدري»، أجابت ليلى بتوترٍ واضح، «إنهم يخططون لأمرٍ ما، لكنني لست متأكدة ما هو بعد».

وضعتُ الشوكة من يدي. ليتني أستطيع محوَ ما حدث بالأمس من ذاكرتي. «حسناً، ماذا عليَّ أن أفعل إذا استجوبوني؟ تعرفين أنني لم أتلقَ دروساً في فنون الخداع مثلما فعلتِ في السنوات الماضية، أنا لا أملك خبرتكِ في هذه الأمور».

نظرت ليلى في عينَي لبضع لحظاتٍ ثم قالت: «تماماً».

«ماذا تقصدين؟».

«استمري في نهج "لا أعرف ما الذي يحدث هنا". أنتِ تُجيدين استخدامه. على الأقل، لن يكون تصرفاً غريباً عنك». ولم تقل أيّ شيءٍ آخر.

إذا لم أستطع الكذب على ليلى وآش، فلن أستطيع الكذب على بلاكوود، أو أيّاً يكن من سيتولى التحقيق في الأمر. سيكشفون أمري على الفور، لكنني لا أستطيع أيضاً إخبارهم بأنني عثرت على تلك الجثة. «هل أقول شيئاً عمّا رأيته؟».

«إن كانت هذه مزحة، فهي ليست مُضحكة»، قالت بصوتٍ بدت عليه علامات الغضب من جديد.

أنا أجهل تماماً كيف سأتجاوز هذا اليوم، أو كيف سأتجاوز التحقيق المُحتمل من دون أن أبدو مُذنبة. تتملّكني رغبة عارمة في البكاء كلما تذكرتُ منظر ستيفانو مستلقياً هناك في الظلام. أبعدتُ صحن الطعام من أمامي.

نظرت ليلى إليَّ. «أقترح أن تتناولي طعامكِ، فسوف تحتاجين إلى الطاقة استعداداً لما ينتظرنا».

* * *

مشيتُ خلف ليلى فيما مرّ صفان من الطلاب يرتدون عباءاتهم السوداء عبر المدخل نحو فناء الكرمة حيث يجري درس الرماية. بدا لي المشهد وكأننا نسير في جنازة.

«بروفيسورة ميسير»، همستْ ليلى في أذني وكأنها تحذرني.

ميسير كلمة ألمانية تعني السكين، فأعاد الاسم إلى ذهني صورة ستيفانو وهو غارقٌ في دمائه. أغمضتُ عينيّ للحظة وعندما فتحتهما ثانيةً وجدت الأستاذة تنظر إليَّ مباشرةً.

البروفيسورة ميسير امرأة قصيرة ذات بنية قوية تغطي يديها ندوبٌ صغيرة كثيرة.

«قيل لي إنكِ ماهرةٌ في استخدام السكاكين وإنكِ ستتمكنين من مواكبة المجموعة»، قالت ميسير وهي تمعن النظر إليَّ. كانت تتحدث بلكنةٍ ألمانية. «لا نيّة لديّ في إضاعة الوقت بتغطية أمور قديمة سبق وأتقنها الطلاب».

نظر الجميع إليّ، وبدا واضحاً من نظرات الازدراء التي بدت على وجوههم كم هو مُذلّ ألا يتمكن المرء من مواكبة الجميع هنا.

«سأواكب الصف»، قلتُ بصوتٍ متردّد، فرمقتني ليلى بنظرة استنكار.

ألقيتُ سكيناً صغيرة نحو قدمي وحاولتُ أن أركلها للأعلى بإصبع قدمي للإمساك بها من جديد، لكنني لم أنجح في ذلك فطارت السكين بعيداً دون أن أتمكن من إمساكها.

كان أبي يضحك وهو يراقبني من الشرفة. «ما الذي تفعلينه بحق السماء؟».

حملتُ السكين على قدمي. «لقد تعلمتُ هذه الحركة أثناء تدريبات كرة القدم اليوم، وفكرتُ أنني ربما أستطيع تجربتها بالسكين».

هزَّ أبي رأسه مبتسماً. «لا يمكن لأحد الادعاء أنكِ لا تملكين خيالاً واسعاً».

تمكّنت من ركل السكين إلى الأعلى لكنها طارت أبعد من أن أستطيع التقاطها. «خيالٌ واسع، هراء واسع، يبدو أن هذا سيكون مسلياً»، قلت لنفسي.

علَّقتُ عباءتي بجانب عباءة ليلى على الجدار المغطى بأغصان الكرمة. انحنتْ نحوي هامسةً: «إذا لم يكن لديكِ سببٌ منطقيّ لعدم الإبلاغ عن الجثة التي رأيتِها بالأمس، فستحتاجين لإخفاء مشاعركِ الواضحة على وجهك». كانت نبرتها مُحتدمة حتى وهي تهمس.

أخذتُ نفساً عميقاً ثم التحقنا بالطلاب التسعة الآخرين. كان هذا أول يوم لي ووجب عليَّ القيام بالتدريبات في الصباح التالي لتعثّري بجثة شابٍ ميت، ولكي يزداد الأمر تشويقاً فإن نيكس وبرنادان وتشارلز هنا أيضاً، وكذلك آريا وآينس. الغريب في الأمر أن لا أحد منهم وجّه لي تعليقاً وضيعاً أو نظرة ازدراء كما اعتادوا جميعاً في الأيام القليلة الماضية. هذا التغيّر المفاجئ في تصرفاتهم جعلني أتساءل عما إذا كانوا على علم بأمر ستيفانو. ألقيتُ نظرة سريعة باتجاه الممر المُقبّب؛ كنتُ أتوقَّع في كل لحظة أن يأتي أحد الحراس ليأخذني من بين الجميع مُكبلةً بالأصفاد.

كانت ميسير تحمل لفةً من الجلد تضرب بها راحة يدها الأخرى. «في بلاد فارس، في عام 522 قبل الميلاد تحديداً، استولى أحد الطامعين بالسلطة على العرش، فقام الملك قمبيز الثاني الذي كان الحاكم الشرعي في ذلك الوقت بحشد جيشه والتوجه للإطاحة بهذا الشخص لكنه لم ينجح في تحقيق هدفه. هل تعرفون لماذا؟». صمتتْ قليلاً ثم أكملت، «لأنه طعن نفسه بسكينه بطريق الخطأ ومات متأثراً بجرحه».

تعالت بعض ضحكات الاستهزاء من الطلاب.

ابتسمت ميسير. «قد تبدو لكم هذه القصة سخيفة، لكنها توضّح بشكلٍ دقيق الخطر الكامن في التعامل مع السكاكين. قد تكون السكين أفضل رفيق لك - فهي سهلة الإخفاء ويمكن المناورة بها بسهولة، لكن خطأً واحداً فقط كفيلٌ بإنهاء حياتك. إنها سلاح يحتاج مَن يستخدمه إلى ثقةٍ عاليةٍ بالنفس وتحديد الوقت الصحيح لتوجيه الضربة، فلا مجال للخطأ إطلاقاً. هل تعرفون معنى هذا الكلام؟».

طقطق برندان أصابعه وتقدم خطوة إلى الأمام رغم عدم وجود ضرورة لذلك. لم أره إلا بضع مراتٍ لكن يمكنني القول إنه شخصٌ يحب الاستعراض. خاطب ميسير قائلاً: «إذا قمتِ برمي السكين في التوقيت المناسب، فيمكنكِ توجيه ضربة مميتة أو شلّ قدرات خصمكِ دونما حاجة إلى الدخول في مبارزة. لكن إن أخطأتِ التوقيت، أو أخطأتِ الهدف ولو بجزءٍ بسيط، فسينتهي بكِ الأمر بخسارة سلاحك».

«هذا صحيح»، قالت ميسير، «رغم أنكم تتعلمون دقة التسديد في بيئةٍ تدريبية مريحة، إلا أن هذا لا يؤهلكم بالضرورة لخوض قتال حقيقي. يجب عليكم تعلّم أن تكونوا شديدي التركيز بحيث تصيبون الهدف بغضّ النظر عن الظروف المحيطة بكم». التفتت ميسير إلى برندان وقالت له: «تقدّم إلى الأمام وسدّد الرمية الأولى».

اقترب برندان من ميسير ثم أرجع كتفه إلى الخلف. كان أمامنا في الميدان ثلاثة أهداف متتالية تشبه أهداف رمي السهام، وفي وسط كلٍّ منها إشارة X صغيرة بدلاً من مركز الهدف الدائري. كان الهدف الأول على مسافة سهلة، لكن التحدي الحقيقي يتمثل في الهدف الأخير الذي بدا أنه يبعد أكثر من عشرةِ أمتار.

«تقدّم يا تشارلز أنتَ أيضاً»، قالت ميسير، وكان من الواضح أنها تلجأ إليهما دائماً عندما تريد أن توضح فكرةٍ ما. ابتسم تشارلز بغرور، ويمكنني الجزم بأنه يحب الاستعراض مثل برندان، حتى إنه نظر خلفه إلى الطلاب ليتأكد من أنه لفتَ انتباه الجميع. شمّر تشارلز عن ساعديه كاشفاً عن وشمٍ على شكل نبات اللبلاب، بدا أنه يتحرك مع كل حركة من ذراعه.

ناولت ميسير كل واحدٍ منهما ثلاثة سكاكين.

رمى برندان سكينه الأولى بلا تردّد، وأصاب قلب الهدف الأول بدقة. ابتسم مفتخراً ومدَّ ذراعيه أعلى، ثم خفضهما ورمى السكين الثانية بسرعة كبيرة إلى درجة أنه كان بإمكاني سماعها تشق الهواء باتجاه الهدف، فأصاب هدفه الثاني بدقة عالية كما في المرة الأولى.

ولإضافة بعض الحركات الاستعراضية، قام بلعق إصبعه ووضعها أمامه لمعرفة اتجاه الرياح، ثم رمى السكين الأخيرة نحو الهدف الأبعد، لكن سكينه أخطأت الهدف ببضعة سنتمترات هذه المرة. إنه ماهر، لكن مع تحيّز ميسير له، توقّعتُ أن يكون أفضل من ذلك.

تقدم تشارلز بعده وأصاب أول هدفين بمهارة مثل برندان. كان أداؤه جيداً، جيداً جداً، بل يكاد يكون مثالياً. أتساءل ما إذا كان سيرمي بالكفاءة نفسها وهو معلّقٌ من قدميه إلى شجرة.

نظر تشارلز من حوله وابتسم لنيكس قبل أن يتأهب لرمي السكين الثالثة، فابتسمت له بعينيها بحيث إنني لو لم أكن أنظر إليها عن كثب لما رأيت تلك الابتسامة. كانت إيميلي دائماً ما تنظر إلى بِنْ بتلك الطريقة عندما تحاول إخفاء ابتسامتها أمام المدرسين، ما جعلني أتساءل ما إذا كانا حبيبين. رمى تشارلز السكين ليشق صوتُ

أزيزها الهواء مثل ذبابة عملاقة، فحطت على بعد بضع سنتيمترات من قلب الهدف الثالث.

نظرتُ إلى ميسير مجدداً وشعرتُ بالدهشة لرؤيتها تحدّق بي.

«أنتِ تفكرين أن بإمكانك رمي السكين أفضل منهما»، قالت وكأنها متأكدة أن هذا ما يدور في رأسي.

نظرت إليها باستغراب شديد، وشعرت بالتوتر المنبعث من ليلى بجواري وهي تراقبني أتصرف بغرابة.

«حسناً؟»، قالت ميسير.

تنحنحتُ قبل أن أتكلم. «تقصدين أفضل من تسديدتهما الثالثة؟ نعم، بكل تأكيد»، قلتُ لها، فاتجهت أنظار الجميع إليّ.

ابتسمت آريا بمكرٍ وقالت: «كم أرغب في رؤية ذلك»، ثم تظاهرت بأنها تسعل للتهرّب من نظرة ميسير الحادة.

نظر تشارلز في عينيَّ قائلاً: «نحن نرحب بالتحدي»، وذكّرني بذلك الشاب الهيبي الذي تعرفتُ عليه لمدةٍ قصيرة العام الماضي قبل أن أدرك أنه لن يحبني أكثر مما يحب شَعره.

وبالمناسبة، توحي الطريقة التي ينظر بها برندان وتشارلز إليّ بأنهما لا يرحبان بالتحدي إطلاقاً.

كانت ميسير تحمل ثلاثة سكاكين، لكن برندان لم يتحرك لإفساح الطريق لي، مما اضطرني للالتفاف حوله بشكلٍ مُربك لأخذ السكاكين منها. ربما اختلط عليّ الأمر ولم أعد أميز بين الحزن والغضب، أو ربما لا أحب المتنمّرين فحسب، لكن تزاحمت فجأة في داخلي كلُّ المشاعر التي مررتُ بها خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة لتقودني إلى الرغبة بهزيمة هذين الولدين.

نظرتُ في عينيّ برندان وقلت: «حسناً، كنت أنوي الترفّق بك مراعاة لمشاعرك، لكنني لن أفعل الآن».

رمقتُ ليلى بنظرةٍ سريعة، وبدت حائرة بين ما إذا كان عليها الخوف مما قلته لبرندان أو الشعور بالارتياح لأنني لستُ ضعيفة وخجولة.

ضحك تشارلز باستهزاء. لم أكترث له والتفتُّ باتجاه الهدف، حملتُ أول سكين وسدّدتها لتحلّق عالياً ثم تصيب قلب الهدف وتُسقط سكين برندان من مكانها.

«أوه... لنجرب مرةً أخرى، قد أكون متشنجة بعض الشيء»، قلتُ له.

ارتكزتُ على أصابع قدميّ وانتفضتُ بكامل جسدي استعداداً للضربة الثانية. سحبتُ ذراعي للخلف ورميتُ السكين الثانية، ونجحتُ هذه المرة في إزاحة سكين تشارلز من قلب الهدف لتحلّ سكيني مكانها. سمعتُ بعض الهمس خلفي لكنني لم أتبين تماماً ما يقولونه.

«لا أدري لماذا فقدتُ براعتي في التسديد اليوم. لا بد أنني ـــ». لم أُكمل جملتي، وكأنني أدركتُ أمراً ما للتوّ. «أنا أعرف السبب». هززتُ رأسي بينما علتْ ابتسامةٌ صفراء وجه برندان وتشارلز. «أنا لستُ عسراء».

سمعتُ بعض الطلاب يضحكون بطريقة مستفزّة، لكنهم سرعان ما توقفوا حينما نظرت ميسير إليهم.

أمسكتُ السكين الأخيرة بيدي اليمنى ورميتها مباشرةً بحركة سريعة وانسيابية باتجاه الهدف الأخير. لم تُصبْ سكيني قلب الهدف فحسب، بل أصابت الهدف نفسه الذي فشل كلاهما في إصابته.

بدا الغضب جليّاً عليهما، فشدَّ برندان قبضته وكأنه يستعد لضرب أحدهم، وكزّ تشارلز على أسنانه بقوةٍ. لكن ضحكت آريا من جهتها، كما بدا شيءٌ من التسلية على وجه ليلى.

لم تُبدِ ميسير أي ردّة فعل. «حسناً، حسناً، لنرَ أداءكِ عندما يكون التحديّ حقيقياً». نظرتْ إلى الطلاب. «آينس، اذهبي وقفي أمام أبعد هدف».

انعقد لساني من الدهشة، وتوقفت آريا عن الضحك في الحال، فيما بدا وكأن تشارلز وبرندان يستمتعان بما يحدث الآن.

كانت ميسير تنتظر بينما توجّهت آينس نحو الهدف. «عليكِ إصابة الهدف فوق رأس آينس مباشرةً،» قالت لي، «وبحسب الطريقة التي تفاخرتِ بها بمهاراتك، لا أظن أن هذا سيكون صعباً عليكِ».

تلاشت كل الشجاعة التي كنت أتباهى بها قبل لحظات وحلّ محلها شعورٌ بالذعر وانقباضٌ في معدتي. نظرتُ إلى آينس التي كانت تقف بهدوء أمام الهدف، لكنني لم أجرؤ على النظر في عينيها. أنا الآن في موقفٍ لا أُحسد عليه، لأنه إذا حدث وأخطأت الهدف لا قدّر الله، فلن يقف الأمر عند شعوري بالرعب فحسب، بل أنا متأكدة أن آريا ستسلخني حيّة في لحظتها.

«تبدين وكأنكِ على وشك الإغماء»، قال تشارلز وهو يحاول التظاهر بالاهتمام.

ضحك برندان بخبث. «ربما كانت تفضّل المنافسة على أهدافٍ جامدة فقط».

نظرتُ إليهما. «هل تريان هذا مُضحكاً؟ إذا أخطأت الهدف ببضعة سنتيمترات مثلما فعلتما، فسأقتلها».

«لكنهما مُحقّان»، قالت ميسير وهي تحمل سكيناً بيدها. «هذا يعني أنه لا يمكنكِ التسديد تحت الضغط. هل ترفضين أداء هذه الرمية؟».

تبّاً، لقد حشرت نفسي في زاوية حرجة هنا. «لا، لن أسدّد هذه الرمية»، أجبتها.

«حسناً، ماذا عنك، يا برندان؟»، قالت ميسير. خفق قلبي بقوة. إنها تطلب من برندان أن يسدّد؟ يا إلهي، إنه أسوأ من تشارلز.

«بالتأكيد»، أجابها برندان، ونظر إليَّ وهو يبتسم واثقاً من نفسه.

اختطفتُ السكين من يد ميسير، وتفاجأ الجميع من تصرفي لكنني لم أكترث. رميتُ السكين نحو الهدف بسرعة قبل أن تتمكن ميسير من الاعتراض وأصبتُ هدفي فوق رأس آينس بأكثر من عشرة سنتيمترات. كان الأمر سريعاً حتى أنها لم تجفل.

«لقد أخفقتِ»، قالت ميسير، وأدركت من نبرة صوتها أن هذا الصف الذي كنتُ أتطلع إلى الانضمام إليه أصبح كابوساً بالنسبة لي.

1

مرت ساعات الصباح ببطءٍ شديد مُمتزج بالخوف من قدوم الحراس لاعتقالي أثناء الحصص الدراسية. جلستُ بجوار ليلى في قاعة الطعام التي أُفرِغت من الطاولات باستثناء الطاولة الموجودة على المنصة حيث يتناول الأساتذة الطعام. كانت الكراسي الخشبية عاليةُ الظهر مصفوفةً بجوار بعضها بعضاً، وتدلّت من السقف ثريات كبيرة تضيء المكان بالشموع، والسقف المقبب المزخرف والمنحوتات الحجرية على الجدران، كل هذا جعلني أشعر كأننا على وشك لقاء شخصيةٍ مهمة. لكن بحسب علمي، كانت المدرسة كلها مجتمعة، فأظن أن أمراً هاماً بانتظارنا.

على بعد ثلاثة صفوف منا، نظر إليّ برندان وكأنه يعلم شيئاً لا أعلمه، ثم جلس إلى جانب نيكس وتشارلز.

«بالنسبة لما حدث في درس رمي السكاكين. . .»، همستُ في أذن ليلى.

«ليس الآن، يا نوفمبر»، قالت ليلى بنبرةٍ حادة من دون أن تنظر إليَّ.

كانت المديرة بلاكوود تقف على المنصة أمام طاولة المدرسين

وتنظر إلينا كما ينظر الصقر إلى فريسته. تنحنحتْ لتلفت الانتباه رغم أن الجميع كان صامتاً وأن المشهد لا يشبه من قريبٍ أو بعيد الفوضى العارمة التي كانت تحدث في كل مرة نجتمع فيها في قاعة مدرستي القديمة. تشنجت معدتي من هذا الجو المشحون بالترقب والحذر.

«لا بد أن البعض منكم يتساءل عن سبب هذا الاجتماع، وأن البعض الآخر لا يتساءل»، قالت بلاكوود وهي تنظر في أرجاء القاعة. كانت هناك مجموعة من المدرسين يقفون أمام الجدار الحجري قرب اللوحات الكئيبة والنوافذ المقببة ـ لم تكن أعينهم على بلاكوود بل كانوا يحدِّقون بنا. لمحتُ كونر بينهم، كان ينظر بنفس الطريقة الاستقصائية التي لمحتها في عينيه حين أجرى لي التقييم. كنت أرغب بالغوص في مقعدي لكنني متأكدة أن أحد المدرّسين سيلاحظ ذلك ويقوم بتفسيره كإقرارٍ بالذنب.

«لقد قُتِل أحد طلابنا الليلة الماضية»، قالت بلاكوود بهدوء، فساد الهرج بين الجميع من هول المفاجأة. «إنه ستيفانو»، تابعت بلاكوود. تبادل الطلاب فيما بينهم نظراتٍ تحمل علامات استفهام كثيرة، وضج المكان بالحركة وعلا الهمس فجأةً بين جميع الطلاب.

نظرتْ ليلى إليَّ مصدومة وحاولتُ تقليدها قدر استطاعتي كي أبدو في حالة صدمة أيضاً. كانت بارعةً حقاً.

تنحنحتْ بلاكوود من جديد فسادَ القاعةَ صمتٌ مخيف في الحال. «يؤسفني أن نتعرض لهذا الموقف مرة أخرى». بدتْ عليها أمارات الانزعاج أكثر من الحزن. «لقد أصبحتم جميعاً مرتاحين جداً هنا، مطمئنين بأنه لن يلحق بكم أيّ أذى. حسناً دعوني أخبركم أنكم لستم في منأى عن الخطر. إجراءات هذا التحقيق لن تكون عادية، لذلك لا تفترضوا أي شيء مُسبقاً. ربما يعتقد الشخص أو

الأشخاص المتورطون في هذه الجريمة أنهم نجوا بفعلتهم، لكننا سنصل إليهم حتماً، وسيكونون عبرةً للجميع». تجمّد الدم في عروقي عندما تراءى لي للحظة أنها تنظر إليّ.

عندما أتتْ بلاكوود على ذكر حالات الموت بين الطلاب حين كنتُ في مكتبها يوم وصولي، لم يخطر لي قط أنها تقصد **القتل**. شعرتُ باضطرابٍ في معدتي، وحاولت جاهدة أن أبقى هادئة، وألا أمسح وجهي لإخفاء توتري، حاولتُ عدم القيام بأي أمر قد يُظهر مدى شعوري بالاشمئزاز تجاه الأمر برمته.

«لا خصوصية لأحدٍ بعد اليوم، يمكن أن يتم استجوابكم أو وضعكم تحت المراقبة في أي مكان أو زمان نختاره أنا والدكتور كونر. وكونكم لا ترون الحراس لا يعني أنهم لا يراقبون كل تحركاتكم». صمتت بلاكوود للحظة وقامت بتسوية سترتها. «ستُقدم لكم الوجبات في الأجنحة التي تقيمون فيها بدلاً من قاعة الطعام بصورة مؤقتة. هذا كل ما عليكم معرفته، يمكنكم الانصراف الآن».

نظرتُ إلى ليلى. كنتُ آمل أن تشرح لي بإيجاز معنى الخطاب الذي ألقته بلاكوود والبرود الغريب الذي تعاملتْ به مع الأمر، فهي لم تُظهر أي تعاطف تجاه الطلاب الذين فقدوا صديقهم للتوّ، ولم تحاول طمأنتنا بأننا سنكون في أمان. في الحقيقة، لقد فعلت العكس تماماً. لم تكتفِ بالتأكيد على أننا في خطر، بل أكدت أيضاً أن الجميع مشتبه به في هذه الجريمة. على أية حال، نهضت ليلى واتجهت نحو الباب لمغادرة القاعة مثل البقية. غادر الجميع بصمت، ولم ينظر أي أحد إلى الآخر.

جفلتُ عندما ربّت أحدهم على كتفِي فجأةً، وشعرتُ بقلبي يرتجف عندما التفتُّ ورأيت كونر خلفي.

«تعالي معي، يا نوفمبر»، قال كونر، ورأيت آش ينظر إليّ من الجانب الآخر للغرفة.

* * *

اصطحبني كونر إلى مكتب بلاكوود. جلستُ على الكرسي الموجود أمام مكتبها في حين استقر كونر على كرسيٍّ بالقرب من الجدار وقد جهّز قلمه ومجلده. يُفترَض أن يبعث صوت النار المشتعلة بالمدفأة الراحة والدفء في النفس، لكن البرود الذي يتعامل به كلٌّ من بلاكوود وكونر وهدوءهما الشديد كفيلان بالقضاء على أي شعورٍ بالراحة والدفء.

عمّ الصمتُ الغرفة لوقتٍ طويلٍ، إلى درجة أنني بدأتُ أتساءل ما إذا كان الزمن قد توقّف عند هذه اللحظة الرهيبة.

«حسناً. . .»، تكلّمتْ بلاكوود أخيراً، «لقد غادرتِ غرفتكِ الليلة الماضية بعد منع التجول، يا نوفمبر».

كان الدم ينبض بقوة في صدغَي، ومعدتي تتلوّى على نحوٍ مزعج. لطالما كنتُ ماهرة في التعامل والنقاش مع المدراء والمسؤولين في المدارس، فأصبحت لديّ خبرة في التملّص من المشاكل بسبب كثرة ما مرّ بي منها. لكن أكبر عقوبة كان يمكن أن أتلقاها حينها هي الفصل من المدرسة، وليس عقوبة العين بالعين التي يتعاملون بها هنا. «أجل، لقد فعلت».

أسندت بلاكوود يديها على مكتبها. «وهناك طالبٌ ميّت».

«أعرف ذلك».

«وكيف عرفتِ؟».

ترددتُ قبل أن أجيب. «لقد أخبرتِنا بذلك للتوّ خلال الاجتماع».

«اممم. . .»، قالت بلاكوود بينما كان كونر يدوّن الملاحظات.

سرعان ما ندمتُ على هذه الإجابة. تصبّبتُ عرقاً، إذ بدت قادرةً على قراءة كل أفكاري. لم يبقَ من وسيلةٍ أمامي سوى الأخذ بنصيحة ليلى، فبادرتُها قائلةً: «لحظة. . . أنتِ لا تظنين أن لي يداً بما حدث، أليس كذلك؟».

«أوه، هل يُعقل ذلك؟»، قالت بلاكوود، ورمقتني بنظرة تحذيرية.

«أنتِ ماهرة في قراءة أفكار الآخرين وتحليلها، كلاكما تجيدان ذلك». أشرتُ إليها وإلى كونر. «وأعرف أنني جديدة هنا، لكن إذا كنتِ تجيدين قراءة الأشخاص حقاً، فستعلمين بلا أدنى شك أنني لم أرتكب تلك الجريمة».

«إياكِ أن تتجرئي على افتراض ما أعرفه وما لا أعرفه»، قالت بلاكوود.

«ألا تتذكرين ما حدث مع ماتيو؟ لم أكن أريد حتى ضربه على وجهه، لقد قمتِ بتهديدي لإجباري على الانتقام. فإذا كنتُ لا أتقبّل مجرّد فكرة لكم شخصٍ ما، فمن المستحيل أن أقتل أحداً».

زمّت بلاكوود شفتيها وعادت للجلوس على كرسيّها مجدداً.

«في الحقيقة، إذا كنتِ قد خططتِ لمهاجمة ستيفانو، فإن أول ما ستفعلينه هو تهيئة موقف تظهرين لنا فيه كشخصٍ مسالم جداً».

حاولتُ تعديل جلستي لكن المقعد ضيق، فاكتفيتُ بالنظر إليهما وبدَوت أكثر توتراً من ذي قبل. «أنا غير قادرةٍ على التفكير بالقتل، فما بالكِ ـــ».

«هذا يكفي»، قالت بلاكوود، وأتت كلماتها مثل الصفعة، مما يعني أن سذاجتي الواضحة قد أحبطتها شيئاً ما. «ماذا كنتِ تفعلين خارج غرفتكِ الليلة الماضية؟».

تسارعت دقات قلبي، لا مجال للكذب. «كنتُ مع آش»، أجبتها.

«أين؟».

«في الفناء حيث أشجار الكرمة».

صمتتْ قليلاً ثم قالت: «لماذا؟».

شعرتُ بإحراج شديد، لقد وضعتُ نفسي في موقفٍ لا أُحسد عليه هنا. «لأعرف منه المزيد عن هذه المدرسة».

«لقد تمّ إعلامكِ أنه بإمكانكِ سؤال ليلى عن أي شيء بخصوص هذه المدرسة».

«أنا... حسناً...».

«إلا إذا كنتِ تريدين معرفة المزيد عن الطلاب، وقد سبق وأخبرتكِ أن هذا ممنوع منعاً باتاً»، قالت بنبرة أكثر حدة ثم مالت باتجاهي.

«أنا فقط... أردتُ معرفة المزيد عن حقيقة هذه المدرسة».

تفضلي.

«بخرق القوانين».

«لا»، قلت بحذر، «أنا لا أقول إن خرق القوانين هو أمر جيد، لكن إذا كنتُ سأعيش هنا مع أُناسٍ يعرفون بعضهم بعضاً منذ سنوات، وإذا كنتُ أريد أن أفهم كيف تسير الأمور في هذا المكان، فلديّ إذاً تساؤلات كثيرة تحتاج إلى إجابة. أنا الآن الطالبة الجديدة الوحيدة هنا بين الطلاب المتقدمين، وخمسون بالمئة مما فعلته سببه الفضول».

«والخمسون الأخرى؟».

«لم أقصد ذلك حرفياً».

«لكنكِ تقصدين أن هناك سبباً آخر».

عظيم جداً، لقد زدتُ الطين بلّةً. «آش شخصٌ مثيرٌ للاهتمام... أنا، حسناً... إنه شابٌ لطيف». لطيفٌ حقاً، لكن هذا لا يبرر ما فعلناه، وها أنا أبدو الآن كأنني لا أدري ماذا أفعل.

اتكأت بلاكوود على كرسيها وكأنها تفكر إلى أيّ حدٍّ سأصل في توريط نفسي، وهذا ما كنت أفكر به أيضاً. «لا يُسمح للطلاب بالمواعدة هنا»، أضافت بشكلٍ قاطعٍ.

«لكن يُسمح لهم بتبادل النظرات، أليس كذلك؟». أعلمُ أنني أزيد من فورة غضبها، لكن عليَّ أن أعطيها سبباً لخروجي وإلا لن تكفّ عن توجيه الأسئلة.

جمدتْ مكانها للحظة، ثم قالت: «حسناً، سأوضح لكِ الأمر بشكل مباشر، يا نوفمبر، لأنني إن لم أفعل فسوف تواصلين التفوّه بكلامٍ فارغ وليس لديّ وقت للاستماع لحماقاتك. لقد غادرتِ غرفتكِ الليلة الماضية، وقُتل أحد طلابنا الليلة الماضية، لذلك إن كان لديكِ دليل أو سبب يجعلني أقتنع ببراءتكِ، فعليك قوله الآن».

«أنا...». أنا مُرتبكة تماماً. «أنا آسفة لأنني غادرت غرفتي وخرقت القوانين، ما كان يجب أن أفعل ذلك، لكنني بالتأكيد لم أقتل أحداً، لا يمكن أن أفعل ذلك. لا يمكن أن أفعل ذلك فحسب».

«هل علمتْ ليلى بخروجكِ من غرفتك؟».

قاومت الرغبة بمسح العرق عن جبيني لأنني لا أريدهما أن يشعرا كم أنا مرتبكة. الوضع سيّئ، سيّئ حقاً. «لا، لم تعرف، لكنها سمعتني حين عدت».

«وهل تحدثتما؟»، سألت بلاكوود.

أومأت برأسي. «أخبرتها أنني كنتُ برفقة آش وقد أغضبها الأمر كثيراً».

«هل أبلغت عنكِ؟».

«أخبرتها أن لا حاجة لذلك لأن أحد الحراس رآني وسيُبلغ عني».

«أيّ ممرات سلكتِ تلك الليلة؟».

حاولت البقاء مُتزنة بكل ما أوتيت من قوة إرادة. «لقد تسللتُ عبر الدرج القريب من غرفتي». **هل تعلم أنني أكذب؟ هل بإمكانها رؤية ذلك؟**

«وماذا عن آشاي؟».

فكرتُ قليلاً. «لا أعلم».

«لكنكِ كنتِ برفقته».

«كان كل تركيزي مُنصبّاً على العودة دون أن يمسك بي أحد ولم أنتبه حقاً أي طريقٍ سلك».

«لكنكما وصلتما وغادرتما في الوقت نفسه، أليس كذلك؟».

«أظن ذلك».

«لكنكِ لستِ متأكدة».

أردت أن أقول شيئاً يبعد الشبهات عن آش، فأنا لا أريده أن يتحول إلى عدوٍ في هذا الوضع الحرج، لكني لم أستطع التفكير في أي شيء. «لا، لستُ متأكدة».

«من الذي اقترح الخروج إلى فناء أشجار الكرمة ليلاً؟».

تشنجتُ. «إنها فكرة آش. حسناً، في الحقيقة، إنها فكرتنا نحن الاثنين، فهو مكاني المفضّل».

«وآش كان كريماً بما يكفي لمخالفة القوانين حيث تطوّع لاصطحابكِ في جولة؟». كانت تتحدث بإصرار، وأعتقد أنني جعلت الوضع أسوأ.

«اعتقدنا أن الأمر سيكون ممتعاً».

«وماذا استفاد آش من هذه المغامرة؟».

كان واضحاً أنها تعرفه جيداً. هززتُ كتفَي بتلقائية قدر الإمكان وسط كل التوتر الذي يسود الغرفة. «لستُ متأكدة، لكنني أظن أنه أراد أن يكون أول شخص يتعرّف إلى الفتاة الجديدة».

نظرتْ بلاكوود إلى كونر، لكن لم تُفصح تعابير وجهها عما يدور في رأسها.

التفتَ كونر إليّ. «هل أخبركِ آش أي طريقٍ عليكِ أن تسلكي؟».

تذكرتُ فجأةً منظر ستيفانو وهو مُمدّد على أرضية الممر الباردة. **ما غاية كونر من طرح هذا السؤال؟** «كما قلتُ من قبل، كنا نريد العودة إلى غرفنا بسرعة ولم يكن لدينا وقتٌ للحديث».

كان واضحاً من نظرة كونر إليّ أنه يعلم أنني تملصتُ من الإجابة عن السؤال. وكنت أعلم أنهما لن يدعاني وشأني إلا إذا رميتُ الكرة في ملعبهما.

عدتُ للحديث إلى بلاكوود ثانيةً. «السؤال الأهم الذي لم يطرحه أحد هو لماذا قُتل طالب هنا أساساً. لأن بناءً على ما عرفته منك يوم وصولي، هذا ليس أول طالب يموت هنا. أنا متأكدة أنك ستتوصلين إلى براءتي، ليس لديّ أدنى شكٍ في ذلك، وفي اللحظة التي ستعلنين فيها براءتي، أريدك أن تتواصلي مع أبي، فأنا لن أبقى في قلعة نائية يعتدي فيها الناس ويقتلون بعضهم بعضاً». لم أدرك رغبتي الشديدة في التفوّه بهذا الكلام إلّا بعد أن خرج من فمي.

نظر كونر إلى بلاكوود التي لم يهتز لها جفن وهي تقول لي: «لستِ أنتِ من يقرر ذلك».

أجبتها بصوتٍ عالٍ: «بل أنا من ـــ».

«لا»، قالت بنبرةٍ آمرة، «لقد قامت عائلتك مثل بقية العائلات

بتوقيع إقرارٍ حين قُبِلتِ هنا، يفوّض الأكاديمية باتخاذ أي قرارٍ يخصكِ خلال فترة دراستك هنا. أنا من سيقرر من هو المذنب في هذه القضية، مثلما سأقرر حدود الحرية التي ستتمتعين بها إلى حين الانتهاء من هذا التحقيق. وأنا بالتأكيد من سيقرر متى يمكنكِ مغادرة هذا المكان. لذا لو كنتُ مكانكِ، لتوقفت عن الكلام قبل أن أقرر أيضاً باتهامك بالإساءة للإدارة وأرسلك لقضاء ليلتك في السجن كي تتعلمي التهذيب».

بلعتُ ريقي. حقيقةُ أنني عالقة في هذا المكان تحت سلطة بلاكوود، وسط مجتمع سري لهؤلاء الأولاد القتلة لا مخرج لي منه، قطعتْ أنفاسي.

ثبّتت عليّ بلاكوود نظراتها القاسية. «بإمكانكِ العودة إلى نشاطاتكِ المعتادة، يا نوفمبر، وسنكمل حديثنا هذا بالتأكيد، وعليكِ أيضاً حضور دروسكِ بدون ليلى في الوقت الحالي».

تجمّدتُ مكاني. شعرت بالقلق على ليلى وما قد تخطط له بلاكوود. أردتُ أن أسألها لكنني كنت متأكدة بأنها لن تُجيب.

«وتهانينا»، تابعت بلاكوود، «أنت أول طالبة في تاريخ الأكاديمية الحديث تتلقّى ثلاث ملاحظات خلال أسبوعها الأول هنا، فانتظري عقوبتكِ قريباً».

شعرتُ بالغثيان فنهضت بسرعة، كان عليَّ مغادرة هذه الغرفة حالاً.

تابعتْ قائلةً: «إلا إذا أُدِنت بقتل ستيفانو، فستكون عقوبتكِ جاهزة في هذه الحالة».

12

ها هو المساء قد حلّ ولم تظهر ليلى بعد. تفاقمت حدّة قلقي تدريجياً مع مضيّ كل ساعة على غيابها. لم أستطع تناول طعامي فدفعتُ الطبق بعيداً، وأنا أتململ بعصبية على كرسيّي بجوار الطاولة المستديرة في غرفة المعيشة. عيون الحراس راقبتني أينما ذهبت في فترة ما بعد الظهيرة، وعلاوة على ذلك، كنتُ متوترة جداً بحيث لم أتمكن من الجلوس مع نفسي والتفكير فيما يحدث.

سمعت باب جناحنا يُفتح فالتفتُّ باتجاه الصوت، لكن لم تكن ليلى، بل آش. نهضتُ بسرعة لدرجة أنني كدتُ أُسقط الكرسي.

«هل أنتَ **مجنون**؟»، همستُ له. «ألا تعتقد أن أسوأ ما يمكن أن تفعله هو التواجد هنا معي الآن... وحدنا، من دون ليلى، في اليوم نفسه الذي يستجوبون فيه الجميع؟». كانت الصدمة واضحة في صوتي.

«سيكون جنوناً لو كنتُ شخصاً يسهل الإيقاع به، لكنني لستُ كذلك لحسن الحظ». كان يتحدث بهدوءٍ يناقض القلق الذي أشعر به. «أو على الأقلّ لم أكن كذلك إلى أن تحدّث أحدهم إلى المديرة وتلقيتُ بسببه ثلاث ملاحظات»، قال ثم مشى ليتجاوز الأريكة والمدفأة ويقف على بعد خطواتٍ مني.

فركتُ جبيني. تذكرتُ للحظة سؤال كونر عمّا إذا كان آش قد أخبرني أيّ طريق أسلك أثناء العودة وبدأتُ أتساءل ما إذا كان لآش أي علاقة بموت ستيفانو. هل يُعقل أن يكون آش قد أوقع بي؟ «أنت تعلم أنني لا أستطيع الكذب من دون أن تفضحني تعابير وجهي».

«هل يعني ذلك أنك لم تكذبي أثناء مقابلتكِ مع بلاكوود؟».

«حسناً. . . ».

كان ينظر إليّ وكأنني كتاب مفتوح أمامه. «لقد كذبتِ بما يخصكِ لكنك لم تفعلي بما يخصني، أليس كذلك؟».

بدا التوتر عليّ بوضوح. «لم يكن الأمر كذلك».

اقترب آش مني قليلاً، وأدركتُ فجأةً أن هناك طاولة ونافذة خلفي، وأن لا مكان لأهرب إليه إن احتجتُ ذلك. «حسبما فهمت، أنتِ لم تذكري شيئاً أمام بلاكوود بخصوص اتجاهي إلى مهجع الذكور، وأنني لم أذهب باتجاه الممر الذي وجدتِ فيه جثة ستيفانو».

امتقع لون وجهي. «يا إلهي! لا تقل لي إنك أخبرتها أن. . . ».

سمعنا نقرةً خفيفة على الباب فاستدرنا باتجاه الصوت. «هل تسمحين لي بالدخول، يا آنسة؟». كانت بيبا تستأذن للدخول، وكان كل ما فكرتُ به حين بدأتْ برفع المزلاج هو: **أرجوك يا إلهي، أرجوك ألا تكون قد سمعتْ ما قاله آش عن أنني رأيت الجثة.**

هرع آش للاختباء في غرفتي في حين جلستُ إلى الطاولة من جديد، وحاولتُ التصرّف بشكلٍ طبيعي قدر الإمكان فقمتُ بدفع طعامي في الطبق كما كنت أفعل قبل وصول آش.

«أوه، لم تنتهِ من تناول الطعام بعد»، قالت بيبا، «سأقوم إذاً بترتيب السرير وتغيير الماء».

«لا ، لقد انتهيت»، سارعتُ بالقول ونهضتُ من مكاني. ابتسمتُ لها لتخفيف التوتر الواضح في طريقة كلامي. «يمكنك أخذ الأطباق، ولا حاجة لترتيب سريري فقد قمتُ بترتيبه».

بدتْ علامات الشك على وجهها وهي تجمع الأطباق على صينيةٍ فضيةٍ. « لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة واحدة».

«لا داعي لذلك، شكراً لك»، قلت لها وأنا أرسم ابتسامةً على وجهي إلى أن غادرتْ وأغلقتْ الباب خلفها.

هرعتُ إلى غرفتي وقلبي ينبض بسرعة لأجد آش مُستلقياً على سريري، واضعاً ذراعه خلف رأسه.

أمسك كأس الماء الموضوع على طاولة سريري. «كان عليك أن تدعيها تملأ الكأس، فلم يتبقَّ فيه إلا القليل».

نظرتُ إليه بتعجبٍ. «ماذا بك. . . ما الذي تفعله؟».

بدا مستمتعاً بوقته. «أتحدثُ إليكِ»، قال ببساطة.

«كيف يمكنك أن تتصرف بهذه اللامبالاة؟ هل تعرف مدى خطورة الأمر؟». لا أصدق أنني أتكلم بهذه الطريقة، فعادةً ما أتلقّى كلاماً مُشابهاً لهذا من إيميلي.

اتكأ آش على مرفقه، وبدا مرتاحاً إلى أقصى حد. «أنا أدرك هذه الأمور أحسن منك، لكن التخبط وكل هذا التوتّر والعصبية لن تجعل الأمور أفضل».

«حسناً، والسماح لبيبا بالدخول إلى هنا بينما أنتَ مستلقٍ على سريري كان سيكون فكرةً رائعة. كنتَ ستتسبب لنا بمشكلةٍ جديدة»، أجبته بإحباطٍ.

نهض واقفاً قائلا لي: «هذا مُضحك، كنت أظنكِ من أولئك الذين يحبون المخاطرة».

عضضت شفتي بغضب. «مخاطرة عادية؟ أرحب بها طبعاً. لكن مواجهة خطر الموت؟ لا شكراً».

اتجه آش نحو باب غرفة نومي وأقفله، فأدركتُ خطئي على الفور. لقد صرفتُ بيبا عمداً، ما يعني أنني وحدي مع آش الآن، في حين أن لديّ ألف سبب لعدم الوثوق به.

نظر إليّ بارتيابٍ، وأغلب الظنّ أنه لاحظ توتري من التواجد معه وراء بابٍ مغلق. «لماذا التحقتِ بهذه المدرسة إذاً؟ فحياتنا هنا هي مواجهة يومية لخطر الموت».

كان آش يقف قريباً مني بحيث كان بإمكاني أن أعدّ رموشه الطويلة لو أردتُ ذلك، وأظن أنه شعر بي حين حبستُ أنفاسي لبضع لحظات.

«أنت تفهم ما أعنيه»، قلتُ وأنا أحاول أن أبدو متماسكة قدر الإمكان.

«لا، أنا حقاً لا أفهمك».

نظرتُ إلى الباب المقفل ثم إلى آش من جديد. «ما الذي أتى بك إلى هنا، يا آش؟».

«أوضحتْ لي ليلى أنه عليَّ تحمّل كامل المسؤولية لطلبك مقابلتي الليلة الماضية». شعرتُ للحظة أنه صادقٌ فيما يقول، لا أنه يحاول التأثير عليّ بكلامه أو تحليل شخصيتي.

كما أنني شعرتُ ببعض الارتياح الساذج لأن ليلى غاضبة منه كغضبها مني تماماً.

حدّق كل منا بالآخر لثوانٍ.

«هل أخبرتكَ ليلى أنني وجدت جثة ستيفانو الليلة الماضية؟»، سألته رغم معرفتي للإجابة مسبقاً.

«أجل، لقد فعلت».

«أرجوك لا تقلْ إنك أخبرت بلاكوود بذلك». شعرتُ أن صوتي يرتجف خوفاً وكلي ثقة بأنه لاحظ ذلك أيضاً.

تردّد قليلاً قبل أن يجيبني. «الشيء الوحيد الذي أخبرتها به هو أننا كنا في عجلةٍ من أمرنا ولم أنتبه أي طريقٍ سلكتِ للعودة».

تنفّستُ الصعداء. «لقد قلتُ لها الشيء نفسه».

«أعلم ذلك، لقد عرفت ذلك من تعابير وجهها»، قال لي.

هززت رأسي. «أشعر الآن ببعض الغيرة منكَ، فأنت تعرف هؤلاء الأشخاص جيداً، وتعرف ما يتوجّب عليك فعله لمواجهة مواقف كهذه. أما أنا، فأشعر بالضياع، فتارةً أخفي الحقائق وتارةً أثرثر للخلاص من هذا المأزق». ثم مسحتُ جبهتي أعلى حاجبي.

أصغى آش إلى كلامي بتمعّن ثم قال: «أنا أدرك ما تقولينه جيداً، وأؤكد لك أنكِ لم تكوني بالسوء الذي تعتقدينه».

«وكيف عرفتَ أن هذا ما أعتقده؟».

«هل تقصدين أنني مخطئ؟».

«لا، ما أقصده أنكَ دائماً على حق، وهذا الأمر يستفزني».

«الطريقة التي لمستِ بها جبينكِ فضحتْ ما يدور في رأسك».

توقفتُ عن الحركة. «ماذا تقول؟».

قام بتقليدي عندما مسحتُ جبيني. «هذه الحركة، لقد قمتِ بها بأصابعكِ وكأنك تريدين تغطية عينيكِ. ترتبط هذه الحركة عادةً بالشعور بالخجل من الكذب. أي يمكنكِ اعتبارها مجازياً كمحاولة للاختباء من نظرات الآخرين».

نظرتُ إليه بدهشةٍ. «ألا تملّ من معرفة كل ما يفكر فيه الآخرون من حولك؟ ألا ترغب أن تتفاجأ أحياناً؟».

قام بتأمل ملامح وجهي. «كانت الملاحظة الثالثة التي تلقيتُها بسبب التخطيط لمواعدة طالبة في المدرسة. هذه كانت مفاجأة حقاً».

«يا إلهي!»، قلتُ له وأنا أضحك، رغم أنه لم يكن هناك ما يدعو للضحك في هذا الموقف. «حسناً، إن إخبارهم بأنني خالفت القوانين لأنك جذابٌ بدا لي أهون بكثير من إخبارهم أنني خرجتُ في تلك الليلة لمعرفة المزيد عن الطلبة الآخرين».

بدا آش مسروراً لكلامي. «أنت أخبرتِ بلاكوود أنكِ منجذبةٌ إليَّ إذاً؟ يمكنني القول إنها خطة ذكية، لقد أعجبتني حقاً».

رفعتُ يدَي معترضةً. «أدرك جيداً ما تحاول فعله. أنت تحرِّف كلامي حسب ما تريد ثم تراقب ردّة فعلي. لقد قلتُ لها إنك شابٌ جذاب، **ولم أقل** إنني منجذبةٌ إليك. هناك فرقٌ كبير بين الأمرين».

بدأت الأمور تصبح أكثر تشويقاً، إذ أوحت ملامح وجه آش أنه اعتاد أن يكون محط إعجاب الفتيات. أعرف ذلك لأنني كنتُ سأتصرف بالطريقة نفسها. فبشكلٍ ما، إن آش يشبهني أكثر مما أود الاعتراف به، إلى درجة أنني أرغب أحياناً أن أطلب منه التوقف عن التصرف مثلي، فيُفترض بي أن أكون شخصيةً فريدة، ولا يشبهني أحد.

«أريد أن أعرض عليكِ أمراً»، قال آش بنبرةٍ جدية وهو يجلس على طرف سريري.

نظرتُ إليه بحذرٍ. «في المرة الأخيرة التي عرضتَ فيها أمراً، انتهى بنا الحال بالتسلل خارجاً في الليلة نفسها التي قُتِل فيها أحدهم».

«هذا تماماً ما أردتُ قوله»، تابع آش قائلاً، «أنا لا أعرف حتى هذه اللحظة من قتل ستيفانو أو الدافع وراء هذه الجريمة». شعرتُ أنه يقرأ ملامحي وهو يتكلم. «لكن ما يُحيرني هو توقيت الجريمة،

فلا شيء يحدث صدفةً في استراتيجيا، وأراهن بكل ما أملك أن عثورِكِ على جثة ستيفانو كان أمراً مُدبراً».

كانت معدتي تتخبط وكأنني أركب عربة ملاهي مجنونة. «هل تظن أن أحداً ما يحاول الإيقاع بي؟».

«أو يحاول الإيقاع بي، لا أدري. ما أقصده أننا يجب ألا نتجاهل هذا الاحتمال»، قال بنبرةٍ توحي بأنه لا يبالي بالأمر برمته بقدر ما أهتم به.

أبعدتُ خصلات شعري المنسدل عن جبهتي، وشعرتُ فجأة بصعوبةٍ في التنفس، وبالكاد استطعتُ النطق: «أنا عالقةٌ هنا»، وتذكرتُ كيف رفضت بلاكوود الاتصال بأبي.

«ماذا تقصدين؟».

«لا شيء. ماذا تقترح أن نفعل؟»، قلتُ له وأنا أمسح وجهي بيدَي.

«أن نجد قاتل ستيفانو»، أجابني.

كان قلبي يخفق بقوة. لطالما ظننتُ نفسي شخصاً يهوى المخاطرة، لكن وقبل أن أُمضي أسبوعاً واحداً هنا، اكتشفت أنني لست كذلك البتة. «هل تريد حقاً السعي إلى معرفة هوية شخصٍ قام بطعن شخصٍ آخر بسكينٍ وحاول إلصاق التهمة بي؟». خطوتُ في الغرفة جيئةً وذهاباً. «ألا يمكننا فقط... لا أدري... ألا يمكننا أن ندع بلاكوود تكمل تحقيقاتها؟ لو أنها تمتلك نصف مقدرتك فقط على قراءة الآخرين، ألا تعتقد أنها ستتمكّن من كشف ملابسات الجريمة؟ ليس علينا إلا أن ننأى بنفسينا عن المشاكل ولا نخرق أي قوانين أخرى، وبقدر ما أُدرك صعوبة هذا الأمر بالنسبة إليك، لكن ألا تظن أن هوية المجرم ستُكشف في النهاية؟».

اكتست تعابير آش حدة جديدة. «أعلمُ أنك تتعاملين بصدق وثقة

مع الناس لكسب مودتهم، لكن إذا كنتِ مقتنعةً بهذا الكلام حقاً، فستتحملين بالتأكيد وزر جريمةٍ لم ترتكبيها».

لستُ بحاجةٍ لامتلاك مهارة آش في قراءة الآخرين كي أدرك أنه يتكلم بصدقٍ الآن. شعرت أن الغرفة تدور بي وجلستُ على السرير قربه. في ظروف عادية، لو جلستُ على سريري إلى جانب شاب وسيم مثل آش، لما فكرتُ إلا ببعض اللهو والغزل، لكن كل ما يشغلُ تفكيري في هذه اللحظة هو ما إذا كان سيُحكم عليَّ بالإعدام لجريمةٍ لم أرتكبها.

«نحن نواجه أفضل الأشخاص المُدرّبين على الخداع وأفضل خبراء التخطيط في العالم، لذلك أقترح عليكِ الانخراط في اللعبة حالاً. يشترك الجميع هنا في اللعبة بينما تكتفين بالجلوس في صفوف المتفرجين. إياكِ أن تظني أن الأمر انتهى عند مقابلتكِ لبلاكوود اليوم، فالأسوأ لم يأتِ بعد». لم يكن آش يتحدثُ بأسلوبه اللطيف الساحر المعتاد.

أومأتُ برأسي، لأنه وبالرغم من أنني أتمنى الاختباء تحت سريري إلى أن تنتهي هذه القصة، إلا أنه مُحقٌ تماماً. «حسناً، سوف أفعل بطبيعة الحال كل ما يجب للتخلص من هذه الورطة، لكنني لن أقوم بهذه الرقصة معكَ، حيث تحاول استخلاص معلوماتٍ مني بشتّى الطرق؛ تحاول بلطفٍ في البداية، ثم بجدٍّ، ثم تمارس عليّ الضغط». سكتُّ قليلاً ثم تابعت: «إذا كنتَ مُحقاً بخصوص محاولة أحدهم توريطي، فلا بد أن هذا الشخص يعرف أو يعتقد أنه يعرف أموراً شخصية عني. وأجل، الحصول على هذه المعلومات عني هو غالباً السبب الأكبر لوجودك معي الآن، عارضاً عليّ المساعدة للخروج من هذه الورطة».

نظر آش إليّ مندهشاً، لكنني رفعت يدي قبل أن ينطق بكلمة.

«لا، دعني أكمل كلامي. أنت تعرف هذه المدرسة وهؤلاء الأشخاص أكثر مما أعرفهم، كما أنك تلقّيتَ تدريباً يُمكّنك من التعامل معهم. أنت لست بحاجة لمهاراتي في التحرّي، بل تحتاج لمعلوماتٍ عني، لكنني بحاجةٍ لمعلوماتٍ أيضاً. لقد عرضتَ سابقاً أن تعطيني دروساً في التاريخ مقابل إعطائكَ معلوماتٍ شخصية عني. حسناً، ليس الأمر بهذه السهولة. فإذا كنتُ سأقبل بهذا الاتفاق، يجب عليك أيضاً تقديم شيءٍ بالمقابل، وعليك أن تتوقف عن التلاعب بي».

كان يرمقني بنظراتٍ تقول: «أنا أراكِ على حقيقتك»، مما أثار جنوني، ثم قال: «ربما».

«أنا جادّة في ذلك، لن أسمح لك بالتلاعب بي بعد الآن. لقد أخبرتَني في لقائنا الأول بأنه لا ينبغي بي الوثوق بك، لكنك تقف هنا الآن وتطلب مني التعاون معكَ لإيجاد ذلك المجرم»، قلتُ ثم أشرتُ إليه بيدي، «ولا أحب طريقتك في النظر إليّ وكأنك تقرأ أفكاري، فأنا أشعر بنفسي على شفا جرف حين أتحدث إليك».

رأيتُ للحظةٍ تعابير الصدمة على وجهه. «أنتِ تستمتعين حقاً بالتعبير عن الأمور بصراحة مُطلقة، أليس كذلك؟».

«بقدر استمتاعكَ بإخفائها».

فتح ذراعيه أمامي وكأنه يقول ليس لديّ ما أخفيه. «ما الذي تودّين معرفته؟».

نظرتُ إليه نظرةً حادةً. «شيء يعادل في الأهمية ما أخبرك به».

«موافق طالما أنا من يقرر ما الذي يعادل»، قال لي.

«أنت شخصٌ صعب المراس»، قلت له.

ابتسم بغرور. «على الأقل، لستُ شخصاً يسهُل التنبؤ بتصرفاته».

«يمكنك قول هذا ثانيةً». عضضتُ باطن خدي وتحوّل اهتمامي إلى لهب الشمعة على منضدة سريري، كنتُ أراقبها تُلقي ظلالها على الستائر الكستنائية خلفها، وجزء مني يخشى أنني أرتكبُ خطأً فادحاً، لكن إذا كنتُ عالقةً هنا ولا أستطيع التواصل مع أبي، بالإضافة لاشتباه الإدارة بتورطي في جريمة قتل، فلا يمكنني الاكتفاء بالجلوس وانتظار ما سيحدث، لا سيما بعد ما علمته من آش الليلة الماضية: بأن استراتيجيا تمكّنت من صياغة الأحداث العالمية على مدار الألفي عام الماضية. فبالمقارنة مع تلاعبهم بحكام العالم، لا بد أنني أبدو هدفاً في غاية السهولة. تنهدتُ عميقاً ثم نظرتُ إلى آش من جديد. «حسناً، من كان شريكه في الغرفة؟».

«عفواً، ماذا قلتِ؟».

«شريك ستيفانو في الغرفة. إذا كنا نريد كشف ملابسات هذه الجريمة، أليس من المنطقيّ أن نبدأ من شريك ستيفانو؟».

نظر آش إليّ بطرف عينه وكأنه تفاجأ بسؤالي وأجاب: «ماتيو». وفي اللحظة التي نطق فيها آش ذلك الاسم، انتابني شعور أن هذا أسوأ اتفاقٍ أبرمته في حياتي.

13

مكتبة
t.me/soramnqraa

توجّهتُ إلى الصف برفقة ليلى، ورغم أنني استيقظتُ منذ بضع ساعاتٍ، لكنني ما زلتُ مُرهقة بسبب الأرق الذي أصابني، إضافةً إلى كوني محطّ أنظار الجميع اليوم أكثر من المعتاد، بشكلٍ جعلني أتساءل ما إذا كان خلافي مع برندان وتشارلز قد أصبح معروفاً الآن، ثم سمعت صوتهما خلفي، وكأنهما عرفا أنني أفكر بهما في تلك اللحظة.

دفعتْ ليلى باب غرفة الصف لندخل، فشعرتُ بالارتياح لأنني ابتعدت عنهما، لكن هذه الراحة لم تدم طويلاً، فسرعان ما دخل برندان وتشارلز الصف خلفنا، وليزداد الأمر سوءاً، كانت نيكس معهما.

كنا نحن الخمسة أول من وصل إلى الصف، حيث كانت المكاتب، هذا إذا اعتبرنا الطاولات الخشبية الكبيرة كذلك، موضوعة بمحاذاة جدران الغرفة. وكان هناك حبلان مربوطان بإحكام حول عارضة خشبية سميكة في السقف، عُلّقت بينهما راية تحمل شعار المدرسة.

«أشعر بخيبة كبيرة، يا ليلى»، قالت نيكس وهي ترمقها وكأنها تحاول استكشاف أمرٍ ما. «لطالما ظننتكِ أكثر ذكاءً من توأمكِ، لكن كل مرة أراكِ فيها، أجد أنكِ أقل حيادية من سابقتها».

لا تسعى نيكس إلى الاستعراض مثل برندان عند التلاعب بالآخرين، كما أنها لا تتطلع إلى دعم أصدقائها أو تأييدهم لها مثلما يفعل تشارلز عادة. إنها صريحة، ويمكنها تخمين أنها تعني ما تقوله، وإذا ما هددت أحداً، فعليه أن يأخذ هذا التهديد على محمل الجدّ.

نظرتُ إلى ليلى ونيكس، وكان واضحاً من تعابير ليلى وطريقة إصغائها مدى أهمية الأمر الذي تتحدث فيه نيكس. فهمتُ! أوردت نيكس في حديثها كلمة **حيادية**، وأذكر أن آش استخدم هذه الكلمة سابقاً عندما سألني عن موقفي حيال سياسة العائلات في استراتيجيا، إذ قال لي حرفياً: «هل أنت مؤيدة، أم معارضة، أم حيادية؟».

كان تشارلز يقف بيننا وبين الباب، وبجوار نيكس التي بدت أقصر منه بكثير. «أعتقد أن ليلى دائماً ما تتبنى السياسات الخاطئة، وها هي ذي صديقتها الوضيعة تسلط الضوء على ذلك». أربكني التناقض الغريب بين صوته الرقيق وكلماته الفظة، كان مثل طفل يتفوه بألفاظٍ بذيئة بابتسامة.

نظرتُ إلى ليلى، وبدا واضحاً أنها تتمنى لو تنشقّ الأرض وتبتلعها.

«وضيعة؟»، قلتُ له بغضبٍ كفيلٍ بخرق الجو المشؤوم الذي يسود المكان. «اسمع جيداً، إذا كنت تحاول إهانتي، فأنت تحتاج أن تكون أكثر ابتكاراً من ذلك». نظر الجميع إليَّ بعيونٍ غاضبة، لكنني لم أبالي، كنت سعيدة لأنني أتلقى اللوم بدلاً عن ليلى ولو لمرةٍ واحدة، فأنا أدين لها بهذا على الأقل. «التقيتُ بطفلٍ في الثامنة من عمره قبل أسبوعين، وناداني يومها بكرة البراز. **هذا** ما يمكنك أن تسميه ابتكاراً».

«كلما فتحت فمك للتفوّه بكلمة، تؤكدين حقيقة أنكِ لا تنتمين

إلى هذا المكان»، قال برندان فاتحاً ذراعيه وكأنه يخاطب جمهوراً عريضاً وليس مجرد أربعة أشخاص.

«فقط لأنك ـــ». لم أكد أبدأ جملتي حتى قاطعني صوت بابٍ يُفتَح لتدخل منه امرأة في منتصف العمر يتبعها ثلاثة طلابٍ، أظن أنها الأستاذة. أطبقت فمي، وتفرقنا نحن الخمسة في الحال، كما لو أننا لم نكن نتحدث أساساً.

كنت أعلم أن هؤلاء الثلاثة سوف يسببون لي المشاكل، لكن لم يخطر لي أبداً أنهم سيستهدفون ليلى بسببي. نظرتُ إلى ليلى التي بدا عليها الانزعاج مثلي تماماً، وتمنيتُ لو أنني أستطيع الاعتذار لها، لكنني أعلم أن ما نحن فيه بات أسوأ من أن تصلحه بعض كلمات الاعتذار.

«حسناً، أنتم جميعاً هنا لكنكم ما زلتم ترتدون عباءاتكم، لا يُفترض بي تذكيركم في كل مرة أن عليكم أن تكونوا جاهزين»، قالت الأستاذة.

ساد الصمت المكان وتوجهنا بسرعة إلى تعليق عباءاتنا في الجهة الأخرى من الغرفة، وعاد الجميع بسرعة للاصطفاف أمام الأستاذة التي نظرت إليَّ مباشرةً. «أنا الأستاذة ليو، يا نوفمبر. أهلاً بكِ في درسك الأول عن فنون الحرب النفسية، أو كما نسميها بشكل ألطف، الألعاب الذهنية».

أومأتُ لها موافقةً، حريصةً على عدم التفوّه بأي كلمة غير مناسبة مثلما حدث في درس فليشر. **ليو - هذا اسم إمبراطور صيني من عائلة هان... ومعناه «يدمِّر».**

بدأت الأستاذة ليو برفع أكمام بلوزتها السوداء عن ذراعيها وطيّها بعناية ثم قالت: «تحدّثنا المرة الماضية عن تأثير الإدراك - كيف يمكن أن يكون الواقع في حقيقته أمراً غير مهم، لأن ما يهم هو ما **يعتقد** الخصم أنه الواقع. على سبيل المثال، إذا تمكنت من إقناع

شخصٍ بأنك أقوى مما أنت عليه في الحقيقة، يُحتمَل عندئذٍ أن تُخيفَ خصمك وتتغلب عليه من دون الانخراط في قتال. هل يمكنكم ذكر مثال؟».

أسرع برندان للإجابة قبل الجميع كما هي حاله دائماً. «كان جنكيز خان يأمر جنوده كل ليلة بأن يضيء كل واحدٍ منهم ثلاثة مصابيح ليوهم أعداءه بأنه يقود عدداً ضخماً من الجنود ويدب الرعب في قلوبهم، كما اعتاد أيضاً أن يربط بعض الأشياء إلى ذيول الأحصنة لتثير غيوماً من الغبار عندما تنطلق في الميادين، وبهذا يعزز فكرة أنه يقود جيشاً كبيراً». كان يبتسم ويتكلم بصوتٍ واضح. في أول لقاءٍ لنا، اعتقدتُ أن برندان وتشارلز ونيكس هم مَن نسميهم في بريمبروك طلاب ذوي شعبية، لكنني بدأتُ أدرك الآن أن الثقة التي يمتلكها برندان هي حصيلة التدريب والاستعداد المستمر لا أكثر.

«حسناً»، قالت ليو، «أثِّر على الإدراك، وستمتلك عندئذٍ القدرة على تغيير النتائج من دون خوض المعارك». شبكتْ يديها خلف ظهرها ونظرتْ إلى الأعلى نحو السقف ثم تابعتْ: «سنقوم اليوم بتغيير الروتين المعتاد ونبدأ درسنا بتحدٍ بدني. فكما ترون هنا، لقد قمتُ بتعليق راية على عارضة السقف. هناك حبلان وأنتم ثمانية طلاب». فتحتْ وعاءً يحوي مسحوقاً أبيض يشبه الطباشير يُستخدم لليدين أثناء التسلق وسارت أمامنا الواحد تلو الآخر؛ راقبتُ الطلاب وهم يغمسون أيديهم في الوعاء ثم ينفضونها. «عليكم التحرّك بسرعة والتمتّع بالذكاء، لا قوانين حول الأساليب والطرق التي يمكن أن تستخدمونها ضد بعضكم بعضاً، القاعدة الوحيدة هي أن الفائز هو أول من يصل إلى المقعد الموجود خلفكم مباشرة».

تمنّيت لو أنني لم أسمع جيداً، لكن لا. كلامها واضح. ما لا يمكنني استيعابه هو حقيقة أن ليو تشجعنا على التنافس لتسلق حبلين

والوصول إلى عارضة في السقف ترتفع عن الأرض أربعة أمتارٍ على الأقل من دون وجود شبكة أمان، ومن دون وجود قوانين. في واقع الأمر، هي منحتنا الإذن باستخدام أي وسيلة للقتال والفوز، ما يعني، حسب معرفتي بهؤلاء الأشخاص، استخدام حركات فنون قتال كثيرة لا أتقنها. كانت سرقة قطعة قماش في الظلام أمراً سهلاً بالمقارنة. وبعد ما حدث ليلة أمس والحديث الذي دار توّاً مع برندان وتشارلز ونيكس، يمكنني القول إنني أواجه السيناريو الأسوأ.

«الملاكمة»، قلت وأنا أؤدي لكمةً في الهواء على الشرفة الأمامية لمنزلنا. «أو فن الووشو». ثم ركلتُ بقدمي عالياً.

أخذت الخالة جو رشفةً من عصير الليمون وهي تسند قدميها على درابزين الشرفة.

«أنت تعرفين فنون الدفاع عن النفس، يا نوفا»، قال أبي وهو ينحت عصا المشي بسكينه المفضلة ذات المقبض الفضي على شكل رأس ذئب. «وإذا أمسك بكِ أحدهم، فإنك تمتلكين المهارة اللازمة لتحرير نفسك من قبضتهِ».

تأوهت. «هل تمازحني؟ ليست هذه الفنون التي أقصدها، لقد علمتني استخدام السكاكين، والسيوف، والأفخاخ المتفجرة، بالإضافة إلى مهارات النجاة» - كنت أحصي أنواع الفنون القتالية على أصابعي وأنا أتحدث - «لكنك ترفض تعليمي الملاكمة؟ هلّا أصغيتَ لنفسك؟».

«ربما يخشى كريستوفر أن تركليه على مرأى من الجميع»، قالت الخالة جو، فضحكتُ، ثم تابعت: «أن تحرجيه أمام أصدقائه».

حاول أبي إخفاء ابتسامته لكنّ عينيه فضحتاه. «سأعلمكِ عندما تكبرين».

«في أيّ سنّ؟».

«عندما تصبحين في الثامنة عشرة». وكدتُ أسقط عن العتبة التي أتوازن عليها.

«سبع سنوات؟ سبعة؟»، قلت محتجّة ثم نظرتُ إلى الخالة جو متوسّلةً. «خالة جو؟».

«لا تحاولي التأثير عليّ بهذا الوجه البريء، أفهم ما تفعلينه».

«نوفا»، قال أبي، «أنا أتقصد ألا أعلمك القتال».

«لأنك تظن أنني سأتعرض للأذى؟»، قلت له.

توقّف عن نحت العصا التي يحملها. «لأنك تمتلكين كل المهارات التي تجعل منكِ مقاتلة بارعة. أنت قوية وحركتكِ سريعة، ردّات فعلكِ جيدة، لن يكون صعباً عليكِ تعلم الملاكمة، لكن لا أريدك أن تفكري كمقاتل، أريدك أن تفكري بطريقة مختلفة».

«ماذا تعني بمختلفة؟»، سألته.

«أريدكِ أن تفكّري بحلولٍ مختلفة ومبتكرة. وأريدكِ أن تنظري إلى العالم من حولكِ بمنظوركِ الخاص الفريد. إذا تعلمتِ الضرب بطريقة معينة في الملاكمة أو القفز بطريقة معينة في الووشو، فسيلجأ لهما عقلكِ تلقائياً كردٍّ جاهز. لا أريدك أن تعتمدي على نفس الردود التي يعتمد عليها الآخرون. أريدكِ أن تبتكري ردكِ الخاص. إذا تعملتِ مقاربة قتالٍ ما من زاوية غير متوقعة، فستصبحين السلاح الذي لا يمكن لخصمك التنبؤ به».

وقفت ليو أمامي وبيدها مسحوق الطباشير.

«أنا. . .»، بدأتُ الكلام، لكنني لم أعرف كيف أخبرها أنني لا أتقن فن القتال.

«هل أنتِ خائفة من المشاركة؟»، سألتني، فاتجهت أنظار الجميع إليّ.

«لا، أنا فقط...». نظرتُ إلى ليلى لعلها تنقذني، لكن وجهها لم يُفصح عن شيء، فغمستُ يدي في مسحوق الطباشير على مضض.

«ليثبت الجميع في أماكنهم»، قالت ليو، «نوفمبر، تقدمي ثلاث خطوات نحو الحبلين».

نظرتْ إليَّ نيكس باشمئزاز.

يا إلهي، الأمر يزداد سوءاً بمرور الوقت. «أنا حقاً لستُ بحاجة لمساعدة خاصة».

«تقدمي ثلاث خطوات إلى الأمام كما قلت». تحدثت الأستاذة بنبرةٍ آمرة فانطلقتُ مسرعةً إلى الأمام.

إذا خسرتُ الآن، سيكون الأمر أشدَّ إحراجاً بكثير. تشنج جسدي مع صمت ليو لبضع ثوانٍ أخرى.

«انطلقوا!»، قالت بصوتٍ عالٍ، فاندفع الجميع نحو الحبلين.

لم أكد أتقدم خطوتين حين ضرب حذاءٌ ركبتي من الخلف وطرحني أرضاً، فضحكت نيكس بسخرية بينما سبقني بقية الطلاب بأقصى سرعة.

بالقرب من الحبلين، وجّه تشارلز لكمة إلى ليلى لكنها تفادت الضربة ببراعة، مع أنني لم أفهم كيف علمتْ مسبقاً أنه سيضربها. لكن في اللحظة التي نجت فيها من ضربة تشارلز، تلقّت ركلة على معدتها من برندان، فأخذت تتلوى من الألم، بحيث بدا أنه قد أداخها.

قفزتُ عالياً وبدأت بالتحرك نحوها، لكن بينما كنت أقترب منها استدار برندان باتجاهي. نظرة واحدة كانت كافية لرؤية المشهد كاملاً؛ نجح تشارلز في الوصول إلى الحبل، وعندما حاول انتزاعه من الفتى الذي كان يتشبث به، تلقى ركلة على وجهه. أما ليلى، فقد

نهضت وعادت لالتقاط أنفاسها من جديد، لكن فجأة لم يعد بإمكاني رؤيتها بسبب برندان الذي ركض نحوي، والذي شهدتُ بعضاً من مهاراته القتالية الكفيلة بأن تكسر عظامي إذا ما هاجمني. كانت عيناه تضيقان كلما اقترب مني، فتوقّف عقلي عن التفكير، وبدأتُ الركض أيضاً. ركضتُ نحو الطاولات بمحاذاة الجدار ونجحت بالوصول قبله بجزءٍ من الثانية.

توقفوا! صاحتْ ليو فجأة، فتوقّف برندان وهو على وشك الاصطدام بي. وبينما هدأ الصراع على الوصول إلى الحبلين، كانت آهات الخيبة تفلت من شفاه المقاتلين. هل يُعقل أن ليو أوقفت التحدي لأني ركضت؟ نقلتُ نظراتي من برندان إلى الأستاذة. أشك أن ليو ستدع الأمور تمضي من دون أن تعلن بالتفصيل عن مخاوفي للجميع، فبعد مواجهاتي السابقة مع برندان، قد يكون هذا أكثر المواقف إحراجاً في حياتي. كدتُ أشعر بنفسي أتقلص.

«نوفمبر هي الفائزة».

لحظة. ماذا؟ لحسن الحظ لم أكسر عنقي حين نظرتُ بسرعة شديدة إلى الأستاذة ليو. كنت على وشك التكلم لكنني تراجعت، وأغلقتُ فمي قبل أن أنطق بكلامٍ يؤكد للجميع الارتباك الذي أشعر به.

نظر إليَّ برندان ببغض، كما لو أنني رسخت للتو مكانتي كمنافسة ماهرة، لكنني شعرت بأن آخر ما أريده هو أن أقف عائقاً بين برندان وانتصاراته. حاولتُ التراجع خطوةً أخرى للخلف، لكن الطاولة والجدار خلفي جعلا ذلك مستحيلاً.

«أصدِر صوتاً في الشرق، واضرب في الغرب، هذه إحدى تعليمات **ستة وثلاثين خدعة حربية**»، قالت ليو. «سندرس هذه الخدع بالتفصيل خلال الأشهر القليلة القادمة. هذه المناورات التي

ترتكز على العامل النفسي ليست بالجديدة. في الواقع، جُمِعت هذه الخدع سنة 500 قبل الميلاد تقريباً. لكن الأمر الغريب هنا أنكم ما زلتم تُخدَعون بالحيل نفسها التي استخدمها الناس قبل ألفين وخمسمائة عام. الناس لا يتغيرون، إنما تتغير الظروف المحيطة بهم فحسب». ارتسمتْ على وجهها ابتسامة سرور. «لقد تحدثتُ كثيراً عن الراية لدرجة أن الأمر الوحيد الذي ركزتم عليه هو هزيمة بعضكم البعض، **ولم تركزوا** على ما كنت أقوله بالفعل. فكروا في الأمر: لم أقل أبداً إن عليكم التقاط الراية لتفوزوا، ما قلته هو أن عليكم لمس الطاولة، ومع ذلك، عليَّ الاعتراف بأنني مصدومة لأن اثنين منكم فقط كانا يصغيان حقاً».

أردتُ أن أضحك على حظي الأخرق، لكن الأمر ليس مُضحكاً، فلو تصرفتُ بالطريقة التي أردتها حقاً، وبالطريقة التي تصرّف بها معظمُ الطلبة لكنتُ الآن مرميةً على الأرض فاقدة الوعي.

«وأعترف بمهارتكِ، يا نوفمبر»، تابعت الأستاذة، «لقد تظاهرتِ بالسذاجة، والطريقة التي قاومتِ بها الحصول على المساعدة كانت عبقرية. لقد طبّقتِ مناورات تتماشى مع ما درسناه في هذا الصف، وإني أتطلع لرؤية ما ستقدمينه لاحقاً».

ازدادت حدة الإحباط على وجوه الطلبة، وها هم الآن يرمقونني بنظرات مقيتة. تمنيت لو كان باستطاعتي الاختباء تحت الطاولة والتظاهر بأن شيئاً من هذا لم يحدث.

حاولتُ أن أتبين ردّة فعل ليلى من نظرتها، لكنها لم تنظر باتجاهي، إلا أن برندان كان ينظر إليّ غامزاً بعينه، لكنها لم تكن غمزة محبة أو غزل، بل رسالة تحدٍّ، رسالة تقول إنه قويٌّ، وذكيٌّ، ولن يدعني وشأني أبداً.

لم أتخيل قط أنه يوجد ما هو أسوأ من التعثر بجثة في منتصف الليل، لكن بينما كنتُ مستلقيةً على الأريكة أتأمل المدفأة، بدأتُ باسترجاع المحادثات التي جرت بيني وبين بلاكوود وآش، ورحت أفهم دلالاتها التي تنذر بالأسوأ. الشيء الذي يُحيرني هو أنني لا أستطيع أن أجد سبباً واحداً لرغبة أحدهم في تلفيق تهمة لي بجريمة ارتكبها طالبٌ آخر. إلا إذا كان هناك شخصٌ ما يفكر بقتل ستيفانو منذ وقتٍ طويل، وصادف ذلك قدومي وتورطي في ذلك الشجار مع ماتيو، الأمر الذي جعلني هدفاً سهلاً. **ماتيو**. تحسّستُ كدمة عيني المصابة بحركة لاإرادية.

ثمة طبعاً احتمال أن يكون آش متورطاً في ما حدث، فهو مَن طلب مني سلوك ذلك الممر. وإذا كان متورطاً بالفعل، وقدّمت له كل ما يريد معرفته عني، فسأجعل الأمور أسوأ بكثير. يا له من كابوسٍ مريع.

سمعتُ صوت إغلاق الباب، فنهضتُ عن الأريكة لأجد ليلى تدخل الغرفة غاضبة.

«استعدي، يبدو أننا سنذهبُ إلى قاعة الطلاب المتقدمين».

الإحباط الواضح في صوتها جعلني أدرك أنها لا ترغب في الذهاب إلى هناك.

«أنا جاهزة»، قلتُ وأنا أراقبها بحذر. أنا على دراية تامة بالعلامات التي تدل على أن المرء على وشك الانفجار، فقد سبق وتعلّمتُ الدرس مع إيميلي مراراً.

«حسناً إذاً، ارتدي عباءتكِ اللعينة إذا أردتِ»، صرخت بي.

«لسنا مضطرتين للذهاب إلى قاعة الطلاب إذا كنتِ لا ترغبين بذلك. مع أني أخمن أن آش هو من اقترح ذلك»، قلتُ لها بألطف نبرة ممكنة.

لمعت عيناها حين سمعتْ اسم آش، فقالت وهي تضحك بطريقةٍ مشؤومة: «لا أرغب بالذهاب؟ أنا **أكره** ذلك المكان، وهل تعلمين ماذا أكره أيضاً في هذه اللحظة؟».

أشارت بإصبعها الرهيف نحوي. «أنتِ، وأخي الغبي. كيف تجرآن على إقحامي في هذه الكارثة! تعلمين أنه كان يمكن أن تخسري حياتكِ، أليس كذلك؟ وآش أيضاً؟ ربما يجدر بي أن أقتلكما بنفسي وأوفّر على الجميع عناء المحاولة!».

وقفتُ أمامها محاولةً البقاء صامتةً وجامدةً قدر الإمكان.

«ألا يكفيني أن لديَّ أخاً توأماً يستجدي المشاكل ويسعى وراءها كلما غفلت عنه؟ بل أجد نفسي عالقة بعد ذلك مع شريكةٍ في السكن تشجعه على ذلك! لا يمكنني مراقبتكما معاً في الوقت نفسه، ولا أريد أن أراقبكما. هل تسمعينني؟».

أومأتُ بالموافقة بعزم.

«كم أنتما جريئان. تعلمان جيداً أنني كنتُ محتجزة طيلة الظهيرة، أليس كذلك؟ ولساعاتٍ طويلة في غرفة بلا نوافذ، فقط لكي أواجه آلاف الأسئلة عنكما أنتما الاثنين، ولكي أتلقى تحذيراً

وكأنني طفلة صغيرة بأن العواقب ستكون وخيمة في حال كنتُ أخفي شيئاً للتستر عليكما. وقد فكّرت ألا أفعل، أن أدعكما تتخبطان في هذه الكارثة اللعينة التي تسببتما بها لنا جميعاً، لكنني **أعلم** أن آش لم يقتل ستيفانو، وبقدر ما أتمنى أن أكون مخطئة، أعلم أنكِ لم تفعلي أيضاً، وها أنا، يُثقل تأنيبُ الضمير كاهلي. لكن هل تعلمين ما الذي يحزنني حقاً؟».

هززتُ رأسي بالنفي.

«كان ستيفانو صديقي». قالتها بضعف، وعرفت أنها مرهقة. «وبدلاً من أن أحزن لموته وأُطلق العنان لمشاعري، أجد نفسي هنا أفكر بمصيركما، أيها الأحمقان». ثم ألقت بنفسها على الأريكة.

جلستُ قربها بحذر. من كان يعلم أن هذه الفتاة المتقدة هي نفسها تلك الطالبة التي تتصف بالاجتهاد والمثالية؟ لقد ظهرتْ على حقيقتها أمامي للمرة الأولى، لم تبدُ بعيدة ومحصَّنة وراء جدار من الثلج، بل بدت ضعيفة. اقتربتُ منها وأمسكت يدها وفوجئت بسرور من أنها لم تسحبها.

هزَّت ليلى رأسها ولمعت عيناها قليلاً. «من الأفضل أن نذهب إلى قاعة الطلاب، عليكِ توخي الحيطة والحذر، وعدم الخروج مع أيّ شخص أيّاً كانت الأسباب». سحبتْ يدها التي كنتُ أمسكها، لكن بالنسبة لي مجرد سماحها بلفتةٍ ودودةٍ لمدة خمس ثوانٍ هو تقدمٌ كبير.

«لديّ بعض الأسئلة ـــــ».

«لا شك لدي في ذلك»، قالت ثم نهضت، «لكن لا وقت لأسئلتك الآن».

* * *

فتح أحد الحراس الباب لنا، ودخلتُ برفقة ليلى إلى قاعة الطلاب. ورغم أنني توصّلت إلى قناعةٍ بأن الغموض يحيط بالطلبة في هذا المكان، وأن ما يحدث الآن هو أسوأ ما يمكن أن أواجهه في حياتي، إلا أنني ما زلتُ أفضّل أن أكون مُحاطة بالناس على أن أبقى وحيدة في غرفتي تحت هذا الضغط.

كانت القاعة تعجُّ بأكثر من ثلاثين طالباً من الصفوف المتقدمة، بعضهم يجلس على سجادةٍ أمام المدفأة، والبعض الآخر يتبادل الحديث بهدوء على الأرائك المخملية. ذكّرني هذا المشهد بحفلات الكوكتيل التي نراها في الأفلام عن العائلات الأوروبية القديمة. لاحظتُ غياب ماتيو فشعرتُ بالارتياح وتنفست الصعداء حيال ذلك، في حين كانت ليلى أكثر تشنّجاً من المعتاد.

تحلّق تشارلز وبرندان ونيكس حول طاولة مستديرة للعب الورق، ولاحظوا وصولنا في الحال.

«حسناً، تبدو هذه الليلة مسلية أكثر الآن»، قال برندان وهو يتكئ على كرسيه ويرفع شعره البلاتيني عن وجهه.

أخفضت نيكس الورق في يدها. «مشهد مدهش فعلاً»، قالت رغم أن نبرة صوتها وهي تقول **مدهش** تجعلك تشعر أنها لا تكترث لنا البتة، كأنها تتمنى لنا أن نختفي.

«ما الذي جاء بكما إلى هنا؟ هل تفتقداني؟»، سأل تشارلز ليلى وابتسم بخبث.

نظرت نيكس إلى تشارلز مقطبة حاجبيها.

لم تلتفت ليلى إليهم بتاتاً. كنتُ على وشك الردّ عليهم، لكنها نظرت إليّ نظرةً حادة فأغلقتُ فمي. لم يرقني أنها لم ترد على كلامهم الفارغ، رغم معرفتي بالمشاكل الكبيرة التي نواجهها حالياً.

كانوا ثلاثتهم يراقبوننا ونحن نمرّ أمام طاولتهم، ولمحتُ بطرف عيني تشارلز وبرندان يتبادلان بعض التعليقات لكنني لم أتمكن من سماعها، ثم أخذا يضحكان. لا عجب أن ليلى لم ترغب بالمجيء إلى هنا.

جلستْ ليلى إلى طاولةٍ خالية قرب نافذة كبيرة تغطيها الستارة بالكامل.

«هل أنتِ متأكدة بأنكِ لا تريدين مني أن أردّ عليهم؟»، سألتها بهدوء وبصوتٍ خافت. أعلم جيداً أنها لا ترغب بالتواجد هنا، وأنها لا تحبذ هذا الوضع إطلاقاً، وأعلم أيضاً أنني مسؤولة ولو جزئياً عن كل هذا. «لأنني سأردُّ عليهم، إنهم يتصرفون بحماقة كالشبان الطائشين، إلا أنهم ليسوا حمقى على الإطلاق، بل يمتلكون مهارات مُخيفة. لكنهم مهما فعلوا فلن ينجحوا في إخافتي».

لمحتُ طيف ابتسامةٍ على وجهها وقالت: «تبدو تصرفاتهم أقرب إلى تصرفات أفراد العائلات الملكية المتغطرسين، **ويجدر بك** أن تخافي منهم».

تراجعتُ إلى الخلف قليلاً لأراها بشكلٍ أفضل. «أطلقت آريا عليهم وصف الملكيين أيضاً، هل تعنون ذلك حرفياً؟».

تنهدتْ ليلى ثم همستْ لي: «برندان وتشارلز ونيكس هم ورثة عائلات عريقة، وهم أيضاً الأبناء البكر لقادة تلك العائلات، وسيتولون القيادة في نهاية المطاف حين يصبحون في السن المناسب. برندان بريطاني ينحدر من سلالة أقوى العائلات في استراتيجيا، مما يجعله يتظاهر بسلوك مثالي كالأمراء».

تذكرت أن آش أخبرني بأن عائلات استراتيجيا البريطانية هم أسود، وكونهم أقوى عائلة يفسر الثقة بالنفس التي يملكها برندان والطريقة التي يمنح بها نفسه أهمية أكثر من اللازم.

«أجل، لكننا في مدرسة، وينبغي أن يُقيَّم الأشخاص حسب مهاراتهم لا حسب نفوذ عائلاتهم».

نظرتْ ليلى إليّ مباشرة كأنني قلتُ شيئاً مهماً للتو. «لا، لا ينبعي أن يُقيَّم الأشخاص حسب عائلاتهم، ولم تكن الأمور على هذا النحو من قبل». ترددتْ قليلاً، وبدا أنه لديها المزيد لتقوله، فحبستُ أنفاسي بأمل أن تُكمل كلامها.

«نيكس وبرندان متحالفان منذ أن جئنا إلى هنا. أما تشارلز، فقد بدأ بمرافقتهما هذه السنة، بدأ الأمر بعد بضعة أشهر من تقرّبه من نيكس»، تابعت قائلة.

«هل هناك علاقة تجمع بين تشارلز ونيكس؟»، سألتها.

نظرت إليّ مستغربة. «كثيرون يعتقدون ذلك، لماذا تسألين؟».

«الطريقة التي تنظر بها نيكس إليه، وكيف يبدو تشارلز دائماً كأنه يحاول كسب ودّ برندان، تماماً مثل محاولة أحدهم إثارة إعجاب الأخ الأكبر لصديقته».

«نيكس وبرندان صديقان مُقربان مثل أي حليفين، فأنت محقة في ذلك. أما تشارلز فهو دائماً ما يحاول ترقية نفسه، لكن الأهم بالنسبة له هو ترقية عائلته. إنه يبالغ في ذلك إن أردتِ رأيي».

توحي النبرة التي تتحدث بها ليلى بأنها تُخفي أمراً يخص تشارلز، لكنني لستُ متأكدة إن كان يجدر بي أن أحثها على الكلام، بما أنها الآن تحدثني بصراحة كما لم تفعل قبل. لا أقصد أنها تثرثر لي بحماس، لكنها تخبرني بعض الأمور عن أشخاصٍ لا تحبهم، وهذه بداية جيدة.

أسندتُ ظهري على الكرسي، وبدأتُ أتأمل الأشياء من حولي في الغرفة. وبينما كنت أجول بنظري، التقتْ عيناي بلا قصد بعينيّ

آريا، التي كانت تجلس على أريكةٍ قريبة، مع فليكس وآينس. بدت آريا راضيةً جداً عن نفسها، بينما يبذل فليكس قصارى جهده للظهور بمظهر المنزعج، رغم أنه واضح أنه مستمتع بوجود آريا، فيما ترسم آينس على دفتر رسم.

«حسناً. . .، يا نوفمبر»، قالت آريا وهي تمطّ كلامها لتُضفي تأثيراً دراميأ، «لقد سمعت بأمرٍ مثيرٍ **جداً**». كانت تتحدث بلكنتها الأميركية هذه المرة، وعيناها تومضان خبثاً. رفعت صوتها عمداً ليسمعها الجميع من حولنا. «هل يمكنكِ تخمين ما سمعته؟».

تشنّجت ليلى الجالسة بجواري.

«لا، لا يمكنني ذلك، لكن أظن أنه لا مفر من سماع هذه الأخبار منكِ».

ضحكت ومالت إلى الخلف على الأريكة، وكأنها على يقين بأنها محط اهتمام الجميع، وهذا ما تريده بالضبط. «أنتِ فتاةٌ ظريفة، أعترف لك بذلك. أنتِ أفضل من هؤلاء المتغطرسات اللاتي يعتقدن أنهن يعرفن كل شيء»، قالت ثم نظرت إلى طاولة تجلس إليها أربع فتيات تحاشين النظر إليها. «ماذا كنتُ أقول؟ آه، أجل». ضربت بيدها على ركبتها وتابعت: «ما سمعته عنكِ. . .». سكتت قليلاً قبل أن تنطق بالأخبار المهمة: «أنتِ، يا آنسة نوفمبر، خرجتِ بالأمس بعد موعد حظر التجول، وهذا تصرف شقيّ، إن أردتِ رأيي».

التفتَ كل مَن في القاعة إليّ وكأن أحداً أعطاهم أمراً بذلك.

اللعنة.

لكن جاء ردّ ليلى المفاجئ، إذ قالت بسخرية: «أحسنتِ، يا آريا، كان هذا عرضاً جميلاً، لا بد أنكِ تشعرين بالملل هذه الأيام».

«حسناً، هل تتسترين عليها، يا ليلى؟ كيف تمكنتِ من أن تستلطفي أحداً بهذه السرعة؟ لا بد أنكِ بدأتِ تفقدين تماسكك».

«أو ربما هي يائسة للحصول على صديق، نظراً لأنها لا تحظى بأصدقاء ذوي أهمية»، قال برندان مقاطعاً آريا، فرأيتُ الشررَ يتطاير من عينيّ ليلى، بينما كانت عينا آريا تومضان إثارةً من كلامه، مما جعلني أتساءل ماذا يقصد بـ **ذوي أهمية**؟ كل ما يمكنني التفكير به أنه يقصد أموراً تتعلق بالتحالفات العائلية التي تحدّث عنها آش، لكنني لستُ متأكدة.

«ليلى تضحك لأنكِ سخيفةٌ، يا آريا»، قلت لها ثم التفتُ نحو برندان قائلةً: «أما أنتَ فتمهل قليلاً، يا برندان، دعنا لا نتحدث عن **اليأس** ما لم نأتِ على ذكر مهاراتك المُخجلة في رماية السكاكين، أم أنك التحقت بهذه المدرسة لأنك الابن البكر لإحدى العائلات القيادية فحسب؟». لقد خاطرت بتسديد رمية عشوائية هنا، لكن كيف يتجرأ على ليلى بهذا الشكل؟

علمتُ أنني ضربتُ وتراً حساساً من الطريقة التي ضيّق بها عينيه، لكن نظرات الدهشة والتوتر التي ظهرت على بقية أعضاء استراتيجيا جعلتني أعتقد أنني ربما تماديت في كلامي.

بدأت آريا تصفق وتصيح: «لم أقضِ مثل هذا الوقت الممتع منذ أشهر طويلة، انظروا إلى وجه برندان»، قالت وهي تضحك، «انظروا إلى وجه ليلى».

وقفت ليلى وكأنها سئمت مما يجري في هذه الليلة، ووقفتُ أنا أيضاً. كانت أصوات التهامس في الغرفة مثل أصوات سربٍ من الجراد، وفي وسط كل هذا لاحظتُ أن آينس تواصل الرسم في دفترها كأن شيئاً لم يحدث.

«لكن السؤال الحقيقي الذي يحيّرني هو»، سكتت آريا قليلاً ثم

عضتْ على شفتها ورفعتْ حاجبها، «من الذي كان برفقتك؟ لا بد أنكِ خرجتِ لمقابلة أحدهم، أليس كذلك؟ لقد وصلتِ إلى هنا منذ فترةٍ وجيزة، ولم يكن لديكِ وقت كافٍ لمعرفة جدول مناوبات الحراس».

«هذه نقطة مهمة، يا آريا، لماذا لا توضّحيها لنا، يا نوفمبر؟»، قال تشارلز وهو يضع الورق من يده مُبدياً الحماسة للانخراط في الحديث، ثم استرق نظرةً نحو برندان.

هززتُ رأسي وابتسمت، وكأنني أعتبر ما يفترضانه مجرد سخافة. كنتُ أقف في غرفةٍ تعجُّ بخبراءٍ في فنون الخداع، وكل ما أتمناه ألا يلاحظ أحدٌ منهم الأفكار التي تتسارع بقلقٍ في رأسي، فحتى أنا كنت أعلم أن إنكار أمرٍ ما بشكلٍ مباشر يجعلك تبدو مذنباً.

«يبدو لي غريباً أن يُقتل ستيفانو في نفس الليلة التي كنتِ فيها خارج غرفتك. توضيح، توضيح»، قالت آريا وهي تتنهد.

سادَ الغرفة هدوء تام عند ذكر اسم ستيفانو، حتى أن آينس رفعت نظرها عن دفتر الرسم.

«ثمة أشياء كثيرة تحتاج إلى توضيح»، قلتُ لها. «لماذا، قبل بضعة أيامٍ على طاولة الغداء، ذكر أحدهم أنكِ أضعتِ سكينك؟ هل لدينا معلومات كيف مات ستيفانو؟»، قلتُ محافظةً على هدوئي.

رمقتني ليلى بنظرة تتراوح بين الإعجاب والخوف.

«إصابة مباشرة، يا عزيزتي. أنتِ الآن في ساحة المعركة»، قالت آريا بلكنة فرنسية مُتقنة، ثم زمجرت وقوّست أصابعها أمامي مثل قطة ضخمة.

لم يرفع برندان نظره عني، فأخذتُ أحدّق به بالمقابل. شعرت بالخطر يحوم حولي، لكن ليس هذا الخطر اللعبةَ الخبيثة التي

تمارسها آريا، بل قوةٌ باردة يُحضَّر لها لتحطيمي. لكني أرفض الرضوخ، فأكثر ما أكرهه هو التنمر المُقنّع بثوب المثالية.

في تلك اللحظة، فُتح باب القاعة ودخل آش بصحبة فتاة، وابتسامته تملأ وجهه.

«هيا بنا»، تمتمت ليلى. لم أُغفل أدق التفاصيل، وشعرت بأعين الجميع علينا ونحن نسير باتجاه الباب.

كان آش على وشك أن يقول شيئاً، إلا أن ليلى قاطعته قائلةً: «لا أريد أن أسمع شيئاً».

مررتُ وليلى بالقرب من آش الذي لم يحاول اللحاق بنا. تجاوزنا الحارس، وبقيت ليلى صامتة إلى أن عبرنا جزءاً كبيراً من الممر.

«لقد تعمّد القيام بذلك»، قالت بنبرةٍ حادة.

«مَن؟ آش؟ تقصدين الحضور متأخراً؟».

«كل شيء. إرسالنا إلى هناك لمعرفة ما المشاكل التي سيسببها ذلك، وربما علمه مُسبقاً أن آريا ستستفزك أمام الجميع، ثم حضوره متأخراً مع تلك النظرة البريئة والغبية على وجهه، آه»، قالت ونحن نصعد السلالم.

«تقصدين أنه أوقع بنا؟». بدأت أتخيل الطريقة التي أدار بها آش معركة من دون حتى أن يكون موجوداً. في الحقيقة، لم أكن أعلم ما إذا كنت معجبة أو منزعجة مما فعله.

- «أجل، طبعاً. لقد وضعَنا في موقف مُحرج لمعرفة تبعات ذلك والمعلومات التي يمكنه الحصول عليها». يمكنني التخمين من نبرتها أن آش سيتلقى غداً توبيخاً قاسياً من توأمته. توقّفت ليلى أمام بابنا وقالت: «نوفمبر؟».

«نعم؟».

«لقد أبليتِ بلاءً حسناً هناك. كنتِ ثابتة ومتماسكة، ولم تسمحي لهم بالزجّ بكِ في دائرة الاتهام»، قالت ثم فتحت باب الغرفة ودخلنا.

«شكراً، يا ليلى، كلامكِ هذا يعني لي الكثير»، قلتُ لها بابتسامةٍ على وجهي.

«لكنهم أيضاً نجحوا في انتزاع معلوماتٍ منكِ ومني، والجميع يتساءل الآن ما إذا كنتِ قد قتلت ستيفانو، وهذا ليس في صالحكِ». صمتت قليلاً ثم تابعت: «وأيضاً، إن أفشيتِ ثانيةً معلومات شخصية ذكرتها أمامكِ، فسوف نجد أنفسنا في مأزق حقيقي».

«أي معلوماتٍ تقصدين؟ أنه الابن البكر في عائلته؟ أليس هذا أمراً يعرفه الجميع؟»، سألت وأنا أقفل الباب خلفي.

قطبت حاجبيها وقالت: «الجميع عداكِ، ما يعني أن الطريقة الوحيدة التي علمتِ بها هي أنني أخبرتكِ أنا. ومن وجهة نظرهم، هذا يعني أننا أصبحنا متحالفتين نوعاً ما. إضافةً إلى أنكِ حطّمتِ غرور برندان أمام الجميع، وهذا أمرٌ لن يمر دون انتقام».

15

دخلتُ برفقة ليلى عبر أبواب مزدوجة من الخشب السميك إلى مكتبة قديمة المظهر، حيث سلالم متحركة تستند إلى الجدران المغطاة برفوف الكتب. هنالك أيضاً مساحات صغيرة للجلوس ضمن الشرفات الممتدة بشكلٍ متعرج في الطابق الثاني. وفي الأعلى يمكنني رؤية السقف المُقبب المغطى بتصميمات متداخلة من الجص. ينفذ الضوء إلى الداخل عبر زجاج النوافذ الملونة ويُظهِر ذرات الغبار المنبعثة من الأقمشة والأغلفة الجلدية كأنها تضيء في الهواء، ما يضفي على المكان أجواءً ساحرة.

حاولتُ مراراً التحدّث إلى ليلى بخصوص ما حدث بالأمس في درس الألعاب الذهنية، لكنها كانت في كل مرة تطلب مني تأجيل الحديث.

مررنا أمام صفٍّ من الرفوف العالية، ثم صعدنا درجاً لولبياً إلى الطابق الثاني. كانت المكتبة خالية تقريباً. لم أكن أتوقع أن يسارع الجميع إلى هنا يوم عطلة الأحد، لكن هل يمكن التنبؤ بشيء في مدرسةٍ كهذه؟ وصلنا إلى ركنٍ دائري في الجهة اليسرى من الطابق الثاني، وهنا توقفت ليلى.

«انتبهي جيداً»، قالت وهي تلتفت حولها لتتأكد أن لا أحد

يراقبنا رغم أننا مُحاطتان بخزانة الكتب من كل جانب، ثم سحبتْ كتابين بلونٍ أزرق من الرفّ الثالث، وكتاباً بنيّاً سميكاً مهترئاً من الرفّ الرابع، وكتاباً قديماً أحمر من الرفّ الخامس، وضغطت بعد ذلك على منتصف نقشٍ على شكل ورقة نباتية على الخشب الداكن، فتحركت خزانة الكتب لتنفتح مُشكِّلةً باباً سرياً.

لم أُصدّق ما رأيته. «هذا رائعٌ جداً»، همست لها.

حفظتُ في ذاكرتي الكتب التي أخذتها ليلى، والورقة التي ضغطت عليها. أمسكتْ ليلى باب الخزانة لأدخل وأجد أمامي غرفةً صغيرة تبعث الراحة في النفس، مفروشة بسجادة وكرسيين حول طاولة تتكدّس فوقها كومةٌ من الكتب.

«ما هذا المكان؟»، سألتها بذهول. غرفة سرية خلف خزانة كتب؟ كانت إيميلي لتجد ذلك مثيراً للغاية، فهي لا تعشق الكتب وحسب، بل هي من نوعية الفتيات اللواتي قد يتحدثن مع ثقبٍ غريب الشكل في شجرة، مقتنعة تماماً بأن هناك جنيّاتٍ يختبئن داخله.

«غرفة الدراسة الخاصة بنا»، قالت ليلى، «هناك غرفة مثل هذه لكل غرفة في المهجع»، ثم أخذت علبة أعواد ثقابٍ عن الطاولة وتابعتْ: «إنها موزّعة في كل أنحاء المكتبة. لا يمكنكِ بالطبع ترك أي شيء سريّ هنا، فقد يتمكّن الآخرون من الدخول إليها، لكننا بشكلٍ عام نحترم المساحة الخاصة لبعضنا البعض لتجنّب أعمال الانتقام». ثم قامت بإيقاد الشموع في الشمعدان المعلّق على الجدار لتضيء غرفة الدراسة، وأكملت حديثها: «بالإضافة إلى أن هذا المكان يمنحكِ فرصةً للتفكير من دون أن تكوني مُحاطةً بأشخاصٍ يقرؤون تعابير وجهكِ طوال الوقت».

«ناهيكِ عن أن هذه الجدران الحجرية تشكلُّ عازلاً للصوت»، قال آش وهو ينسلُّ عبر الباب قبل أن تغلقه ليلى. لا بد أنه كان

يتبعنا. قلقتُ لكوني لم ألاحظ وجوده خلفنا، وتساءلت ما إذا كانت هناك أشياءُ أخرى لم ألاحظها.

نظرتْ ليلى إليه بتجهم، ما جعله يتظاهر بالبراءة ويقول مُلاطفاً: «آه، أرجوكِ لا تغضبي، يا لِيْ».

«سأغضب بالتأكيد»، قالت وهي ترمقه بنظرةٍ قاسية. «كان طلبكَ بأن نذهب إلى قاعة الطلاب حيلة خبيثة وفظيعة، إذ كان بإمكانك الحصول على المعلومات التي تريدها بألف طريقةٍ أخرى».

اقترب آش منها قائلاً: «لم تكوني لتقبلي ذلك، وعليكِ أن تعترفي بأن تلك المحادثات لم تكن لتكشف عن شيء لو كنتُ موجوداً».

أبعدتْ يده عن ذراعها. «لا أكترث إطلاقاً، يا آشاي».

«بل تكترثين»، قال آش، «وتعلمين أيضاً أن إرسال نوفمبر بمفردها لم يكن ليعطي النتيجة نفسها».

«وحتى إن كانت النتيجة مجدية، هل كنتَ سترضى أن تلقي بي في تلك المواجهة؟ يا للهول، شكراً لك»، قلتُ له.

«من الواضح أنه مستعد أن يفعل أي شيءٍ يخدم مخططاته، فهو عملياً يتصرف بانتهازية هذه الأيام»، قالت ليلى.

«لا تكوني قاسية، يا ليلى، لقد اعتذرت. اسمعي، سأصلح كل شيء، أعدكِ بذلك».

«وكيف تنوي أن تصلح ما قالته نيكس بخصوص تحوّلي إلى شخصٍ أقل حيادية يوماً بعد يوم؟»، سألته ليلى، فتغيرت ملامح آش واختفت علائم المرح والتسلية عن وجهه وقال لها: «لحظة، ماذا قلت؟».

«لقد سمعتني جيداً»، قالت ليلى، وكنت أتوق لسؤالهما عن

هذه الانقسامات السياسية، لكن لم يكن هذا الوقت المناسب.

«لحسن الحظ، غيّرت نوفمبر مجرى الحديث، وانتهى الأمر عند هذا الحدّ»، قالت ليلى، فنظر آش إليّ، ولم تكن نظرةَ امتنان بل نظرةً تحمل لوماً على أنني سبب المشكلة.

«حسناً، يا ليلى، سوف نسوي هذا الأمر»، قال آش بنبرة مطمئنة، «لكن حتى يحين ذلك الوقت، دعيني أحاول تعويضكِ عمّا حدث. سأفعل أي شيء تطلبينه».

«أي شيء؟»، قالت وقد تبدّدت تعابير العناد عن وجهها قليلاً.

«أجل»، قال ثم أضاف بتأثر مفتعل: «حتى لو تطلّب الأمر مني أداء حيلة السيف».

بدت أقل توتراً الآن. تبادلا نظراتٍ طويلة، إلى أن أنهى آش الموقف بابتسامة.

«أوه، توقف عن ذلك»، قالت ليلى، «أقل ما يمكنك فعله هو ألا تتفاخر بالأمر»، فأدركتُ أنهما تبادلا لتوهما حديثاً كاملاً باستخدام تعابير الوجه فقط، لم أفهم منه إلا القليل جداً.

ناولنا آش وسادتين كانتا على الكراسي. جلستْ ليلى على السجادة قرب الجدار ووضعتْ الوسادة خلف ظهرها بينما جلستُ في الجهة المقابلة لها، وارتمى آش بكسلٍ في وسط الغرفة مُتكئاً على كرسي وثير.

نظرت ليلى إليّ. «يجب أن نناقش ما حدث الليلة الماضية، لكننا نحتاجُ بدايةً إلى وضع بعض القواعد الأساسية. أعلم كل شيء عن الاتفاق الذي جرى بينكما من دوني، وينبغي أن أقول إنكما مستهتران، وبصراحة، لا أعلم من منكما تروقه الأفكار السخيفة أكثر. لكن لا يهم، فقد حدث ما حدث. وسواء أعجبني ذلك أم

لا، فقد تستّرنا على بعضنا البعض على نحوٍ ما، لذلك نحن عالقون الآن في هذه المشكلة معاً. لقد كنتِ محقةً، يا نوفمبر، حين طلبتِ منّا معلوماتٍ مقابل إخبارنا بتفاصيلٍ عن حياتكِ الشخصية. ثمة ثمنٌ للأسرار، ويجب أن يكون هذا الثمن بالقيمة نفسها، بحيث تكون الأمور عادلة. لكن إياكِ والظنّ أن الثقة المُتبادلة بيننا هي أمرٌ مسلَّمٌ به. فإذا فكرتِ بخيانة هذه الثقة بأي شكلٍ من الأشكال، فسوف تندمين أكثر كثيراً مما سنندم نحن».

نظرتُ إلى آش ثم إلى ليلى. لم يساورني الشك إطلاقاً فيما قالته. «أفهم ذلك».

«أما بخصوص الدروس التي طلبتِها»، تابعت ليلى، «فسأقدم لكِ المساعدة. نمتلك أنا وآش مهارات مختلفة في التحليل والمنطق، فستستفيدين إذا تعلمت منّا كلينا، إضافةً إلى أن طلبكِ للمساعدة والدروس هو تصرفٌ ذكي، وليس أمراً مُخجلاً».

أخذتُ نفساً عميقاً. «رجاءً، سأقبل كل المساعدة الممكنة، لأن آخر ما أرغب به هو خوض شجار ثم إحراج نفسي في الفصل بعد ذلك».

«ستحرجين نفسك، لا محالة»، قالت ليلى وانفجر آشّ ضاحكاً، فنظرت إليه ليلى مُحذرةً. «الأمر الواضح أن هناك بعض الجوانب تحتاجين العمل عليها، لكن لا يمكننا أن ندع الآخرين يعتقدون أن لديك نقاط ضعف، فهم سينقضّون عليها، أو قد يستغلّونها مثلما فعل بعضهم».

نظر إليها آش مدّعياً الاستغراب. «مَن؟ أنا؟». لكن ليلى لم تلقِ له بالاً.

«مِن أين سنبدأ إذاً؟ أنتما تعرفان أكثر مني مَن قد يكون لديه دافعٌ»، قلت لهما.

«أجل»، قالت ليلى موافقةً، «سنخبركِ بما نعرفه، لكن علينا أيضاً التحدّث عن تسلسل الأحداث المُحيطة بالجريمة. فقد تكون هناك دوافع لدى كثيرين، لكن القليل منها فقط ستكون منطقية نظراً إلى السياق».

«قُتل ستيفانو بعد ذلك الشجار الذي جرى بينكِ وبين ماتيو مباشرة»، قال آش.

أومأتُ برأسي. «أجل، هذا ما كنتُ أفكر به أيضاً. هل تظن أن لماتيو علاقة بالجريمة؟».

«أجل، على نحوٍ ما»، قالت ليلى. «ماتيو وستيفانو من العائلة نفسها، وكانا يتشاركان السكن ويُمضيان أكثر أوقاتهما معاً. ومهما كانت العقوبة التي تلقّاها ماتيو من بلاكوود بسبب شجاركما، فهي تسببت بغيابه عن الدروس في الفترة الأخيرة، لذلك يُحتمَل أن يكون أحدهم قد علم بغياب ماتيو، فانتهز الفرصة لينجز ضربته».

«فهمتُ ما تقصدين»، قلت لها. «بما أنهما كانا معاً طوال الوقتِ، الانفراد بستيفانو كان فرصة نادرة؟».

«تماماً»، أجابت ليلى.

«لكن من الغريب أن يحاول أحدهم توريطك في تهمة قتل عضوٍ آخر من عائلة الدببة، فأنتِ وستيفانو تنتميان إلى عائلةٍ متماسكة في كل الظروف؛ في الحب، وفي الكره، وفي الخلافات. إنهم لا يقتلون فرداً من العائلة إلا إذا تمت الموافقة على ذلك، وتم إصدار أمر في هذا الخصوص»، قال آش ثم نظر إليّ بطريقة غريبة فهمتُ مقصده منها.

«يا إلهي، بالتأكيد لا. لم أُرسَل إلى هنا لأقتل ستيفانو». هل تكليف شخصٍ ما بقتل فردٍ آخر من عائلتك هو شيء يحدث **فعلاً**؟ انتابتني رغبةٌ بالضحك. إنه أمرٌ مثيرٌ للسخرية حقاً، إلا أنني أنتمي

على ما يبدو إلى عائلة لها تاريخٌ طويل في ارتكاب جرائم قتل مخطط لها، وشعرتُ بالغثيان حيال هذه الفكرة.

«نعلم أنك لم تُرسَلي لقتل أحد»، قالت ليلى ثم قلبت عينيها ونظرت إلى آش. «وإلا لما عرضنا عليكِ المساعدة».

«ما أقصده»، قال آش، «هو أنه أيّاً كان مَن ارتكب الجريمة، فهو يرى أنه قادر على جعل ماتيو يعتقد أنكِ أنتِ مَن قتل ستيفانو».

رفعتُ شعري عن جبيني، ليس لأنه يزعجني، بل كحركةٍ حاولت من خلالها أن أستجمع أفكاري. لقد انتقلتُ من العيش في بلدةٍ صغيرة أعرف الكثير عن الجميع فيها إلى قلعةٍ نائية لا أعرف فيها حتى نفسي، فالأمر أشبه بمحاولة اكتشاف قوانين كرة القدم بعد أن أُلقي بك وسط الملعب والكرة في يدك ولديك عشرون لاعباً يركضون باتجاهك. «حسناً، فهمت ما تقصدانه. هناك مَن يعتبر أنني وماتيو من عائلتين بينهما تاريخٌ طويل من الحقد والضغائن، ما يفسّر توجيه ماتيو تلك اللكمة لي، ويجعل انتقامي منه بقتل صديقه منطقياً. إلا أنه في حال كانت هناك مشكلة حقاً بين عائلتينا المقربتين، فأنا لا أعرف عنها شيئاً».

نظرتْ ليلى إليّ بطريقة غريبة، وكأنها مشوّشة التفكير. «حسناً، يبدو أن من حاول الإيقاع بكِ على علم بالمشكلة، لكن الغريب في الأمر أن تخفي عائلتكِ عنكِ أمراً خطيراً كهذا».

بدأتُ أظن أن عائلتي أخفت عني كل الأمور المهمة طوال حياتي. «علينا إذاً البدء بالبحث عن الأشخاص الذين قد يعرفون شيئاً ما عني؟ في الحقيقة، ليس لديّ أدنى فكرة من يمكن أن يكونوا، عدا...»

«ماتيو؟»، قاطعني آش مكملاً جملتي.

ترددتُ قليلاً. إذا أخبرتهما بما قاله ماتيو عن أنني أشبه شخصاً

يعرفه، وأن الشخص الوحيد الذي أشبهه هو أمي، فسيكون هذا بمثابة الكشف عن **كل شيء** أعرفه. لكن من ناحيةٍ أخرى، قد لا يساعدني إخفاء هذا الأمر في الخروج من هذه الورطة.

«قال إنني أشبه أحد أفراد عائلتي، شخصاً قد توفي».

«آهااا»، قالت ليلى.

«ماذا؟»، قلتُ وأنا أراقبها وهي تستغرق في التفكير.

«ماتيو هو الابن البكر في عائلة الدببة، ومن المفترض أن يتولى قيادة عائلته يوماً»، قالت ببطء وكأنها تحاول ربط الخيوط ببعضها. «لكن في المقابل، أنتِ لا تعرفين أياً من الطلاب هنا، وإذا أخذنا لكنتكِ الأميركية بعين الاعتبار، فهذا يعني على الأرجح أنكِ نشأتِ بعيداً عن مجتمع استراتيجيا. لكن من الغريب أن يكون للزعيم المستقبلي لعائلة الدببة شعور بأنه يعرفكِ إلى درجة تدفعه لإيذائكِ، بينما تجهلين أنتِ تماماً من يكون».

«على أية حال»، تابع آش، «إذا كان ماتيو قد أدرك الشبه بينكِ وبين أحد أفراد عائلتك، فمن المرجح أن يدرك بقية الطلبة والمدرسين هنا ذلك أيضاً، وأظن أن مَن يعرفونكِ هنا أكثر مما تتوقعين».

صحيح أن آش أخبرني أنني أنتمي إلى عائلة الدببة، وبقدر ما أجد كلامه صعب التصديق، إلا أنه يبدو واقعياً نظراً لقبولي في هذه المدرسة، لكنني إلى هذه اللحظة لا أستطيع تقبّل فكرة انتمائي لهذا المجتمع، **استراتيجيا**، فلطالما شعرتُ وكأنه مفهوم بعيدٌ لا علاقة لي به فعلياً.

«حسناً، إذا كنتَ مُحقاً، وهناك أشخاصٌ آخرون يعرفونني هنا، فمَن قد يستفيد من الإيقاع بيني وبين ماتيو؟».

«الأسود»، قال آش وكأنه جواب بديهي. «لا بد أنكِ تعرفين

مقدار الكره بين عائلتيكما، حتى لو كنتِ تعيشين بعيداً في الولايات المتحدة».

«أجل، بالطبع»، قلت له، رغم أنه لم تكن لديّ أدنى فكرة عمّا يتحدث، لكن إذا كان العداء بين الأسود و الدببة معروفاً للجميع، فيغدو ما حدث بيني وبين برندان واضحاً ومفهوماً الآن.

«كنتُ أتساءل عمّن من الأسود **تحديداً** فعل ذلك. هل تظن أن برندان قتل ستيفانو وحاول إلصاق التهمة بي؟».

«قد يكون لدى برندان دافع»، أجابت ليلى، «لكن يصعب التنبؤ بما إذا قام بهذا الأمر هو نفسه أم أنه كلّف شخصاً آخر بتلك المهمة، لا سيما مع سعي العائلات الأخرى لكسب ودّ الأسود. فهناك أشخاصٌ مثل تشارلز ونيكس وقائمة طويلة من الطلاب ممن قد يدينون للأسود بمعروفٍ ما، وهم مستعدون لتقديم أي خدمات لهم، الأمر الذي يتيح المجال لبرندان لاستغلالهم بسهولة».

«ما حكاية تشارلز ونيكس؟»، قلت متعمدةً أن أسأل سؤالاً مفتوحاً.

«كما قلت لكِ»، قالت ليلى وهي تمرّر أطراف أصابعها على حافة السجادة، «كلاهما سيصبح القائد لعائلته يوماً، وهذا يجعل مستقبلهما مضموناً. ومع ذلك، تعتمد عائلتاهما بشكلٍ كبير على تحالفاتها مع الأسود، وبالأخص تشارلز، فعلاقة عائلته مع الأسود لا تعود لزمن بعيد مثل عائلة نيكس، لذلك قد يستفيد بكل تأكيد إذا ما أطاح بأحد أفراد عائلة الدببة».

نظر آش إليّ وإلى شقيقته نظراتٍ توحي بعدم ارتياحه لكون ليلى تطلعني على كل هذه المعلومات.

« عندما قابلتها لأول مرة، أخبرتني بلاكوود عن بعض الوفيات في الفترة الأخيرة»، قلت.

«لا يخفى على أحد أن الأسود كانوا يقتلون أفضل أبناء العائلات التي ترفض الرضوخ لهم، والأكثرهم مهارة»، تنهدت ليلى.

فكّرتُ بآينس على الفور، وكيف وصفها الجميع بأنها أكثر الطلاب مهارةً في صفنا. ربما لديها أسباب وجيهة تجعلها أكثر تحفظاً مع الآخرين، والأمر نفسه ينطبق على ليلى أيضاً.

«لقد انتشرت هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة، إذ قُتل بعض الطلبة قبل حتى أن يتخرجوا»، تابعت ليلى. «لطالما حظي هذا المكان باحترام جميع العائلات باعتباره مكاناً آمناً. كانت هناك بعض الوفيات بين الحين والآخر طبعاً، لكن ليس كما يحدث الآن».

«إذا كان الجميعُ يشتبه في أن يكون الأسود وراء موت هؤلاء الطلاب، فلماذا لم يفعل أحد شيئاً حيال ذلك؟»، سألت، ما أثار ابتسامة أخرى من ليلى.

«من سيوقفهم؟»، سأل آش.

«حسناً، أنا... لا أعرف»، أجبته.

«بالضبط»، قال آش، ثم سادت لحظة من الصمت.

«وماذا عن آريا؟»، سألتهما، «ماذا عن تورطها في كل هذا؟ فبالإضافة إلى ما حدث في قاعة الطلاب الليلة الماضية، فهي أعلنت أمام الجميع في قاعة الطعام أن آش سرق سكينها الأسبوع الماضي».

التفتتْ ليلى نحو آش مذعورة. «أخبرني أنك لم تفعل ذلك».

«لم أفعل»، أجابها، ثم حدّق كلٌّ منهما في عينيّ الآخر مطولاً إلى أن اقتنعتْ أنه صادق. من الغريب أنه لم يخبرها بهذا الأمر، كنتُ أعتقد أنه لا يخفي أحدهما عن الآخر شيئاً.

«لكن وبحسب ما سمعت، فإن نوفمبر قلبت السحر عليها عندما كشفت أمر السكين أمام الجميع في قاعة الطلاب الليلة الماضية»، قال آش. «كان هذا رائعاً بالمناسبة».

«شكراً»، قلتُ مُبتسمةً، «هل تعتقد إذاً أنّ آريا قد تكون متورطة في الأمر، أو لديها دافعٌ ما؟».

«لستُ متأكداً»، قال آش، «لكنها على علم بطبيعة الأمور على الأقل، ما يجعلها مشكوكاً فيها».

«وماذا عن فيليكس؟ هو أسد، أليس كذلك؟»، سألته.

أومأت ليلى برأسها. «إذا كانت آريا متورّطة، فلا بد أن فيليكس متورّط أيضاً. أما الآن، فأعتقد أن علينا الإمساك بطرف هذا الخيط لمعرفة إلى أين سيقودنا، بما أن الاقتراب من آريا وفيليكس أسهل بكثير من الاقتراب من برندان وتشارلز ونيكس».

«**الإمساك بطرف هذا الخيط**... ماذا تقصدين بهذه العبارة بالضبط؟»، سألتْ.

«أن نتعقبها ونحاول اكتشاف ما تعرفه»، أجاب آش.

تسارع نبضي. «نتعقبها؟».

ابتسم آِش قائلاً: «أنا وأنتِ».

«وماذا عن ليلى؟»، قلتُ بصوتٍ يشوبه التوتر، غير متأكدة من أن تعقّب آريا أسهل من تعقّب برندان.

«هل تخشين ألا تتحملي كل هذا الوقت برفقتي؟»، قال آش وقد بدت عليه التسلية.

«بل ألا أستطيع تحمل غرورك»، قلتُ له بسخرية.

«ليس التواضعُ فضيلةً»، قال مستهزئاً.

«ولا تبجيل الذات»، أجبته.

«لا بد أن الأمر غريبٌ بالنسبة لك، يا آش»، قاطعتنا ليلى، «أن تجد فتاةً لا تقع في حبك من اللحظة الأولى. أعتقد أنني سأستمتع بذلك. أما بالنسبة لسؤالكِ، يا نوفمبر، فسأتولّى مهاماً أخرى، فأنا أفضل من آش عندما يتعلق الأمر بإجراء البحوث والتحريات».

« هي تعني بـ **أفضل** أنها أكثر صبراً»، قال آش.

«بل أعني بـ **أفضل** أنني أفضل»، قالت ليلى، فابتسم آش بمكر.

لو كانا شقيقين تقليديين، لكان هو الأخ الذي يقدم لها الرشوة مقابل مساعدتهه في أداء واجباته الدراسية، ولطلبتْ منه هي أن يعلّمها كيف تغازل شاباً، لكن علاقتهما ليست تقليدية بتاتاً.

16

كنتُ أُنظر إلى برنداان وتشارلز ونيكس على يساري، وآريا وفليكس وآينس على يميني وأتساءل هل قام أحدهم بقتل ستيفانو وظنَّ أن بإمكانه إلصاق التهمة بي. رمقتني ليلى بنظرة تحذير للتوقّف عن التحديق فيهم، فأسندتُ ظهري إلى الكرسي.

كانت الأستاذة كارتال تقوم بتدوير كرة أرضية قديمة موضوعة على قاعدة خشبية. كانت تقف بكتفين مشدودتين إلى الوراء ورأسٍ مرفوع، الأمر الذي منحها حضوراً قوياً. لم تنظر إلينا واكتفت بمراقبة الكرة الأرضية. **كارتال... اسمها يعني «النسر» في اللغة التركية.**

«هنالك أشياءُ غريبة تحدث على نحوٍ عرضي كل يوم... كل يوم دون استثناء»، قالت كارتال ثم تنهّدت. «في أحد الأيام، كان ملكُ إيطاليا أومبرتو الأول يتناول غداءه في أحد المطاعم حين اكتشف أن مالك المطعم وُلد في يوم ميلاده نفسه وفي البلدة نفسها، وما يثير الحيرة أكثر هو أن كلّاً منهما تزوج امرأةً تدعى مارغريتا. وفي أحد أيام شهر يوليو من عام 1900، وصل إلى الملك خبرُ مقتل صاحب المطعم رمياً بالرصاص في الشارع، وفي وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم، اغتيل الملك».

لا أعرف ما الذي ترمي إليه من حديثها هذا، لكن حتى الآن، هذا لا يشبه أي درس تاريخ حضرته قبل ذلك.

نظرت كارتال نحونا ثم تابعت حديثها وهي لا تزال تقوم بتدوير الكرة تحت أطراف أصابعها. «وأثناء الحرب العالمية الأولى، قام الجيش البريطاني بتحويل سفينة **كارمينيا**، وهي سفينة ركاب عابرة للمحيطات، إلى سفينةٍ حربية. ثم قاموا بتمويهها وتغيير اسمها إلى سفينة الركاب الألمانية **كاب ترافلغار**. هل أنتم معي؟ لأن شيئاً ما سيقلب الأمور. ففي عام 1914، أَغرقت هذه السفينةُ البريطانية المموّهة سفينةً ألمانية، وكانت السفينةُ الغارقة هي **كاب ترافلغار** الحقيقية»، وهنا ضحكت كارتال، «وقد قام الألمان بتمويهها وتغيير اسمها لتصبح السفينة البريطانية **كارمينيا**».

ضحكتُ عالياً بطريقة جعلت بعض الطلاب ينظرون إليّ، إذ بدا أنني وكارتال فقط وجدنا أن هذه القصة مُسلية.

رفعت كارتال أصابعها عن الكرة الأرضية ودسّت خصلة منسدلة من شعرها الأسود في الضفيرة الملفوفة حول رأسها. «هل قرأتم الرواية الوحيدة التي كتبها إدغار آلان بو؟ عنوانها **حكاية آرثر غوردن بيم من نانتاكيت** وتتحدث عن رحلةٍ مشؤومة إلى القطب الجنوبي حيث تتحطم السفينة وينتهي الأمر بأربعة من الركاب على قارب نجاة في وسط المحيط، ومن بين كل الخيارات، يقرر هؤلاء أن يأكلوا فتى خادماً في السفينة اسمه ريتشارد باركر. حسناً، لم ينتهِ الأمر هنا، ففي عام 1884، غرقت سفينةٌ حقيقية اسمها **مينيونيت**، لينجو منها أربعة ركاب، وقرروا بدورهم أن يأكلوا الفتى خادم السفينة ليتمكنوا من البقاء على قيد الحياة. هل يمكنكم تخمين اسم الفتى؟ ريتشارد باركر. لا يسعني هنا إلا أن أتساءل ما إذا كانوا هؤلاء من المعجبين بكتابات بو».

لستُ ممن يحبون دروس التاريخ، وكنت خائفةً نوعاً ما من هذا الدرس بسبب ما دار بيني وبين كونر من حديث، لكنني أعتقد أنني غيرتُ رأيي للتو، وقد لا تكون الدروس التي سأتلقاها من آش وليلى بهذا السوء.

نظرت كارتال إليّ مباشرةً وقالت: «وتحدث أشياءُ غريبةٌ لسببٍ معين أيضاً»، ثم أشاحت بنظرها عني وتابعت: «في العصور الوسطى، أراد جون ملك إنجلترا إنشاء طريقٍ سريع يمر عبر غوثام، وطُلبَ من أهل البلدة دفع تكاليف تلك الطريق. كان الجنون يُعتبر مُعدياً في ذلك الوقت، لذلك قرر أهالي غوثام أن يتظاهروا بالجنون كي يخاف الناس المرور من هناك، وبهذا يتخلصون من فكرة إنشاء الطريق السريع. وما حدث هو أن جميع أهل البلدة أصيبوا بالجنون حقاً». وهنا ابتسمت كارتال. «هل يرغب أيٌّ منكم بإخباري ما الذي أرمي إليه؟».

«هناك شيءٌ ما يشدُّ الناس إلى الصُدف»، قالت نيكس وقد بدتْ منزعجةً من الفكرة. «كلما ازدادت غرابة هذه الصدف، ازدادت رغبة الناس في تصديقها. تخيّلوا أن تصاب بلدةٌ كاملة بالجنون، هذه قصة تثير الفضول. وسيبذل الناس كل ما بوسعهم للتحقق منها بدلاً من البحث عن الدوافع».

أمعنت النظر إلى نيكس، فلا يسعني سوى الاعتقاد أن لهذه المحادثة علاقة بالجريمة على نحوٍ ما.

«كلامٌ صحيح»، قالت كارتال، «هل من آراءٍ أخرى؟».

«إقناع الناس بتصديق حدوث الصدف أو عدم تصديقها أمر سهل»، قالت آريا.

«فسّري كلامكِ»، قالت لها كارتال.

مالت آريا على كرسيها إلى الخلف. «إذا جرى تعزيز الصدفة

ودعمها، فسوف يُظهر الناس اهتماماً بها، وسيناقشونها أكثر، وسيحاولون فهم كل التفاصيل التي جعلت منها أمراً غريباً، ثم سيصدقون حدوثها حتى لو كان ذلك بعيداً عن أي منطق. إنما إذا كان هناك رفضٌ وجدل حول الصدفة، فستبقى موضع شكٍ إلى الأبد، سواء حدثت فعلاً أم لا».

«أتفق معكِ تماماً»، قالت كارتال، «وهو ما يجعل التخطيط لمثل هذه الأحداث أمراً بالغ الخطورة، لكنها قد تتحول إلى أمرٍ عظيم إذا ما جرت بشكلٍ مُحكم. والآن أخبروني، أية قصة تختلف عن البقية؟».

«الأولى»، قالت ليلى، «فشخص كان يعلم بلقاء الملك أومبرتو مع صاحب المطعم قد يساعد على نشر تلك القصة في الولائم والمناسبات الاجتماعية، وحالما تُعرَف القصة على نطاقٍ واسع، يصبح من السهل تدبير مقتل صاحب المطعم، ثم نقل الخبر إلى الملك، وبعدها تدبير اغتيال الملك. الاعتماد هنا هو على عنصر الغرابة، كما تُضفى المصداقية على الصدف، مما يوحي أن موت الملك كان قضاءً وقدراً».

نظرتُ إلى ليلى مذهولةً. كان آش مُحقّاً حين قال إنهم يحللون الأحداث التاريخية، ويدركون كيف أن حجرَ دومينو يطيح بالآخر، ويستخدمون هذه المعلومات للتنبؤ بالأحداث المستقبلية، وهذا لا يختلف عن طريقته في قراءة تعابيري وحركاتي.

«وعلاوة على ذلك»، قال فيليكس، «فإن تحليل ليلى قد خلق لدينا الشك الذي تحدثت عنه آريا، لذلك حتى لو كان موت الملك وصاحب المطعم هو محض صدفة، فنحن الآن أمام متغيرات جديدة بحيث لا يمكننا إنكار أن الأحداث قد تكون مُدبرة».

«هذا صحيح»، قالت كارتال، «يؤثر تأطير القصة بشكلٍ كبير

على مصداقيتها، بقدر ما تؤثر عليها الأحداث. تماماً كما يفعل رسّام الصور الشخصية حين يُخفي عيوب زبائنه فيتغير انطباعنا عنهم. غالباً ما يكون البحث عميقاً في هذه القصص للعثور على الحقيقة أمراً صعباً. وإذا كان الشخص الذي قام بتأطير القصة ماهراً، فستبقى هناك دائماً مساحة للشك، كفيلة بأن تجعل الحقيقة تضيع إلى الأبد»، قالت وهي تنطق بالكلمات الأخيرة ببطء.

بلعتُ ريقي. لو جرت هذه المحادثة قبل أسبوع لظننتُ أنها مجرد صدفة، ولكن كما تعلمت للتو، يمكن للصُدف أن يُخطَّط لها بحرص.

«لنتحدث عن خطة تمحورت حول اكتشاف جثةٍ، بدلاً من الجثة نفسها»، قالت كارتال.

قاومتُ بشدة الرغبة في أن أجول بنظري على الغرفة، لأرى ما إذا كانت هناك ردود أفعال على خطاب كارتال المبطّن. كانت ليلى هادئةً على نحوٍ غريب، ووجهها لا يعبّر عن شيء، وأدركتُ على الفور أنهم جميعاً مدركون لما يحدث. فأنا الحمقاء الوحيدة التي تُظهر ردود فعلها للعلن. تباً. في كل مرة أعتقد أنني بدأتُ أن ألحق بهم، أكتشف أنني لا أزال متارجعة خطوة إلى الوراء. كان آش مُحقاً حين قال إنني كنتُ بين صفوف المتفرجين أتناول الفشار بينما كان الآخرون في الملعب.

«خلال الحرب العالمية الثانية، ألقت الاستخبارات البريطانية جثة بلباس ضابط بريطاني في مياه البحر المتوسط»، قالت كارتال، «ووضعوا مع هذه الجثة وثيقةً تحمل خطةَ غزو اليونان. لكن في الحقيقة، كانت اليونان مجرد تمويه، فخطّتهم الحقيقية كانت غزو صقلية. عثر الإسبان على الجثة وانطلت عليهم الخدعة، وصدّقوا بأن الغزو سيكون على اليونان. وما ساعد في نجاح الخطة أنه حين

سلَّم الإسبان الوثيقة للألمان، لم يسلموهم الجثة معها. من المعروف عن الإسبان أنهم يكرهون التشريح، ولهذا السبب جرى اختيارهم كهدفٍ للحيلة. فلو كان الألمان هم من عثروا على الجثة لقاموا بتشريحها في الحال، ولاكتشفوا أن هذا الشخص لم يمت غرقاً، وأن الأمر بأكمله مجرد خدعة». صمتتْ كارتال وجالت بنظرها على الحضور. «اعتمد نجاح الخطة في المقام الأول على أن الناس الذين سيعثرون على الجثة لن يُجروا الفحص المُفترض أن يُجرى».

زادت الأسئلة التي أثارتها كارتال من ارتباكي، خاصة إذا ما كانت تقصد بحديثها كيفية العثور على جثة ستيفانو ومَن الذي عثر عليها. لقد أخبرتني بلاكوود أن أساليبها في التحقيق ستكون غير عادية وغير متوقعة . ولذلك لا يسعني إلا أن أتساءل ما إذا كان الأساتذة يحاولون إثارة بعض الأمور وإثارة التساؤلات عما نعتقد أننا نعرفه - تماماً كما أفعل الآن.

17

«لماذا غادرنا قاعة الطلاب؟ لا تزال آريا هناك»، همستُ لآش ونحن نسير وسط ممر خالٍ تضيئه شعلة واحدة.

سحبني آش من يدي نحو مكانٍ مظلم ثم قال بصوت خافت أكاد لا أسمعه رغم أنني بجواره تماماً: «لأنني رأيت فيليكس يستخدم لغة الإشارة ليخبرها أنه سيقابلها».

«أين سيقابلها؟»، سألته وقد شعرتُ بتشنجٍ في معدتي. اقترابه مني إلى هذه الدرجة يثير أعصابي، وأنا واثقة أنه إذا رآنا أحدهم الآن فسيظن أننا في وضعٍ عاطفي، إلا أن آخر ما ينقصني الآن هو ملاحظة جديدة، فلديّ منها ما يكفي لمعاقبتي بتنظيف الحمامات بفرشاة الأسنان.

«أظن أنهما سيلتقيان في غرفتها»، قال آش.

تراجعتُ إلى الخلف قليلاً لإلقاء نظرة عليه. «ما الذي تقوله؟».

«أقول إني أريد الاستماع إلى حديثهما»، همس آش بنبرة توحي بأنه جدي.

اتسعت عيناي عندما أدركت ما يرمي إليه. «لا، لا تفكر بالأمر، لستُ هنا من أجل ذلك، يا آش. لن أقتحم أي... لا، لن أفعل ذلك».

«إبقي هنا إذاً غارقةً في خوفكِ»، قال آش، «قد يخرجون من تلك القاعة في أي لحظة الآن، وعندها سنفقد فرصتنا، لكن لا بأس، يمكنك الذهاب إلى السرير، أنا متأكدٌ أنكِ ستنامين بعمقٍ وأنتِ تعلمين أنك قد تُتهَمين بالضلوع في جريمة قتل لم ترتكبيها». ثم سار مبتعداً.

وقفتُ للحظة أراقبه ذاهلة. يا إلهي، آش هو توأمي الروحي عندما يتعلق الأمر بالإبداع في إقناع الآخرين.

«تبّاً»، همستُ في سرّي، ثم أسرعتُ عبر الممر للحاقِ به.

ابتسم حين رآني، وكأنه يعلم أن هذا ما سأفعله تماماً. عبستُ وفكرتُ في توبيخه، لكن عند وصولنا إلى السلالم تلاشى غضبي من آش أمام رهبة ما كنا على وشك أن نفعله.

توقف آش أمام مدخل الطابق الثاني لمهجع الفتيات، ونظر من حوله ليتحقّق من عدم وجود أي حراس، فاسترجعتُ على الفور ذكريات تلك الليلة، حيث لم يكن الأمر حينئذٍ أكثر من مجرد تسلية.

أشار آش إليّ للحاق به، فاندفعنا عبر الممر بخطى صامتة. توقّف مرة أخرى عند الباب الرابع على اليمين ورفع مزلاج باب غرفة آريا وآينس دون أن يصدر أي صوت، وتسللنا إلى الداخل وقلبي يخفق بسرعة جنونية.

لم يسبق لي أن فكرت بمدى سهولة الدخول إلى أي غرفة في الأكاديمية، فالأبواب هنا تُقفل من الداخل فقط. في المقابل، لست متأكدة من جدوى استخدام الأقفال في هذا المكان، فبدلاً من ردعهم، أظنها ستحفّز هؤلاء الطلاب على المحاولة.

«ماذا الآن؟»، همستُ وأنا أتفحص غرفة المعيشة التي كانت نسخة طبق الأصل عن غرفتنا أنا وليلى. ما بين الأرضية الحجرية والأثاث القديم، كان أكثر مكان مناسب للاختباء هو تحت

السريروهو ما لن أقوم به على الإطلاق. لن أغامر بالبقاء مُحتجزة في غرفة نوم أحدهم.

«ينبغي عليكِ أولاً إزالة قطعة العشب تلك التي أدخلتها معك»، قال آش وهو ينظر إلى الأرض مستغرباً إهمالي. «إلا إذا أردتِ أن تعلم آريا أننا هنا، وعندها آمل أن تكون مهاراتك القتالية جيدة بما يكفي لتفوزي بقتال نواجه فيه ثلاثة أشخاص».

نظرتُ إلى الأرضية، حيث كانت هناك فعلاً قطعة عشب صغيرة، لا بد أنها علقت بأسفل حذائي، فالتقطتُها ودسستها في جيبي.

توجّه آش نحو النافذة التي تغطيها ستارةٌ ثقيلة. «حافة هذه النافذة واسعة بما يكفي ومناسبة جداً، ادخلي من تحتها وانتبهي ألا تسحبي الستارة، فقد ينتبه الحراس ويأتون إذا تسرب أي ضوء من النافذة. لا تجلسي على الحافة، ففي مُلاصقة لإطار النافذة، وابقي في وضعية يمكنك تحمّلها لبضع ساعات وحيث يمكنك التحرّك دون إصدار أي صوت. وإذا حرّك أحدهم الستارة، يجب أن تكوني مستعدّة للتحرك كي لا يلمسك القماش وينكشف أمرنا».

وقفتُ أحدّق به بدهشة. لا يمكن أن يكون جاداً في ما يقول، لكن لا شيء في حديثه يوحي بأنه يمزح.

بلعت ريقي. «تريد مني الاختباء **لساعاتٍ** عند حافة نافذة في الطابق الثاني، في غرفةِ فتاةٍ لن تتردد للحظة واحدة في إلقائي منها؟ وهناك احتمال أن يتفقد أحدهم الستائر، وعندها عليّ التصرف بمهارةٍ لأتجنب افتضاح أمري؟»

«أجل»، أجاب آش وكأنه أمرٌ طبيعي يحدث كل يوم، ثم سحب الستارة قليلاً لأتمكن من التسلل تحتها وقال: «أنتِ أولاً».

«وكيف سنخرج من هنا ثانيةً؟»، سألته وفطنت بأنني خطوت بعيداً عن الستارة بدلاً من الاقتراب منها.

«سوف ننتظر حتى تناما ثم ننسحب بهدوء».

«وماذا لو نامت إحداهما على الأريكة؟».

«حينئذٍ سنبقى عالقَين هنا حتى الصباح، أو نغتنم أي فرصة للتسلل خارجاً دون أن تشعرا بنا»، قال ثم صمتَ قليلاً. «عليكِ التسلل تحت هذه الستارة الآن، إلا إذا أردتِ أن يدخلوا ويمسكوا بنا بينما نحن نتجادل».

اقتربتُ منه وأنا أرتعد خوفاً من أن تصل آريا وتجدنا على هذه الحال.

كان يراقبني بإمعان وأنا أنحني قليلاً ثم أُمسك طرف الستارة بتردّد.

تنهّد آش قائلاً: «عودي إلى غرفتكِ، يا نوفمبر»، فجمدتُ في مكاني.

«عفواً؟».

«عودي، أنا جادٌ فيما أقول. لا يمكنك القيام بهذا إذا لم يكن لديكِ الثقة الكافية، سيُكشف أمرنا في لحظات، غادري بسرعة قبل أن نفسد كل شيء».

وقفتُ في مكاني وأبعدت شعري المتناثر عن وجهي بينما يرمقني آش بقسوة. أردتُ الاعتراض على كلامه، لكنه كان مُحقاً، فالوقت يداهمنا، وكنا معرضَين لأن يُمسكوا بنا بسبب تلكّئي بحماقة.

ألقيتُ نظرة خاطفة على الممر، الذي كان خالياً لحسن الحظ، فخرجت بسرعة من الغرفة وأغلقتُ الباب خلفي. لم أغادر بهدوء كما كان آش ليفعل، فشعرتُ بالاستياء من نفسي وأنا أتجه نحو الدرج للعودة إلى غرفتي. كانت هذه المرة الأولى التي يقول لي فيها أحدهم إنني لا أمتلك الثقة الكافية للإقدام على أمرٍ ما، وقد نجح

ذلك بالعبث بأفكاري. هو لم يقل إنني غير مؤهلة للقيام بذلك، فهولم يكن ليطلب مني الذهاب معه لو لم يثق بقدراتي، إلا أن قطعة العشب تلك كانت غلطةً لا تُغتفر.

تسللتُ خارج غرفتي على رؤوس أصابعي، ومشيتُ بحذرٍ لتجنب الألواح المُتصدعة التي تُصدر صريراً، ثم جثيتُ على يديّ وركبتيَّ وزحفتُ عبر غرفة الجلوس حتى وصلتُ إلى خلف الأريكة.

«يمكنني سماع أنفاسكِ، يا طفلتي الجاسوسة»، قالت الخالة جو من على الأريكة، حيث تلعب الورق مع أبي.

نهضتُ غاضبةً. «تباً».

«ورأيتكِ تتسللين زاحفةً نحونا، يا نوفا. ماذا أخبرتكِ بخصوص هذا الأمر؟»، قال أبي.

وقفتُ أمامه، طفلة صغيرة في السابعة من عمري، ووضعت يدي على خصري باستياءٍ ثم أجبته: «أن حجمي الصغير هو ميزة، لكن لا فائدة من هذه الميزة إذا لم أتمكن من التخفي بشكلٍ كامل».

«وكيف كان من الممكن أن تبقي متخفّية؟»، سألني.

«بالبقاء في الممر وعدم القدوم إلى حيث الأريكة»، أجبته بتأفف.

أومأ برأسه.

«لكنني لم أتمكن من سماعكما جيداً من هناك، كما أن أرضية الممر باردة»، اعترضتُ قائلةً.

«لكنكِ تمكنتِ من سماعنا»، قال أبي، «والآن بعد التسلل إلى الغرفة كُشفَ أمرك، مما جعلني والخالة جو نعلم أن هناك من يتجسس علينا، فما هو الإنجاز الذي قمتِ به؟».

«لا شيء»، أجبته مستاءةً.

«كانت محاولةً جيدة رغم ذلك، يا صغيرتي»، قالت الخالة جو وهي تستند بمرفقها على الجزء الخلفي من الأريكة لتراني بشكلٍ أفضل. «أشعرُ بالإطراء لأنكِ قمتِ بهذه المغامرة فقط لتستمعي إلى حديثنا، وكمكافأة على الجهد الذي بذلته، لن أتركك تعودين خالية الوفاض. مكافأتكِ لكِ هي أن أخبرك أنني هزمت والدك شرّ هزيمة في لعبة الرومي».

هزَّ أبي رأسه. «أمرٌ لطيف أن تكون لديكِ مخيلةٌ واسعة، يا جو»، قال ثم نظر إليَّ: «والآن عودي إلى فراشكِ، يا نوفا».

«حسناً»، قلتُ بتأفف، فقبّلتني الخالة جو على جبهتي، ثم نَظرتْ إلى كاحلَي وضَحكت عندما رأتْ كيف قطعتُ بشكلٍ متفاوت القدمَين البلاستيكيَّين المانعَين للانزلاق واللتين تصدران الضوضاء من رداء النوم ذي القطعة الواحدة.

كنتُ واثقةً من نفسي في سنّ السابعة أكثر مما أنا عليه الآن، وعلى استعدادٍ لخوض المخاطر أكثر مما كنتُ منذ قليل في غرفة آريا. يُفترَض أن تكون مهاراتي الآن أفضل بحيث لا تسمح لي بترك أي أثر خلفي أو التردّد حيال قرار عليّ اتخاذه، كما حدث للتو. لقد أخبرني أبي مراراً وتكراراً أنه عليّ أن أختار بين أن أفعل أمراً أو أن لا أفعله، أما التردّد فهو ليس خياراً البتة.

عند دخولي إلى غرفتي، أسرعتُ إلى التفتيش خلف الستائر وتحت السرير. لطالما استغربتْ إيميلي من الطريقة التي شجعتني بها عائلتي على تنمية مهاراتي في التسلل بدلاً من توبيخي على ذلك. كنتُ أقول لها إن السبب هو إيمان أبي بأن مهارات البقاء على قيد الحياة هي ما يساعدنا على البقاء، لكنني لم أُدرك كم كان مُحقّاً إلا حين أتيتُ إلى هنا.

18

أعطتني ليلى عباءتي وهي توجز لي ما سمعه آش الليلة الماضية. «على ما يبدو، كان ماتيو قد عاد للتوّ من خارج أسوار الأكاديمية، وكان فيليكس يخبر آريا أنه ليس متأكداً مما إذا كان ماتيو قد سمع بمقتل ستيفانو بعد»، قالت ليلى. «رغم أنني واثقةٌ من أنه شعر بحدوث أمرٍ غريب حين عاد إلى غرفته ولم يجد ستيفانو».

«خارج أسوار الأكاديمية؟ ماذا تقصدين بذلك؟»، سألتها.

«من المعروف عن بلاكوود أنها ترسل الطلاب إلى خارج الأسوار كجزءٍ من عقوبتهم، مع تكليفهم بمهامٍ مختلفة، وهو أمر مُحبطٌ، لأن الطلاب تفوتهم دروسهم في هذه الحالة»، قالت ليلى.

حاولتُ إخفاء تعابير الخوف عن وجهي من فكرة أن ماتيو قد عاد، فقد لكمني سابقاً لسبب أجهله، ولا أريد التكهّن بما يمكن أن يفعله إذا اقتنع حقاً بأنني قتلتُ صديقه المُقرّب. «كيف عرف فيليكس أن ماتيو كان خارج الأسوار؟». فقط في مدرسةٍ تسود فيها أجواء تنافسية كهذه، سيشعر الطلاب بالإحباط إذا فاتتهم الدروس.

«لم يخبرني آش»، أجابت ليلى بلامبالاة، «ربما يكون فيليكس قد رأى ماتيو عائداً وافترض أنه كان هناك، أو ربما سمع ماتيو يخبر أحدهم أين كان. كما أخبر فيليكس آريا أن تشارلز رأى آش خارجاً

ليلة الجريمة. وإذا أصبحت آريا على علمٍ بذلك، فيمكنك اعتبار أن المدرسة بأكملها ستعلم بالأمر بحلول موعد الغداء، مما قد يجعلنا عُرضةً للأذى على أيدي طلابٍ آخرين، طلابٌ قد تكون لديهم أسباب تجعلهم يصدقون أن القاتل هو أنتِ أو آش».

«عظيم»، قلت ببرود وأنا أرتدي عباءتي. «أليس غريباً أن يخبر تشارلز فيليكس عن رؤيته لآش؟ لم أشعر أنهما صديقان».

«ليسا صديقين، لكن تمرير المعلومات يتعلق بالتخطيط وليس بالصداقة»، قالت ليلى ثم فتحتْ الباب مُنهيةً الحديث وتوجهنا إلى الرواق.

بينما كنتُ أسير بجوار ليلى، اختلستُ بضع نظرات بحثاً عن ماتيو رغم استبعاد وجوده في مهجع الفتيات. كنت أشعر ببعض الانزعاج لأن آش لم يخبرني بما سمعه الليلة الماضية. لا بد أنه حضر إلى غرفتنا هذا الصباح ليخبر ليلى وحدها. أعلم أنها أخته وأنه يلجأ إليها على نحوٍ عفوي، لكنني أتساءل ما إذا كان قد فقد ثقته بي بعد أن تردّدتُ بالأمس في التخفّي في غرفة آريا. ولا يمكنني لومه في الحقيقة، فقد انسحبت في اللحظة التي كنّا فيها على المحكّ.

«إذا واصلتِ النظر من حولكِ بهذه الطريقة، فستعلم المدرسة بأكملها أنكِ خائفةٌ من ماتيو، وهذا ما سيجعلك تبدين مذنبة»، قالت ليلى بصوت خافت ونحن نهبط السلالم إلى الردهة.

«إذا لم أنتبه جيداً وهاجمني ماتيو فجأةً، فسوف يقضي عليّ»، تمتمتُ وأنا أحاول إخفاء توتّري الشديد.

وصلنا إلى الفناء الخارجي حيث أشجار الكرمة ثم توقفنا. كان هناك سبعة طلابٍ سبقونا إلى المكان.

«سأعود لاصطحابك قبل درس السموم»، قالت ليلى وهي تنظر جانباً بطريقة توحي بأنها قلقة أيضاً بشأن ما سيترتّب عن عودة ماتيو.

شعرتُ وكأنه أُلقي بي في عالم موازٍ. قبل أسبوع فقط، كان كل ما يشغل تفكيري هو التملص من الاحتجاز بعد المدرسة والذهاب للتسوّق مع إيميلي لشراء فستان من أجل الحفل الشتوي. أما الآن، فما يشغل تفكيري هو الجرائم، وفنون الخداع، والدروس التي ستعلّمني كيفية تسميم البشر. لم أشعر بالحنين إلى الديار مثلما أنا الآن.

«هل سترقصين مع جاك الليلة أم ماذا؟»، سألتني إيميلي وهي تشوي قطع حلوى المارشملو في الفناء الخلفي لمنزلنا.

«لا أدري»، قلتُ لها وأنا أضع البطانية حول ساقيّ وآخذ قضمةً من قطعة الحلوى.

«لا تدرين! هذا ليس جواباً. تعلمين أنني لن أجالسك طوال الليل»، قالت إيميلي.

«تجالسينني؟ أنتِ تعلمين أنني أكثر شخصٍ اجتماعي تعرفينه»، قلتُ لها، ثم قرّبتُ يدها من المشواة كي تتحمر قطع الحلوى بسرعة.

حدّقت بي. «لا أقصد أنكِ ستقبعين في إحدى الزوايا وحدك طوال الليل. ما يقلقني أنكِ قد تشعرين بالملل وعندها قد يخطر ببالك تسلّق المبنى ثم القفز من أعلى باستخدام فستانكِ كمظلة».

أضحكني كلامها. «وهل تظنين أن جاك سيبهرني إلى درجة ستجعلني أتصرف بمثالية؟ المشكلة أنني إذا ذهبتُ إلى الحفلة برفقته، فأنا من سأضطر لمجالسته طوال الليل».

هزّت إيميلي رأسها. «أنا لا أفهمك. أنت تعتبرينه شخصاً لطيفاً».

«إنه لطيفٌ، لكنه مملّ. أتعلمين أمراً؟»، سكتُّ قليلاً ثم قلت: «أنا أفضّل أن نتبادل القبلات في هذه الحفلات، ونكتفي بذلك».

ضحكت إيميلي. «أنتِ فتاةٌ شقية».

«شقيّة، لكنني لستُ مُملة»، قلتُ مبتسمةً، ثم مسحتُ بعض الشوكولاتة العالقة على شفتي.

فُتح الباب الخلفي فجأة فنظرنا معاً لرؤية من القادم.

«تعلمان جيداً أيتها الفتاتان أنه يمكنكما ببساطة شواء المارشملو في الداخل على نار المدفأة من دون أن تتجمدا برداً»، قال أبي.

«هذا ما أقوله لها دائماً»، أجابت إيميلي، «لكنكَ تعرفها جيداً».

«لدينا عشر بطانيات، والطقس معتدل، فالحرارة حوالي 10 مئوية»، قلتُ لهما مُعترضةً.

«طقس استوائي بامتياز»، قالتْ إيميلي باستهزاء.

«حسناً، سأضع الإبريق على النار إذا رغبتما بتحضير الشاي من أجل بعض الدفء»، قال أبي.

«شكراً، يا أبي، لن نبقى هنا طويلاً».

كان يهمُّ بإغلاق الباب لكنه توقّف. «نسيتُ أن أخبركما، سأذهبُ غداً بعد العمل إلى منزل الخالة جو، لهذا لن أكون هنا وقت العشاء».

«يمكنها تناول الطعام في بيتنا»، اقترحت إيميلي، «لا تقلق بشأن ذلك».

«يسرّني سماع ذلك»، قال أبي، ثم أغلق الباب.

«يتردّد والدكِ على بروفيدنس كثيراً هذه الفترة. إنها المرة الثانية خلال أسبوعين، أليس كذلك؟».

«الثالثة»، قلتُ لها. «إنه يساعدها في بعض الإصلاحات المنزلية. لطالما طلبتُ منه تأجيل ذهابه إلى عطلة نهاية الأسبوع كي أتمكن من الذهاب معه».

ذهب أبي إلى منزل الخالة جو ثلاث مرات خلال أسبوعين. ليس هذا فقط، بل اختار الذهاب في الأيام التي لا أستطيع فيها مرافقته في زياراته هذه، ثم بعد هذه الزيارات الغريبة، تعرض منزلها للاقتحام، مما يطرح سؤالاً هاماً: هل كان أبي على علم بأن أمراً ما سيحدث حتى قبل ذلك الاقتحام المزعوم؟ لا أصدق أنني لم أنتبه لذلك من قبل. وها أنا هنا الآن أدرك أنني لا أعرف شيئاً عن عائلتي. **أنا** قلقة. ما الذي يحدث معهم هناك وأنا عالقة هنا وعاجزة عن التواصل معهم والاطمئنان عليهم؟ تبّاً لهذه المدرسة النائية وقوانينها البالية.

دخل ماتيو إلى الفناء في تلك اللحظة وأيقظني من أفكاري. لم يبدُ عليه الحزن وآثار البكاء كما كنت سأبدو لو فقدتُ صديقاً مقرباً، بل بدا مركّزاً... وغاضباً. ثم دخل كلٌ من آينس وفيليكس بعده مباشرة.

تحقّقتُ بشكلٍ غريزي من المسافة التي تفصلني عن المَخرجَين في حال اضطررتُ للهرب بسرعة، لكن ماتيو لم ينظر باتجاهي حتى الآن، إلا أن تشارلز وبرندان كانا يحدّقان بي بشكلٍ مباشر.

نظرتْ الأستاذة إليّ وابتسمت ثم وضعت يدها على صدرها قائلةً: «أنا الأستاذة باسرتو»، فانكسرت فجأة المواجهة الصامتة بيننا نحن الستة. «لا بد أنكِ...»

«نوفمبر»، أجبتها.

«نوفمبر، بالطبع. كل ما عليكِ معرفته هو أنني سريعة الحركة، وأتوقع منكِ الأفضل، وأشجعكِ على الإبداع».

باسرتو... إنه اسم إسباني، ولطالما أحببت هذا الاسم لأنه يعني «قلب الغابة».

«بالتأكيد، فأنا أحب التسلق»، قلت لها، لكن كلامي بدا أقل حماسةً مما هو عادةً.

«نحن متفقتان إذاً. لماذا البقاء على الأرض فيما يمكنكَ تسلق الأشجار، أليس كذلك؟»، قالت ثم غمزت بعينها وصفقت بيديها.

لم ينظر ماتيو إليّ حتئذٍ، ولا أدري إن كان ذلك جيداً أم سيئاً.

«كان للأشجار على مرّ العصور دور أساسي في المؤامرات والخداع»، قالت باسرتو، «هناك مثلاً شجرة البلوط الكبيرة في غابة شيروود، التي زُعم أن جذعها المجوّف كان المخبأ لروبن هود ورجاله. وكذلك السهم الذي استُخدم لقتل بونس دي ليون بعد غمس طرفه بنسغ شجرة المانشينيل السام. ولا يمكن أن ننسى الأسلحة الخشبية، وشيفرة الموت المدوّنة على الورق، وما أعتبره الاستخدام الأفضل للأشجار، أي الهروب. فاللجوء إلى الأشجار هو الطريقة الأفضل للهروب، لأنها توفر لك حيزاً للاختفاء ضمن مجالٍ من المخابئ التي يصعب كشفها. وحدهم الذين يمتلكون مهاراتٍ عالية يمكنهم التحرك من خلالها بسهولة من دون التعرض للسقوط أو الإصابات القاتلة».

استرقتُ نظرةً نحو ماتيو مجدداً، لكن بدا أن أفكاره قد أخذته بعيداً.

ابتسمت باسرتو وهي تشق طريقها بخطواتٍ رشيقة على العشب. أكمام قميصها المرفوعة تكشف عن ذراعين قويتين مشدودتين، لا شك أنها اكتسبتهما من ممارسة التسلّق لسنواتٍ.

«لذلك سنبدأ اليوم بتمرين المطاردة. يجب أن أرى مهارتكم في الهروب، أو العكس، مهارتكم في الإمساك بالآخرين، حسب الفريق الذي ستكونون فيه. ستتكوّن المجموعة الأولى من تشارلز وماتيو ونيكس ونوفمبر وكيكو». أشارت باسرتو إلى كل واحدٍ من الذين ذكرتهم إنتهاءً بالفتاة التي حضرت برفقة آش إلى قاعة الطلاب الليلة السابقة. «اصطفوا خلف بعضكم، وسيبدأ مَن يقف في مقدمة الصف بتسلق الأشجار ثم تتبعه البقية بالترتيب».

حاولتُ القيام بمناورة سريعة للتراجع إلى نهاية الصف دون أن يلاحظ أحدٌ ذلك، لكن ماتيو قطع عليّ الطريق ووقف خلفي ليصبح في آخر الصف، فشعرت بأنفاسي تتلاحق وقلبي يخفق بشدة. التفتَ تشارلز إليّ وابتسم بمكر.

«عندما أقول تسلُّق، ستبدؤون في تسلّق ثلاثة أرباع المسافة إلى أعلى الأشجار»، قالت باسرتو، «وعندما أقول انطلاق، ستتحركون بأقصى سرعة وصولاً إلى الطرف الآخر من الفناء، والشخص الذي يصل هناك أولاً في كل مجموعة هو الفائز. وبالنسبة للذين يقفون في آخر الصف فإن فرصتكم في التقدم هي بالإمساك بالشخص الذي أمامكم. الوجود في أول الصف له مزاياه، لكن في الوقت نفسه ستجد أن الجميع يلاحقك، ومن ثَمَّ فكرة المطاردة. ستخرج من اللعبة إذا أُمسك بك، وستخرج إذا سقطت أرضاً. سوف نقوم بذلك أكثر من مرة، وفي كل مرة سنغير ترتيب الأشخاص».

كانت كيكو أمامي، وأمامها تشارلز، بينما كانت نيكس في المقدمة. أما خلفي، فبإمكاني سماع ماتيو يفرقع أصابعه. مسحت يدَي ببنطالي لأتأكد أنهما جافتان من العرق وجاهزتان للتشبّث بالأغصان المليئة بالنتوءات. قلبي يخفق بقوة الآن.

«تسلّق»، قالت باسرتو.

شعرتُ بفورة الإثارة المعتادة حالما رفعتُ قدمي عن الأرض، لكن مع الأسف كنتُ خائفة أيضاً من أن يمسك بي ماتيو الذي كان خلفي مباشرة. كنت أرغب في الالتفاف لرؤيته، لكن تحذير ليلى من إظهار الخوف كان يرنّ في رأسي.

«انطلاق!»، صاحت باسرتو فجأة حتى قبل أن نصل إلى منتصف الطريق المؤدي إلى الأشجار.

تمسّكتُ بأغصان أول شجرة وصلت إليها وأرجحتُ ساقيَّ للأعلى، وأمسكتْ كيكو بأحد الأغصان وهي على بعد غصنين مني. توازنتُ وقفزتُ إلى الغصن التالي، لكن الغصن الذي تتمسك به كيكو كان بعيداً عني. رأيتُ شجرة قريبة فمددتُ جسدي في الحال نحو اليسار لأمسك بها. تمكنتْ كيكو من التوازن، لكنها تفكّر في حركتها التالية، وبينما هي مشغولة بذلك، قفزتُ إلى غصنها وأنا لا أزال أمسك بغصن شجرتي كي لا أسقط. قفزت كيكو حين شعرت بقدمي تلمسها، لكنني سبقتها ولمستُ مرفقها. **لقد أمسكت بكِ.**

نظرتْ إليّ بغضب مخيف.

نظرتُ خلفي لأرى أن ماتيو على بعد غصنٍ واحد مني، فراح قلبي يخفق بقوة. إذا ترددتُ للحظةٍ واحدة فسوف يمسك بي بالتأكيد.

سحبتُ الغصن الذي أمسك به بقوة نحوي وثبّتُهُ حول جزءٍ بارز في الجذع الرئيسي، ونجحتُ في إبعاده عن متناول ماتيو. سيمكّنني ذلك من كسب بعض الوقت. ثم بدأتُ بالتسلق والبحث عن تشارلز وأنا أناور لشق طريقي بين الأغصان. حين لمحته، كان هو ونيكس أعلى مني بحوالي مترين متجهين نحو منتصف الفناء حيث الأغصان أدق. رأيتُ نيكس تقوم بقفزةٍ جريئة وتنجح في التوازن بعدها، أما تشارلز فكان على مسافةٍ قريبة خلفها.

كانت مطاردتهما المستمرة أحدهما للآخر بين الأغصان قد جعلت تقدمهما بطيئاً، ما يعني أن لديّ فرصة للإلحاق بهما. وازنتُ نفسي على أحد الأغصان الكبيرة وتعلّقتُ بغصنٍ جديد، وتمسّكت بهذا الغصن أثناء تقدمي، ولم أتوقف إلا حين أصبحت تحتهما مباشرة.

كنتُ أسمع صوت أقدامٍ على أجذاع الأشجار. كانت الأصوات قريبة جداً، فنظرتُ إلى اليسار لأرى ماتيو يقف على الغصن الذي أقف عليه، ولا يفصل بيننا إلا بضعة أمتار. ضربتُ غصن الكرمة الذي في يدي باتجاهه لإبطاء تقدمه قليلاً، لكنه تمكّن من تجنب الضربة، وحين أدركتُ أن ماتيو أصبح خلفي مباشرة، اندفعتُ بسرعة نحو غصنٍ عالٍ للهرب منه، مما تسبّب لي ببعض الجروح. لكن بمجرد أن استعدتُ توازني، قفزت نيكس إلى غصنٍ فوق رأسي، فانحنيت لاشعورياً لأتجنبها، لكن تشارلز كان خلفها تماماً، وحالما هبط بالقرب مني لمستُ كاحله، ونظرة الهلع في عينيه كانت أفضل ما رأيته اليوم.

كسر تشارلز غصين صغير فوق رأسي، فتناثرت قطع الخشب والأوراق على وجهي.

تحركتُ جانباً وأمسكت بغصنٍ فوقي، لكن قبل أن أتمكن من التشبث به جيداً، شعرتُ بيدٍ كبيرة تلتف حول ساقي. نظرت للأسفل فرأيتُ ماتيو، وبدلاً من أن يترك ساقي، أخذ يشدها بقوة، فسبّب الجذع الكبير الذي أمسك به جروحاً في يدَي، ثم سقطتُ وضرب بطني بالغصن الذي كنت أقف عليه. كانت ساقاي تتأرجحان وحاولتُ بكل ما أوتيت من قوة المحافظة على توازني، لكن الدفعة كانت قوية جداً فسقطتُ أسفل ماتيو، وأمسكتُ بكاحله بسرعة لأتجنب السقوط.

تجمدنا في مكاننا للحظة - أنا متشبثة بحذائه وهو ينظر إليّ - ثم نجحتُ في تثبيت ساقيَّ حول أحد الأغصان وتركت قدمه.

كنت غاضبة إلى حد أنني شعرت برغبة في الصراخ، لكن كان ماتيو قد ابتعد متوجهاً لمطاردة نيكس.

نجحت باستعادة توازني على الأغصان وأنا أرتجف من الغضب والتعب، ثم انزلقتُ بتروٍ نحو الأرض. لو لم أكن معتادة على السقوط بين أغصان الأشجار، لكان ماتيو قتلني هناك، وهذا ما كان ينوي فعله على الأرجح.

«تسلُّق أول جميل»، قالت باسرتو حالما وضعتُ قدميّ على العشب الأخضر، لكن بالكاد سمعت إطراءها لأنني كنت أتجه إلى آخر الفناء حيث ماتيو سيهبط في أي لحظةٍ الآن.

رحت أذرع العشب جيئة وذهاباً.

«لماذ يريد كل هؤلاء إيذاءكِ؟»، سأل برندان بصوتٍ رقيق كالحرير، «لا بد أنها شخصيتك المُبهرة».

اقترب تشارلز منا وابتسم بمكر.

«كلام فارغ»، قلت له. لست ممن يغضبون لأتفه الأسباب، لكنني حين أغضب أشعر برغبةٍ بتمزيق العالم بأكمله إلى أشلاء. نظرتُ إلى الجروح المنتشرة على ذراعَي، وبقع الدم التي تلطخ قميصي الأبيض.

وبينما كنتُ أتفحصُ جروحي، قفز ماتيو من أحد الأغصان، وفي اللحظة التي هبط فيها على الأرض، دفعته بكلتا يديّ وأبعدته خطوةً إلى الوراء.

«كان من الممكن أن تقتلني»، قلتُ له بغضب. «قالت باسرتو أنْ **تمسك** بالشخص أمامك، لا أن تسحبه إلى أسفل وتقتله. ماذا دهاك بحق السماء؟ لا تحاول القول إن هذا بسبب ستيفانو، لأنك

تعلم جيداً أنني لن أقتل فرداً من عائلتي لأنتقم منك بسبب لكمة وجّهتها إليّ!». كنت أخاطر بكلامي هذا، لكنني كنت آمل أن يصدق غضبي وغيرتي على العائلة، إذ كنت بحاجة إلى إحباط مخطط مَن كان يسعى إلى خلق العداوة بيننا.

«أنتما هناك!»، صاحت باسرتو من منتصف الفناء وهي تتجه نحونا، «ليست هذه الطريقة التي نستخدم بها طاقتنا في فصلي».

واصل ماتيو التحديق بي وهو يحاول التقاط أنفاسه، كأنه يتحداني لأضربه. «احتفظي برأيكِ لمن يهتم به، كلامكِ لا يعنيني في شيء». كان صوته هادئاً، أمّا عيناه فلم تكونا كذلك إطلاقاً.

وقفت باسرتو بيني وبينه قائلةً: «أرى أنكما تميلان لتضخيم الأمور اليوم. لقد رأيتُ مناورتكَ الصغيرة بين الأشجار يا ماتيو، وهو تصرف غير مقبول. لكن بالمقابل، يا نوفمبر، لو أراد قتلكِ حقاً لكان من السهل أن يدفعك بعيداً وأنتِ تمسكين بحذائه قبل أن تتمكني من الوصول إلى غصن الشجرة. لكن لا بأس، يمكنكما الاستمرار في الشجار، والارتماء على الأرض مثل الأطفال إذا كان هذا يريحكما».

بقيتُ وماتيو نحدّق أحدنا في الآخر إلى أن أشحتُ بنظري عنه أخيراً. لقد أُتيحت له الفرصة لقتلي فعلاً، لكنه لم يفعل وتركني أتمسك بالغصن بدلاً من ذلك. لكن هذا لا يعني أنه لا يريد قتلي، بل أنه لا يرغب في فعل ذلك أمام الجميع وحسب.

«لا أحد يرغب في الشجار؟ حسناً سأعود للاستمتاع بهذا اليوم الجميل»، قالت باسرتو.

كان جميع الطلاب ينظرون إلينا، إلا أن برندان وتشارلز أبديا اهتماماً خاصاً بالموضوع، ووقفتُ هناك يغالبني شعور بأنني مكشوفة ومعرضة للخطر على نحوٍ رهيب.

19

جلستُ في مكتب كونر وأنا لا أزال أشعرُ بالانزعاج بسبب جدالي مع ماتيو وقلقي على عائلتي. ركّزت على ألسنة اللهب في المدفأة، فهي الشيء الوحيد في الغرفة الذي يتحرك ولا يبدو بالياً.

«هل هناك ما تودّين إخباري به، يا نوفمبر؟»، سألني كونر وهو يجلس على الأريكة المقابلة لي. خطرت ببالي حينها عشرة أشياءَ لا أريده أن يعرفها.

«لا شيء مُحدّد»، أجبته.

نظر إليَّ بطريقةٍ تشي بأنه لم يتقبّل إجابتي، ثم قال ببطء: «لماذا لا نتحدث عن الصداقة التي تجمعكِ بآشاي؟».

لا أطيق هذه الأسئلة الموجهة المبهمة. أفضّل أسئلة بلاكوود المباشرة. «أين المديرة بلاكوود؟».

«ليست هنا»، قال كونر دون أن يقدّم أيّ توضيح.

استندتُ إلى ظهر الأريكة لإعطائه انطباعاً بأني مرتاحة وليس لديّ ما أخفيه. «ماذا تريد أن تعرف؟».

«أنتِ وآشاي تمضيان الكثير من الوقت معاً مؤخراً»، قال وكأنه يتحداني أن أنكر ذلك.

«إنه شقيق شريكتي في السكن، وليس من السهل تجنّبه حتى لو أردتُ ذلك».

«هل تريدين ذلك؟».

كم أكره هذه الألاعيب الذهنية. «ليس تماماً».

«هل السبب أنكِ تجدينه جذاباً؟».

«لقد كنتَ حاضراً حين قلتُ ذلك للمديرة بلاكوود»، أجبته ببرود، وكأنني أنهي الكلام في هذا الموضوع.

«لكنني لم أصدقكِ حينها»، قال كونر، فحبستُ أنفاسي للحظة.

«هل تُمازحني؟»، قلتُ بصوتٍ مبتهج، «حتى شخص ضعيف النظر سيرى أن آش جذاب».

«أنا لا أتحدث عن وسامته، ما أقوله ببساطة هو أنني لم أقتنع أن هذا سببٌ كافٍ يدفعكِ إلى مغادرة غرفتك بعد حظر التجول».

أشحت ببصري نحو الباب بشكلٍ عفوي، وأنا متأكدة أنه لاحظ هذه الحركة وفسّرها بأنني أريد التهرّب من سؤاله.

انتظرَ ليسمع ردّي.

أطلقتُ تنهيدةً محاولةً إعطاءه انطباعاً أنني سأخبره بما يودّ سماعه. «لقد سبق وأخبرتني عن قلقكَ بشأن عدم قدرتي على تعويض ما فاتني من دروس التاريخ. حسناً، أنا شخصٌ مُولع بالمنافسة كحال بقية الطلاب هنا، ولا أريد أن أكون أقل شأناً منهم. لاحظتُ أن آش يملك مهارات قوية في التحليل وأردتُ إقناعه بتعليمي».

فكر كونر قليلاً بكلامي ثم قال: «اممم، فهمت. وبعد أن افترقتما في تلك الليلة، أي مسارٍ سلكتِ للعودة إلى غرفتك؟».

تبّاً، لقد كان آش مخطئاً. لم أبلِ بلاءً حسناً في المقابلة الأولى

وهم لم يقتنعوا بكلامي. قلت لكونر: «عندما تحدثتُ إليك وإلى المديرة بلاكوود، لقد ناقشنا ـــ».

«أريدك أن تخبريني عن مسارك خطوة خطوة»، قال مُقاطعاً، ووضع القلم من يده ليراقبني عن كثب.

أخذتُ نفساً عميقاً لعليّ أُبطئ نبضات قلبي المتسارعة، لكن دون جدوى. «فور دخولي المبنى، كنت أسير بسرعة، أنا ـــ».

«من أي بابٍ دخلتِ؟».

«الباب الذي يقع في الطرف الشرقي من الفناء حيث الأشجار».

«آها، تابعي كلامكِ»، قال لي، «بالتفصيل رجاءً».

«كما قلتُ لك، كنت أسير بسرعة لأنني أعرف أن الوقت متأخر، وليس هناك ما يُقال حقيقةً. صعدتُ الدرج ثم عبرتُ الممر، وعندما وصلتُ إلى غرفتي لمحني ذلك الحارس»، قلت له وأنا أحاول الحفاظ على ثبات صوتي ومنع يديَّ من التململ.

«حين قلتُ لكِ **بالتفصيل**، كنت أعني بالتفصيل حرفياً، يا نوفمبر»، قال كونر بنبرةٍ حادة. «أيّ درج؟ وأيّ ممر؟».

شعرتُ وكأن درجة الحرارة ارتفعت عشر درجات فجأة. شمّرتُ عن ساعديَّ وقلت: «الممر المؤدي إلى المهجع حيث غرفتي، والسلالم المؤدية إلى الفناء الخارجي». كنتُ آمل ألا يكتشف كذبي إذا ما ذكرتُ أماكن حقيقية.

«قمتُ وبلاكوود باستجواب الحارس الذي رآكِ». بدأتْ راحتا يديّ بالتعرق حين قال ذلك، «ولسوء حظكِ، كان الحارس **في تلك الليلة** يجول في مهجع الفتيات من اتجاه مختلف عمّا يفعله عادةً».

شعرتُ وكأنه صفعني على وجهي.

بذلتُ قصارى جهدي للمحافظة على هدوئي وعدم السماح له برؤية ارتباكي.

التزم كونر الصمت لبعض الوقت، متقصّداً إطالة الوقت لأنه يعلم أنني مهتمة بكل كلمة يتفوه بها، ثم قال: «عادةً ما يدخل الحارس إلى منطقة المهجع من الجهة الغربية للممر، لكنه في تلك الليلة دخل من الدرج والممر في الجهة الشرقية». ابتسم كونر.

«الدرج نفسه الذي يُفترَض أنكِ سلكتِهِ للعودة إلى غرفتكِ. فلو سلكتِ ذلك الدرج وذلك الممر فعلاً، لكنتِ التقيتِ بالحارس وجهاً لوجه، إلا إذا كنتِ تتوقعين مني تصديق أنكِ كنتِ معه على ذلك الدرج ولم يسمعكِ أو يراكِ لشدة براعتكِ في التخفيّ؟».

بدأ نبضي بالتسارع، لكنني لم أنطق بكلمة. كنت قد أدركتُ جيداً الآن أن التزام الصمت حين ينكشف أمرك أفضل بكثير من محاولة التستر عن كذبة بكذبة أخرى.

«ماذا الآن؟»، سألني.

«لا أعرف»، أجبته، وشعرت بقطرة من العرق تتشكل فوق شفتي العليا.

«لا تعرفين أم أنكِ تكذبين؟»، قال بعجرفةٍ أثارت غضبي.

تسارعت الأفكار في رأسي. «من الغريب أن يقرر حارس اعتاد سلوك مسار محدد كل ليلة تغيير عادته فجأةً في تلك الليلة»، قلت في محاولةٍ لإبعاد تركيزه عني، لكن بمجرّد نطقي لهذه الكلمات، تأكدتْ لي غرابة الأمر.

كلامي هذا جعل تعابير الغرور تختفي من وجه كونر، وكأنني أفسدتُ لعبته المفضلة للتوّ. نظر إليّ بارتياب. «هذا لا يغيّر حقيقة أن الحارس كان على ذلك الدرج وأنه لم يكن ممكناً أن توجدي هناك».

«أنا آسفة، لكنني لا أعرف كيف أشرح لك الأمر. أنا الآن

مشوشة مثلك تماماً، ربما يجب عليكَ استجواب الحارس من جديد، لعله يخفي عنكَ أمراً».

حدّق كل منا بالآخر للحظات. أعلمُ أن حتى وإن ربحت هذه الجولة، فالمعركة في بداياتها فحسب. كونر هنا ليكتشف مَن القاتل، وهو يعتقد أنني مذنبة. ولا يمكنني أن ألومه على ذلك في الحقيقة، بعد كل الأكاذيب التي تفوّهتُ بها.

وضع المجلد الذي يحمله على الوسادة الكستنائية، ثم قام بتعديل سترته وإزالة خيط من الوبر عالق على كتفه. وعندما عاود الحديث، كان صوته رقيقاً وهادئاً. «أخبريني عن صراعكِ مع ماتيو».

«الأمرُ بسيط، إنه يكرهني ولا أفهم السبب»، قلتُ لكونر وأنا أشعر بالارتياح لقولي شيئاً صادقاً تماماً.

«أنا مندهش أنكِ لا تفهمين السبب، بالنظر إلى مَن يكون كلّ منكما للآخر».

كاد قلبي يتوقف. «ماذا قلتَ للتوّ؟». كان آش وليلى على حق. حتى وإن كنتُ لا أعرفُ أحداً هنا، فهذا لا يعني أن الآخرين لا يعرفون من أنا.

رمقني كونر بنظرة استغراب. «انتبهي، يا نوفمبر. ما قلته هو أنني مندهشٌ أنك لا تفهمين السبب، بالنظر إلى ما حدث بينكما. لقد سمعتُ عن المشادة التي دارت بينكما في الفناء في وقتٍ سابق».

رمقته بنظرة جانبية. ليس هذا ما قاله، وهناك احتمال أيضاً أنه يعرف كل شيء ويتلاعب بي فحسب، ليرى كيف ستكون ردّة فعلي. «لقد كاد يلقي بي من فوق الشجرة».

«فحاولتِ أن تبدئي شجاراً معه؟»، سأل كونر.

«لا»، قلت له وأنا أحك ذراعي رغم أنها لم تكن تحكّني. «أردته فقط أن يتوقف عن مهاجمتي».

«بمهاجمته؟».

«بل بمواجهته»، قلتُ له بصدق.

«حسناً، لو كنتُ مكانكِ لبقيتُ بعيدةً عنه»، قال كونر، «لا أرى أنه من الحكمة الدخول في صراعات أخرى في هذه الظروف، ألا توافقينني الرأي؟».

اكتفيتُ بالنظر إليه لأنني أعلم أن أيّ شيءٍ أقوله الآن سيزيد الأمر سوءاً بالنسبة إليّ.

وضع كونر ساقاً فوق ساق واستند إلى الخلف. «لقد أخبرتِ المديرة بلاكوود أيضاً أنك ترغبين في العودة إلى بيتك».

بدأ قلبي يخفق بقوة.

سكتَ قليلاً، ثم قال: «من الغريب أن تطلبي العودة إلى بيتك بعد كل ما فعلته عائلتك لإلحاقكِ بهذه المدرسة في هذا الوقت المتأخر. إلا إذا... إلا إذا كنتِ تحاولين الهرب من أمرٍ ما؟».

«أنا...». كنتُ أرغب بشدة أن أسأله ما الذي فعله أبي لإلحاقي بهذه المدرسة، لكن حدسي أخبرني بأن السماح لكونر بمعرفة جهلي بهذا الأمر هو فكرة سيئة للغاية. قمتُ بفرك مؤخرة رقبتي ثم قلت: «لا أعرف».

«لا تعرفين؟»، قال مكرراً كلامي بتوكيد.

«في الحقيقة، لا أعرف لماذا قلت إنني أريد العودة إلى بيتي. أظن أنني كنتُ مُحبطة فحسب بسبب إخضاعي لتحقيق مُكثف بخصوص جريمةٍ لم أرتكبها».

«إن لم يكن لديكِ يد بتلك الجريمة، فلا يجدر بالتحقيق أن يزعجكِ».

«حسناً، أنا لستُ مثالية».

لم يبدُ كونر مقتنعاً بكلامي. «أنا أتطلع للقائنا القادم، يا

نوفمبر. أعتقد أن لديكِ الكثير مما يجب التفكير به، لكنني أنصحك بعدم الكذب على المديرة بلاكوود مرةً أخرى، فلن يكون هذا لصالحكِ إذا فعلتِ».

لا أدري أيّ كذبةٍ يقصد، وأظنه يقول ذلك لهذه الغاية - ليجعلني أشعر بالتوتر حيالها جميعاً. نهضتُ وقلت: «هل أستطيع المغادرة؟».

أومأ برأسه موافقاً، فغادرتُ في الحال. وفي اللحظة التي أغلقتُ فيها باب مكتبه، شعرتُ بجسدي يرتجف. إنهم يشتبهون بي فعلاً في ارتكاب تلك الجريمة. وفي الحقيقة، حتى **أنا** أرى أني أبدو لهم كذلك: لديّ سببٌ يدفعني للانتقام من ماتيو، كنتُ خارجاً في تلك الليلة، ورآني أحد الحراس أسلك الممر الذي عثروا فيه على جثة ستيفانو. لقد حذّرني آش من أنني قد أتحمل العواقب، لكنني لم أتوقّع أبداً أن أحمل وزر جريمةٍ لم أرتكبها.

سارعتُ بالابتعاد عن مكتب كونر، وكدت أصطدم بآريا.

«نوفمبر!»، قالت آريا بصوتٍ مبتهج، «الفتاة التي أردتُ رؤيتها. سمعتُ أنكِ فقدتِ شيئاً».

رمقتها بنظرة متفحصّة. كونها في مزاج جيد لا يُنذر بالخير. «عدا أنني سأفقد صبري إذا لم تتحركي من أمامي، لم أفقد شيئاً»، قلت لها وخطوتُ جانباً لألتف من حولها، لكنها تحركت في نفس الاتجاه ووقفت في طريقي.

«بلى، أظن أنكِ فقدتِ شيئاً، إنه شيءٌ صغير لكنه يعني الكثير»، قالت بلكنتها الأميركية من جديد.

«إما أن تقولي ما لديكِ، أو اغربي عن وجهي»، قلت لها، فأنا لم أكن في مزاجٍ لألاعيبها هذه.

«مياااو»، قالت ثم قوّست أصابعها أمام وجهي مثل القطة. «هناك مَن هو سريع الغضب اليوم. أستنتج من ذلك أن مقابلتكِ مع

كونر لم تسير على ما يرام؟ ياللحظ السيء. أراهن أن مقابلتي معه ستكون جيدة. أعتقد أنه سيُبدي اهتماماً كبيراً بمعرفة أنني وجدت شعرةً تعود إليك في غرفتي هذا الصباح».

ضحكتُ لإخفاء الهلع الذي أصابني. «أنتِ مهووسةٌ بي فعلاً، أليس كذلك، يا آريا؟ لا تسيئي فهمي، فأنا أشعر بالإطراء حيال ذلك، لكن أن يصل الأمر بكِ إلى تحليل شعرة قد وجدتها، فهذا أمرٌ مبالغٌ فيه، ألا تعتقدين ذلك؟». رحت أسترجع ما حدث حين كنّا في غرفتها. هل لمستُ شعري؟ ربما سقطت إحدى الشعرات وقتها، أو ربما كانت عالقة على عباءتي وسقطت هناك.

«هناك خبر جيد وآخر سيء، يا آمبر، هل يمكنني مناداتكِ آمبر؟».

«لا».

«الخبر الجيد هو أنني لم أكن متأكدة من أن الشعرة تخصك. أما الخبر السيء فهو أنك أكدتِ لي للتو أنها تخصك، أنا مصدومة» - تحدثت بطريقة استعراضية وهي تفتح عينيها على اتساعهما وتضع يدها على صدرها - «أن آش وليلى لم يعلمانك كيف تتسللين إلى غرف الآخرين دون أن تتركي أثراً. ما أعرفه جيداً أن لهذه المدرسة معاييرَ عالية، لكنني أظن أن الأمور بدأت تفلت من أيدينا، إذ أصبح الانتساب إلى هذا المكان مُتاحاً لأيٍّ كان»، قالت ثم تنهّدت.

خطوتُ جانباً لتجاوزها، فسمحت لي بالمرور هذه المرة.

ضحكتْ قائلةً: «لا يجدر بكِ اقتحام غرف الآخرين، يا آمبر، إلا إذا كنتِ مستعدة لتحمل العواقب». كان هناك شيءٌ من التهديد المرح في ضحكتها، الأشبه بضحكة مهرج مضطرب في فيلم رعب.

تابعتُ طريقي.

«نسيتِ قبلة الوداع!»، نادتني بعد أن ابتعدتْ.

20

كنتُ أشعر بالقلق أثناء اجتياز الردهة بخطوات متسارعة نحو باب غرفتي. ناديت: «ليلى؟» وأنا أفتح باب الغرفة، لكني لم أتلقَ جواباً.

أغلقتُ الباب وتوجّهتُ إلى غرفتي.

سمعتُ صوتاً يقول: «إنها في المكتبة»، ثم أطلّ آش من خلف باب غرفتي، فتراجعتُ خطوتين إلى الخلف.

«يا إلهي! آش، كدتَ تسبّب لي نوبة قلبية!».

«توقفي عن التفاجؤ من كل شيء إذاً»، قال آش، وشعرتُ بالإهانة من كلامه. استرجعت صورته بالأمس وهو يطلب مني مغادرة غرفة آريا.

«أنت محقٌّ، محقٌّ تماماً، يجب أن أتوقف عن كوني متوترة، يجب أن أتوقف عن كوني أشياء كثيرة»، قلت له، ثم اتجهت نحو النافذة لأتحسس الستائر بيدي.

«لقد سبق وتفقدتها»، قال آش، ثم مشيتُ باتجاه غرفة ليلى لكنه أوقفني، «وتفقدتُ غرفتيكما أيضاً».

«أوه»، قلت، ثم توقّفت.

نظر إليّ بتمعّن. «أنت ترتجفين، لكن ليس لأنكِ تفاجأتِ بوجودي هنا، بل حدث شيءٌ ما».

«لقد علمتْ آريا أنني كنت في غرفتها»، قلتُ له، «تزعُم أنها عثرت على شعرة مني هناك». نظرتُ إليه لعلّي أجد أي إشارة تدل على أن آريا ربما كانت تُخادع، لكن ملامحه لم تكشف أي شيء.

«لقد سبق وحذرتك ألا تتركي أي أثر خلفكِ».

«لقد تعلمتُ هذا الدرس، صدقني. لا أعتقد أنه يمكنني أن أمنع شعري من السقوط عن رأسي، لكنني أتفقُ معك بشأن ذلك العشب، ولن أرتكب هذا الخطأ مجدداً، كما أنني لن أتردد ثانيةً كما فعلتُ الليلة الماضية»، أضفتُ وأنا أعبس. «كان بإمكان آريا أن تكشفنا بسببي. وهي كشفتني في الحقيقة».

«اممم، حسناً، وهل أنتِ خائفة منها؟».

«لا يمكنك التنبؤ بما قد تفعله».

هزّ كتفيه لامُبالياً وقال: «صحيح، لكن آينس أكثر مهارةً منها في القتال، ولو كنتُ مكانكِ لقلقتُ منها أكثر».

«هذا ليس مُزاحاً بالتأكيد».

رمى بنفسه على الأريكة ثم قال: «أهلاً بكِ في أكاديمية أبسكونديتي، يا نوفمبر، حيث الجميع يخطط طوال الوقت، وحيث هناك دائماً مَن يحاول رميك من شفا جرف. أنتِ في وضعٍ خطر، وتخاطرين بطريقة مدروسة للخروج من هذا الوضع، لكن تبقى المخاطرُ مخاطرَ».

فركتُ وجهي بيدي.

«عليكِ أن تتماسكي»، تابع آش بنبرة جديّة. «بودّي الاعتقاد أنكِ تبوحين بمكنونات نفسك بعيداً عن أعين الآخرين، لكنني هنا،

فمن الواضح أن الحال ليست كذلك. إلا إذا كان هذا السلوك يعني أنكِ قررتِ الوثوق بي، خلافاً عن الأمس».

أمعنتُ النظر في وجهه لثوانٍ، لكن تعابيره كانت هادئة لا تُفصح عن شيء كالمُعتاد. «هل يمكنني ذلك؟».

«**الوثوق** بي؟». ضحك آش. «أنت فعلياً تسألينني ما إذا كان بإمكانك الوثوق بي. أنتِ فتاةٌ مُبهرة، سأعترف لكِ بذلك».

جلستُ على الأريكة بجواره. «أنا جادةٌ فيما أقول. ليلى فتاةٌ طيبة. أما أنت، فلست بطيبتها، فكل شيء هو لعب بالنسبة إليكَ»، قلت له وحاول مقاطعتي لكني تابعت كلامي. «ونحن جالسان بين الأشجار تلك الليلة، أخبرتني أنك من عائلة الذئاب وأن الذئاب مخلصون. وسألتك حينها لمَن أنت مخلص، هل تذكر ذلك؟ أعلم أنك مُخلصٌ لأختك التوأم على الأقل، إذ يكفي أن يقضي المرء دقيقتين بصحبتكما ليعرف ذلك. والآن، قررتْ ليلى مساعدتي. لا أدري ما السبب، فأنا لم أجلب لها سوى المشاكل منذ أن وطأت قدماي هذا المكان، لكنها ساعدتني رغم ذلك. ولا أعلم ما إذا كنتَ معنا لأن ليلى تجبرك على ذلك، أو لأنك كنت في الخارج وقت حظر التجول وحين تساعدني فأنت تساعد نفسك، أو ربما يحدوك الأمل بأن تتم إدانتي فأبتعد عن أختك».

كان آش يتأملني بفضول.

«لكن ما أعرفه جيداً أن ليلى تخبركَ بكل ما أخبرها به. فإذا أردتُ إخفاء عنكَ معلومة ما، ينبغي أن أخفيها عن ليلى أولاً. ولن أتمكن من الصمود من دونها. وبقدر ما أكره الاعتراف بذلك، إلا أنني معرضة للأذى، ولهذا أجل، أنا أسألك إن كان بإمكاني الوثوق بك».

وللمرة الأولى منذ التقيت آش، رأيته متردداً حيال أمرٍ ما. «يتوقف الأمر على بعض الأشاء».

«حسناً، لا مشكلة لديّ في ذلك»، أجبته بسرعة، وأنا أشعر بالارتياح لأنه أخذ سؤالي على محمل الجد على الأقل. «على ماذا يتوقف الأمر؟».

نظر إليّ نظرة طويلة وهو مستغرق في التفكير. «حسناً... أنتِ الطالبة الوحيدة في هذه المدرسة التي لا أعرف عنها شيئاً. لا أعرف موقفك من القضايا المهمة، أو موقف عائلتك المباشرة، أو حتى مَن هم حلفاؤكم. القاعدة الأولى ليست مزحة. فإفشاء المعلومات عنكِ أو عن عائلتك في هذه المدرسة هو أمرٌ خطيرٌ، لكن هذا لا يمنعنا من محاولة معرفة الأمور الأساسية بعضنا عن بعض. كوني لا أعرف عنك شيئاً يجعلكِ شخصاً أكثر إثارة للاهتمام بالتأكيد، لكنه أمر قد يخلق المشاكل أيضاً».

تذكرت النظرة التي رمقني بها آش بعد أن أخبرتُه ليلى عن اتهامات نيكس لها بأنها أقل حيادية من ذي قبل. «لكن لماذا أصرّت ليلى على ألا أبوح بشيءٍ عن نفسي؟»، سألته، «إذا كنتما لا تعرفان مَن أنا، ألن تحاول ليلى اكتشاف ذلك؟».

«إن أردتِ رأيي، ليلى شخص ودود وذو أخلاق عالية أكثر من اللازم. إضافة إلى أنها تعتبركِ مستهترة، كما سبق وأخبرَتْكِ»، قال ذلك ثم ابتسم. «لا يعني ذلك أنها ميزة سيئة دائماً. وهي تعلم أنهم جعلوكِ شريكتها في السكن لسببٍ معيّن، رغم أنها تجهل السبب. فلا شيء يحدث صدفةً هنا، وبالأخص تحديد الشركاء في الغرف. أغلب الظن أن يكون هناك تحالفٌ ما بين عائلتينا المباشرتين، ولذلك حين تقومين بإفشاء معلوماتٍ عن نفسك وسط أحد الممرات، فأنتِ لا تعرضين نفسكِ للأذى وحسب، بل تعرّضينها هي أيضاً».

أومأت برأسي. «أنا في الواقع أُقدّر كثيراً أنها قامت بإسكاتي، فلا أدري ماذا كان سيحدث لو لم تفعل».

اتكأ إلى الخلف لكنه لم يشيح بنظره عني. «أترين؟ هذا النوع من السذاجة هو بالضبط ما يحيرني فيك. يصعب عليّ تصديق أنكِ لا تدركين حقاً ما كان سيحدث لك. فلا مكان للجهل في استراتيجيا. ومع ذلك، منذ قدومكِ إلى هنا لم تتوقفي عن طرح أسئلةٍ يعرف الجميع إجاباتها، كما أنك تقومين بأداءٍ بارع في بعض الصفوف، وتتخبطين في صفوفٍ أخرى. أخبرتني ليلى عما فعلتهِ في درس الألعاب الذهنية، وكيف فكّرتِ في الأمر لساعةٍ كاملة بعد ذلك. أخبرتني أنها لم تعرف حقاً ما إذا كنتِ قد خططتِ للفوز بذلك التحدي أم أن الأمر حدث بالصدفة لأنكِ كنت تركضين هرباً من برندان. في بعض الأحيان، أرى فيكِ أسوأ كاذبة قابلتها في حياتي، وفي أحيانٍ أخرى، أرى فيكِ عبقريّة».

تنفستُ الصعداء. من حسن حظي أن يظن آش وليلى أنني أصطنع السذاجة.

«أحتاج أن تخبريني الحقيقة»، قال آش، «الحقيقة كاملة بلا نقصان، وإلا فلن يكون هناك أي ثقةٍ بيننا. لماذا لا يوجد شيءٌ منطقي فيما يخصك؟».

استجمعتُ نفسي ونظرتُ في عينيه مباشرة ليتمكن من قراءة تعابيري، ليعرف أنني لا أكذب. «أنا ماهرة حقاً في بعض الأمور، ولم أتلقَّ أي تدريب في أمورٍ أخرى. تخمين ليلى كان صحيحاً، لقد ركضتُ هرباً من برندان لأنني لا أتقن فن القتال بالأيدي مثلكم. وكل تلك الأسئلة التي طرحتُها عليك، طرحتها لأنني لا أعرف إجاباتها حقّاً، وليس لأنني أدّعي الجهل».

كان يصغي باهتمامٍ شديد، مقطباً حاجبيه.

«هذه هي المشكلة بالضبط. كيف تجهلين فنون القتال أو تجهلين الإجابات عن أبسط الأسئلة التي يتعلمها أفراد استراتيجيا منذ الصغر؟».

«لأنني لم أنشأ بالطريقة التي نشأتم بها»، قلتُ بحذر.

«وكيف كانت نشأتكِ؟»، سألني.

أخذتُ نفساً عميقاً. **حان وقت الحقيقة.** «لم أكن أعرف أنني أنتمي إلى استراتيجيا قبل مجيئي إلى هنا، وما زلت لا أصدّق ذلك حقاً».

نظر إليّ طويلاً، نظرته الحادة الثاقبة تلك التي تخترق الآخر. كان على وشك أن يقول شيئاً لكنه تراجع وقطّب حاجبيه أكثر.

ثنيتُ ساقي تحتي على الأريكة، ثم قلت: «لقد سمعتُ كلمة **استراتيجيا** مرة واحدة من قبل، عندما كنتُ طفلةً صغيرة، وحتى في ذلك الحين كنتُ أسترق السمع، وأقسم أنني لم أعرف ما تعنيه، أو من يكون هؤلاء الناس إلى أن أخبرتني عنهم. وما زلتُ إلى الآن أجهل تماماً سبب وجودي هنا».

ازداد عبوسه أكثر. «لكنكِ ذكرت لي سمات عائلة الدببة في تلك الليلة التي خرجنا فيها».

«بفضل لعبة كنت ألعبها مع أمي عندما كنت طفلة. كانت لديّ دمى محشوة لكل أنواع الحيوانات، وكنا نقسمها إلى عائلات، ونستخدم ثلاث كلمات لوصف كل عائلة، ولطالما ظننت أن أمي هي من اخترعت هذه الكلمات. لا يمكنكَ تخيّل الصدمة التي أصابتني حين عرفتُ أن هذه الكلمات تحمل معنى حقيقياً في الحياة الواقعية». نظرتُ في عينيه مباشرةً. «اعترف بذلك: لا بد أنك شككت بأن ثمة شيئاً غريباً بخصوصي، وإلا لما طلبت مني سرد تلك السمات».

رفع آش حاجبيه هذه المرة. «لا. حين تسألين أحد أفراد استراتيجيا عن سمات عائلته، تتلقّين ردّاً ساخراً عادةً. كنت أختبرك فحسب. وشعرتُ أن ثمة شيئاً غريبياً حين تعاملت مع الأمر بجدية».

«حسناً. هل فهمت ما أقصده؟».

نهض آش وراح يمشي حول السجادة المفروشة أمام المدفأة. أكاد أسمعه يسترجع أحاديثنا في ذهنه بحثاً عن التناقضات في كلامي. التفتَ إليّ بعد تفكيرٍ طويل وعلى وجهه نظرة جدية. «تصرفاتك تتوافق مع ما تقولينه، لكن كيف التحقتِ بهذه المدرسة بحق السماء؟ يتم إعدادنا لهذا المكان منذ لحظة ولادتنا، والكثير من الأطفال لا يُقبلون. فقط المتميزون مَن يستطيعون ذلك، مع بعض الاستثناءات للعائلات الرائدة التي يُقبَل ابنها البكر. وإذا كنتِ تنتمين إلى إحدى تلك العائلات حتى بصلة قرابة بعيدة، فسيعرف الجميع مَن تكونين».

«حسناً، هذا لا ينطبق عليّ».

«أعرف ذلك».

«وهناك أمور لم أُدرَّب عليها».

«أجل، هذا واضح، وهو أمر غريب». كان لا يزال يتكلم بجدية، وعاد ينظر إليّ بحدة.

«لا ترمقني بهذه النظرة، يا آش، فأنا على استعداد لإخبارك بأي شيء تريد معرفته الآن. ما عليك سوى أن تسألني».

توقعتُ أن يردّ بعبارة ساخرة أو أن يضحك، لكنه لم يفعل. «هل أنتِ متأكدة أنكِ تنتمين إلى عائلة الدببة؟».

«حسناً، أمي كانت إيطالية، فأجل، يمكنني القول إنها من عائلة الدببة بالتأكيد، على الأقل بناءً على الألعاب التي اعتدنا أن نلعبها. لكن أبي أميركي».

«أميركي؟»، قال آش بشيء من الاشمئزاز، «لكنه ينتمي إلى استراتيجيا مع ذلك؟».

«بصراحة، لم يخطر لي ذلك أول الأمر عندما جئت إلى هنا، فهو مجرد رجل عادي، لكنه عمِل في الماضي مع وكالة استخبارات، لذلك ـــ».

مكتبة
t.me/soramnqraa

تأوه آش وهزّ رأسه.

«ماذا؟».

«وكالة استخبارات؟ نوفمبر، والدك هو أحد أفراد استراتيجيا. أخبريني أرجوكِ أنك ترين ذلك بوضوح». ثم نظر إليّ بقلق. «العمل كضابط استخبارات هي الصفة التي نستخدمها للتغطية على... مهاراتنا الخاصة إذا ضُبطنا ونحن نقوم بأمرٍ ما».

قطبتُ جبيني. كلامه منطقي، في الحقيقة يبدو الأمر بديهياً للغاية. لكن فكرة أن أبي كان يكذب عليّ طوال هذه السنين ليست أمراً مُضحكاً على الإطلاق.

عاد آش وجلس بجواري. «يوجد بعض أفراد استراتيجيا في أمريكا، لكننا لا نميل إلى البقاء هناك. فكما أخبرتك، نشأت غالبية العائلات في ما يعرف اليوم بالقارة الأوروبية، وحوض المتوسط، والشرق الأوسط. لا أقول إننا لم نتواجد في أمريكا أبداً، ما أقصده أن الأمر نادر الحدوث فحسب. نحن نقوم بعملنا، مهما كان، ثم نعود إلى عائلاتنا بعد ذلك. كنت سأعلم بالتأكيد لو أن فتاةً من الطبقة العليا في عائلة الدببة هربت إلى أمريكا، إذ كان الأمر ليكون فضيحةً مدوية». صمت آش قليلاً. «الشخص الذي تعرّف إليه ماتيو هي أملِ، أليس كذلك؟».

أومأت برأسي. لقد خالفتُ قاعدة بلاكوود الأولى تماماً، ولم أحصل على أي معلومات جديدة عن عائلتي عدا أنني لا أعرفهم

على الإطلاق على ما يبدو. «حسناً، انتظر قليلاً، عُد وابدأ من البداية».

«من البداية؟».

«أنتم عبارة عن مجتمعٍ سرّي، صحيح؟».

« **نحن**، يا نوفمبر»، قال آش بلطف، «أنتِ واحدة منا أيضاً».

كانت علامات الدهشة تعلو وجهه. «وأجل، أعتقد أن هذا ما قد يظنه الناس عنا، أننا مجتمع سري».

«وهل... هل نحن قتلة؟»، سألته وأنا أختنق بالكلمة.

«عندما يتطلّب الأمر ذلك، لكننا أكثر من ذلك بكثير. قد نكون أنانيين ومنافسين شرسين حين يتعلق الأمر بنجاح مخططاتنا الشخصية، لكننا نساعد العالَم في تجنّب الكوارث أيضاً. ينظر معظم الناس إلى الأمام، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير في الطبيعة الدورية للتاريخ، والنتيجة الحتمية لذلك هي حدوث الكوارث نفسها مراراً وتكراراً. استراتيجيا توقف الآليات التي تُحدث هذه الكوارث».

أومأتُ برأسي وسارعتُ إلى طرح السؤال التالي قبل أن يقرر التوقّف عن الإجابة، لأنه وللمرة الأولى منذ وصولي إلى هنا، بدأ بعض ما أراه في هذه المدرسة يغدو مفهوماً. «هناك نظامٌ محدد في كلّ عائلة إذاً، أليس كذلك؟ هناك وظائف مختلفة داخل استراتيجيا – الإدارة، القيادية، الخدم، الحراس؟».

«أجل»، قال آش ببطء، وبدا مختلفاً هذه المرة، وكأنه حاضر وليس متقدماً بخمس خطوات إلى الأمام. «تزايدَ عدد أفراد عائلات استراتيجيا بعد أن توقفوا عن العمل لصالح حكام إمبراطورياتهم وأصبحوا مستقلين. كان على الجميع المساهمة للحفاظ على نشاط وسرية هذه العائلات».

«وماذا بخصوصنا نحن، ماذا بخصوص طلاب هذه المدرسة؟»، سألته.

«لا أصدّق أننا نخوض هذا النقاش»، قال آش وكأنه يتحدث إلى نفسه أكثر مما يتحدث إليّ. «نحن نبضُ قلبِ استراتيجيا، نحن أفضل الاستراتيجيين وأفضل من يخطط في عائلاتنا».

كنتُ أصغي إليه، إلا أنني كنت لا أزال أشعر أنه يتكلم عن أشخاص آخرين، لا عني وعن عائلتي. «ذكرتْ ليلى شيئاً بخصوص أن الأطفال البكر لقادة هذه العائلات يرثون القيادة عن آبائهم. هذا يعني أن أعضاء استراتيجيا ينتمون إلى هذه العائلات منذ الولادة، أليس كذلك؟».

«حسناً، الغالبية منا ينتمون إلى هذه العائلات، أجل، لكن يمكن لقادة أي عائلة قبول انضمام غرباء»، أجاب آش.

فكرتُ بكلامه. «وقلتَ أيضاً أن اختياري كشريكة ليلى في السكن جرى لسببٍ معين على الأرجح؟».

«حسناً»، قال آش، ثم صمتَ قليلاً، «ما قصدته عندما قلت ذلك هو أنه لا يوجد عامةً أي عداءات بين الدببة والذئاب، وهناك احتمالٌ كبيرٌ أن نوعاً من الاتفاق قد تم بين أقربائنا المباشرين. لكني لست متأكداً من ذلك».

لمعتْ في ذهني فجأة صورة سكين النحت المفضّلة لدى أبي، ذات المقبض على شكل ذئبٍ فضيّ. أخبرني أن صديق طفولته المقرّب أهداه إياها أثناء نشأته في مين، لكنني متأكدة الآن أن الجزء عن مين هو مجرد كلام فارغ.

«وعندما سألتني ما إذا كنتُ ''مؤيدة، أم معارضة، أم حيادية؟''»، سألته من دون أن أوضح له ما أريد معرفته.

زفر آش بصوت مسموع قائلاً: «الأمر معقد».

«لكنه مهم أيضاً، وأمرٌ أنا بحاجة أن أفهمه».

صمت لبرهةٍ، ثم قال: «لن أتحدث عن التفاصيل الدقيقة لسياسة العائلات لأن شرح هذا الموضوع قد يطول حتى الصباح، لكن ما أستطيع قوله أنه توجد عائلات وأفراد يؤيدون فكرة الحد من أنشطة الأسود، وهذا يعني بشكلٍ أساسي الحد من سلطتهم، بالقوة إذا لزم الأمر، ويمكنك على هذا الأساس تخمين معنى **معارض وحيادي**. ليس من عادة عائلات استراتيجيا أن تنظم بعضها بعضاً، فنحن لا نعمل بهذه الطريقة، لكن لم يسبق أن تعرضنا عبر التاريخ لهذا الاختلال في توازن القوى».

كنتُ على وشك طرح سؤال آخر لكنه تابع كلامه: «قبولك في هذه المدرسة أمر مذهل، فكيف لشخصٍ لا يعرف شيئاً عن استراتيجيا أن ينجح في ذلك؟».

هززت رأسي. «صدقاً أنا لا أعلم، هذا ما حاولت معرفته منذ وصولي إلى هنا». صمتُّ قليلاً، شعرتُ بنفسي مكشوفة، لكن أكثر قرباً منه بطريقة ما. « الآن وقد عرفت كل شيءٍ عني، هل يمكنني الوثوق بك؟».

نظر آش إليّ، وكان أكثر ارتياحاً مما كان عليه، لكنه لا يزال متردّداً. «لا أظن أنك تملكين خياراً آخر الآن سوى افتراض أنه يمكنكِ أن تثقي بي».

«حقاً؟ هل هذا كل ما أحصل عليه بعدما أخبرتك بكل أسراري؟». هززت رأسي. «يا لك من وغد».

«أنا وغد لأنك لا تحبين الحقيقة؟»، قال ثم ابتسم ولمعت عيناه بالشقاوة.

«لا، بل لأنك وغدٌ حقاً، في جوهرك»، قلت له.

وضع يده على قلبه وكأنني سدّدت إليه سهماً. «لقد خطر لي

أنكِ تقصدين ذلك، لكنني عدتُ واستبعدتُ الأمر لأنني أستطيع قراءة تعابيركِ جيداً، ومن الواضح أنك تكنّين لي الحب».

ضحكتُ عالياً، وأدركتُ حينها أنني أضحك للمرة الأولى منذ أيام؛ العبء الذي تركه مقتل ستيفانو والخوف من توريطي في الأمر جعلا كل شيء يبدو مظلماً. «حسناً، أنت لست مُملاً، يمكنني الاعتراف لكَ بذلك».

مال نحوي قليلاً وقال: «لستُ مملاً أبداً».

صمت كلانا للحظة.

تنهّد آش، وبدا لي أكثر لطفاً. لا أثر لبُعده أو لنظراته التحليلية المعتادة. بدا كأنه يراني لأول مرة، وللحظة فحسب، شعرتُ أنني تائهة في نظراته. تشنّجت معدتي، لكن بطريقة محببة، وكان هو من أشاح بنظره أولاً هذه المرّة.

تنحنحتُ قليلاً. «لقد سألتك حين كنّا في فناء الكرمة عما يجب أن أعرفه لأتمكن من حماية نفسي هنا»، قلت ثم عدّلتُ جلستي على الأريكة، «حسناً، أنت تعرف الآن ما أقصده، لذلك، ها أنا أسألك مجدداً».

صمتَ قليلاً. «إذا وافقتُ على الإجابة عن سؤالكِ هذا، فأنا أحتاج منك أن تفعلي شيئاً بالمقابل».

«كل شيءٍ هو مقايضة بالنسبة إليك».

«أنا جادٌ تماماً في هذا الأمر».

«حسناً، ماذا تحتاج مني أن فعل؟».

عاد لينظر إليّ بجدية وقال: «ألا تخبري أختي بما أخبرتني به للتوّ».

«ماذا؟»، قلتُ بدهشة وأنا أتراجع إلى الخلف قليلاً، «لماذا تريدني أن أفعل ذلك؟».

زمَّ شفتيه للحظة. «لأن الأمر خطير».

«الأمر خطيرٌ بالنسبة إليّ، هذا مؤكد. لكن كيف يكون خطيراً بالنسبة إلى ليلى؟».

«حقيقة أنكِ لا تعلمين مَن أنتِ تعني أن هناك أمراً تم إخفاؤه، أمر مهم. وعندما يتكشّف هذا الأمر، لا أريد أن تكون لليلى أي علاقة به».

تأملتُ المدفأة وأنا أفكر في الأمر. بدا لي من الخطأ ألا أخبر ليلى. سيضطرني ذلك إلى أن أكذب عليها، كما أنني أثق بها أكثر من ثقتي بآش - أليس الأمر كذلك؟ فلو كنت برفقتها الليلة بدلاً من آش، لكنتُ أجري هذه المحادثة معها الآن.

«الخيار يعود لكِ، يا نوفمبر. إذا ساعدتكَ في اكتشاف من أنت، فلا ينبغي لليلى أن تعرف الحقيقة. وإذا أخبرتِها، أعدك أنه لن يساعدك أحدٌ منا. أنت بحاجة إلينا أكثر بكثير مما نحن بحاجة إليك، وأنت تعلمين ذلك، وإلا لما كنتِ أخبرتني بكل هذه الأمور».

«لا تكلف نفسكَ عناء القول إن الخيار يعود لي، إن لم يكن هناك خيار».

لا يسعني سوى التفكير بالكلام الذي قالته لي ليلى في المكتبة، حين قالت إن اتفاق الثقة الجديد الذي أبرمناه قابل للكسر، وأشعر أنني أحطمه الآن.

سمعتُ في تلك اللحظة أحدهم يحاول رفع المزلاج وفتح الباب. «نوفمبر»، نادت ليلى بصوتٍ خافتٍ من وراء الباب السميك.

«ما زلتُ بانتظار ردّك»، قال آش.

«نعم، موافقة، نعم»، قلتُ له بتأففٍ.

«حسناً إذاً، اتفقنا»، قال بنبرة لا مرح فيها على الإطلاق.

نهضتُ وفتحتُ الباب.

دخلت ليلى وهي تحمل كومةً من الكتب. «أوه، جيد، كلاكما هنا».

أخذ آش منها الكتب ووضعها على الطاولة، بينما خلعت ليلى عباءتها وعلّقتها في الخزانة.

«لقد أحضرتُ كتاباً عن السكاكين لتطّلعي عليه، يا نوفمبر، وتحاولي التعرّف على السكين التي ستيفانو... حسناً، السكين المُستخدمة في الجريمة. وكذلك كتاباً طبياً يمكنه مساعدتنا في تحديد الوقت الذي مضى على وفاته حين عثرتِ عليه، وبعض الكتب الأخرى عن الخداع ولغة الجسد. لا تسيئي فهم كلامي، لكنني أظن أنكِ بحاجة لمراجعة بعض المعلومات».

«عظيم، تبدو لي خطة رائعة»، قلتُ لها.

نظرتْ إليّ وإلى آش. «هل حدث شيء ما؟ تبدوان متوتّرَين».

نظر إليّ آش مُحذراً من مخالفة اتفاقنا.

«حسناً، لقد عرفت آريا أنني كنتُ في غرفتها، أو هذا ما تظنه على الأقل. لقد وجدتْ شعرةً تعود لي»، قلت لها.

قطبت ليلى حاجبيها. «هذا ليس خبراً جيداً. يجب علينا توخي الحذر، فآريا من الأشخاص الذين يعتبرون الانتقام نوعاً من التسلية».

«وقابلتُ كونر مرةً أخرى»، قلت لها.

«الدكتور كونر؟»، كررت ليلى بنبرةٍ قلقة.

«زعمَ أن الحارس الذي رآني سلك نفس الدرج الذي قلتُ أنني سلكته للعودة إلى غرفتي، ما يعنى أنه كان من المستحيل أن نكون هناك معاً في نفس الوقت، ولا بد أني أتيتُ من جهةٍ أخرى».

«وماذا قلتِ له؟»، سألتني ليلى.

«لا شيء، قلتُ إنني لا أدري».

«جيد. هذا هو الجواب الصائب»، قالت ليلى.

«وأخبرني أيضاً أن الحارس سلك مساراً مختلفاً عن الذي يسلكه عادةً، فبدا لي الأمر غريباً، بالنظر إلى الدقة التي تسير بها الأمور هنا»، قلت، فتبادلتْ ليلى وآش النظرات فيما بينهما.

عقدت ليلى حاجبيها. «ليس الأمر بالمستحيل، لكنه ليس معتاداً أيضاً. رغم أنني لستُ متأكدة ما إذا كان بإمكانك إثبات أن الحارس فعل أو لم يفعل أمراً غير مُعتاد في تلك الليلة، لا سيما أنهم لا يتحدثون إلى الطلاب».

أخذتُ نفساً عميقاً. «هذا ما فكرت به أيضاً»، وتردّدتُ قليلاً قبل أن أقول: «أصدقيني القول، إلى أي درجة تعتقدين أن وضعي سيّئ الآن؟».

رأيتُ مسحة من القلق تعلو وجهها حتى قبل أن أسمع إجابتها.

«سيّئ»، قالت بهدوء.

21

جلستُ وليلى إلى مائدة الإفطار في غرفتنا، نتصفّح الكتب أثناء تناول الطعام. وبينما كنت أدقّق في صور السكاكين، كانت ليلى تقرأ عن تيبّس الجثة بعد الموت، في مشهد أشبه بالأزواج العجائز الذين نراهم في الأفلام يقلبون صفحات الجرائد ويحتسون القهوة.

«حتى الآن، هذه السكين هي الأكثر شبهاً بتلك التي أتذكر أنني رأيتها يومها»، قلتُ وأنا أشير إلى صورةٍ لسكين ذات مقبضٍ معدني خالٍ من أي نقوش.

«سكين مطبخ عادية؟»، قالت ليلى ثم عبست.

«حسناً، لا يمكنني الجزم بالأمر، كان الظلام شديداً، لكنني أذكر اللون، كان فضياً»، قلت لها.

أبقت ليلى على عبوسها.

«ماذا؟».

ابتلعتْ قطعة الخبز التي كانت في فمها. «أنا فقط. . . لا أدري كيف حصل أحدهم على سكين مطبخ، فهذه السكاكين مُقفَل عليها وموضوعة تحت الحراسة طوال الوقت، ليس في المطبخ، بل في غرفة خاصة».

دهنتُ بعض الزبدة والمربى على قطعة الخبز. «في الليلة التي

واجهتُ فيها نيكس في ذلك التحديّ، قالت بلاكوود إنهم يبحثون عن شيءٍ ما. هل يُعقل أنهم كانوا يبحثون عن تلك السكين؟».

«هذا ما كنتُ أتساءل عنه»، قالت ليلى، ثم صمتنا من جديد وتابعنا القراءة وتناول الطعام.

أشارتْ ليلى إلى سطرٍ في الكتاب الذي تقرأ فيه. «لقد قلتِ إن جسده كان بارداً».

أومأتُ برأسي. «لم يكن بارداً كالجليد، كان الأمر أشبه بملامستكِ يداً باردة لشخصٍ ما. أظن أن كلمة ''فاتر'' هي أكثر دقّة. كل ما أذكره أنني لاحظتُ برودة جسده».

«كنتِ قادمةً من الخارج للتوّ»، قالت ليلى وكأنها تخاطبني وتخاطب كتابها على حدٍّ سواء. «كنتِ ترتدين عباءتكِ. الجو شديد البرودة هنا ليلاً، حتى وإن كنتِ تلبسين عباءة وحتى وإن كنتِ تزاولين نشاطاً كتسلق الأشجار...». رفعت رأسها ونظرت إليّ. «هل تذكرين ما إذا كنتِ تشعرين بالدفء أو بالبرد حين عثرتِ على جثته؟».

إنه لأمر مدهش أن تراها تقوم بتحليل كل العوامل. كانت لتكون مُحققةً بارعة. «أنا شخص أشعر بالدفء بطبيعتي، كما أنني كنت أركضْ وقلبي يخفق بقوة من تدفق الأدرينالين. كنت أتعرّق، هذا مؤكد».

«يمكننا القول إذاً إنه كان بارداً مقارنةً بكِ، لكن أكثر دفئاً من درجة حرارة الهواء المحيط به؟»، سألتني ليلى.

أومأت برأسي.

«وقد لمستِ عنقه، صحيح؟ هل كان متيبساً؟».

«حسناً...»، قلتُ وأنا أبذل قصارى جهدي لأتذكّر تلك اللحظة المريعة دون أن أشعر بالغثيان. «أدركتُ على الفور أنه لم يكن لديه نبض، لكن جسده لم يكن متيبساً تماماً، بل ربما قليلاً فقط».

«وماذا عن الدماء؟ أين كانت؟»، سألتني ليلى، وبقدر ما بدت تعابيرها هادئة، بدا واضحاً في عينيها أنها - مثلي تماماً - لا ترغب في تخيّل ستيفانو ميتاً.

«كانت جثته مُلقاة في الظلام، فبدا كل شيء داكناً بدرجات متفاوتة، لكنني أذكر بوضوح أن صدره كان مغطى بالدماء، أو بالأصحّ كان قميصه الأبيض كذلك. وكان يرتدي عباءته أيضاً. لكنني لم أرَ أي دماء على الأرض. ولو كانت هناك دماء على الأرض، لكنتُ تلطختُ بها حين جثوتُ بجواره».

رنتْ ليلى بنظرها بعيداً عبر النافذة.

«بماذا تفكرين؟»، سألتها.

«تفقد الجثة حرارتها بمعدل 0,83 درجة مئوية في الساعة، ولتوضيح الأمر لكِ أكثر، هذا يعادل درجة ونصف على مقياس فهرنهايت. هذا ليس معدلاً سريعاً على الإطلاق، لكن في حال أُبقيت الجثة في مكانٍ بارد، فستفقد حرارتها بشكلٍ أسرع. لكن بغضّ النظر عن كل هذا، فلا يمكن أن يكون قد قُتل تواً عندما عثرت عليه، وإلا لما لاحظتِ فرقاً في الحرارة. وأيضاً، لا بد أن يمضي على الوفاة بعض الوقت لتبدأ علامات التيبّس بالظهور، وبالتالي كان متوفياً منذ ثلاث إلى ثماني ساعات على الأرجح»، قالت وأنا أفكر في تداعيات كل ذلك.

«لكن من الواضح أنه لم يكن مُمدداً في ذلك الممر منذ وقتٍ طويل، وإلا لوجده أحدهم قبلي»، قلت وأنا أحاول مجاراتها في تحليلاتها. «هل تقصدين أنه تم نقله إلى ذلك الممر بعدما قُتل؟».

بدت شديدة التركيز. «لقد ذكرتِ أنكِ لم ترين أي دماء على الأرض، لكن قميصه كان ملطخاً بالدماء. حتى لو لم تتمكني من تحديد حرارة جسده بدقة بسبب الحركة والأدرينالين، وحتى لو كان

تقديرك لمدى تيبسه خاطئاً، من الغريب أنه لم تكن هناك دماء على الأرض. لذلك نعم، يمكننا الافتراض أنه نُقل إلى هناك».

«تقصدين أنه قُتِل في مكانٍ آخر ثم وُضع في ذلك الممر لأعثر عليه أنا؟». كنتُ أحاول استيعاب كم من الجهد بذله القاتل من أجل الإيقاع بي.

«هذا ما يبدو عليه الأمر من وجهة نظري».

«آش على علمٍ بجدول الحراسة بدقة، أليس كذلك؟»، سألتها وأنا أفكر في كلامها. «هل هناك أوقات محدّدة يكون فيها الذهاب إلى فناء الكرمة والرجوع منها مرجحاً أكثر؟ أقصد، هل كان من الممكن أن يتكهّن أحدٌ بالوقت الذي سأعود فيه من فناء الكرمة؟».

أومأت ليلى برأسها. «طبعاً. أسهل وقت للتسلل إلى أي مكان هو بعد حظر التجول مباشرةً، لأن الحراس يقومون بجولات في هذا الوقت، ثم بعد خمس وأربعين دقيقة، فيكون هذا وقتاً مناسباً للعودة. وإذا فوتِّ هذا التوقيت، فسيكون عليكِ الانتظار لمدة ساعة وخمس عشرة دقيقة أخرى ليقوم الحراس بالجولة المقبلة».

لا عجب أن آش مُقتنعٌ تماماً أن أحدهم حاول الإيقاع بي.

«علينا التحرّي عن الأشخاص الذين رأوا ستيفانو بعد انتهاء دروسه، فسيعطينا هذا جدولاً زمنياً لنعمل به».

«آش يعمل على ذلك»، قالت ليلى. «علينا أيضاً التفكير في المكان الذي قُتل فيه ستيفانو، وأين جرى الاحتفاظ بجثته قبل وضعها في ذلك الممر».

سمعنا طرقاً خفيفاً على الباب ورُفع المزلاج، ثم دخلت بيبا ورمقتنا بنظرة حزينة أثارت توتري.

«عليكما الحضور إلى قاعة الطعام»، قالت بيبا، «في الحال».

«شكراً لكِ»، ردت ليلى، ثم غادرت بيبا، التي لا تكفّ عن الثرثرة عادةً، دون أن تنطق بكلمةٍ أخرى.

نظرتُ إلى ليلى متسائلةً.

«لا أدري»، قالت لي، «لكننا لا نملك ما يكفي من أدلة حتى الآن لإثبات براءتك».

* * *

قاموا مُجدداً بتحويل قاعة الطعام إلى ما يشبه قاعة المحاضرات، وكان المكان شبه ممتلىء حين وصلتُ أنا وليلى وجلسنا على مقعدينا. كان الأساتذة يقفون بمحاذاة الجدار في مواجهتنا كما في المرة السابقة، ينظرون إلينا، أما بلاكوود فكانت تجلس خلف طاولة الأساتذة. لكن كان هناك اختلافٌ ملحوظ هذه المرة: كان يقف إلى جانبها حارسان يحملان قوسَي رماية، كما كان هناك حارسان آخران عند المخرج.

كانت معدتي تتقلّب بقوة بحيث كان عليّ أن أمسك نفسي عن الذهاب إلى الحمّام.

«توقّفي عن التململ»، همس آش وهو يجلس في المقعد المجاور لي.

وضعتُ يديّ على حجري، ونظرتُ إلى آش وليلى. كانا ينظران إلى الأمام بوجهَين خاليَين من أي تعبير، لكن كان جوّ التوتر المُسيطر علينا كثيفاً بحيث يصعب عدم الشعور بالذعر. كان الحارسان المُسلحان اللذان يقفان بالقرب من بلاكوود يترصّدان الجميع مثل ملائكة الموت.

نهضت بلاكوود وتفحّصت ببطء أرجاء المكان بنظراتها ثم قالت: «صباح الخير»، فردّ الجميع في القاعة: «صباح الخير».

«إنه صباحُ خيرٍ حقاً»، أردفت بلاكوود وهي تبتسم. كان كلامها متناقضاً تماماً مع الأجواء المشحونة في المكان، ما سبب لي تشنجاً في كتفيّ. «لقد أنهينا التحقيق في مقتل ستيفانو، وأصبح القاتل معروفاً الآن. لن تكون هناك محاكمة، ولن تكون هناك أي ضجة حول الأمر».

نظرتُ إلى الباب في الحال. **العين بالعين. لا رحمة في هذا المكان، ولا تفاوض.**

عندما نظرتُ أمامي ثانيةً وجدتُ بلاكوود تحدّق بي مباشرةً. كان جسدي بأكمله متشنّجاً، ولمحتُ بطرف عيني بعض الطلاب يستديرون للنظر إليّ. أما آريا، فابتسمت وكأنها على وشك مشاهدة أحد عروض السحر، في حين بدا ماتيو منزعجاً على نحوٍ غريب. تملكني الرعب إلى حدٍّ جعلني أتنفس بصعوبة. أردتُ الصراخ بصوتٍ عالٍ أنني لم أقتل ستيفانو، أنه يجب أن تعلم أنني لم أفعل، لكنني تجمّدت في مكاني لا أستطيع فتح فمي. اختنقت الكلمات في حنجرتي لتلقي بثقلها على صدري. حتى كونر نظر إليّ وكأن أمر إدانتي بات حتمياً.

استمرّت بلاكوود في التحديق بي وأنا أبادلها النظرات من دون أن أرمش إلى أن سالتْ دموعي، ثم أشاحتْ فجأةً بنظرها عني وقالت: «تشارلز، بموجب هذا التحقيق، أنت متهمٌ بقتل ستيفانو».

تعالت الهمهمات بين الطلاب من هول المفاجأة. نظرتُ إلى تشارلز ونظر إليّ هو أيضاً، وكأنه أراد قتلي في تلك اللحظة لو استطاع.

وقفت نيكس بشكلٍ مفاجئ، فالتفت الجميع إليها، بينما واصل تشارلز تحديقه بي وكأنه يحاول حل معضلةٍ ما.

«لقد التحق تشارلز وستيفانو بهذه المدرسة منذ عامين ونصف،

وطوال هذه الفترة لم ينشب بينهما أي خلاف»، قالت نيكس وهي ترفع رأسها، «لم يتغيّر تشارلز منذ لحظة قدومه إلى هنا، وكذلك الأمر بالنسبة لستيفانو. الأمر الوحيد الذي تغيّر، الأمر الوحيد المختلف، هو نوفمبر».

تحوّلت أنظار الطلاب إليّ، فتمنيت لو أن الأرض تنشقّ وتبتلعني في تلك اللحظة.

أما آش فقد انحنى قليلاً إلى الأمام.

تنهدت بلاكوود وكأنها قد سئمت من هذه القضية.

«نعلم جميعاً أن هناك أمراً مُريباً حولها»، صاحت نيكس بصوتٍ همجي وهي تشير بإصبعها إليّ.

نهض تشارلز أيضاً، وأمسك بذراعها، لكنها استمرت في الصراخ.

«حتى أفراد عائلتها يهاجمونها»، قالت نيكس بصوتٍ تغلب عليه مشاعر الكره. «تذكّروا كلامي جيداً، إذا تحمّل تشارلز وزر هذه الجريمة بدلاً منها، فإن أيّ شخصٍ منكم قد يكون التالي».

«أيها الحراس»، نادت بلاكوود غير مُكترثة بثورة غضب نيكس، وأشارت إليهم بأن يأخذوا تشارلز.

اقترب الحارسان اللذان كانا قرب الباب. نظر تشارلز إليهما من بعيد وتراجع خطوة إلى الخلف، نظر إلى بلاكوود ثم إلى كونر، كان منكمشاً على نفسه مثل حيوانٍ في قفص. تساءلتُ ما إذا كان ينوي الهرب، وراح قلبي يخفق بقوة، إذ كنتُ أفكر بالشيء نفسه قبل بضع لحظاتٍ فحسب.

فجأةً توقّف تشارلز عن الحركة ونظر إليّ، وعندما التقت أعيننا شعرت بخوفه وغضبه. كانت ذقنه بارزة وفكّه مشدوداً، وفي لمح البصر، مد يده تحت العباءة إلى ظهره وأخرج سكيناً. لمع النصل

الفولاذي تحت ضوء الشموع وتعالت الشهقات في أرجاء الغرفة، أما الطلاب الذين كانوا قربه فتراجعوا إلى الخلف. كانت آريا تقف خلفه مصدومة من المشهد، فخطر لي حينها أن هذه ربما هي سكينها المفقودة.

لم أستوعب ما حدث بعدها، لكنني رأيتُ تشارلز يدفع ذراعه إلى الخلف فيما صاحت به بلاكوود: «توقف!»، لكن كلمتها جاءت متأخرة، فقد كان أزيز السكين يشق الهواء. تجمّدتُ في مكاني بانتظار أن تصيبني السكين. دق قلبي دقة قوية وأغمضتُ عينيّ وأنا أسمع نصل السكين يخترق جسداً. لكنه لم يكن **جسدي**. فتحتُ عينيّ ورأيتُ ذراع آش أمامي، وقد اخترقت السكين مقدمة ذراعه لتخرج من الجهة الأخرى.

رأيتُ الدم يسيل على حجري. دم آش. وعندما نظرتُ إلى تشارلز ثانيةً، كانت تعلو وجهه نظرة وحشية وكأنه إنسان بدائي. كانت نظرةً مليئةً بالكراهية. للحظة، لم أستطع استيعاب ما يحدث؛ الفوضى بين الطلاب، ذراع آش والسكين المغروزة فيها، تشارلز.

لمستُ ساقي وإذا بها غارقة بالدم. ثم وفجأةً، بدأ الجميع في الحركة من جديد، ركض الحراس نحو تشارلز، فاعترض برندان طريقهم، وبدأت نيكس بإلقاء الكراسي أمامهم.

وقف آش ونزع السكين من ذراعه فتناثرت قطرات الدم حولنا. لا يزال تشارلز يحدّق بي، فارتعد جسدي خوفاً من نظرة الانتقام في عينيه. **إنه يريد قتلي**. وقف آش أمامه حاملاً السكين، لكن تشارلز لم يتراجع، وحين أوشك على الاصطدام بنا، سمعتُ صفيراً خافتاً تلاه صوت ارتطام. انحنى تشارلز إلى الأمام بشكلٍ غريب، وجحظتْ عيناه قبل أن يتهاوى ويسقط على الأرض.

أما برندان ونيكس فقد أجبرهما الحراس على الركوع أرضاً،

وها هو تشارلز يسبح في بركة من الدماء، فمه مفتوح، لكنه غير قادر على النطق بأي كلمة. صارع أنفاسه الأخيرة بصعوبة، ثم أغمض عينيه ولفظ نفسه الأخير. أما أنا، فكان صدري يرتعش، وكأنني أحاول التنفس بدلاً من تشارلز، واغرورقتْ عيناي بالدموع.

«لا»، قلت بصوتٍ مخنوق، «لا، لا، لا»، لأنني أعرف جيداً هذا الصفير... هذا **الارتطام**؟ كان سهماً، ولا بد أنه أصاب شرياناً، وهو الآن...

نظرتُ باتجاه المنصة، حيث كانت بلاكوود تُنزل القوس من وضع الرماية وتعطيه للحارس الواقف على يمينها. «لقد أخبرتكم أنه لن تكون هناك محاكمة».

كانت نيكس تنتحب بيأسٍ وهي تصارع الحارس الذي جرّها إلى خارج القاعة، ثم تبعهما برندان مُقيداً هو الآخر. ملأت رائحة الدم المكان. أما أنا، فقد كان كل هذا أكبر من قدرتي على التحمل.

«بما أننا انتهينا من موضوع الطرف المذنب، بإمكانكم العودة إلى جدول دروسكم المعتادة»، قالت بلاكوود، «اذهبوا جميعاً إلى صفوفكم».

استدرتُ نحو آش وأنا أشعر بالدوار. كان يرفع ذراعه المصابة، والدم يقطر من مرفقه. أسرع كونر والحراس المسلحون نحونا لاسترداد السكين منه.

«دعنا نأخذك إلى المستوصف»، قال كونر لآش دون أن يعيرني أي انتباه.

أردتُ أن أشكر آش لإنقاذه حياتي، أردتُ أن أبكي، وأن أصرخ، وأن أتقيأ، لكنني لم أفعل. بقيتُ جامدةً في مكاني، عاجزةً عن النطق بأي كلمة.

22

جلستُ على سريري، حيث مكثتُ منذ العشاء، أحاول القراءة على ضوء الشموع، إلا أن الكلمات كانت تتراقص أمام عينيّ دون أن أفهمها. لكن لم يكن بإمكاني النوم، فكلما أغمضتُ عينيَّ، رأيتُ ذراع آش وهي تقطر دماً في حجري ورأيتُ تشارلز يلفظ أنفاسه الأخيرة.

«لقد جعلتكِ ليلى تدرسين فنون الخداع والملاكمة، أليس كذلك؟»، سأل آش، فقفزتُ من مكاني.

دخل إلى غرفتي وأغلق الباب خلفه. سارعتُ إلى وضع الكتاب جانباً على منضدة سريري، وأبعدتُ ساقيّ جانباً لأُفسح له مجالاً للجلوس. كانت ذراعه ملفوفةً بضماد، لكنه بدا في مزاجٍ جيدٍ.

انحنى آش فوق سريري وابتسم. «تبدين فاغرة الفم من الدهشة».

لم أستطع مقاومة نفسي، انحنيت باتجاهه وأحطتُ عنقه بذراعَي لأعانقه. بدا متوتراً للحظة، ثم استرخى ولف ذراعيه حولي. كان يمسك بي بحذر، وكأنها المرة الأولى التي يعانقه فيها أحد منذ سنوات. ربما الأمر كذلك حقاً.

«شكراً. . .»، همستُ في أذنه، «شكراً جزيلاً، كان يجب أن أشكرك في الحال، لكنني كنتُ أحاول استيعاب ما قمتَ به». عانقته

بقوة، ثم تركته. «كنت أفكر طوال اليوم كيف سأردّ لك هذا الجميل».

«لا عليكِ، لم أفعل شيئاً»، ردّ بسرعة وبصورةٍ شكلية، كأنه حائرٌ أمام فيض مشاعري هذا.

«آش، لقد تصديتَ لتلك **السكين** كي تنقذني. هذا ليس أمراً عابراً، لا يمكنني أن أصف لك كيف... لو لم تكن موجوداً لكنتُ الآن في عداد الأموات».

بدا أكثر حرجاً. «هل تحتاجين إلى مساعدة؟»، قال وهو يومئ إلى كتابي محاولاً تغيير الموضوع. «يعتمد ثمانون في المئة من تفوقكِ في القتال على مقدرتكِ على التنبؤ بحركة الخصم ومتى سيتحرك أو يهاجم، بينما يعتمد عشرون في المئة على مهارتك في مواجهة هذه الحركة على نحوٍ فعال».

«لحظة، انتظر قليلاً»، قلت له، «أقصد، أجل. أحتاج إلى مساعدتكَ، لكن أخبرني، ما هذه الفوضى العارمة التي حدثت اليوم بحق السماء؟ بالكاد تحدثت معي ليلى منذ ذلك الحين».

«حسناً، تميل ليلى إلى الصمت إذا كان تفكيرها مشغولاً بأمرٍ ما»، قال آش، ولا يسعني إلا أن أتساءل عمّا إذا كانت تُعيد النظر بأمر صداقتنا بعد ما حدث في قاعة الطعام.

«لم توضّح بلاكوود كيف اكتشفت أن تشارلز هو المذنب»، قلت لآش بينما صورة السهم وهو يخترق تشارلز لا تفارق مخيلتي وتدبّ الرعب في نفسي.

«عملياً، هي ليست مضطرة على توضيح ذلك»، قال آش، «كما أن ردَّة فعله أكدت أنه المُذنب وليس أنتِ. لكن قد تكون بلاكوود قررت ألا توضح دوافعه بالتفصيل لأنها لا ترغب في إلقاء الضوء على الانقسام الموجود بين الدببة والأسود. الجميع يفترضون أن

تشارلز قتل ستيفانو لأسبابٍ سياسية، فهذا هو السبب البديهي. فكما لاحظتِ، يرتبط كل شيء بالسياسة والتحالفات حين تكونين فرداً من استراتيجيا، وأنا واثقٌ بأن بعض الأشخاص فهموا أنه حاول إلصاق التهمة بكِ بغية التخلص من شخصين من الدببة دفعةً واحدة. وكان يمكن أن يصبحوا ثلاثة لو أن ماتيو تصرّف على نحوٍ مختلف ودفعك من تلك الشجرة. خلاصة القول أن تشارلز كان يحاول النيل من عائلتك، وهذا ليس بالأمر الجديد».

«لكن بلاكوود» - علق الكلام في حلقي - «أعدمته أمام المدرسة بأكملها».

أومأ آش برأسه ببطء وهو يفكر في الأمر. «أجل، لكنها كانت وفاةً سريعة، ولو لم تفعل ذلك لخسرت طالباً آخر، كان ذلك وشيكاً». نظر إليّ بإمعان. «ما حدث صدمكِ، أليس كذلك؟».

«أنا. . . أجل»، قلتُ، دون أن أضيف شيئاً. فماذا بوسعك أن تقول وقد رأيت شخصاً يُقتل أمامك بدمٍ بارد؟

ساد صمتٌ مُحرج بيننا.

«لقد انتهى الأمر إذاً؟ بما أن تشارلز. . . أقصد بما أن بلاكوود كشفت القاتل الآن».

«حسناً»، قال آش، «ليلى قلقة لأن بلاكوود لم تعاقبنا على تلك الملاحظات حتى الآن»، قال آش.

«لحظة، هل قلتَ **تعاقبنا**؟ تقصد أنا وأنتَ؟ بسبب خروجنا بعد **حظر التجول**؟». بدا ذلك أمراً تافهاً مقارنةً بما شهدته اليوم.

«أنا وأنتِ»، كرّر آش بصوتٍ يوحي بأن ثمة خطباً ما. «كان يُفترض أن تكون عقوبتنا قد حُدِّدت الآن. لقد تمت إدانة تشارلز، وكان من المُفترض أن تعود الأمور إلى مجراها الطبيعي، لكن هذا لم يحدث».

قمتُ بتعديل الوسادة خلف ظهري. «حسناً، ماذا يعني ذلك؟».

«لا أعرف بعد»، قال آش رغم شعوري أن ثمة شيئاً يخفيه، ثم خلع عباءته وقال: «أريدكِ أن تخبريني المزيد عن والدكِ».

ازداد ارتباكي. «ماذا تريد أن تعرف؟».

«هل نشأ في مدينةٍ كبيرة؟ هل تذكرين البلدان التي سافر إليها؟».

زممتُ شفتيّ وبدأتُ أتململ. «اسمع ــــ».

«أعرف»، قاطعني آش، فتوقفت عن الحركة.

«ما الذي تعرفه؟».

«أنتِ تفركين راحتَي يديك ببعضهما لتهدئة نفسكِ، وهذا يعني أن سؤالي سبّب لك التوتّر. كما أنك زممتِ شفتيكِ، ما يعني أنك تحاولين منع نفسكِ عن البوح بأي معلومات. أعلم أنكِ لا تستطيعين إخباري بالتفاصيل، لذا أَبقي الأمور مُبهمة بقدر ما ترينه مناسباً، لكن اعثري على طريقة للإجابة، وانتبهي إلى لغة جسدك، فإنها تبوح بأكثر مما تظنين، لي ولغيري أيضاً».

«امم». عدّلتُ جلستي وأنا أبذل قصارى جهدي لأبدو طبيعيةً. «أعلم أنه عاش في نيويورك لفترة وجيزة، لكنه لطالما قال إنه يُفضّل الحياة الهادئة»، قلت ببطء وأنا أفكر بإجاباتي جيداً كي لا أبوح بأي معلوماتٍ قد تورطني. «وهو لم يسافر إلى بلدان أخرى، أو حتى تحدّث عن بلدان أخرى أو عن أقارب». كنتُ أودّ إخباره أن أبي يتحدث بلكنةٍ أميركية، لكن بوجود شخصٍ مثل آريا البارعة في تقليد اللكنات، بتُّ أدرك أن اللكنة لا تعني شيئاً بالضرورة.

«ماذا عن عائلته المُقربة؟»، سأل آش.

«حسناً، والداه متوفيان، وليس لديه إخوة أو أخوات. كان يقول إن لديه أبناء عمّ أو شيئاً من هذا القبيل، لكن لم يسبق لي أن

قابلتهم». قطبتُ جبيني لاشعورياً. كيف لم يخطر لي من قبل أن أياً من هذه الأمور مدعاة للريبة؟

أومأ آش برأسه. «إذا توصّلنا إلى معرفة مَن هي عائلة والدك، قد نتمكن مِن معرفة مَن حاول الانتقام منكِ ولماذا حاول الإيقاع بكِ. أما الآن، فيبدو أن ماتيو هو الشخص الوحيد الذي يعرف عنكِ شيئاً، وقد حاولتُ الحصول على معلومات منه، لكنه طريق مسدود».

حدّقتُ فيه لثوانٍ. «هل تحدّثتَ إلى ماتيو؟».

نظر إليّ بفضول. «هل يزعجكِ ذلك؟».

أعلم أنه لا يجدر بي الانزعاج، لكن الأمر ضايقني شيئاً ما. «حسناً، من الطبيعي ألا أكون من معجبيه بعد أن لكمني على وجهي بلا سبب. خاصة وأن حجمي أصغر منه مرتين!».

«هناك أسباب كثيرة، كثيرة جداً، قد تدفع أحدنا إلى ضرب شخصٍ هنا»، ردّ آش، «ولا يهم حجمُك. وإذا تعتقدين غير ذلك، فهذه حماقة منك. خذي نيكس على سبيل المثال، إنها صغيرة الحجم، طولها بالكاد متر وخمسون سنتيمتراً، لكنها تستطيع التغلّب على تسعين في المئة من أضخم الشبان في هذه المدرسة، وهو ما تفعله في الكثير من الأحيان».

كنت على وشك أن أجادله، لكنه كان محقّاً، فالنظام هنا مختلف عن كل ما عرفته من قبل. يتصرّف الناس هنا بشكلٍ مختلف، ويثأرون لأنفسهم بشكلٍ مختلف.

«حتى الآن، يبدو أن ماتيو هو الشخص الوحيد الذي يعرف من تكونين. ألا ترغبين في اكتشاف ذلك أيضاً؟».

«أجل. أرغب في ذلك»، قلتُ له وأنا أدسّ خصلة من شعري خلف أذني.

ابتسم آش ابتسامةً عريضة.

«ماذا؟».

«أوه، لا شيء»، أجاب، لكنه لم يقنعني.

«قُل ما عندك، يا آش. لماذا تبتسم لي بهذه الطريقة؟».

«أنا فقط أستغرب كيف أنك استأتِ حين علمتِ أنني تحدثتُ إلى ماتيو. إذا لم يكن ذلك لسببٍ منطقي، فلا بد أن يكون ردَّ فعل عاطفياً»، قال وهو يتفحص وجهي. «تشعرين أنكِ تمتلكينني على نحوٍ ما».

اتسعتْ عيناي دهشةً. «أنت مخطئ، لا أريد أن أمتلكك، أنت لا تستحق العناء صدقني».

«آها»، قال آش، «أصدّقك، لهذا السبب قلتِ ''لا أريد أن أمتلكك''، في حين كان كل ما قلتُه ''تشعرين أنك تمتلكينني على نحوٍ ما''. تبدو لي هذه زلة لسان فرويدية، إذا أردتِ رأيي». كان يستمتع بذلك كثيراً، ولولا خشيتي من إيذاء ذراعه لكنت دفعته خارج سريري.

لكني اكتفيت بأن أرمقه بنظرة مستهزئة عوضاً عن ذلك.

ضحك آش. «لقد كان يوماً رهيباً، فلا بأس في أن نرفه عن نفسينا لبعض الوقت. ما رأيكِ بأن أُريكِ بعض الحركات قبل أن أعود إلى غرفتي؟ فنحن لا نريد لسيناريو هذا الصباح أن يتكرر من جديد».

«أنا آسفة حقاً بخصوص تلك السكين»، قلتُ له وأنا أنظر إلى الضماد على ذراعه.

«السكين ليست سوى جزء من مشكلة أكبر: الرسالة. لم ينتهِ هذا الأمر بموت تشارلز، فقد نعتتكِ نيكس بالعدوة، وإذا كنتِ عدوة نيكس، فأنتِ عدوة برندان أيضاً، وبالتالي عدوة الأسود عموماً،

إضافةً إلى كل حلفائهم. عليكِ إثبات أنك جديرة بوجودك هنا، وصُنع مكانةً لنفسكِ، وإلا فسيسحقونك. وكما قالت ليلى، لا يمكنكِ السماح لهم بمعرفة أنه لديك نقاط ضعف».

«سأعمل على ذلك»، قلتُ له وأنا أعني ما أقول. فإذا ساءت الأمور أكثر من ذلك، أخشى أن يتخلى عني هو وليلى. «لديّ الكثير من الطاقة. سأقرأ عن التاريخ وفنون الخداع في أوقات فراغي، وسأتلقى الدروس من ليلى، كما يمكنك أن تعلّمني أشياءَ عن القتال، والسموم، والألعاب الذهنية، وأي شيء ترى أنني أحتاج إليه. أنا قادرة على التدرب بقدر استعدادك لتعليمي. إنني ماهرة في استخدام السكاكين، وتسلّق الأشجار، والمبارزة... رغم أنني لم أستخدم سوى سيفٍ خشبي».

نظر إليّ بطريقة توحي بأنني قلتُ شيئاً غريباً مرةً أخرى.

«ماذا هناك؟».

«أنتِ... شديدة الثقة بالآخرين. نعم، أعتقد أن هذه هي العبارة المناسبة، أنتِ مُنفتحة جداً»، قال آش وبدا وكأنه حزين حيال ذلك.

هززت كتفَي. «لكن هذا أنت، صديقي. كيف يمكنكَ مساعدتي إذا لم أخبركَ بما أحتاج أن تساعدني فيه؟ أنا لن أعلن عن نقاط ضعفي لبقية الطلاب طبعاً... بل لك فقط».

ابتسم ابتسامةً صغيرة. «ليس هذا ما قصدته، بل...»، قال، ثم هزّ رأسه. «لا عليكِ».

بدا عاطفياً بعض الشيء. «أخبِرني»، قلتُ له ثم وضعت يدي علي يده وضغطتُ عليها، وفي اللحظة التي فعلتُ فيها ذلك، أدركتُ أنها ليست حركة عادية، لكنه أمسك بيدي قبل أن أتمكن من

سحبها. أمسك بها برفق، وهو ينظر إليها وكأنها كنز، ثم أخذ يداعب أصابعي بإبهامه، فسرت قشعريرة في ذراعي.

«كنت أتمنى لو لم نكن جميعاً في قلب هذه الفوضى»، قال آش ثم رفع رأسه ونظر إليّ، «لو كنتِ أتيتِ إلى هنا والتقينا... لا أعرف ماذا كنت أتمنى. أنا أشعر بالأسف لأنكِ تعرضتِ لكل هذه المحن. أنتِ على الأرجح أسعد شخص في هذا المكان، فرغم المكائد التي يدبرها المحيطون بكِ كلما سنحت لهم الفرصة، إلا أنك لا تزالين تثقين بالناس. لست متأكداً من أنني سأفهم ذلك يوماً، لكن ثمة شيئاً جميلاً في الأمر».

ابتسمتُ له. هل بات آش مرتاحاً في تعامله معي؟ لا تزال عيناه تحملان النظرة الحادة نفسها، لكن على نحوٍ مختلفٍ. اضطربت معدتي، وشعرتُ بخديَّ يتورّدان رغماً عني.

«لطالما كانت صديقتي المقربة تقول إنني سعيدة حتى حين أكون محبطة»، قلتُ له، ثم ابتسمت. «لا أحد يعلم كم بقي له في هذه الحياة، لذلك، تباً لكل شيء. سأعيش حياتي بكل ما أُوتيت من عنفوان. والشيء الذي لن أتقبله أبداً هو كيف تصدّون بعضكم بعضاً هنا. لا أعرف كيف ستكون حياتي من دون وجود صديقتي المُقربة أو أصدقائي عامةً. أتمنى أن أحظى بالآلاف منهم على مدار حياتي».

«صديقةٌ مُقرّبة»، كرر آش مُحدّثاً نفسه وكأنني ذكرتُ اسم مخلوقٍ أسطوريّ للتوّ، فتساءلت ما إذا كان يُخفي شعوراً بالوحدة تحت ستارٍ من المرح والثقة بالنفس. أردتُ أن أُقربه مني وأحتويه بذراعيّ، لكنه أفلت يدي برفق.

وهو يبتسم إليّ، شعرتُ بأن شيئاً قد تغيّر بيننا، وكأنه قرر السماح لي بالتقرّب منه قليلاً. «قفي»، قال لي، ففعلت.

«والآن، أريدك أن تتخذي الوضعية التي كنت ستتخذينها لو أردتِ مهاجمتي».

ابتسمتُ وأنا أفكر كيف انتقلنا فجأةً من حديثٍ حميم إلى القتال. تراجعتُ بساقي اليمنى إلى الخلف، ورفعت قبضتَّي، وشددتُ ذقني إلى الأسفل.

اقترب مني مُتفحّصاً طريقة وقوفي. «ستلاحظين أن معظم الناس في وضعية القتال يُرجعون الساق المُهيمنة إلى الخلف، ويضربون باليد المُهيمنة. وضعيتك لا بأس بها، أنتِ تحمين أعضاءكِ من خلال الوقوف بشكلٍ جانبي، وتحمين عنقك بشدّ ذقنك إلى أسفل. لكنكِ متوترة، وهذا التوتر سيمنعكِ من التحرّك بالسرعة الكافية. يجب أن تكوني يقظة، وألا تكوني متصلبة بحيث يصعب عليكِ المناورة».

«يبدو ذلك منطقياً»، قلت له وأرخيتُ كتفيَّ وركبتيَّ قليلاً، «فالأمر نفسه ينطبق على المبارزة».

«تماماً، تقدّمي الآن ووجهي لي لكمة على وجهي».

هاجمته بيدي اليسرى، فصدّ ذراعي قبل أن تصل إلى منتصف المسافة الفاصلة بيننا.

«التصدي للضربات سيكون صديقك في البداية، فحتى لو لم تستطيعي الفوز في قتالٍ ما، يمكنكِ حماية نفسكِ من التعرض للأذى إذا انتبهتِ جيداً إلى عيون وحركة الآخرين»، قال لي. «هيا، فكّري أين ستكون ضربتكِ القادمة».

تخيلتُ نفسي أضربه بيدي اليمنى على معدته، فتحوّل نظري نحو معدته لجزءٍ من الثانية. «آآآآه!» صحت، ثم ضحكت. «أنت محقّ، بإمكان عينيك أن تفضحاك، هذه نصيحةٌ مفيدة».

«قومي بذلك مجدداً، لكن هذه المرة انتبهي إلى الذراع التي تخططين لتوجيه الضربة لي بها».

كان مُحقاً مرة أخرى؛ تراجعت ذراعي اليسرى إلى الخلف قليلاً في اللحظة التي فكرتُ فيها بضربه، على نحوٍ لاإرادي.

نظرتُ إليه وأنا أشعر بالسعادة لأنني أتعلم شيئاً مفيداً. «دوركَ الآن، فكر كيف ستضربني لأرى إن كنتُ سأتوقع حركتك القادمة».

نظر إلى وجهي نظرةً خاطفة، وارتعشت كتفه اليسرى قليلاً.

«لكمةٌ على الوجه بذراعك اليسرى»، قلتُ له، فأومأ برأسه.

«لقد نظر تشارلز إلى صدركِ قبل أن يرمي السكين. الأشخاص الذين يحملون سلاحاً سوف ينظرون دائماً إلى المكان الذي ينوون تصويب السلاح إليه، لكن بين الحين والآخر...».

نظر آش إلى وجهي وارتعشت ذراعه اليمنى.

«ضربة على الوجه بيدك اليمنى...».

«يحدث هذا». أطلق قبضته اليسرى بدلاً من اليمنى على بطني، وبالكاد لمسني. لم يسحب يده على الفور، وشعرت بدمي ينبض تحت قبضته.

«بين الحين والآخر، ستواجهين خصماً يتعمّد تضليلك من خلال النظر إلى مكانٍ ليس هو المكان المستهدَف»، قال لي، «لكن هذا لا يحدث إلا في سياق هادئ. لكن إذا كان الشخص يتحرك بسرعة وهو في قلب المعركة، فإنه سيفضح نفسه على الأرجح. وبطبيعة الحال، إذا كانت حركته سريعةً، فسيكون من الصعب جداً توقّع ضرباته. فالفكرة برمّتها أشبه بالطريقة التي ينظرُ بها شخصٌ ما إلى شفتيكِ إذا كان يرغب في تقبيلكِ».

رفعتُ حاجبيَّ. «أو يرغب في توجيه لكمة إلى فمك».

«ممكن أيضاً»، قال ثم ابتسم ابتسامةً ساخرة. «سأدرّبك على صدّ الضربات بالحركة البطيئة، ثم سنقوم بذلك بالسرعة الطبيعية».

وجّه لكمةً إلى وجهي تصديت لها بذراعي اليسرى.

«لا بأس، لكنكِ لا تزالين متصلّبة. إن اللكمة أو ضربة السيف أو أي شيء موّجه إلى وجهك سوف يكون قوياً بالتأكيد، لكن هذا لا يعني أنكِ بحاجةٍ إلى قوةٍ كبيرة لصده. استخدمي قوة دفعهم ضدهم من خلال إعادة توجيهها».

أمسكَ بذراعي وثناها. «عندما أوجه لكِ لكمة، عليكِ إبعاد ذراعي بهذه الطريقة. لن يساعدكِ التوتر أبداً أثناء القتال. ولا تترددي بإبراز عضلات معدتكِ عند تلقيّ ضربة عليها، فيمكن أن يحميك ذلك من الإصابة».

كنا نقف مُتقاربين جداً بحيث تسارعت دقات قلبي، كما أنني نظرت إلى شفتيه فعلاً.

«لقد رأيتُ ذلك».

ابتسمت. «لا أعلم عمّا تتحدث».

«اممم، حسناً، لنحاول مرةً أخرى. وكوني مستعدة للّكمةِ الثانية، التي يمكنكِ التصدي لها أيضاً، لكن سيكون من الأسهل لكِ الانحناء لتجنبها»، قال ثم لكمني بيده اليمنى ونجحتُ في صدِّها. ضرب بعدها بيده اليسرى فانحنيت لتجنب الضربة، ومرت يده على مقربة من وجهي.

أومأ باستحسان. «الآن، عليكِ التأكد من ترك مسافةٍ بينكِ وبين الخصم. فإذا تورطتِ في قتالٍ مِن مسافة قريبة، فستُهزَمين بسرعة. نحن نتدرب الآن على حركات الملاكمة الأساسية، لكن معظمنا يمتلك مهارات في عددٍ من الفنون القتالية، ويمكننا أن نسبب أذىً كبيراً باستخدام القليل من ــــ».

نظرتُ إلى بطنهِ، لكني وجّهتُ صفعةً خفيفة إلى وجهه، فبدا مُتفاجئاً إلى درجة أنني ضحكت. «لقد نلتُ منكَ».

نظر إلى شفتيَّ.

«لقد رأيتُ ذلك»، قلتُ له.

«أعرف تماماً عما تتحدثين»، قال وهو يبتسم، فشعرت باضطراب لطيف في معدتي. اعتقدتُ للحظة أنه سيميل باتجاهي، لكنه تراجع إلى الخلف.

عدتُ إلى وضعيتي القتالية. «ماذا عن قاعدة عدم المواعدة تلك؟»، سألته متظاهرةً باللامبالاة. «هل هو أمر يتعلق بنظام المدارس الداخلية؟ فهم لا يستطيعون طبعاً منعكم من التسلل خارج غرفكم رغم وجود كل أولئك الحراس».

هزّ آش رأسه. «عائلاتنا هي من توافق على زيجاتنا، خاصةً بالنسبة لمَن تتمتع عائلاتهم بالسلطة والنفوذ. الزواج قد يعني تحالفاً مهماً، لذا يتم ترتيب هذه الأمور بحرصٍ شديد».

نظرتُ إليه بريبةٍ. «لحظة، هل تقصد أنه يتم ترتيب زيجاتكم مُسبقاً بناءً على تحالفاتٍ سياسية؟ في أي زمنٍ نحن؟ في القرن الخامس عشر؟». لكني لا أعرف لماذا كلّفتُ نفسي عناء هذا الرد، باعتبار أن كل شيء في هذه المدرسة يسير بنظام القرن الخامس عشر. «ثم إن الزواج شيءٌ، والمواعدة شيءٌ آخر».

«ليس حقاً، ليس حين تفكرين بكمّ الأسرار التي يخفيها كلٌّ منا، والأشياء التي يمكننا استخلاصها من بعضنا عبر التواصل غير اللفظي. إن التقرّب عاطفياً من شخصٍ ما، ثم انتهاء الأمر على نحوٍ سيئ قد يعني خرقاً لكل المعلومات».

«تقصد مثل المعلومات التي أبوح بها لك الآن».

«ليس تماماً»، ردّ آش، «أنتِ لا تعرفين أسرار الدببة، فلستِ متأكدة حتى مَن تكونين».

«وجهة نظر معقولة. أنتم لا تواعدون إذاً إلا حين تصبحون على استعدادٍ للزواج؟». صعب عليّ تقبّل هذه الفكرة.

ابتسم بمكرٍ. «لم أقل ذلك. قلت إننا لا نتعلق بعضنا ببعض في هذه العلاقات، لا شيء جدِّياً».

أردتُ أن أقول له إن هذا جنون، لكن بالنظر إلى تاريخي في المواعدة، لا يحق لي قول ذلك. «هل عائلتك قد اختارت لك فتاةً مناسبة إذاً؟»، قلتُ ممازحةً، لكنه لم يبتسم.

«أنا وليلى الابنا البكر للقادة في عائلتنا»، قال وقد عكست ملامح وجهه مشاعره المتضاربة حيال ذلك. «التحالفات التي نقوم بها أنا وليلى هنا ستؤثر بالتأكيد على قرار عائلتنا، لكن أجل، لقد قاموا بتقليص الاحتمالات المُتاحة منذ كنا طفلين. كونكِ الابن البكر أمر له فوائده، لكنه له واجباته أيضاً».

لا عجب إذاً أن برندان وبقية الشبان يضايقون ليلى هكذا. من المفترض بها أن تتولى قيادة عائلتها يوماً، ما يجعل منها خصماً لهم. «هل يحاولون التوفيق بينكَ وبين فتاة هي البكر في عائلتها أيضاً؟».

«لا، إطلاقاً. الأبناء البكر مُطالبون بالبقاء مع عائلاتهم، فنميل للزواج من شخصٍ ذي مهارات عالية وأقل مكانةٍ في عائلةٍ أخرى، على استعداد للانضمام إلى عائلتنا والتخلي عن عائلته. وبذلك تستفيد كلتا العائلتين من تحسين العلاقات بينهما».

قطبتُ حاجبيَّ. «تتخلى عن عائلتك؟ لماذا قد يفعل أحدٌ ذلك؟ وكيف يُعقل أن يفرضوا على أحدِ التخلي عن عائلته؟».

«بعقوبة الموت»، قال آش، فتراجعتُ إلى الخلف.

«هل تقتلون الناس لأنهم لا يدينون بولاءٍ مُطلق لعائلتهم الجديدة؟»، سألته بنبرةٍ تكتسي بالدهشة. «ماذا لو أردتَ الزواج من شخصٍ لا ينتمي إلى استراتيجيا؟».

«هذا ممنوعٌ ما لم تتم الموافقة المسبقة من عائلتكِ على هذا

الشخص. وإذا أقدمتِ على هذا الزواج من دون موافقتهم، فالعقوبة هي الموت».

هل اكتشفتُ للتوّ أن الشخص الوحيد الذي يمكنني الزواج منه هو إما أحد طلاب هذه المدرسة أو شخص يجب أن يوافق عليه أعضاءٌ من استراتيجيا في أوروبا لا أعرفهم حتى؟ هذا مُحال. «ماذا لو رغب أحدهم بألا يظل عضواً في استراتيجيا؟».

نظر إليّ نظرة تحمل شيئاً من التعاطف. «ممنوع أيضاً».

لم أستطع التفكير بأي ردٍّ لا يكشف الذعر الذي شعرت به. كنتُ أعتقد طوال الوقت أنه بإمكاني مغادرة هذا المكان متى شئت، وأنه لديّ الخيار في هذا الأمر. وبعد أن تفاديت ضربة هذا الصباح، اعتقدتُ أنني إذا اندمجتُ والتزمتُ الصمت، فقد أنجح في مغادرة هذه المدرسة بلا عودة.

«دعيني أعلمكِ بعض الركلات قبل أن أغادر»، قال آش، وقد بدا من نظراته أني لست ماهرة في إخفاء مشاعري على الإطلاق.

23

ثمة صوت نقرٍ خافتٍ. تدثّرتُ بالبطانية جيداً ودفنتُ رأسي في الوسادة. **تك**. **تك**. **تك**. كما لو أن أحدهم نسي إغلاق صنبورٍ في مكانٍ بعيد.

* * *

تثاءبتُ وفركتُ عينيّ تحت لحافي السميك. لم أتمكّن من النوم حتى وقتٍ متأخر من ليلة أمس، وكل ما أريده الآن هو التقلّب والبقاء تحت هذا الغطاء. لكن ضوء النهار بدأ يلوح من خلال أطراف الستارة الثقيلة، وكنتُ أودّ التحدّث إلى ليلى عن ذلك الاجتماع الرهيب قبل ذهابنا إلى الفصل.

الكتب التي أعطتني إياها ليلى مبعثرة على سريري، حيث غفوتُ وأنا أقرؤها. حاولتُ تمديد جسدي فشعرتُ بألمٍ في عضلاتي بسبب تدريبات الملاكمة التي قمتُ بها مع آش.

أبعدتُ الغطاء جانباً ثم جلستُ وأنزلتُ ساقيَّ عند حافة السرير، وحين لامست قدماي الأرضية الباردة، شعرتُ بشيءٍ يشبه الرمل تحت أصابع قدميّ فسحبتُهما إلى أعلى. ثمة خطبٌ ما. لم يسبق أن كانت الأرضية متسخة، فهم يحافظون على نظافة المكان.

جثوتُ على سريري تراودني الكثير من الأفكار المُخيفة حول ما يمكن أن يكون على تلك الأرضية الحجرية، وأزحتُ الستائر للسماح لضوء الصباح بالدخول إلى الغرفة.

كنت على وشك الصراخ عندما نظرتُ إلى الأرضية مجدداً لكنني أمسكت نفسي بسرعة بحيث صدرت عني صرخةٌ مخنوقة. فقد كُتبت بجوار سريري، وبلطخات بنيّة داكنة، كلمتان: Sarete ridotti.

كُتبتا باللغة **الإيطالية**. كانت أمي والخالة جو تتحدثان بالإيطالية عندما كنتُ صغيرة، ولا تزال الخالة جو تتحدث بها أحياناً. لا أتقن هذه اللغة حقاً، لكن يمكنني ترجمة هذه العبارة: «سوف يتم تقليصك» أو ربما «سوف يتم إقصاؤك»؟.

نظرتُ إلى باب غرفتي في الحال. القفل ليس في مكانه. ارتفع مستوى الأدرينالين في دمي وأنا أركض بحثاً عن ليلى. طرقتُ باب غرفتها ومسحتُ أسفل قدميّ بقوة.

فتحتْ ليلى باب غرفتها في غضون ثانيتين، ولاحظتْ في الحال تعابير الخوف على وجهي. «ماذا حدث؟».

«أنا لا . . . تعالي معي»، قلتُ وأنا أعود بها إلى غرفتي.

دخلت ليلى غرفتي، وسرعان ما تجمّدتْ كما لو أن أحدهم ضغط زراً وأوقفها، ثم عاودت الحركة بسرعة. جثتْ أرضاً قرب سريري وبدأت تشمّ اللطخات البنية والقطرات المتناثرة، ثم قالت: «إنه. . . دم»، مؤكدة شكوكي.

تذكرتُ في الحال تشارلز وآش، والمشهد الدامي المؤلم في قاعة الطعام بالأمس. بلعتُ ريقي. «لا يمكنني تخيُّل شخصٍ يتجول في المكان حاملاً دماء ليكتب بها رسالة»، قلتُ مخاطبةً نفسي أكثر مما أخاطب ليلى.

«لا»، أكَّدت ليلى، «هذا احتمال مُستبعد للغاية».

«هل يعني ذلك أن أحدهم جرح نفسه في غرفتي؟»، قلت وأنا أرتعش، متخيلةً المشهد في الحال. «هذا مريب. من يمكنه فعل ذلك؟».

هزّت ليلى رأسها. «شخصٌ يبذل كل ما بوسعه ليخيفك، هذا من فعل ذلك. وشخصٌ مغرور. لقد استغرق وقتاً طويلاً في كتابة الرسالة على الأرضية أثناء نومكِ بدلاً من أن يتسلل إلى هنا ويترك لكِ على الأرضية رسالة مكتوبة مسبقاً».

فكرة أن أحدهم كان في غرفتي، يكتب رسالة تهديد بالدم وأنا غارقة في النوم، جعلتني أرغب بالتوجّه إلى مكتب بلاكوود والطلب منها مجدداً مغادرة هذا المكان. ولو لم يسبق لها أن هددتني بالسجن، لذهبت الآن بثياب النوم، وتبّاً لآداب السلوك.

«أسوأ ما في الأمر أنني تذكرتُ سماع شيءٍ ما»، اعترفتُ لليلى، «لكن ماذا كنتُ سأفعل لو أنني استيقظتُ ووجدت شخصاً هنا؟ هل كنت سأقاتله؟». مكتبة سُر مَن قرأ

رفعت رأسها ونظرت إليّ. «لا أعتقد أن هذا كان سيمرّ بسلامٍ. وأيّاً يكن هذا الشخص، فقد كان على الأرجح يحملُ أداةً حادّة».

«برندان أو نيكس؟»، سألتها.

«ممكن»، قالت ليلى، «لديهما الكثير من الأسباب ليغضبا منكِ بعد الطريقة التي انتهت بها الأمور مع تشارلز بالأمس. فرغم أنه لم يصبح صديقهما إلا مؤخراً، كانت نيكس تواعده، وقَبِلَ برندان بانضمامه إلى مجموعتهم الصغيرة. كان تحالفاً وثيقاً، وكانوا على استعداد لفعل أي شيء لحماية بعضهم بعضاً».

أومأتُ برأسي ووجدتُ نفسي أتساءل ما إذا كان آش وليلى

سيشعران بالشيء نفسه تجاهي يوماً. «ماذا عن آريا؟ نظراً لكونها شخصية لا يمكن التنبؤ بها؟»، سألتها.

أخذت ليلى نفساً عميقاً. «**هذه** طريقتها في اللعب، لكن من الواضح أن الأحرف كتبها شخصٌ يستخدم يده اليمنى، وآريا عسراء. هناك طبعاً احتمال بأنها كتبت بيدها اليمنى لتضليلنا، لكنها وعلى خلاف معظم الناس، تحب عادةً التفاخر بتهديداتها. إضافةً إلى أن عرض الخط أكبر من سبابتها. لذلك فإما أن يكون الفاعل شخصاً يداه أكبر من يديها، أو أنها استخدمت إبهامها. أو هناك احتمالٌ بأن أكثر من شخصٍ كانوا هنا، فيليكس مثلاً. لكن إذا أخذنا كافة الأمور في الاعتبار، فأرى أن برندان هو أكثر احتمالاً».

نظرتُ إليها بإعجاب. عقلها مدهش.

«علينا تنظيف الأرضية»، قالت ليلى، «ستحضر بيبا في أي لحظةٍ الآن».

«تنظيف الأرضية؟»، سألتها باستغراب، «ألا ينبغي بنا أن نخبر ـــ».

«لا»، أجابت ليلى بحزم، ثم أحضرت منشفةً من خزانتي غمستها في الحوض وبدأت بتنظيف الدماء. «إذا علمت بلاكوود بهذا، سوف نتلقى انتقاماً أكثر قسوة، فالأمور لا تُعالَج بهذه الطريقة هنا».

«لكن كيف سنبرر وجود هذه الدماء على ـــ»، همستُ، فأشارت إليّ بأن أصمت عند سماعنا صوت مزلاج الباب الرئيسي يتحرك.

وبسرعة البرق، أمسكت ليلى بكأس الماء الفارغ ولفّت المنشفة حوله، وضربته بأحد الكتب الموجودة على الطاولة لتكسره.

وفي أقل من لحظة، قامت بنثر الزجاج على الأرض دون

إصدار أي صوت وهي تشير إليّ بالجلوس إلى جوارها على الأرضية، ثم أخذتْ شظيةً من الزجاج وأمسكتْ بيدي، فجحظت عيناي فزعاً. جرحتني في راحة يدي فجفلتُ من الألم لكنني أمسكت نفسي عن الصراخ.

طرقت بيبا الباب برفقٍ ودخلت إلى غرفتي، وأُصيبت بالدهشة عند رؤية الدماء تقطر من راحة يدي على الأرض، لكن عليّ الاعتراف بذكاء ليلى، فما من شيء خارج عن المألوف في أن تترنح فتاةٌ استيقظتْ للتوّ وتكسر كأس الماء خاصتها ثم تجرح نفسها أثناء تنظيف الزجاج.

24

«كلما أتقنتم فنون الخداع، أصبح ما تتعلمونه في الصفوف الأخرى أقل أهمية»، قال البروفسور غوبتا من طرف طاولة الاجتماعات القديمة. إنه رجلٌ مسن، قصير القامة، يمكنني وصفه بالمتواضع لو لم يكن أستاذاً لفنون الخداع، فقد يكون تعمّد إعطاء هذا الانطباع.

غوبتا، رحت أفكر، **كلمةٌ سنسكريتية الأصل، وهو اسمٌ شائعٌ في الهند ومعناه «المحمي».**

كانت الظلال تتراقص في الغرفة بفعل النور المنبعث من المشعلين المعلقين على الجدار، مما جعل المكان أشبه بأحد المكاتب التي تعود إلى العصور الوسطى حيث توضع الخطط الحربية لغزو بلدٍ آخر، أكثر مما يشبه أي صفٍّ عرفته. الجدران مكسوة بألواحٍ خشبية داكنة، والقناطر الخشبية المزخرفة تغطي السقف.

استرقتُ نظرةً إلى برندان، متسائلةً ما إذا كان هو وراء الدم الذي وجدته في غرفتي هذا الصباح، وأمعنتُ النظر إلى يديه بحثاً عن أي جروحٍ، إلّا أنني لا أستطيع أن أرى شيئاً من هذا البعد. كما أن هناك ماتيو طبعاً. فالرسالة كُتبت بالإيطالية، لكنه ليس هنا لأتفحصه.

لمحتُ آش ينظر إليّ من الطرف الآخر للطاولة وتذكرتُ كيف أبدع في قراءة لغة جسدي البارحة، فأرخيتُ تعابير وجهي على الفور وأشحتُ بنظري.

«يعتقد بعضكم خطأً أن مهاراتهم القتالية هي أكثر ما سيساعدهم حين يصبحون خارجاً في مواجهة العالم»، قال غوبتا وهو ينظر إلى الحاضرين. «لكنني أؤكد لكم أن مهاراتكم القتالية ستساهم في الحصول على واحد في المئة من المعلومات التي ستحصلون عليها من خلال إتقان فنون الخداع. وكلما بذلتم جهداً أكبر في إخفاء نواياكم وفي قراءة الآخرين، ستكونون أكثر جهوزية لخوض القتال. لكن العكس صحيح أيضاً: فالخداع قد يضعكم في مواقف لا يمكنكم التملص منها».

راودني شعور أن الأساتذة، وكونر، وبلاكوود، قد توصّلوا إلى طريقة لوضع استراتيجيات للتلاعب بنا في كل الصفوف. والأكثر من ذلك، شعرت أنهم يخاطبونني ويخاطبون عيوبي على نحوٍ مبطن. لكن قد يكون هذا شعوراً يراود الجميع.

«في سنة 415 قبل الميلاد، كان السياسي الإغريقي ألكيبيادس مقتنعاً بأن غزو صقلية سيجعلهم ينتصرون في الحرب البيلوبونيسية، في حين اعتبر الجنرال الحذر نيكياس هذه الفكرة تهوراً، وقرر أن يعالج الأمر بكذبة. تمثّلت هذه الكذبة في المبالغة كثيراً في تقدير عدد الرجال الذين سيحتاجونهم من أجل المعركة، معتقداً أنه بهذا سيثني ألكيبيادس عن فكرته، لكن كذبته جاءت بنتيجةٍ عكسية، بحيث أخذ الأثينيون بكلام نيكياس، وأرسلوا الجيش بأكمله تقريباً إلى صقلية، في حين كان أسلوب حرب العصابات هو الأكثر جدوى في هذه الحالة. وكانت النتيجة إبادة الجيش بأكمله تقريباً، بحيث لم ينجُ سوى الجنود الفارين من أرض المعركة، والذي كان ألكيبيادس من

بينهم. وجّه الكثيرون اللوم إلى ألكيبيادس بسبب غروره الأعمى، لكن كان نيكياس مسؤولاً عن هذه المأساة بالقدر نفسه. فهو لم يأخذ في الحسبان شخصية الرجل الذي كذب عليه، ولم يتنبأ كيف سيتلقى كذبته، وهما عاملان أهم من الكذبة نفسها. ولو نجح نيكياس بغزو صقلية، لنسي الجميع كذبته أو لما اكتُشِفت في الأساس، إلا أن كذبته لم تكن مُتقنة. ورغم أن نواياه كانت حسنة، إلا أنه تسبب في موت آلاف الأشخاص». توقّف غوبتا عن الحديث للنظر إلى وجوهنا قبل أن تقع عيناه على أحدنا. «فيليكس، تعال إلى الأمام، إذا سمحت».

نهض فيليكس ومشى باتجاه الطرف الآخر من الطاولة.

«أريدك أن تخبر بقية الطلاب بحقيقتين وكذبة. احرص على أن يكون كلامك مُختصراً. لا أريدك أن تجعل الأمر سهلاً عليهم بالبوح بالكثير من التفاصيل، فحاول تمويه كذبتك قدر الإمكان».

أخذ فيليكس نفساً عميقاً، وقال: «لقد تعرضتُ لسبعة كسورٍ في أنحاء جسدي، أو ثمانية باعتبار أنني كسرتُ أنفي مرتين. قد أفضّل أن أشعر بالحر على أن أشعر بالبرد. ويمكنني حبس أنفاسي تحت الماء لمدة تسع دقائق وثلاث عشرة ثانية». بحثتُ عن أي إشارة تدل على الكذب من بين تلك التي قرأتُ عنها في الكتب، لكنني لم أستطع رصد أي شيء، سواء في حركة يديه أو في تعابير وجهه، كما أن صوته بدا ثابتاً وعادياً.

«أين الكذبة في ما قاله، يا جايا؟»، سأل غوبتا.

ضيقت جانا عينيها وكأنها تركّز بكل حواسها. «الأولى؟».

«أعلم أنكِ لستِ واثقةً من إجابتك من خلال نبرة صوتك التي ارتفعت في نهاية جملتك، فبدا كلامكِ أقرب إلى السؤال منه إلى

الجواب»، قال غوبتا، فشعرتُ ببعض الارتياح لأن كذبة فيليكس لم تكن بتلك السهولة بحيث تمكّن الجميع من اكتشافها دوني.

«هل هناك من يخالف جايا الرأي؟»، تابع غوبتا.

عمّ الصمت للحظة.

وعندما ظننتُ أن لا أحد سيجيب، قال آش: «الكذبة هي جملته الثانية».

ابتسم غوبتا. «أرجو أن تُوضح ذلك، يا آشاي».

«لقد ارتعش أنفه قليلاً وكأنه يشعر بحكة. وفي حال كان الشخص يكذب، فإن الدم يتدفق إلى الأنف وليس إلى الخدين. يميل الناس إلى لمس أنوفهم عندما يكذبون أكثر مما لو كانوا يقولون الحقيقة. كما أنه رفع كتفه اليمنى قليلاً، وهزُّ الكتفين من جهة واحدة هي علامة توتر».

بدا واضحاً أن آش يتقن الموضوع جيداً.

«صحيح»، قال غوبتا. «وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك دلالةٌ لغوية في كلامه، وهو أمر سنقوم بدراسته عن كثب خلال الشهرين القادمين. لقد قال "قد أُفضّل" بدلاً من أن يقول "أنا أُفضّل". استعماله لكلمة **قد** يعتبر تعبيراً افتراضياً مقارنةً بجملة تعبّر عن الحقيقة. يمكنك العودة إلى مكانك، يا فيليكس. جايا، إنه دورك الآن».

وقفتْ ثم مشت نحو مقدمة الغرفة. «لقد حرقتُ أصبعي من غير قصد بواسطة شمعة قبل أسبوعين، وترك الحرق أثراً على شكل نجمة. لا يمكنني تحمّل رائحة الدم. لم أتمكّن من إنهاء فطوري هذا الصباح».

«ما هي الجملة الكاذبة، يا برندان؟»، سأل غوبتا.

«الثالثة»، قال برندان، وأومأ له غوبتا بأن يتابع كلامه. «لقد

بالغت في تأكيد جملتها الأخيرة، إذ قالتها بصوتٍ أعلى من الجملتين السابقتين، لتدفعنا إلى تصديقها».

في الحقيقة، لقد لاحظتُ ذلك أيضاً. هذا الصف مُسلٍّ حقاً.

«جيد، هل لاحظ أحدٌ أي شيءٍ آخر؟»، سأل غوبتا.

«لقد فركت أصابعها ببعضها بسرعة عندما أنهت كلامها»، قال آش، «وهي حركة تساعد على الهدوء والشعور بالرضا عن نفسها حيال الكذبة. كما أنها تحدّثت بشكلٍ أسرع خلال الجملة الأخيرة، كما لو أنها تريد الانتهاء من الأمر فحسب».

ياللهول، آش بارع جداً في هذا. لمعت في رأسي فجأةً صورته وهو يلاطفني بالأمس، فتنهدت في سري. هذه أنا، أشعر بالانجذاب إلى أكثر الأشخاص تعقيداً في المكان. الشخص الذي قطعتُ عهداً على نفسي ألا أُعجب به، والذي سيضيف بالتأكيد المزيد من المشاكل إلى حياتي. لو كانت إيميلي هنا، لرمقتني بعينيها الآن، ولطلبت مني ألا أكون جبانةً، وأن أقدم على الأمر فحسب. وكنتُ سأقول لها إن كل شيء على ما يرام، وإنني لا أهتم له كثيراً، فيما كلانا يعلم أنني لا أعني ذلك.

نظر غوبتا إلى آش نظرة استحسان. «كانت هناك دلالة لغوية في كذبة جايا أيضاً. هل لاحظها أحدكم؟ في جملتها الثانية، والتي كانت صادقة، لجأتْ للاختصار كما يفعل معظمنا أثناء الكلام العفوي. لكن في جملتها الثالثة، الجملة الكاذبة، قالت، ‘‘لم أتمكّن من إنهاء‘‘ بدلاً من أن تقول ‘‘لم أستطع إنهاء‘‘ لتبالغ في تأكيد كذبتها، وهذا ما اكتشفه برندان. برندان، أنتَ التالي».

وقف برندان، ولم ينتظر أن يطلب منه غوبتا البدء، وهو أمر ليس بالمفاجئ.

أرجع كتفيه إلى الخلف وأخذ نفساً عميقاً. «أنا أحب نوفمبر.

لكن منذ صغري، كان أكتوبر هو شهري المُفضّل. وأرى أن الليالي الطويلة في ديسمبر تبعثُ على الهدوء».

أوه، **بالله عليك**. هو لم ينظر إليّ حتى. يا لمكره.

«من سيجيب؟»، سأل غوبتا.

«الجملة الأولى»، قال فيليكس بلا تردد. «لقد قال إنه ''يحبُّ'' نوفمبر، لكن كشفت ملامحه عن تعبير صغير يدل على الاشمئزاز، فهو سحب زاوية واحدة من فمه إلى الخلف، مما خلق عدم انسجامٍ بين كلماته ومشاعره».

اشمئزاز؟! ابتسم لي برندان ابتسامة اقشعر لها بدني.

«لقد خاب ظني بك يا برندان، عادةً ما تكون أذكى من أن تدع تعبيراً صغيراً يكشفك»، قال غوبتا. «هذا العرض البائس يجعلني أشعر بالحنين إلى الطلاب القدامى قبل خمسٍ وعشرين سنة. هل تعلمون أنه كانت هناك طالبة لم يستطع أحدٌ اكتشاف أي كذبةٍ لها طوال عامٍ كامل؟».

قلبَ برندان عينيه، وكأنه يقول: «ها نحن نتفاخر مرة أخرى بالطلاب القدامى».

بدا لي من المُثير للاهتمام أن تكون هذه المرة الثانية التي يشير فيها أحدهم إلى رقم قياسي تم تحقيقه قبل خمسٍ وعشرين سنة. لا يسعني سوى التساؤل ما إذا كانت هي الفتاة نفسها التي قالت بلاكوود إنها فازت في كل التحديات الليلية.

«إذا كنتم في مواجهة مع شخصٍ عادي، فسيكون من السهولة بمكانٍ أن تتغلبوا عليه. لكن ماذا لو كنتم في مواجهةٍ مع أحد أفراد استراتيجيا الآخرين؟ بمستواكم هذا، قد يكون من الأجدى مصارحة بعضكم بعضاً بالحقيقة وتجنّب المتاعب»، قال غوبتا متنهّداً. «آشاي، تعال إلى هنا رجاءً، واجعلني أشعر بجدوى عملي كمدرس».

شقّ آش طريقه إلى مقدمة الصف بكل ثقة. كانت عيناه تمشطان الغرفة وهو يبتسم. «أنا أحب المفاجآت، حتى لو أدى الأمر إلى التفوق عليّ».

اممم. توقّعت أنه يحب المفاجآت، لكن ليس في آش شيء يجعلني أصدق أنه يحب أن يتم التفوق عليه.

«أنا أفضل من ليلى في لعب الورق».

ذكّرني صوته بالمرات التي حاول فيها إغوائي. لكنني لا أظن أن ليلى أفضل في لعب الورق، بالنظر لقدرته على قراءة الآخرين، رغم أنني لا أستبعد أن يكذب آش بخصوص الأمر الوحيد الذي نحن على يقينٍ تام بأنه صحيح.

«ولا يمكن **إقصائي** من معركة بسهولة».

سعلت من الدهشة لسماع الكلمة التي كانت مكتوبة بالدم على أرضية غرفتي هذا الصباح. **ماذا تفعل، يا آش؟** جال بنظره على الغرفة من جديد، ولم أكن متأكدة ما إذا كان يقرأ ملامح الحضور، أو يوصل رسالةً إلى الفاعل. ربما الأمران معاً.

ابتسم غوبتا بابتهاج. «أخيراً، ثمّة كذبةٌ مُتقنة. هل رأى أو سمع أحدكم أي إشارة تدل على العبارة الكاذبة فيما قاله آش؟».

لم ينبس أحد بكلمة.

«هل لدى أي منكم إجابة؟»، سأل غوبتا وهو يجول بنظره حول طاولة الطلاب. ألقيتُ نظرةً عليهم في محاولةٍ للعثور على أي إشارة تدّلني على الجاني، لكنني لم أرَ سوى تعابير مسترخية ووضعيات حيادية.

لم يجب أحد على سؤال غوبتا. لا بد أنهم يمقتون أن يخطئوا الإجابة، بحيث أنهم لن يخمّنوا حتى. «حسناً إذاً، لقد ضلّلتهم، يا آش، أحسنتَ صنعاً. لننتقل إلى. . .».

«لقد كانت الثانية»، قلت، فالتفت الجميع إليّ.

نظر آش إليّ بفضولٍ.

تبّاً لهذا. من الأفضل أن أشارك في اللعبة عند غياب إشارات واضحة عن الكذبة من أن أشارك عندما تكون هناك إشارات ولا أتمكن من رؤيتها. إضافةً إلى أن لديّ احتمالين اثنين فقط، إذ لم يكن آش ليقول أو ليؤكد كلمة **إقصائي** ما لم تكن صحيحة.

نظر غوبتا إليّ باهتمام جديد. «تابعي».

«يلجأ آش إلى استخدام جاذبيته كسلاح، ورغم أنه كان يبتسم وهو ينطق بكل جملة، إلا أنه بدا في الثانية وكأنه يحاول إغواءنا، وهو يقول شيئاً بديهياً بحيث لا بد أن يكون صحيحاً».

نظرة غوبتا إليّ جعلتني أدرك أنه يعرف شيئاً أجهله. «حسناً، الشعور هو غريزة تتعلق بالعاطفة أكثر من كونه وسيلة لاستكشاف الدلائل»، قال غوبتا والتفت إلى آش. «لكن دعونا نتحقّق من الأمر. هل ما قالته صحيحٌ، يا آشاي؟».

أومأ آش، ونظر إليّ باحترام. أظنه يحب المفاجآت حقّاً.

صفّق غوبتا بيديه. «يعتمد الخداع على التدريب، على جعله جزءاً من طبيعتك. فإذا كنت بحاجة إلى استعمال كل طاقتك للتركيز فيه، ستفوّت عليك كل الأشياء الأخرى. وكما رأيتم للتوّ، إن القدرة على اكتشاف الخداع هي أكثر من مجرد القدرة على قراءة الإشارات. إنها تصل إلى تحليل الشخص نفسه. المخادع البارع يجعلك ترى الكذب حين يقول الحقيقة، وترى الحقيقة حين يكذب. وهذا ما رأيناه الآن. لقد لجأت نوفمبر إلى تحليل شخصية آش لتحدد أن عبارته التي بدت الأكثر صدقاً **كانت** هي الكذبة». هزّ غوبتا رأسه وكأنه تذكر شيئاً. «هذا كل شيء لهذا اليوم».

دفع الجميع كراسيهم إلى الخلف من دون أن تحف الأرضية،

وارتدوا عباءاتهم بهدوء، ثم غادروا بصمت وبلا فوضى. لا أدري ما إذا كنتُ سأعتاد العيش ضمن مجموعة من المراهقين المنضبطين إلى هذا الحد.

ألحقتُ بآش ثم هبطنا الدرج إلى البهو الرئيسي. «هل ترغب بأن نتمشى قليلاً عبر الحديقة في طريقنا إلى قاعة الطعام؟»، سألته. «أنا لم أغادر المبنى طيلة الصباح وبدأت أشعر بالاختناق من الأماكن المغلقة».

«بالتأكيد، يا نوفمبر، سأكون سعيداً إن خرجنا في موعد معاً».

ضحكت. لا أدري كيف تتعامل ليلى مع أخٍ كهذا، رغم أنني لطالما تساءلت كيف لإيميلي أن تتعامل مع صديقةٍ مثلي. «تظن نفسكَ ذكياً جداً»، قلتُ ممازحةً، «لكن في حقيقة الأمر، أنا لست معجبة فيك على الإطلاق، ولا حتى قليلاً».

فتح لي الباب وخرجنا للمشي على العشب. «يبدو أنني لستُ ذكياً، فالفتاة الأقل خبرة في فنون الخداع هي أول من اكتشف كذبتي».

ابتسمتُ. «هل هذه طريقتك لإخباري أنك تراني مُثيرة للإعجاب؟».

«يمكنكِ قول ذلك»، قال ونحن نسير عبر فناء أشجار الكرمة، «لكن من المؤسف أنكِ لست معجبة بي على الإطلاق. إنه أمر عليّ تقبّله والتعايش معه». أثّر عليّ مزاجه المرح، وطريقته في النظر إليّ جعلت قلبي يخفق بسرعة.

تنحنحتُ. «هل يأتي غوبتا عادةً على ذكر الطلاب القدامى بهذه الطريقة؟».

«لقد لاحظتِ ذلك، هه؟ أجل، إنه يفعل ذلك طوال الوقت.

ليس هو وحسب. فقبل خمسة وعشرين عاماً تقريباً، كانت هناك مجموعةٌ من الطلاب حصدوا الإجماع على موهبتهم وتميّزهم. ستسمعين أحياناً الأساتذة يصفونهم بأنهم الأفضل على مدى تاريخ هذه المدرسة. يُقال إن بلاكوود كانت إحدى أفراد هذه المجموعة».
نظر آش من حوله ليتحقق من المكان عند دخولنا استراحة الحديقة.

كان ضوء شمس بعد الظهيرة يتلالأ على العشب، فيما توزعت حبات التوت البنفسجية على المظلة المكونة من الأغصان الخضراء. كان المكان خالياً إلا من فتاتين تتبادلان أطراف الحديث في إحدى الزوايا البعيدة.

«بلاكوود؟ لا أدري ما إذا كان هذا خبراً جيداً أم خبراً سيئاً»، قلتُ له.

«هي على ما يبدو أصغر مديرةٍ في تاريخ هذه المدرسة على الإطلاق. ويقول البعض إنها حظيت بهذا المنصب بسبب تصاعد حدة التوتر بين الدببة والأُسود، مُفضّلةً حياة العزلة». كان يتحدث بصوتٍ منخفض أثناء تجوالنا حول الأحواض المليئة بأزهارٍ زرقاء وبيضاء وبنفسجية. «أنتِ تعرفين أنها من عائلة الدببة، أليس كذلك؟».

نظرتُ إليه باستغرابٍ. «ظننتُ أن الدببة هم إيطاليون في الغالب؟ إنها تتحدث بلكنة بريطانية خالصة، واسم عائلتها بريطاني، فأنا لم... لكن الآن وقد سمعت نفسي أقول ذلك بصوتٍ عالٍ، أدركتُ مدى سخافة هذا الافتراض».

ارتسمتْ ابتسامة ماكرة على وجه آش. «لقد نشأت عائلة الدببة في الدولة الرومانية القديمة، لكن إذا أضفتِ بعض الحملات، وبعض الاستكشافات، وبضع مئاتٍ من السنين، فستجدين أن عائلة الدببة قد وصلت إلى أبعد من حدود إيطاليا بكثير. وإضافةً إلى ذلك، فإن كل

المدراء الذين تولّوا إدارة هذه المدرسة على مدى الألف سنة الماضية كانوا يحملون اسم بلاكوود، فهو لقب فحسب».

أخذتُ لحظة لاستيعاب المعلومات. «ما سبب هذا الكره المُتبادل بين الدببة والأسود؟»، سألته.

بدأ آش يسير نحو الباب في الجهة الأخرى من المبنى. «تعالي معي، سأريكِ شيئاً».

لحقتُ به وأنا أزيد من سرعة سيري.

ونحن نعبر المدخل المقبب نحو الردهة التي تحوي تمثال الفارس والدروع، تعثرت خطواتي. كان الحارس ذو الندبة على شكل X هناك. نظر إليّ مباشرةً، فعدتُ بذاكرتي إلى المرة الأولى التي حضرتُ فيها بصحبة ليلى إلى هنا، حيث انتابني شعورٌ بأنه يقيّمني. لم أره منذ أن ضبطني وأنا أتسلل عائدةً إلى غرفتي ليلة مقتل ستيفانو. كانت نظرته قد تغيرت. بدا وكأنه يراقبني بصورة مباشرة أكثر، ما جعلني أرغب بالفرار بعيداً.

أشحتُ بنظري عن الحارس ولحقتُ بآش عبر الردهة وصولاً إلى المكتبة.

كانت الستائر الثقيلة تغطي النوافذ ذات الزجاج الملون، وفي غياب ضوء الشمس الطبيعي، أضيئت الغرفة ذات السقف العالي بالمشاعل والشمعدانات الكبيرة.

قادني آش إلى أقصى اليمين نحو جدارٍ مليءٍ بالمخطوطات، حيث كانت إحدى تلك المخطوطات مُثبّتة على شكل صفحة مفتوحة. وأنا أقرأ المخطوطة، تبيّن لي أنها تحوي قائمة بمعظم الصفوف التي ندرسها هنا، وإلى جانب كل منها كُتِب اسم إحدى العائلات، بحيث كُتبَ في العمود الأول:

فنون الخداع	الدببة
تحليل الأحداث التاريخية	الدببة
السكاكين	الأُسود
السموم	الدببة
تقنيات القتال الاستراتيجي	الدببة
تسلق الأشجار	الأُسود
المبارزة بالسيوف	الأُسود
الحرب النفسية	الأُسود
اللغات واللكنات	بنات آوى

«ما هذا؟ أهو نوعٌ من تصنيف الصفوف؟»، سألته بصوتٍ خافت مع أنه لا يوجد أحد سوانا في المكتبة.

«يمكنكِ قول ذلك»، أجاب آش. «منذ نشأتها، حرصت أكاديمية أبسكونديتي على الاحتفاظ بسجلٍ يدوّن أفضل الطلاب في كل مادة. ويُعتبر تفوُّقُ طالبٍ من إحدى العائلات على رقمٍ قياسيٍّ حافظت عليه عائلة أخرى لسنين طويلة، أو لأجيالٍ أحياناً، إنجازاً عظيماً».

«كيف يمكن للمدرسة أن تحتفظ بسجلٍ لإنجازات الطلاب يعود لألف عام وترتيبها؟»، سألته.

«التحديات الأساسية لم تتغير، فنحن نقوم بالأمور نفسها التي قامت بها عائلاتنا»، قال آش. «وهناك سجلات في كل صف، فالإنجاز الذي ذكره البروفسور غوبتا اليوم بخصوص تلك الطالبة التي فشل الجميع في كشف كذبها لمدة عامٍ كامل يعود لعائلة الدببة».

نظرتُ إلى الجدار مجدداً. «يبدو أن الدببة قد تفوقوا في الكثير من المجالات».

كان آش يتفحّص المخطوطة أيضاً، لكنه عاد للنظر إليّ. «على مدى آلاف السنين، كان هناك توازنٌ في القوى بين العائلات؛ فكانت لكلٍ منها اختصاصاتها، ومهاراتها، وأساليبها الخاصة بها. كانت هناك تحالفاتٌ وعداوات، لكن كان هناك أيضاً احترام لنظام استراتيجيا ولمجلس العائلات. لكن في المئتَي سنة الأخيرة، تقدّمت إحدى العائلات على البقية: الأُسود».

توافق ذلك مع ما قالته ليلى عن أن الجميع يسعى لإرضاء برندان والأُسود. «وهل هذا التحوّل في موازين القوى قد غيّر الأمور في استراتيجيا؟».

هزّ آش رأسه وكأنه كثيراً ما فكر في هذا السؤال. «في البداية، كان هذا يعني ببساطة أن لدى الأسود ثرواتٍ هائلة، وأعداداً كبيرة، ومواردَ مهمة. لكنهم غالباً ما كانوا يطلبون المشورة من مجلس العائلات لإدارة هذه الموارد، كما لجأت إليهم عائلاتٌ أخرى للحصول على المساعدة، وكانت هناك الكثير من التحالفات المفيدة للطرفين. باختصار، كان هناك اختلال في موازين القوى، لكن لم تكن هناك إساءة في استخدام هذه القوة».

«ماذا حدث بعد ذلك؟»، سألته، ولسببٍ ما، ورغم أن آش لم يذكر شيئاً سيئاً بعد، أثارت هذه القصة أعصابي، كأنني أشاهد شخصاً يفقد قدرته على التشبّث تدريجياً بينما يتدلى من شفا جرف.

«جاغ»، قال آش ببرود، فنظرتُ إليه نظرة استفسار. «إنه القائد الحالي للأسود». ابتسم وهزّ رأسه. «لقد سبق أن أخبرتِني أنكِ لم تتربّي بالطريقة التي تربيت عليها، لكن يصعب عليّ رغم ذلك تصديق عدم معرفتكِ ببعض الأمور. وبعض الأشخاص».

«كيف تظن أنني أشعر حيال ذلك؟»، قلت له، فنظر إليّ كأنه يقرّ بوجهة نظري. «جاغ هذا. . . ما الذي يميزه؟».

«حسناً. . .»، قال آش وهو يحاول اختيار كلماته، «لقد فَقَدَ والديه فجأة قبل أربعين عاماً. كان في التاسعة عشرة من عمرة فقط حين آلت إليه قيادة العائلة، وهو أمر ليس شائعاً في عالم استراتيجيا، حيث تقوم العائلة عادةً باختيار القائد الجديد، ثم يصادق عليه مجلس العائلات. لكن أسلاف جاغ المباشرين كانوا يحكمون العائلة منذ أكثر من قرن، ولأسبابٍ لا تزال موضع جدل إلى اليوم، وهي أسباب تتعلق جزئياً بالاختلال في موازين القوى، صوَّت مجلس العائلات على توليه المنصب، مع الاتفاق الضمني أنه سيلجأ إلى مستشارين متمرسين ليساعدوه في مهامه».

«على غرار البلاط الملكي في أوروبا القديمة»، قلت له، وأنا أعلم القليل جداً عن الموضوع، عدا ما شاهدته في الأفلام.

«نعم، شيءٌ من هذا القبيل»، قال آش. «كان يُفترض بجاغ أن يتقيّد بتوجيهات المجلس، بحيث تعود العائلة إلى الحالة المسالمة التي كانت عليها سابقاً. لكن ما حدث كان العكس. لقد نبذ جاغ المجلس، وقام هو وعائلته المباشرة بتغيير نهج الأُسود بشكلٍ جذري. وبمرور السنوات، انتهك الأُسود بوحشية أكبر أراضيَ العائلات الأخرى حتى بات الاختلال في موازين القوى كبيراً إلى درجة أن العديد من العائلات عقدت تحالفاتٍ مع الأسود بغية الحصول على حمايتهم. وكانت الدببة من العائلات القليلة التي رفضت ذلك، فهم قاوموا الأُسود بكل ما أوتوا من عزم، وغدت العائلتان عدوّتين لدودتين».

«لحظة، لماذا لم يقم مجلس العائلات أو أيّاً كان بعزل جاغ حين أدركوا أن الأمور متجهة إلى الأسوأ؟».

«هذا معقدٌ شيئاً ما»، أجاب آش، فأدركت حجم الجدل الذي شَهِدَه هذا السؤال على مدى السنين. «فكما أشرتِ سابقاً، الحكم في استراتيجيا يشبه إلى حدٍ كبير حكم البلاط الملكي القديم في أوروبا، حيث تحتفظ إحدى السلالات بمقاليد الحكم إلى أن يصبحوا عاجزين عن الحفاظ على سلطتهم. وكانوا يخسرون الحكم أحياناً لأنه لم يكن لديهم أبناء وبهذا تنكسر سلسلة الورثة، أو لأن هؤلاء الورثة قُتلوا في سنٍّ صغير، أو ببساطة لأنهم لم يتلقوا تدريباً هنا، ففشلوا في أداء الواجبات المطلوبة منهم».

تراجعتُ إلى الخلف قليلاً، وتمعّنت فيه. «هل تقصد أن الالتحاق بهذه الأكاديمية **شرطٌ أساسي** لتتمكن من توليّ القيادة في عائلتك؟».

بدا آش مستغرقاً في التفكير. «إذا لم تتمكني من التميّز في الأكاديمية، فسيُنظر إليك على أنك غير كفؤ. قبولكِ هنا لا يُعتبر كافياً، بل بالعكس. إذا تفوّقت أختكِ الصغرى عليكِ في كل شيءٍ أثناء وجودكما هنا، فمن المرجح أن تؤول القيادة إليها. قد نكون مختلفين في أمور عدة، لكن الأمر الوحيد الذي يفهمه جميع القادة المستقبليون هو الشعور بالمسؤولية وما تسببه من ضغط».

«هذا يجعلني أنظر إلى برندان، وتشارلز، ونيكس من منظورٍ مختلف»، قلت مخاطبة نفسي وآش في آنٍ واحد. «لكن آسفة على المقاطعة، كنت تقول...».

«رغم أنه من الممكن تغيير القادة في العائلات، إلا أن هذا **لا يحدث** في فترة حكم أحدهم إلا إذا وافق القائد على التخلي عن الحكم، وهو أمر لم يفعله جاغ، كما يمكنك أن تتخيلين».

«حسناً، لكن إذا كانت الأمور سيئة إلى الحد الذي تصفه، لماذا لم يقم أحدٌ بانتزاع الحكم منه بالقوة؟»، سألته.

هزّ آش رأسه. «لا تقوم استراتيجيا باغتيال قادة العائلات الأخرى تحت أي ظرفٍ من الظروف. فمع المهارات التي نمتلكها، هل يمكنكِ تخيّل الفوضى التي ستحدث إذا ما اندلعت حربٌ مفتوحة بين العائلات؟». تحدث بحدة جعلتني أدرك كم يعنيه هذا الأمر.

في الوقت الراهن، كل ما أعرفه عن استراتيجيا هم هؤلاء الشبان في الأكاديمية، ولا يمكنني حتى أن أتخيل كيف ستكون الأمور إذا دخلت العائلات بأفرادها المُدرّبين والقتلة في صراعٍ بحيث يحاولون قتل بعضهم بعضاً.

أخذتُ نفساً عميقاً. «لكن ماذا عن الآن؟ ما الذي يمكن فعله بخصوص الأُسود؟».

بدا شيء من الحزن على وجهه. «ليس هناك الكثير لنفعله، فقد تلاعب جاغ على مدى السنين بمستشاريه، وبأولاده، وبأحفاده، فالأمر لا يتعلق بخلعه من الحكم وحسب، بل بإيجاد طريقة لفك قبضته عن عائلة بأكاملها. كما أن الأسود خبيثون، فهم يحكمون بالترهيب، يقتلون كل مَن يقف ضدهم من العائلات الأخرى، لذلك لن تجدي كثيرين يرغبون بمواجهتهم».

«هل هذا هو السبب وراء حدوث الكثير من جرائم القتل في هذه المدرسة؟». توقفتُ محاولة استجماع أفكاري ثم تابعت: «هل لا يزال الدببة يحاربونهم؟.»

أومأ آش برأسه، فشعرتُ بموجة غريبة من الفخر تجتاحني. إذا ما كنتُ سأكون فرداً من استراتيجيا، فيجدر بي على الأقل أن أنتمي إلى عائلةٍ تدافع عن الخير.

نظر آش إلى المخطوطة. «حتى مع اختلال موازين القوى، لطالما كانت هذه القائمة تتضمن أسماء من جميع العائلات...

باستثناء الفترة التي حصدت فيها تلك المجموعة التي حدثتكِ عنها جميع الألقاب تقريباً، قبل خمسٍ وعشرين سنة».

«دعني أخمّن، كانوا جميعاً من الأُسود؟».

هزّ آش رأسه. «كان هناك طالبان قد تفوقا على القسم بأكمله، أحدهما من الأُسود، والآخر من الدببة، وكان كلاهما الابن البكر للقادة في عائلتيهما، وبعكس كل التوقعات، لقد شكّلا تحالفاً بينهما، فاعتقد الجميع حينها أنهما سيُنهيان حالة العداء بين العائلتين المتحاربتين وسيغيّران الأمور في استراتيجيا، لكن عُثِر عليهما ميّتين بعد عام من مغادرتهما هذه المدرسة».

«عُثر عليهما ميتين أم مقتولين؟».

«لا فرق».

«امم، ليس تماماً»، قلت ثم رحت أفكر في الأمر. «لكن إذا كان هناك شخص من الأُسود كان على استعدادٍ لتغيير الأمور، فلا بد من أن يكون هناك آخرون، صحيح؟».

ضحك آش. «هل أنت دائماً بهذا التفاؤل؟».

«أتعلم؟ لم أفهم أبداً لماذا يتهمني الجميع بالمبالغة في التفاؤل، فأنا أعتقد أنهم لا يرون الاحتمالات فحسب».

ابتسم لي آش بعينيه. «علينا الذهاب إلى قاعة الطعام»، قال ثم سبقني إليها.

«آش»، ناديته، فتوقّف. «شكراً على توضيح الأمور».

«لا تشكريني بعد»، قال لي، «إذا تمكّنا من كشف أسرار عائلتك، وتفادي الهجمات الآتية لا محالة، والبقاء على قيد الحياة. . . عندئذٍ يمكنك أن تشكريني».

25

في أثناء انتظاري أستاذ المبارزة ليبدأ الدرس، شمّرتُ عن ساعديَّ وتأملتُ أرجاء الفناء المفتوح بتوترٍ. آخر درس حضرته في غياب ليلى وآش، كاد ماتيو يرمي بي من أعلى الشجرة. وها أنا أتساءل عمّا ينتظرني اليوم.

وصلت نيكس، كانت عيناها مُنتفختين، وكأنها بكت طوال الليل. لم تنظر إليّ بعد، لكنني أعلم أنها ترصد حركاتي، وهو ما أعتقد أنه أسوأ. خلال الفترة القصيرة التي أمضيتها هنا، بتُ أُدرك أن حين لا ينظر الناس إليك مباشرةً، فهذا يعني أنهم يولونك المزيد من الانتباه. فيليكس وآينس يراقبانني بدهاءٍ أيضاً.

«سنحظى اليوم بشرف حضور الدكتور كونر كضيفٍ معنا»، قال البروفسور أُود وهو يجلس في مقعده أمامنا. كنتُ سأعتبره اسماً مُضحكاً، إلا أنني تذكرتُ أن **أود** كلمة نرويجية تعني: «رأس السيف»، وهو اسم يناسبه تماماً، فأود رجلٌ طويل ونحيف ذو وجهٍ طويل يشدّد على كل ما يقوله بطريقةٍ مسرحية. «دعونا نحضر أدوات المبارزة **بسرعة**، أريد منكم جميعاً تقديم **أفضل ما لديكم** أمام الدكتور كونر».

صفّق البروفسور أُود بيديه، فوقفنا صفَّين خلفه في الحال. كنتُ

حريصةً هذه المرة على الوقوف في آخر الصف، حيث يمكنني رؤيتهم جميعاً. لسوء الحظ، كانت نيكس تقف في الصف الآخر بجواري، وكانت تستشيطُ غضباً، فأجبرت نفسي على ألا أنظر إليها. فبالنظر إلى ردّة فعلها على موت تشارلز بالأمس، قد تكسر أنفي إذا ما أسأت التصرف.

سرنا خلف البروفسور أُود عبر الحديقة الخارجية، ثم دخلنا حاملين دروعنا إلى الردهة، حيث وجدنا الدكتور كونر بانتظارنا. كانت كل دقيقة تمر وأنا واقفة بجوار نيكس تزيد من توتري.

«آه، دكتور كونر، سوف نُحضر أدواتنا في غضون لحظات»، قال أُود وانحنى احتراماً له.

ابتسم كونر. «خذ وقتك، يا بروفسور أُود. في الحقيقة، سوف أرافقكم، فقد مرّ وقتٌ طويل على زيارتي الأخيرة لغرفة الأسلحة».

«كما تريد»، قال أُود، ثم عبرنا الردهة. فتح أحد الحراس الباب لنا فدخلنا الواحد تلو الآخر إلى غرفةٍ عالية السقف بلا نوافذ، مليئة بالدروع والسيوف والتروس، عُرضت فيها داخل صناديق زجاجية كل أنواع السكاكين التي يمكن تخيّلها، بالإضافة إلى السهام ومجموعة متنوعة من الأقواس المركّبة والمنحنية. شعرتُ كأنني سافرتُ عبر الزمن إلى غرفة أسلحة من العصور الوسطى، لاحظتُ فيها غياب البدلات الواقية الخاصة بالمبارزة التي نراها على التلفاز - لكن ليس الأمر وكأنني أتوقع وجود أي معدات للسلامة هنا.

كانت عشرات السيوف مُعلّقة على الجدار. وقفتُ أنتظر في الصف وأراقب الآخرين وهم يقتربون من الجدار ويختارون سيفاً، ثم يعرضونه على كونر أو أُود ليتفحصاه. لقد أفسد القلق الذي انتابني متعة اختيار السيف، فالتقطتُ أقرب سيفٍ حين أتى دوري ومضيت قدماً، وتنفستُ الصعداء عندما لاحظتُ أن الشفرات

المزدوجة مثلومة ولا تصلح إلا للتدريب. وقفتُ خلف فيليكس في انتظار أن يتفحّص كونر سيفي.

مررتُ أصبعي على النصل أثناء مغادرتي الغرفة. كنت أتمنى امتلاك سيف كهذا عندما كنتُ في بيمبروك، لكن أبي لم يسمح لي باقتناء سوى سيوف التدريب الخشبية. اعتادت إيميلي ممازحتي قائلةً إنني قررتُ منذ أن شاهدتُ فيلم **الأميرة العروس** أن أتخذه أسلوباً لحياتي بالتعرّف على جميع أنواع السيوف ومحاولة تقليد بعض المغامرات المثيرة.

عدنا جميعاً إلى الفناء بهدوء، ولاحظتُ أن نيكس تُحكم قبضتها على سيفها بين الحين والآخر، وأن فيليكس وآينس متوتران. لكن لم يكن هذا مفاجئاً نظراً لجو الكآبة الذي يسود المكان منذ موت تشارلز بالأمس، ووجود كونر الذي يحوم حولنا. شعرت بالارتياح لعدم وجود برندان، إذ أنني ما زلتُ أراهن على أنه هو من يقف وراء رسالة «سوف يتم إقصاؤك».

«سنبدأ اليوم ببضع جولاتٍ في المبارزة الحرة لبثّ النشاط فيكم، وبعدها سنبدأ درسنا»، قال البروفسور أُود، وصفق بيديه معلناً البداية. «دكتور كونر، هل تودُّ تسمية الفرق المتنافسة؟ وليتذكر الجميع، يُمنع استخدام أي نوع من الملاكمة أو الفنون القتالية، المبارزة بالسيف **فقط**».

«هذا لطفٌ منك، يا بروفسور أُود»، قال كونر، ثم نظر إلينا وهو يبتسم. «ماذا عن. . . فيليكس ضد كيكو، وآينس ضد. . . جايا، ونوفمبر ضد. . .» - ألقى نظرة على المجموعة - «نيكس».

شعرتُ بقلبي يهوي. تابع كونر اختيار الطلاب لتشكيل ثنائيات، لكنني لم أعد أصغي إلى ما يقول.

طلب منّا البروفسور أود أن نأخذ أماكننا ثم التفت إلى كونر.

بدأ الرجلان يتحدثان، ولحقتُ بنيكس على مضض إلى الطرف البعيد للفناء المفتوح.

توقفتْ نيكس بالقرب من صفّ الأشجار الكثيفة التي تفصلنا عن فناء الكرمة واستدارت لمواجهتي. كان شعرها المجعد مرفوعاً على نحوٍ عشوائي بشكل ذيل حصان، وعيناها جامحتين كما كانت ستبدو عيناي لو أنني فقدتُ شخصاً عزيزاً. فرغم أنني لا أحبها، يمكنني أن أتخيل كم كان فظيعاً بالنسبة لها رؤية تشارلز يموت بتلك الطريقة، فبالكاد استطعتُ تحمّل ذلك، رغم أنه حاول قتلي.

«اسمعي، أنا أعلم أنك...»، بادرتها قائلةً، لكنها وجّهت ضربة بسيفها إلى يساري، فتحاشيتُ الضربة، وتضارب سيفانا.

«يا إلهي، أنا لم أتخذ وضعية القتال بعد».

وجّهتْ نيكس ضربة أخرى سريعة إلى يميني، لكنني نجحت بتفاديها مجدداً. لقد فاجأتني بقوة ضربتها، وتذكّرت ما قاله آش بأنها تهزم أشخاصاً أضخم منها بكثير.

نظرتْ في عينَي مباشرة، فاقشعر بدني.

وجهت نيكس ضربة إلى ركبتيّ، فقفزتُ إلى مستوى أعلى من سيفها، وضربتُها ضربة قوية على كتفها.

كانت عيناها تتقدان غضباً. «هذا خطؤك أنتِ»، قالت، «كل هذا حدث بسببكِ».

«هل تمزحين؟ لقد حاول تشارلز **قتلي**، وليس العكس»، قلتُ لها بصوتٍ خفيضٍ، لكن بدا أن كلامي أجّج غضبها.

اندفعتْ إلى الأمام لمهاجمتي، تضرب بسيفها في اتجاهٍ ثم الآخر، وأنا أتصدى لضرباتها، وصوت طرق السيفين ببعضهما لا يتوقف.

«من المُفترض أن يكون هذا...». لم أتمكن من إنهاء جملتي.

أوهمتني نيكس أنها ستضرب يميناً، ثم وجّهت ضربتها يساراً، ونجحتُ في تفاديها من جديد، لكنني كنت متوترة. إنها بارعة حقاً، وهي تهاجمني وكأننا في مبارزة موت، وليس حصة إحماء. إذا أصابتني وهي تضرب بهذه القوة، سأكون محظوظةً إن لم تَكسر لي عظمةً أو تسبب لي ارتجاجاً في الدماغ.

«. . . **مجرد تدريب**، يا نيكس. أنت تستنزفين قوانا قبل حتى أن نبدأ الدرس». استرقتُ نظرةً خاطفةً إلى البروفسور أود وكونر، لكنهما كانا يضحكان معاً ولا يُعيران الشراسة التي تهاجمني بها نيكس أي انتباهٍ.

أخطأتُ حين أشحتُ بنظري عنها، لأنها تحركت بخفة وانقضّت بضربة على رأسي، تمكنتُ من صدِّها والابتعاد قليلاً، لكنني كنتُ قد وصلتُ الآن إلى صف الأشجار الذي أصبح خلف ظهري.

«أستنزف قوانا؟»، قالت نيكس وهي تضحك، لكنها لم تكن ضحكة فرح، بل كانت أقرب للبكاء. «تباً لكِ، يا نوفمبر، كان يجب أن تموتي أنتِ وعائلتكِ منذ زمنٍ طويل، وها نحن جميعاً ندفع ثمن هذه الغلطة الآن».

ظننتُ لوهلةٍ أنني لم أسمعها جيداً. هل تقصد عائلة الدببة أم عائلتي المباشرة؟

ركضت نيكس نحوي ووجهت سيفها إلى صدري. تمكنتُ من صدِّها، لكن قوة اندفاعها أجبرتني على التراجع من جديد. هوتْ بسيفها على رأسي فانحنيتُ لأتجنبها، وأصاب سيفها جذع الشجرة خلفي بينما كنتُ أتحضّرُ لضربةٍ جديدة، لكن نصل سيفها علق في الجذع، فراحت تصرخ غاضبةً، والتفت البروفسور أُود وكونر باتجاهنا.

بدأ قلبي يخفق بشدة بحيث لم أعد أسمع شيئاً من حولي. **لا يمكن لنصلٍ مثلوم أن يفعل ذلك.**

شعرت بالهلع وابتعدتُ بسرعةٍ عن الأشجار بينما كانت تنتزع نصل سيفها من جذع الشجرة. بتُّ متأكدةً الآن أنها تحمل سيفاً حاداً. كنتُ مشغولةً بتفادي ضرباتها إلى درجة أنني لم أنتبه لذلك.

«نيكس!»، نادى أُود من الطرف الآخر للفناء، وفجأةً، رنّ اسمها مثل الجرس في رأسي.

قد تعني Sarete ridotti أيضاً You will be nixed بالإنجليزية أي «سوف يتم رفضك». لغتي الإيطالية ضعيفة، وإلا لكنتُ اكتشفت ذلك قبلاً. تلاعبٌ ذكيٌ بالكلمات.

اتجهت نيكس نحوي بسرعة، وهوت بسيفها بثلاث ضربات سريعة وقوية، تجنبتها بشقّ الأنفس. همهمتْ بخيبة ووجّهتْ ضربتها إلى وجهي، فتحركتُ لتحاشي الضربة، لكنها لم تتابع، بل ركلتني بقوة على ساقيّ بدلاً من ذلك وأوقعتني أرضاً على ظهري، وبلمح البصر كانت تقف فوقي.

رفعتْ سيفها عالياً وهوت به بكلتا يديها نحو قلبي مباشرةً. تدحرجتُ جانباً، لكن سرعتي لم تكن كافية فأصاب السيف أعلى ذراعي. وجّهتُ إليها ضربةً بسيفي أجبرتها على التراجع، لأتمكن من النهوض على قدميّ.

كنتُ أسمع أُود وكونر يصرخان بها، لكنها لم تتوقف.

هاجمتني من جديد قبل أن أستعيد توازني. رفعتُ سيفي لكنها أصابته بضربة قوية إلى درجة أنه طار من قبضتي. التقتْ أعيننا للحظة، وارتعش طرف شفتيها للأعلى. ضربة واحدة وتقضي عليّ.

استدرتُ وركضتُ نحو الأشجار. كانت الجذوع ملساء،

والأغصان التي تُمَكِّن من تسلقها تقع على ارتفاع أكثر من ستة أمتار، لكن كانت هناك بعض النتوءات الناجمة عن قطع أغصانٍ قديمة.

سمعتُ وقع خطوات نيكس على العشب خلفي فقفزت للإمساك بالجزء المتبقي لأحد الأغصان المقطوعة، وتمكّنت من سحب ساقيّ للأعلى في اللحظة التي ضربتْ فيها بسيفها الشجرة. استطعتُ التسلق للأعلى قليلاً في حين كانت تصرخ وتدور حول الشجرة، لكنني لم أتمكّن من الارتفاع أكثر، فالغصن الذي يمكنني التمسّك به بعيدٌ جداً عن متناول يدي، كما أن عضلات ذراعيّ وساقيّ كانت مُجهَدة بسبب وضعيتي المُربكة. كان الجرح في ذراعي يؤلمني بشدة، وأدركتُ أنني لن أتمكن من الصمود أكثر من دقيقة واحدة قبل أن أفلت قبضتي وأهوي أرضاً.

أمسكت نيكس بمقبض سيفها بإحكام، وبدا لي أنها غيّرت في خطتها. إنها تتأهب لرمي سيفها مثل الرمح. **اللعنة**. ضيقت عينيها في محاولة لتسديد الضربة بدقة، لكن ما إن سحبت ذراعها للخلف، حتى أمسك البروفسور أُود بمعصمها، فاستدارت نحوه وهي تلوّح بسيفها.

أخرج كونر إبرةً من جيب سترته ووخزها في ذراعها. تعثّرت خطواتها، ثم وقع السيف من يدها، لتتهاوى على الأرض أخيراً.

«أحضرْ حارسين إلى هنا واطلبْ منهما إيداعها السجن»، قال كونر، فأسرع أُود لتنفيذ الأوامر.

أفلتُّ قبضتي عن الشجرة وسقطتُّ على العشب، ومرّتْ بضع ثوانٍ رهيبة صمت فيها الجميع، واتضح لي حينها أن لا أحد من الطلاب حاول أن يساعدني.

مسح كونر جبينه بمنديلٍ وقطّب حاجبيه. «اذهبي إلى المستوصف، يا نوفمبر».

نظرتُ إلى ذراعي، كان الدم يقطر من أصابعي على العشب.

26

كنت أسير برفقة ليلى في ممرّ مهجعنا الخالي، نحمل الكتب. كانت هناك شعلة وحيدة على الجدار تضيء طريقنا وتحترق بشكلٍ خافت، تاركةً أقسام طويلة من الممر غارقة في الظلام. كانت ذراعي تؤلمني بسبب الغُرز التي خاطتها الممرضة، فهُم لا يستخدمون المسكنات في هذا المكان كما اكتشفت. نظرتُ من حولي، كان المكان غارقاً في السكون.

فتحتُ بابنا ووضعتُ أنا وليلى الكتب على الطاولة. كتب عن التاريخ الأوروبي لي، والتي من شأنها بحسب رأي ليلى أن تشكّل أساساً يمكّنها من البناء عليه وفهم ما تحتاجه لتعليمي، وكتب عن علم الجرائم لليلى. وأضافت أيضاً بعض الكتب عن السموم والسيوف في حال كانت بيبا تتفقد ما نقوم بقراءته.

لا أعلم ما الذي يدفع ليلى للاستمرار في البحث في مُلابسات مقتل ستيفانو بعد أن اتضح أن تشارلز هو المذنب وجرت تبرئتي مع آش، لكنها بدت مهتمة بالتفاصيل. ربما تحاول فهم ما حدث لصديقها فحسب؟ كنتُ أرغب بسؤال آش ما إذا كان هذا تصرفاً طبيعياً بالنسبة لها، لكنني لم أره هذا المساء.

تفحّصنا الغرفة للتأكد من أن أحداً لا يختبئ فيها، ثم جلستْ ليلى على الأريكة أمام المدفأة.

«إذا تسنّى لبرندان الوقت الكافي لاقتحام غرفتكِ وكتابة تلك الرسالة على الأرضية، لماذا لم يقتلكِ حين سنحت له الفرصة؟»، سألت ليلى.

جلستُ بجوارها. «لا أدري». لمستُ الضمادة على ذراعي على نحوٍ لاإرادي. «ربما أرادت نيكس أداء المهمة بنفسها وتقطيعي إرباً، في العلن وأمام الجميع؟».

عضّتْ ليلى على شفتها. «أجل، لكنها لم تنجح في ذلك. وبحسب ما سمعت، فقد أبليتِ أمامها بلاءً حسناً للدفاع عن نفسك، وهذا يعني الكثير، بالنظر إلى شراسة نيكس. أعتقد أنها رأت فرصة سانحة فانتهزتها، بكل بساطة. فما الذي يجعلها تغامر بقتالٍ علني إذا كانت تستطيع التسلل إلى غرفتكِ وذبحك هناك؟».

شعرت بالقشعريرة. «لم يكن لديها سكين؟».

«هذا ممكن»، قالت ليلى. «لكن كيف تمكنتْ من الحصول على ذلك السيف الحادّ؟ سيوف التدريب هي مثلومة عمداً. ثمة شيءٌ غير مفهوم»، قالت ثم تأملتْ النار في المدفأة.

«قال كونر إنهم أودعوها السجن. هل سيطبّقون قانون العين بالعين؟ وكيف سينجح ذلك في هذه الحالة؟ فهي عملياً جرحت ذراعي، لكن نيّتها الحقيقية كانت قتلي».

نظرتْ ليلى إليّ. «لستُ متأكدةً تماماً، لم أشهد موقفاً كهذا من قبل، لكنهم سيأتون بحلٍّ ما. السجن مكان مريع بحسب ما سمعت، لكنني متأكدة أنكِ ستحظين بفرصة للانتقام أيضاً».

قطبت حاجبَي. كنت أرغب أن تنتهي سلسلة الانتقامات هذه.

«وماذا عن برندان؟ سواء كان هو من اقتحم غرفتي أم لا، لا بد أنه غاضب الآن وقد مات أحد أصدقائه، وأُلقي بالأخرى في السجن».

شدّت ليلى قبضتيها للحظة. «لم ينتهِ الأمر عند هذا الحدّ بالتأكيد. أنا لا أحاول إخافتك، لكن إذا كان الأُسود يريدون قتلك، فلن يتوقفوا عن المحاولة حتى ينجحوا في ذلك».

تاك. تاك. تاك. صوت طرق على الباب.

قفزت ليلى من مكانها حتى قبل أن ألتفت نحو الباب.

«لحظة»، قالت وهي ترفع المزلاج.

نظرت الحارسة الواقفة على الجانب الآخر من الباب في أرجاء الغرفة وما إن رأتني حتى ذهبت لتطرق باب الغرفة التالية.

ألقت ليلى إليّ بعباءتي لأرتديها.

لحقنا ببقية الفتيات إلى الممر ثم إلى البهو حيث تنافستُ مع نيكس في الظلام. لا أصدق أن أسبوعاً واحداً فقط قد مرّ على ذلك؛ شعرت به كأنه عامٌ كاملٌ من الفوضى. كانت بلاكوود تقف قرب الجدار، أما نحن فقد كنا أربعاً وعشرين فتاة جالسات على الأرض أمامها على شكل حرف U.

«لدينا بعض التحديات الجديدة اليوم»، قالت بلاكوود بنبرةٍ بدت كأنها تحمل في طياتها تحذيراً مبطّناً، «ستلاحظن اختلاف هذه التحديات عن كلّ ما واجهتهنه حتى الآن. وستكون هناك تداعياتٌ في حال لم تقمن بها كما ينبغي».

نظرتْ إلى الحراس الواقفين خلفها، فتنحّوا جانباً لإفساح الطريق أمام ستةٍ من أعضاء الهيئة التدريسية، كان بينهم ليو، وغوبتا، وكونر. أومأت بلاكوود إليهم فبدؤوا في الدوران حول الفتيات الجالسات على الأرض وكأننا نلعب نسخة مرعبة من لعبة البطة البطة الإوزة، ثم اختار كلّ منهم مجموعة من الطالبات.

اختار كونر الفتاة الجالسة إلى يساري، فيما اختار غوبتا الفتاة الجالسة بجوار ليلى. نهضت الفتيات ومشين في مجموعات صغيرة خلف أعضاء الهيئة التدريسية الذين اختاروهن، إلى أن لم يتبقّ سوى أنا وليلى وآريا وآينس.

«اتبعنني»، قالت بلاكوود بنبرةٍ جافة. أردتُ أن أعترض، لكني لم أجرؤ على إظهار خوفي مما ينتظرنا أمام آريا.

ذهبنا مع بلاكوود إلى ممرٍ يفضي إلى قاعة المدرسين، حيث أبقوني يوم وصولي إلى هنا. لم تكن المدفأة موقدة كما كانت يومها، والضوء الوحيد في المكان كان مصدره شعلة واحدة معلّقة عند المدخل المقبب.

لحق بمجموعتنا أربعة حراسٍ ضخام البنية، كان صاحب الندبة بينهم، وهو ما زاد من قلقي. تبادلتُ وليلى النظرات، وعلمتُ من عينيها أنها قلقة أيضاً. أردتُ أن أسألها عن خطورة هذه التحديات، لكن الجميع كان يلتزم الصمت، بمن فيهن آريا.

رحتُ أتفحص معالم الغرفة على الفور. كانت هناك أريكتان كبيرتان قرب المدفأة، وطاولة قهوة عريضة ومتينة بينهما، كما كانت هناك أيضاً مجموعتان من الكراسي الوثيرة مع مساند للقدمين تفصل بينهما طاولات صغيرة على شكل زوايا، إضافة إلى سفرة جانبية عليها إبريق ماء وبعض الأكواب النظيفة وطبقٌ من التفاح. وكانت هناك أيضاً طاولة مستديرة وحولها أربعة كراسي، وبعض اللوحات القماشية المعلّقة على الجدار، إضافةً إلى حاملَي شعلة فارغَين. كما توجد أيضاً مدفأةٌ كبيرة ذاتُ إطار حجري مُزركش، ورفٌ مليءٌ بالكتب، وشمعدان كبير مصنوعٌ من الحديد المشغول معلق في السقف، ولم تكن هناك أي نوافذ.

«التحدي الأول بسيطٌ»، قالت بلاكوود وهي تقف أمام الباب

مباشرةً وتتوسّط اثنين من الحراس من كل جهة. «هنالك ستة أشياء مُخبأة في هذه الغرفة، عليكن إيجادها، مما سيُسهّل عليكن إتمام التحدي الثاني. وفي حال لم تعثرن عليها، ستندمن وبعضكن سيندمن أكثر من البقية. وأنا مَن سيقرر متى ينتهي وقت التحدي».

لم يبدُ ذلك مطمئناً البتة، فكل ما علمناه هو أن بلاكوود هي مَن تضع القوانين، وأن علينا التحرك بسرعة وإلا سنندم.

«انطلقن»، قالت بلاكوود، فهرعنا جميعاً لتفتيش المكان.

اتجهتْ آينس نحو رفّ الكتب وبدأت بإخلائه من الكتب تدريجياً، بينما اتجهتْ آريا إلى السفرة لتفحّص طبق التفاح، وسحبت ليلى طاولة القهوة إلى وسط الغرفة، وأمسكت بأحد الكراسي المحيطة بالطاولة المستديرة ووضعته فوقها، ثم صعدت إلى الشمعدان.

بدأتُ أدورُ في المكان. الأثاث هو المكان البديهي للبحث، ونصف الأشياء مُخبأة فيه على الأرجح. وليس لديّ أدنى شك بأن أولئك الفتيات الثلاث سيجدن الأشياء المخبأة في الأثاث، لكن لا بد من وجود شيء واحد على الأقل مُخبّأ في أماكن أخرى. جلتُ بناظريَّ على الجدران بحثاً عن أي شيءٍ قد يكون في غير مكانه. حاولتُ انتزاع حاملَي الشعلة الحديديَّين الفارغَين، لكن كانا مثبتين بقوة. قمت برفع اللوحة القماشية لكن لا شيء خلفها.

توقفتُ عند المدفأة. كانت الحجارة المحيطة بها كبيرة وبدت مثبتة جيداً في مكانها. لا يوجد حطب في المدفأة، لكن هناك بعض الرماد المتبقي، مررت فيه أصابعي.

«وجدت شيئاً»، قالت آريا بنبرةِ غرورٍ وهي تسحب دبوس شعر من إحدى التفاحات وتضعه على السطح الرخامي للسفرة.

دبوس شعر؟ هل أخفوا أشياء صغيرة كهذه؟ ضربتُ كفيّ

ببعضهما فتطايرت منهما سحابة من الرماد، ثمم مرّرتُ أصابعي على الأحجار المزخرفة المحيطة بالمدفأة، بحثاً عن أي شق أو صدع غريب، فتركتْ أصابعي المتسخة أثراً وراءها، خاصةً في الزوايا الصغيرة غير المستوية. حسناً، خطرت لي فكرة. حملتُ بعض الرماد بقبضتي ونثرته على الحجارة حول المدفأة، ليتحول إطار المدفأة بأكمله إلى اللون الرمادي.

«مبرد أظافر معدني»، قالت ليلى وهي تسحبه من طرف شمعة غير مُضاءة في الشمعدان.

كانت آريا تسحب أدراج السفرة وتقوم بتفتيشها من الخلف والأسفل.

نظرتُ من حولي بحثاً عن قطعة قماشٍ، لكن لا شيء إلا اللوحات القماشية على الجدار. تبّاً. أمسكتُ بطرف عباءتي ورحتُ أمسح الرماد الزائد على الحجارة بحركةٍ دائرية.

«مشبكان ورقيان»، قالت آينس، وهي تسحبهما من كتابٍ قديم.

مشبكان ورقيان، ومبرد أظافر معدني، ودبوس شعر. لا شك أن هناك رابطاً مشتركاً يجمع هذه الأشياء. لا بد أن للأمر علاقةً بالأقفال، إلا أن الباب في هذه الغرفة مثل بقية الأبواب التي رأيتها، يُقفل ويفتح بواسطة مزلاج.

قمتُ بفرك الحجارة بشكلٍ أسرع، فتشكّل خطٌ من الرماد حول حجرٍ بحجم قبضة اليد في الزاوية اليسرى لإطار المدفأة. ألقيتُ عباءتي وأمسكت الحجر بأطراف أصابعي، وبدأتُ بتحريكه إلى الأمام والخلف، ثم سحبته من مكانه ببطء، ورأيتُ آينس تراقبني من مكانها وهي تتحقّق من درزات الأريكة.

نظرتُ إلى الفتحة مكان الحجر، ولمحتُ جسماً معدنياً داكناً تم

وضعه عميقاً في الداخل. «وجدتُ شيئاً»، قلت لهن وأنا أسحب كماشةً معدنية تبدو على طراز العصور الوسطى، وضعتها فوق رفّ المدفأة.

رفعت ليلى رأسها من تحت طاولة القهوة، حيث كانت تتفحص الخشب.

«انتهى الوقت»، قالت بلاكوود.

وفي نفس اللحظة، انطفأت الشعلة، تاركةً الغرفة لتغرق في ظلامٍ حالك.

«ليلى؟»، ناديتُ.

«أنا. . .»، قالت لكن قاطعها صوتٌ بدا وكأنه لكمة على المعدة، تلاه صوت احتكاك خشب ببعضه، وصوتُ صريرٍ صادر من تحريك جسم معدني.

أسرعتُ الخطى نحو صوت ليلى وأنا أحاول الاهتداء إلى طريقي بمدّ ذراعيّ أمامي، فارتطمتْ ساقي بطاولة القهوة، ما جعلني أتأرجح إلى الأمام.

«ابتعدي. . .»، قالت آريا وكُتِم صوتها قبل أن تُكمل كلامها.

كانت ليلى تسعل وتلهث، لكن صوتها بدا قادماً من فوق رأسي وليس من الأرض.

سمعتُ صوت جلجلة مكتومة لا شك أنها صادرة من أناس يضربون بعضهم بعضاً، وانكمشتُ خوفاً وأنا أتساءل ما إذا كان دوري قادماً. سمعتُ صوت شيءٍ يتحطم إلى يميني، وكتباً تتساقط على الأرض من فوق أحد الرفوف.

استعدتُ توازني وصعدتُ فوق طاولة القهوة، محاولةً الوصول إلى حيث صوت أنفاس ليلى المُنهكة، وقلبي يخفق بشدة رهيبة.

سمعتُ صريرَ مفصلٍ قديم بينما فُتح الباب لفترة وجيزة ثم أُغلق

بقوة، ثم صوتَ إغلاق المزلاج من الخارج، وبعدها ساد المكانَ صمتٌ تام لم يكن يقطعه سوى صوتُ أنفاس ليلى اللاهثة.

«ليلى، أين أنتِ؟»، ناديتُ وأنا أُلوِّح بيديَّ أمامي.

«ضوء، نحن بحاجةٍ إلى ضوء، يا نوفمبر»، قالت ليلى وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة.

سمعتُ صوت بضعة كتب أخرى تسقط على الأرض.

«تباً»، قالت آينس وهي تلهث، وهي المرة الأولى التي أسمعها تقول شيئاً.

وقفتُ مكاني للحظة وقلبي يخفق بسرعة، تائهةً في الظلام. لا أعواد ثقاب، ولا حتى قطع فحم لإشعالها. أنا متأكدة أن من غادروا الغرفة أخذوا الشعلة معهم، لأنني لا أستطيع رؤية أي جذوة متوهجة حيث يُفترض أن يوجد حامل الشعلة.

«آريا؟»، نادت آينس بصعوبة.

بدا الخوفُ واضحاً في صوتها، ما جعلني أتأهب بكلّ حواسي. «ورق»، قلتُ بعجالة، «كلما كان قديماً وجافاً، كان أفضل. ضعيه في المدفأة، يا آينس».

إذا لم أكن مُخطئة، فإن بعض الحجارة التي تحيط بالمدفأة من الصوان، بما فيها الحجر الذي قمتُ بانتزاعه. وأظن أن تلك الكماشة القديمة مصنوعةٌ من الفولاذ. نزلتُ عن الطاولة وأسرعت نحو المدفأة غير مباليةٍ بأي خطر، ويداي ممدودتان أمامي لأتلمس طريقي.

اصطدمتُ بالحجر وقمتُ بتحسس الإطار المحيط بالمدفأة.

«وجدتك».

جفلت من صوت تجعّد الورق.

«أمسكي بيدي»، قلتُ وأنا أمد يدي، فأمسكت بها آينس.

التقطتُ الورقة المجعّدة وثبتّها فوق الحجر بإبهامي، ثم ضربت حافة الحجر بقوة باستخدام الكماشة القديمة، فتطاير بعض الشرر.

رائع!

«هل يمكنكِ أن ـــ»، بادرت بالقول، لكن كانت آينس قد بدأت تنفخ على الورق بالفعل.

ضربتُ الحجر بضع مرات، وعند الضربة الرابعة، التقطتْ الورقة إحدى الشرارات، ما أدى إلى إحداث ثقب محترق صغير فيها.

«هيا، اشتعلي هيا»، رجوتها بلهفةٍ، فيما واصلت آينس النفخ عليها برفقٍ، فتوسع الثقب المحترق تدريجياً إلى أن اشتعل لهبٌ حقيقي أخيراً. طوت آينس ورقةً أخرى وأشعلت طرفها، فتكوّن ما يشبه الشعلة الصغيرة. انشرح صدري. كان ضوؤها خافتاً كضوء شمعة صغيرة، لكن كنت آمل أن تمكّننا من رؤية ولو الخطوط العريضة للأشياء من حولنا. وأنا أمعن النظر في أرجاء الغرفة المظلمة، وضعتْ آينس الكرسي الذي سقط على الأرض على الطاولة، ثم صعدت فوقه.

«ما الذي...»، قلتُ بفزعٍ. كانت ليلى في الأعلى وقد التفَّت ساقاها بوضعية صعبة حول الشمعدان، وكان هناك شيءٌ مربوط حول معصميها يمنعها من استخدام يديها للتمسّك بأي شيء.

لم تقل آينس أي كلمة لليلى، وصدمني أنها لم تحاول تقديم المساعدة لها. انتزعت شمعتين بدلاً من ذلك، وقفزت إلى الأرض عائدةً إليّ وأضاءتهما بالورقة. أعطتني إحدى الشمعتين فأضاءت الغرفة في الحال. كانت بلاكوود والحراس قد غادروا بالفعل، كما ظننت.

وضعتُ بسرعة بضع قطراتٍ من الشمع على سطح المدفأة

لتثبيت الشمعة عليه كي أحرر يدَي. «تمسّكي جيداً، أنا قادمةٌ لمساعدتكِ»، قلتُ لليلى.

«إنها أصفادٌ بلاستيكية»، قالتْ ليلى وقد التقطت أنفاسها قليلاً، لكن من الواضح أنها تعاني. «الأصفاد ملفوفةٌ حول الحديد. إذا حاولتُ استخدام يديّ لحملي ولو قليلاً، فسوف تنغرس في جلدي أكثر مما هي الآن. إنها ملفوفةٌ حول رسغَي بإحكامٍ شديد، فإذا حاولنا استخدام النار لإذابتها، سوف تصيبني بحروقٍ شديدة».

«ليلى، المبرد. أين وضعته؟»، سألتها، لكن قبل أن أنهي جملتي، رأيتُ قطعةً معدنية على الأرض بجوار الطاولة، فاقتربتُ لالتقاطها، لكن آينس كانت أسرع مني، فأخذتها وابتعدتْ بدلاً من أن تعطيني إياها.

«أنتِ، إلى أين تذهبين بحق السماء ـــ»، قلت موبّخة، لكن توقفت على الفور.

كانت آينس تنظرُ إلى آريا، المُستلقية على الأرض، وهناك أداة جلدية ومعدنية غريبة الشكل تغطي فمها وأنفها مثبتةٌ إلى مؤخرة رأسها بخمس سلاسل معدنية.

«اللعنة، هل بإمكانها التنفس؟»، سألتُها.

كانت عينا آريا مغمضتين.

وضعتْ آينس يدها على صدر آريا، ثم هزّت رأسها بطريقةٍ توحي بأن الوضع ليس بالجيد. صحيح أن بلاكوود قالت إنه ستكون هناك عواقب خطيرة لهذا التحدي، لكن هذا مبالغٌ فيه، إذ وصل الأمر إلى حدود الحياة والموت.

توزّعت نظراتي بين آريا وليلى. إذا كانت آريا لا تستطيع التنفس ولم أساعد آينس في إنقاذها، فسوف أتحمل جزءاً من المسؤولية عن خنقها. لكن في الوقت نفسه، لن أسامح نفسي إذا تركتُ ليلى فريسةً

لتلك الأصفاد من أجل إنقاذ آريا، التي لا أكنّ لها أي ود. وفي النهاية، سيخسر الجميع إذا ما دخلتُ في عراكٍ مع آينس من أجل ذلك المبرد.

«ليلى، كم يمكنكِ الصمود بهذه الوضعية؟»، سألتها.

«دقيقتان ربما؟»، أجابت وقد بدا الإعياء واضحاً في صوتها.

«اصرخي حين لا يعود بإمكانكِ التحمّل»، قلتُ لها، ثم انحنيت إلى جوار آينس وآريا.

للحظة، نظرتْ آينس إليّ مُندهشة.

«أخبريني ماذا أفعل»، قلت لها وهي تبرد آخر جزء من مشبك ورقي تمت استقامته بعض الشيء.

«قومي بفرد المشبك الثاني ثم اطويه من المنتصف تماماً»، قالت، فوجدتُ نفسي أتعجب لسماع صوتها الذي يبعثُ السكينة في النفس ويعكس ثقةً عالية بالذات بالنسبة لفتاةٍ قلّما تتكلم. «اطوي الجزء الأخير لتشكيل زاوية قائمة».

بدأتُ بتنفيذ ما تقوله وهي لا تزال تعطيني تعليماتها.

رفعتْ المشبك الذي تعمل عليه. «هل ترين كيف جعلتُ هذا يصبح مسطحاً وليس دائرياً؟ افعلي الشيء نفسه مع الجزء المطوي للمشبك الذي بحوزتكِ».

أعطتني آينس المبرد واستخدمت الكماشة لثني الطرف المسطح لمشبكها في اتجاهٍ، ثم في الاتجاه الآخر، مما خلق ثلاث تعرجات صغيرة في الخط المستقيم.

بردت مشبك الورق كما طلبت مني، فيما كانت أصابعي المرتبكة ترتجف. «هل أنتِ بخير، يا ليلى؟» ناديت.

«أجل»، أجابتني، لكن الإعياء بدا شديداً في صوتها.

قلبتْ آينس آريا، وكان هناك قفلٌ في مؤخرة رأسها يربط السلاسل كلها ببعضها، بدا أشبه بأداة تعذيب من العصور الوسطى.

أمسكت آينس بالقفل. ناولتها المشبك الذي بردته وطويته على شكل زاوية قائمة، فحشرتْه بسرعة في الجزء السفلي من ثقب المفتاح، وأقحمتْ مشبكها ذا التعرجات في أعلى الثقب، فأخذتُ المبرد وأسرعتُ لإنقاذ ليلى، وصعدتُ بسرعةٍ كبيرة على الكرسي بحيث اهتز تحتي.

أيّاً يكن من رفعها إلى هنا، فهو أطول مني، لأنني بالكاد استطعتُ الوصول إلى رسغيها. حشرتُ المبرد بين الأصفاد وجلدها ورحتُ أقطعها بأسرع ما استطعت. كان البلاستيك ثخيناً وقاسياً، مما جعل القلق يتسلل إلى وجه ليلى.

«نوفمبر؟»، قالت ليلى، «لا أستطيع ـــ».

وضعت آينس كرسياً على الطاولة، وصعدتْ فوقه في ثانية واحدة، ثم وضعتْ كتفها تحت ظهر ليلى لتسندها.

لم يستغرق الأمر أكثر من ثلاث ثوانٍ أخرى قبل انقطاع الأصفاد البلاستيكية، فأمسكتْ ليلى بالشمعدان، وابتعدتُ أنا وآينس حتى تتمكن من القفز على الطاولة.

دلّكتْ ليلى معصميها اللذين غطتهما الجروح، لكن لا شيء يُقارن بما كان سيحدث لو أنها سقطت. «لا أعرف كيف رفعوني إلى هناك بهذه السرعة. أنا لم أقاتل حارساً من قبل، إنهم ـــ».

«برشاقة راقصات الباليه»، قالت آريا بينما كانت تجلس وتفرك رأسها. «أشعر وكأن غولاً ضربني ضرباً مبرحاً».

أحضرتُ الشمعة من رفّ المدفأة وصعدتُ ثانيةً للوصول إلى الشمعدان لإضاءة بقية الشموع.

«لقد ضربوكِ أنت أيضاً، يا آينس»، قالت آريا، وتحت ضوء

الشموع رأيتُ كدمتين، واحدة على يدها من المُحتمل أن تكون نتيجة لكمة، والأخرى على خدها مصحوبة بخدش أظنها نتيجة ارتطامها برفّ الكتب في الظلام. «في الحقيقة، الشخص الوحيد الذي يبدو أنه لم يدخل أي عراكٍ هي نوفمبر. كيف نجوتِ بشكلٍ سحري من هذا التحدي؟ وكيف صادف وجود الدكتور كونر لإنقاذكِ في اللحظة التي أوشكتْ فيها نيكس على طعنك؟ يبدو لي ذلك مؤامرةً عظمى. قد لا تكوني من الدببة إطلاقاً، بل أحد أفراد الأسود تم إرسالهما في مهمةٍ للعبث بالجميع».

كنتُ على وشك الردّ عليها، لكننا سمعنا صوت صرير الباب، فاستدرنا جميعاً.

كانت بلاكوود تقف في المدخل. «أرى أنكنّ تدبّرتنّ أموركن»، قالت ببرود وكأنها تركتنا نشرب الشاي ونتناول الكعك. «يمكنكن جميعاً العودة إلى غرفكن الآن. سوف يرافقكن هذان السيّدان»، قالت وهي تشير إلى اثنين من الحراس الأربعة الذين هاجمونا، كان أحدهما الحارس ذا الندبة.

«السيّدان، يا للوصف الدقيق»، قالت آريا بلكنةٍ إيطالية ساخرة.

رمقتها بلاكوود بنظرة قاسية وقالت: «قد تفضّلين الاستمرار في التحديات؟».

لم يرمش لآريا جفن، بل بدت على وشك قبول عرض بلاكوود.

«انطقي بالكلمة، وستنالين أنتِ وآينس ما تتمنيان»، قالت بلاكوود.

أومضتْ عينا آريا غضباً. استرقتْ نظرةً خاطفة إلى آينس ثم هزّت رأسها على مضض. لدى آريا نقطة ضعف إذاً، وهي شخص آخر. عليّ أن أعترف أنني مندهشة، فلطالما شعرتُ بأنها قد تلقي

بأمها من النافذة إذا صبّ ذلك في مصلحتها، لذلك فاجأني هذا الوفاء لصديقتها.

اتجهتُ وليلى نحو الباب قبل أن تغيّر بلاكوود رأيها.

كان الحارس ذو الندبة يسير خلفنا، ولم أستطع صعود الدرج بالسرعة الكافية للابتعاد عنه. فتحت ليلى بابنا، وفي اللحظة التي كنتُ على وشك الدخول خلفها، شعرتُ بنسمة دافئة تمسّ عنقي من الخلف.

«أنتِ التالية»، همس الحارس ذو الندبة، فالتفتُّ إلى الخلف، لكنه كان قد ابتعد.

أغلقتُ الباب خلفي بيدٍ مرتجفةٍ.

«هل سمعتِ ذلك؟»، سألتُ ليلى.

نظرتْ إليّ نظرة استفسار.

«لقد همس ذلك الحارس للتوّ في أُذني ''أنتِ التالية''».

وقفت تحدّق بي للحظة، ثم قالت بفمٍ مزموم: «هل أنتِ متأكدة أنه كان يتحدث إليكِ؟»، سألتني وقد بدا القَلق واضحاً في صوتها.

«متأكدة كل التأكيد». نظرتُ إلى ليلى بحثاً عن أجوبة. «هل كان هذا تهديداً؟ هل هددني للتو؟».

عضّت ليلى على شفتها. «هل هو نفس الحارس الذي رآكِ تلك الليلة؟».

أومأت لها برأسي.

«لا يتكلم الحراس مع الطلاب. أجل، نحن نخرق الكثير من القواعد هنا، لكن هذه ليست واحدة منها. لقد سبق وأخبرتكِ أن ثمة خطباً ما، وأنا الآن متأكدة من ذلك»، قالت ليلى.

«وماذا عن التدريب الذي أخضعتنا له بلاكوود للتو، هل هو أمر عادي ــــ»، بدأت في القول.

«لا»، قالت ليلى وهي تهزُّ رأسها بقوة. «إنه لا يختلف عن بقية التحديات من الناحية النفسية، لكنه يختلف في طريقة التنفيذ. لقد مات بعض الطلاب في حوادث متفرقة أو... في جرائم قتل، لكن لم يسبق أن مات أحدٌ خنقاً بأمر من **المديرة**». أوحت نظرات ليلى بأنها خائفةٌ أيضاً، مثلي تماماً. «القيام بمثل هذا التحدي بعد موت طالبين هو... حسناً، لا أعرف ما هو، وهذا ما يقلقني».

خلعتُ عباءتي، لكن ليلى لم تفعل. «هل أنتِ ذاهبةٌ إلى مكانٍ ما؟».

«إلى غرفة آش»، أجابتني، «يجب أن يعلم بما حدث».

«ستذهبين إلى غرفة آش مباشرة بعد أن هددني الحارس؟ هل يمكنني الذهاب معكِ؟»، سألتها.

«لا، لكنني لن أتأخر»، قالت ليلى، ثم تسللت خارج الغرفة وتركتني وحدي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

27

تسلّل ضوء الصباح من خلال حافة ستائر غرفتي. تقلّبت تحت لحافي. لقد نمتُ نوماً مُتقطعاً هذه الليلة، خوفاً من قدوم أحدهم لمهاجمتي أثناء استغراقي في النوم. أنا على يقينٍ تام أن ما مررت به هذا الأسبوع سيجعل مني الشخص الأخفّ نوماً في العالم.

لقد أدّت أحداث الليلة الماضية إلى تفاقم مخاوفي، سواءً ذلك التهديد الغريب من الحارس أو تحدي بلاكوود المرعب، إضافةً إلى أنني لا أستطيع إبعاد منظر جثة ستيفانو من مخيلتي، ولا الشهقة التي أصدرها تشارلز حين اخترق السهم صدره، أو تلك الكراهية التي لمحتها في عينيّ نيكس حين هاجمتني. إذا كان ما قاله آش وليلى صحيحاً أن الأسود يريدون قتلي، فلا بد أن يكون هناك سبب أهم من فشلهم بإدانتي في جريمة قتل ستيفانو. فمن الواضح أن ماتيو أكثر شأناً مني في عائلة الدببة، لكن لا أحد يطارده بهذا الشكل. أخبرني آش عن احتمال تعرّف بعض الطلاب عليّ، وأغلب الظن أن برندان ورفاقه يعتقدون أنهم يعرفون شيئاً عني، وهذا الشي هو ما قد يقرر بين موتي وبقائي على قيد الحياة. وعلاوةً على كل هذا، يزداد خوفي يوماً بعد يوم على أبي والخالة جو.

سمعتُ صرخةً مكتومةً فجأةً، فهرعتُ مسرعةً من سريري بحيث

تعثرت قدماي بالبطانية. أبعدتُ جانباً الصندوق الذي كنتُ قد وضعته خلف الباب، واندفعتُ إلى غرفة المعيشة.

كانت ليلى قد فتحت بابنا الرئيسي، ووقفت بيبا في الردهة أمام الباب واضعةً يدها على قلبها والرعب واضح على وجهها. كانت تنظر إلى الحارس ذي الندبة ممدداً على الأرض أمامها، مذبوحاً وغارقاً في بركةٍ من الدماء.

«أوه، لا... لا»، قلتُ بأنفاس متقطعة ويدي على بطني.

نظرتُ إلى الجثة، ثم إلى ليلى. كانت متسمّرة في مكانها تحدِّق في الحارس بحيث أنني لم أكن متأكدة ما إذا كانت في حالة صدمة أو أنها تتفحّص كل التفاصيل. لقد ذهبتْ إلى غرفة آش الليلة الماضية وأخبرته بتهديد الحارس لي، وربما لها أيضاً. وها نحن نقف الآن أمام جثة ذلك الحارس مُلقاة أمام بابنا. أعرف أن آش شرسٌ جداً عندما يتعلق الأمر بسلامة أخته، لكن حتى لو كان الأمر كذلك، لم يكن ليرتكب هكذا جرم... صحيح؟

فُتحت الأبواب المطلة على الممر، وأطلت الفتياتُ برؤوسهن لاستكشاف ما يجري.

أدركتُ من وضعية ليلى المنحنية بأنها تريد أن تجثو قرب الجثة، ربما لتلمسها وتعرف كم من الوقت مضى على موت الحارس، لكنها لم تجرؤ على ذلك نظراً لكل العيون التي كانت تراقب المشهد. حاولت إبعاد نظري، لكن كانت عيناي تعاودان النظر إلى الحارس لاإرادياً.

«الجميع إلى الغرف! في الحال!». ظهرت بلاكوود، وسرعان ما تدافعت الفتيات وخادماتهن إلى داخل الغرف.

أغلقت ليلى بابنا، فشعرتُ بالارتياح لأنه حال بيننا وبين ذلك

المنظر الدامي. فتحتُ فمي لأقول شيئاً، لكنها هزّت رأسها. «ليس الآن، يا نوفمبر»، قالت وهي تتوجه إلى غرفتها.

«نحن نحتاج إلى التحدّث في الأمر»، همستُ لها بإلحاح، «نحتاج إلى ـــ».

«ما أحتاج إليه هو التفكير»، قالت، ثم أغلقت باب غرفتها.

هل يُعقل أنها تتساءل أيضاً عمّا إذا كان آش هو من فعلها؟

بقيت أحوم في غرفة المعيشة لبعض الوقت، لكنني لم أتمكن من سماع أي شيءٍ مما يدور خارجاً في الممر. سمعتُ بعد لحظاتٍ صوتاً حفيفاً وانسكاب ماء على الأرضية، ثم ساد الصمت من جديد. انقضت ساعة كاملة وأنا أدور جيئةً وذهاباً في الغرفة، أقضم أظافري وأراقب ضوء النهار خارج النافذة. وفي اللحظة التي نفد فيها صبري ولم أعد أحتمل دقيقة أخرى من الصمت، فتحت بيبا باب غرفتنا.

كان وجهها مُحتقناً ومبقّعاً، ولم تنظر إليّ مباشرةً.

«بيبا»، ناديتها. أردت مواساتها، لكني لم أكن متأكدة من كيفية فعل ذلك.

مسحت أنفها. «كان رجلاً لطيفاً، وحارساً ممتازاً».

«هل كنتما مُقربين؟».

أومأت برأسها. «كان يخطط لمغادرة هذا المكان في غضون عام، و ـــ». توقّفتْ عن الكلام وأخذت نفساً عميقاً، كأنها لم تعد تقوى على التحمّل.

وضعتْ صينية الإفطار على طاولتنا.

«أنا آسفة حقاً»، قلت لها، لكنها لم تنظر إليّ.

«بعد الانتهاء من الإفطار، عليكما الذهاب إلى الدرس مباشرة»، قالت، ثم غادرت الغرفة بسرعة بعد أن أوصلت الرسالة.

كان باب ليلى لا يزال مُغلقاً. قطبت حاجبَي. يريدون منا الذهاب إلى الدرس بدلاً من استدعائنا إلى مكتب بلاكوود؟ لم يطلبوا حتى عقد اجتماع للإعلان عما حدث؟ مسكينة بيبا. كانت ليلى على حق. ثمة خطب ما.

28

في أثناء مغادرتي صف القتال الاستراتيجي برفقة ليلى، رحتُ أُدلّك ضلوعي كي أخفف من إمكانية ظهور الكدمات. تصببت عرقاً طوال فترة التدريب خوفاً من أن يتم اختياري لمواجهة برندان، لكن هذا لم يحدث، إلا أنه ظل يلاحقني بنظراته الساخطة طوال الوقت. لقد ساعدتني الحركات التي علّمني إياها آش كثيراً، لكنني ما زلت بحاجة إلى تعلّم الكثير. وما زاد الطين بلة في هذا الصباح المقيت أن ليلى استمرت في صمتها.

كانت الأجواءُ متوترةً جداً وكلُّ شيء رأساً على عقب، وكأن الجميع يترقبون الحدث الرهيب القادم. وها قد علقت صورةُ جثة أخرى في ذاكرتي، صورةٌ أخرى لن أتمكن من محوها. بدا واضحاً أن الجميع يعرفون ما حدث، فاسترق الطلاب النظرات إليّ وإلى ليلى كلما ظنّوا أننا غافلتان عنهم.

التفتُّ نحو ليلى، كانت تسير ببطء شديد باتجاه المكتبة، فتساءلت ما إذا كانت تكابد نوعاً من الانهيار. لم تنظر إليّ، ولم تدخل المكتبة أيضاً، بل اكتفت بالمرور من أمامها ببطء السلحفاة.

«ليلى؟»، ناديتها وأنا أسير إلى جانبها ببطء، فأشارت لي بالصمت.

كانت عيناها يقظتين، ووقع خطواتها غير مسموع.

انعطفنا وأدركتُ فجأة أين كنا: في الطابق الأول من مهجع الصبيان. التفتُّ إليها وأنا في حالة صدمة. أردتُ أن أقول شيئاً لثنيها عما تنوي فعله، أن أصرخ قائلة إنها فكرة سيئة، لكنني لم أجرؤ كيلا أُثير الانتباه علينا.

توقفتْ أمام الباب الثالث في الممر، رفعت المزلاج وفتحته، ثم تسللت إلى الغرفة. وقفتُ مترددةً للحظة فأمسكت بذراعي وسحبتني إلى الداخل ثم أغلقت الباب خلفنا بهدوءٍ.

«تبّاً، يا ليلى، كان عليك أن تخبريني مسبقاً»، همستُ لها. «وأرجوك قولي لي إننا لسنا حيث أظن».

«أمامنا خمس وأربعون دقيقة فقط قبل أن تعجّ هذه الممرات بالحركة من جديد، وقبل أن يعود ماتيو. دعينا نبدأ من غرفة ستيفانو».

شعرت بضيق الصدر. «لا تنطقي بكلمة طوال الصباح، والآن تتسللين إلى غرفة **ماتيو**؟»، قلت بنبرة محبَطة. «ألا تعتقدين أنها فكرة سيئة للغاية، خاصةً بعد ظهور جثةٍ جديدة أمام بابنا؟ من المُفترض أن تكوني التوأمة العقلانية».

رأيت في عينيها النظرة النارية نفسها التي رأيتها حين كانت غاضبة بخصوص قاعة الطلاب. «أنا لم أخبركِ لأنك تُظهرين أفكارك على وجهك مثل الأطفال، ونحن في غنىً عن ذلك الآن. وأنا لم أقل شيئاً منذ الصباح لأنني كنت أفكر، وأشاهد، وأراقب. ولو كنتِ أنت وأخي تقومان ببعضٍ من هذه الأفعال الصامتة، لكنا تجنّبنا الكثير من المشاكل!».

بلعت ريقي.

ضيقت عينيها. «وأدرك تماماً أنه كانت هناك جثة أمام بابنا هذا

الصباح. لكن هل رأيتِ سلاح الجريمة مع تلك الجثة؟ لا، لم تَرَيه. أين هو إذاً؟».

- «أنا ـــــ».

«تماماً!»، قالت. «لا بد من وجوده في مكانٍ ما. لا يبدو لنا أيٌّ من ذلك مفهوماً؛ لا مقتل ستيفانو، ولا الدم على أرضية غرفتك، ولا مقتل الحارس. صحيحٌ أن هذه المدرسة قد شهدت حالات موتٍ من قبل، لكن ليس بهذه الطريقة. ليس على هذا النطاق الواسع. لذلك، سأعود إلى نقطة البداية. من الواضح أننا نُغفل أمراً ما، وعلينا أن نعرف ما هو قبل أن ينجح أحد هؤلاء الأشخاص في قتلكِ».

«ليلى ـــــ».

«لا أريدُ سماع شيء. إما أن تساعديني أو لا. عليّ المباشرة في العمل»، قالت ثم استدارت مبتعدة.

وقفتُ أفكر للحظات في غرفة الجلوس الخاصة بماتيو، وبقدر ما يصعب عليّ الاعتراف بذلك، إلا أنها كانت محقة. وبقدر ما أكره ذلك، إلا أنني لا أستطيع تركها وحدها في الوقت الذي تحاول فيه مساعدتي. تأففتُ قليلاً ثم لحقتُ بها، وحفظت وضعية الباب جيداً كي أُعيده إلى ما كان عليه قبل أن نغادر.

انقبضت معدتي وراح قلبي يخفق بقوة عند رؤية غرفة ستيفانو. بدت مثل غرفتي تماماً، إلا أن رائحة عفونة تفوح منها، وكأن أحداً لم يدخلها منذ أيّام.

رفعتْ ليلى رأسها عن صندوق التخزين الذي كانت تتفحصه. «ابحثي عن أي أثرٍ للدماء»، قالت بنبرةٍ لا يزال فيها بعض الحدة. «إذا كان ستيفانو قد قُتِلَ هنا، فمن المرجح أن يكون القاتل قد اضطر للاحتفاظ بالجثة هنا قبل أن يتسنّى له وضعها في الممر. فبعض

الأماكن فقط تتسع لجثة في هذه الغرفة». رفعت نظرها إلى أعلى للحظة. «لقد أوحتْ لي بهذه الفكرة طريقةُ استخدامكِ لرماد المدفأة الليلة الماضية. فحتى لو قام أحدهم بتنظيف المكان وإخفاء آثار الجريمة، فلا بد أن تبقى بعض آثار الدماء عالقة بين شقوق الحجارة أو الخشب».

أومأتُ برأسي ثم رحتُ أتفحص أسفل المنضدة وقوائم سريره، لكن لم يكن هناك أي أثرٍ للونٍ غريب.

انتقلت ليلى من الصندوق إلى تفحّص نطاق الغرفة نفسها. أخرجت ورقةً بيضاء صغيرة من جيب عباءتها وبدأت بتمريرها على طول بضع شقوقٍ في الحجارة.

جثوتُ لأتفحّص أسفل السرير، لكن الإضاءة الخافتة في هذا المكان جعلت الرؤية صعبة. «هل هناك مخاطرة إذا قمتُ بإشعال الشمعة؟ هل يمكن أن يلاحظ أحدٌ ذلك؟».

زمّت ليلى شفتيها للحظة. «قد يلاحظ أحدهم أن علبة الثقاب نقصت عوداً، لكن من المُستبعد أن يظن ماتيو أن أحداً غير خادمه فعل ذلك، أو أن يظن الخادم أن أحداً غير ماتيو استعمل عود الثقاب».

«اقتربي إذاً لإمساك الشمعة، فلا نريد إحراق شيءٍ»، قلتُ لها.

أعادتْ ليلى الورقة إلى جيب عباءتها، وزحفتُ أسفل السرير. كان الفراش موضوعاً فوق إطارٍ من الحبال المتشابكة. أضاءت ليلى الشمعة ووضعتها تحت حافة السرير مباشرة، ووضعت يدها الأخرى تحتها لالتقاط الشمع الذائب، لكن كان بإمكاني رؤية مساحة محدودة حول الشمعة فحسب.

مرّرتُ أصابعي على الإطار الخشبي. «قرّبي الشمعة إلى وجهي»، قلتُ لها وأنا أتفحص شبكة الحبال وأسفل الفراش.

«حسناً، حرّكيها الآن ببطء نحو قدميّ». حرّكتُ عينَيّ في اتجاه الضوء. «لحظة، انتظري، عودي قليلاً».

كانت هناك علامة بنية اللون على الحبل، بطول بضع سنتيمترات وعرض نصف مليمتر. أمسكتُ الحبلَ وبدأتُ بفصل الألياف بين أصابعي قدر الإمكان، فتساقط بعض الفُتات البني على قميصي. «يا إلهي. . . !».

«ازحفي خارجاً بهدوء»، قالت ليلى بنبرةٍ آمرة، فنفّذتُ ما قالته، رغم أنني كنتُ أتمنى أن أسابق الريح للهروب بعيداً مثل سكوبي دو. أطفأت ليلى الشمعة ثم أعادتها إلى مكانها بينما كنتُ أخرج زاحفةً من تحت السرير.

جثتْ بجواري ولعقت أصبعها.

«قولي لي إنكِ لن ـــ». لكنها التقطتْ بعض الفتات بطرف إصبعها ثم وضعتها في فمها قبل أن أُنهي كلامي. «يا إلهي. . . هذا. . . أنتِ مجنونة!».

«إنه دم»، قالت. «لا بد أن أحدهم أخفى جثة ستيفانو تحت هذا السرير، ما يعني أنه قُتِلَ هنا، ثم وُضِع خارجاً في ذلك الممر بعدها ببضع ساعات لتعثري عليه». بدتْ متجهمة من شدة التركيز.

نهضتُ وربتُّ على قميصي بكفي، محاولةً عدم التفكير في حقيقة أنه يحمل دم شخصٍ ميت. «ليلى، كيف ستساعدنا معرفة تفاصيل مقتل ستيفانو في رؤية الصورة الشاملة؟ أليس علمنا بهوية القاتل هو المهم؟ ولماذا معرفة المكان الذي أُخفيت فيه الجثة مهمة إلى درجة جعلتنا نتسلل إلى هذه الغرفة اليوم، رغم خطورة التوقيت؟».

نظرت ليلى إليّ مطولاً. «بحسب وصفكِ، فإن ستيفانو قُتِل بطعنةٍ في القلب. ولكي يتجنب تشارلز انتشار الدماء في أنحاء

المكان، كان عليه تجنب أي قتال. ولتجنب القتال، كان على تشارلز أن يطعنه في نقطةٍ قاتلة، مثل الشريان الأُورطي، لكن تنفيذ ضربة كهذه صعبٌ جداً، إضافةً إلى أن ستيفانو كان مقاتلاً بارعاً. لذلك فإن التفسير المنطقيّ الوحيد هو أن القاتل قام بمباغتة ستيفانو».

«حسناً. . . هذا يعني إذاً أن تشارلز قتله فور دخوله هذه الغرفة، أو شيء من هذا القبيل، أي حتى قبل أن يدرك ستيفانو أن ثمة تهديداً؟»، قلتُ وأنا أحاول متابعة تسلسل أفكارها.

«شيءٌ كهذا **بالضبط**»، قالت ليلى. «هل تذكرين حين تحدّثنا عمن قد يكون آخِر من رأى ستيفانو؟ ثم حصل ذلك الاجتماع بعد ذلك وتمّت إدانة تشارلز، ولم يعد ذلك موضع جدال. حسناً، طلبتُ من آش الليلة الماضية التحقّق من الأمر على أية حال. وأخبرني أن لا أحد رأى ستيفانو بعد آخر درس حضره، لا أحد على الإطلاق».

«قُتل ستيفانو بعد عودته من الدرس مباشرة في ذلك اليوم إذاً؟ في الحقيقة، هذا يتطابق مع التوقيت الذي وصلتِ إليه بخصوص وقت الجريمة، نظراً لأن جثته كانت متصلبة بعض الشيء فقط. لكنني ما زلت لا أفهم ما يدور في رأسك».

«اسمعيني جيداً»، قالت ليلى. «انتهى درس ماتيو الأخير يومها عند الساعة السادسة والنصف، لكن لم يره أحد بعد ذلك، لذا الأمر الوحيد الذي يمكننا استخلاصه هو أنه توجّه مباشرة إلى مكتب بلاكوود، فأرسلته لتنفيذ عقوبته دون السماح له بالعودة إلى غرفته. وكان من المُفترض أن ينتهي درس ستيفانو عند السادسة وخمسٍ وأربعين دقيقة - كان يومها في درس الملاكمة مع آش وقد أخبرني آش أن المدرب أنهى الدرس قبل الوقت المحدد بخمسٍ وعشرين دقيقة»، قالت ثم نظرت إليّ بترقّب واضح.

«انتظري قليلاً»، قلتُ وأنا أرفعُ يدي وأحاول استيعاب ما تقوله. «هل تقصدين أن أيّاً يكن الشخص الذي كان هنا، فقد أتى ليقتل **ماتيو** وليس ستيفانو؟».

«هذا ما أقصده بالضبط»، قالت ليلى. «أعتقد أن تشارلز أراد استغلال ما حدث بينك وبين ماتيو ليقتله ويلفق لك التهمة، بحيث يبدو الأمر وكأنكِ قمتِ بقتله انتقاماً. وهو ما يبدو منطقياً أكثر إذا ما فكرتِ بالأمر. لكن تشارلز لم يكن يعلم أن ماتيو أُرسل ليتلقى عقوبته خارج الأسوار من دون أن يُسمح له بالعودة إلى غرفته. وانتهى ستيفانو من درسه قبل الوقت المحدد، ما جعله يتواجد في المكان الخطأ، في الوقت الخطأ».

أبعدتُ بعض خصلات الشعر عن جبهتي. «أراد تشارلز إذاً قتل الابن البكر لإحدى عائلات الدببة؟ يبدو ذلك منطقيّاً أكثر. جريمة مُتقنة بحيث يمكنه تلفيق التهمة لشخصٍ آخر. لكن لماذا أنا؟ لأنني تشاجرتُ مع ماتيو، واعتبر ذلك فرصة سانحة؟».

«كانت فرصةً سانحة بالتأكيد، لكنني أظن أن هناك ما هو أهم من ذلك. وإلا لماذا وضع الدماء في غرفتك؟ ولماذا إرسال نيكس لتحاول النيل منكِ علناً؟ ولماذا قتل ذلك الحارس؟»، قالت، ففهمت لأول مرة سبب إصرارها على أن الأمور أكثر تعقيداً مما تبدو.

«لقد كنتِ محقة، يا ليلى. كان مجيئنا إلى هنا ضرورياً، أعتذر لأنني عارضتك»، قلت لها.

ابتسمتْ ابتسامة خافتة. «لكن يجب علينا المغادرة الآن»، ولم أتردد في تنفيذ كلامها.

نهضتُ بسرعة وعدّلتُ أغطية السرير كما كانت، ومسحتْ ليلى آثار بصماتنا بكمها، كما تأكدتْ من عدم وجود أي شعر على الأرضية أو أيّ أثرٍ قد نتركه خلفنا، ثم توجّهنا نحو الباب. فتحت

ليلى الباب قليلاً وأطلّت برأسها خارجاً، ثم أومأت لي فتسللنا خارجاً إلى الممر، وأغلقنا الباب خلفنا بهدوءٍ.

لا بد أن الدروس قد انتهت الآن. كان بإمكاني سماع صوت فتح الأبواب وتهامس الطلاب. انعطفنا فوجدنا نفسينا وجهاً لوجه مع الدكتور كونر.

نظر إلينا نظرة ارتياب. «مهجع الصبيان؟».

«أجل»، أجابت ليلى بشكلٍ عفوي، «مررنا به في طريق عودتنا من المكتبة فحسب».

«فهمت»، قال كونر، لكن بدا لي أنه لم يقتنع بهذا الكلام.

مرّ في تلك اللحظة فيليكس وآريا ونظرا إلينا، محاولين أيضاً تحديد الاتجاه الذي أتينا منه.

انحنت ليلى قليلاً احتراماً لكونر ثم تابعنا طريقنا.

«لقد شكّ كونر بشيء، أليس كذلك؟»، همستُ لها بعد أن ابتعدنا كفايةً.

«نعم، للأسف. إنه رئيس قسم التقييم، ولا يغفل عن شيء. ولقاؤنا بآريا سوف يزيد الطين بلة، أراهن بكل ما أملك أنها ستخبر ماتيو لمجرّد إثارة المشاكل. وقد يتسبب عود الثقاب المفقود ذاك بمشكلةٍ. نحن لم نستخدم الشمعة طويلاً، فلم ينقص طولُها بشكلٍ ملحوظ، لكن إذا ما قام أحدٌ بتفحصها الآن، فسوف يجد أن الشمع لا يزال ساخناً».

شعرتُ بانقباض في معدتي. «هل يمكننا على الأقل وضع عود ثقاب بدلاً منه؟».

هزّت ليلى رأسها. «لا، إذا فُقد عود ثقاب ثم عاد إلى مكانه من جديد، فسيبدو الأمر أسوأ بكثير. لقد تورطنا».

دخلتُ أنا وليلى إلى درس السموم وجلسنا إلى طاولتنا. بدا المكان وكأنه نسخة من العصور الوسطى لمختبر الكيمياء في مدرسة بيمبروك. هناك طالبان إلى كل طاولة، وكل طاولة عليها عدة أدواتٍ معدنية وأباريق زجاجية. إنما، بدلاً من موقد بنسن الفردي، هناك مدفأة تُستخدم لتسخين المواد، ولا وجود لأي نظارات واقية أو قفازات بلاستيكية لحمايتنا. قالت ليلى إن الجميع يتعلم من كيسه ما لا ينبغي عليه لمسه، ما يعني أنني لن ألمس شيئاً ما لم أكن مضطرة إلى ذلك.

ها نحن الآن في درسنا الثاني لهذا اليوم، ولم يأتِ أحد على ذكر مقتل الحارس ولو بكلمة. لم يقم أحد باستجوابنا أو الإعلان بأنه سيكون هناك تحقيق، ومن الواضح أن بقية الطلاب في حالة توتر أيضاً، ما عدا آريا، التي تبدو وكأنها تجد في انزعاج الآخرين تسليةً لها.

توقّف برندان أمام طاولتنا وأمسك قارورة زجاجية الله أعلم ما بداخلها، قام بتدويرها وتفحّص السائل الموجود داخلها باهتمامٍ شديد. «جريمتا قتل منذ وصولكِ إلى هنا، يا نوفمبر، سمعتُ أنَّ إحداهما كانت أمام باب غرفتك تماماً. ومع ذلك، ها أنتِ تجلسين

هنا، بينما تقبع نيكس في السجن». حدَّق بي بعينين يملؤهما التهديد. لقد كان مُقرباً من تشارلز، لكن من الواضح أن ما حدث مع نيكس يعني له الكثير، وسيجعلني أدفع ثمن ذلك إذا استطاع. «لكني متأكدٌ أن كل هذا سيُصحَّح قريباً». رمى القارورة على الطاولة بلا اكتراثٍ، ثم توجه إلى مقعده ليدعها تتدحرج على الطاولة.

أمسكتْ ليلى القارورة قبل أن تسقط وتتحطم على الأرض، وكان واضحاً من التعابير التي ارتسمت على وجهها أن القارورة تحوي نوعاً من السمّ.

«يمكنكم الجلوس، يا طلابي الأعزاء»، قالت الأستاذة هيساكاوا.

هيساكاوا... كلمةٌ من أصل ياباني، ويمكن تقسيمها إلى جزئين، هيسا وتعني «منذ وقتٍ طويل»، وكاوا التي تعني «النهر» أو «الجدول». ولطالما سحرني هذا الاسم حين كنت طفلة، لأن إحدى الترجمات التي وجدتها له كانت «نهر الأبدية».

وقفتْ هيساكاوا أمام المدفأة وهي تهمهم بينما جلس الجميع في أماكنهم. هي امرأة طويلة ونحيلة، شعرها طويل يصل إلى خصرها مع غرَّة قصيرة تغطي جبينها. بدأت حديثها بالقول: «غالباً ما نتحدث عن السموم من ناحية تركيبتها الدقيقة والهدف من استخدامها، لكنني أرغب اليوم في مناقشة السموم من زاويةٍ أخرى. تعرفون جميعاً الملك جورج الثالث الذي وُلِدَ عام 1738 وتولى العرش البريطاني إبان الثورة الأميركية، أليس كذلك؟ حسناً، لقد جرى تشخيص إصابته بمرض وراثي تسبب له بنوبات متكررة، كان أطباء البلاط الملكي في ذلك الوقت يعلاجونها بالطرطير المقيئ، وهو دواء من الإِثْمِد يُستخدم لإحداث التقيؤ. وغالباً ما يتواجد الإثمد في الطبيعة مترافقاً مع الزرنيخ... ويكون ملوثاً به عادةً».

توقفت قليلاً عن الكلام، ثم تابعت: «آه، يمكنني القول إن الموضوع حاز على اهتمامكم. في ستينيات القرن الماضي، قام بعض العلماء بتحليل شَعر الملك جورج الثالث فوجدوا أن تركيز الزرنيخ فيه أعلى بسبعة عشر ضعفاً من النسبة الكافية للقتل».

صمتت لبرهة ثم تابعت: «دوّن الأطباء في دفاترهم كيف أنهم كانوا يجبرون الملك ويخدعونه في آنٍ واحد لأخذ هذا العلاج السام. طريقة خبيثة ومُدهشة، أليس كذلك؟ كان مرض الملك آنذاك يتسبب في تعطيل تشكُل خضاب الدم. وماذا يفعل الزرنيخ برأيكم؟». وقفت على رؤوس أصابعها ثم نزلت ثانيةً. «يمنع تشكّل خضاب الدم أيضاً، وهو ما جعل حالته الصحية أسوأ وجعل الملك في نهاية الأمر أكثر اعتماداً على الأطباء الذين كانوا يسممونه في حقيقة الأمر». نظرت هيساكاوا إلينا للتأكد من أننا نصغي إليها. «نحن أمام حالة غريبة هنا، لأن ما بدا ظاهرياً كأسلوب لتقديم العلاج، كان يقتل الملك ببطء. وبما أن آثار هذا السم تشبه أعراض المرض الذي كان يعاني منه الملك أساساً، يمكن القول إنها كانت جريمةً مثالية».

ابتسمت هيساكاوا. «هذا مثال عن فكرةٍ أكبر أريد منكم التفكير بها ملياً. لكن دعونا نتحدث عن الزرنيخ قليلاً. لقد شاع استخدامه في العصور الوسطى، حيث كان الجميع معجباً بتأثيره الذي يجمع ما بين الاحتضار والعاطفة. هل تعرفون لماذا؟».

لم أرَ في حياتي شخصاً يتحدث عن السموم بهذه البهجة، ولم أفهم ذلك. بدت لي أشبه بنسخة من معلمتي في روضة الأطفال، لكن على طريقة أفلام الرعب.

«يُعتبر آل بورجيا ملوك التسميم بالزرنيخ»، قالت آريا من مقعدها بجوار فيليكس. «يقال إن الزرنيخ يحسّن مذاق النبيذ،

وكانت عائلة بورجيا تقيم الكثير من حفلات العشاء، حيث كانت لوكريزيا بورجيا تحمل هذا السم في خاتم يحوي جيباً سرياً».

«هذا صحيح، ولطالما أعجبتني حيلة النبيذ هذه»، قالت هيساكاوا، «ولطالما أحببت تلك المرأة لوكريزيا. ياله من اسم. هل يريد أحدكم إضافة شيء؟».

«انتشر الزرنيخ على نطاقٍ واسع في الحقبة الفيكتورية، حتى إنه كان يباع في متاجر البقالة. كانت النساء يستخدمنه في الأكل أو يمزجنه مع الخل أو الجير ثم يدهنه على وجوههن ظناً منهن أنه يعزز نضارة البشرة ويحدّ من ظهور التجاعيد»، قال فيليكس، فلاحظتُ جرحاً في يده لم يكن موجوداً بالأمس خلال تدريبات المبارزة عندما هاجمتني نيكس.

«تماماً. تم استخدام الزرنيخ قديماً لأغراض كثيرة: في التجميل، ولحفظ الطعام، ولصبغ الأقمشة، وكمبيدٍ للحشرات. ومع ذلك يوجد شيءٌ محدد أفكر فيه»، قالت هيساكاوا.

«أعراض التسمم بالزرنيخ تشبه أعراض الكوليرا»، قالت ليلى، «لذا في معظم الحالات كان يُعلَن أن الوفاة طبيعية».

«هذا ما أردت سماعه!»، قالت هيساكاوا، فقلبت آريا عينيها، مستاءةً لأن ليلى عرفت الإجابة الصحيحة. «السم الجيد لا يترك أثراً وراءه؛ حين يكون تأثيره مشابهاً لأعراض مرضٍ ما، أو حين يكون موجوداً في حياة الشخص في الأساس وكل ما عليك فعله هو تشجيع التفاعل معه». نظرتْ في أرجاء الغرفة. «هناك مقولة شهيرة للفيلسوف وعالِم السموم باراسيلسوس الذي عاش في القرن السادس عشر: ''كل الأشياء هي سمّ، ولا شيء خالٍ من السمّ تماماً، فقط الجرعة تسمح لشيء ألا يكون سامّاً''. نستنتج من هذه العبارة البليغة أن ثمة سمّاً في كلّ البيئات. وفي حين يمكن لشيء أن يكون نافعاً إذا كانت

الجرعة صغيرة، يمكن له أن يكون قاتلاً إذا كانت الجرعة كبيرة. ولا أتحدث هنا عن المواد فقط - أدوية قد يتناولها شخصٌ ما، أو مستحضرات تنظيف يستخدمها. أريدكم أن تنظروا إلى أبعد مما هو بديهي، إلى ما هو أكثر دقة، وإذا أتقنتم ذلك، فسوف تمتلكون أفضل أنواع السموم: السموم العاطفية والنفسية. فإذا قمتم بإعطاء شخصٍ ما جرعةً كافية من أيٍّ منهما، فثمة احتمالٌ كبير بأن يموت ذلك الشخص دون أن يترك ذلك أي أثرٍ. من الصعب جداً كشف هذه الأساليب، وفقط في التغييرات الدقيقة، تتبيَّن الأنماط».

لستُ متأكدة ما إذا كان هذا أكثر شيءٍ مربك سمعته في حياتي، أو أنها سلطتْ الضوء على أمرٍ مهم حقاً. قد يغرق الناس في الحزن، أو قد يقتلون صديقاً عن طريق الخطأ أثناء نوبة غضب، أو يعزلون أنفسهم بسبب جنون الارتياب. لكن إذا تحكّم شخصٌ ما بهذه الأمور عمداً، فهل يمكن للضحية أن تكتشف الأمر؟ انتابني مجدداً ذلك الشعور الملحّ بأن ما أسمعه هنا ليس مجرد دروس، ناهيك عن أن أبي اعتاد التحدّث عن أمر مشابه بخصوص تمييز الأنماط. كلما أقدمت على أمرٍ جديد، أدركتُ كم كان إدراكي لحياتي في بيمبروك محدوداً.

تسللت رائحة الخبز الفرنسي والتوت البري الساخن إلى غرفتي، فكدتُ أسقطُ من سريري وأنا أهرع إلى المطبخ. عانقتُ أبي من الخلف وهو يطهو الخبز في المقلاة.

«عيد ميلاد سعيد، أنتِ في السابعة عشرة الآن، يا نوفا»، قال أبي ثم استدار ليعانقني ويقبلني على جبيني. «اتصلت الخالة جو... مرتين، رغم أنني أخبرتها أنكِ نائمة». ابتسم أبي وهزّ رأسه. «ستكون هنا بحلول وقت عودتكِ من المدرسة، وستُحضر معها هدية سخيفة كعادتها».

«بالحديث عن الهدايا السخيفة»، قلتُ وأنا أتناول بعض الكريمة المخفوقة الطازجة الموضوعة على المنضدة، «أين هي؟».

«أين ماذا؟» سألني، لكنني عرفت من نبرة صوته أنه يعلم تماماً ما أتحدّث عنه.

«المفاجأة التي وعدتني بها!».

«آه، أجل، قررتُ ألا أحضرها، خطر لي أنك ربما أصبحتِ كبيرةً على الهدايا».

رمقته بنظرةٍ حادّة، فانفجر ضاحكاً. «لا أظن أن الوقت مناسب لمزاح الآباء. الأمر هنا يتعلق بعيد ميلادي».

«حسناً، أنا متأكدٌ أنها هنا في مكانٍ ما»، قال أبي وهو يبتسم بمكرٍ.

«لقد خبأتها، أليس كذلك؟»، قلت بتأفف.

لم يقل شيئاً، بل هزّ كتفيه فحسب.

«حسناً، أعطني تلميحاً فقط».

«ابحثي عن التفاصيل الدقيقة المختلفة، عن نمطٍ معيّن، وستقودك هذه إلى الاتجاه الصحيح».

«يا إلهي، ماذا لو لم أتمكّن من العثور عليها قبل الذهاب إلى المدرسة؟ هذا يندرج في خانة إساءة معاملة الأطفال».

ابتسم ابتسامةً ماكرة، ثم قلّب الخبز في المقلاة. «حسناً، أقترح عليكِ العثور عليها، وإلا فلن تحصلي على المفاتيح لقيادة سيارتكِ إلى المدرسة»، قال، فجحظت عيناي من وطأة المفاجأة.

«سيارة؟! لـمَن؟ لي أنا؟! لا أصدق! هل أنت جاد؟ يا إلهي!»، رحت أصرخ وأقفز في أرجاء البيت من شدة الفرح. «أنا أملك سيارة؟ هل هي خضراء؟ أرجوك أخبرني أنها خضراء».

أسرعتُ إلى النافذة، وها هي ذي في الخارج، سيارة برونكو

خضراء قديمة مع صندوقٍ خلفي، ربما كانت لأحد حراس الغابات من قبل. «ستجعلني هذه الهدية أحبك إلى الأبد!»، قلت له بامتنان.

كم من لحظة مثل هذه كانت هناك، حيث حاول أبي أن يعلمني أساليب استراتيجيا ولم أفهم ما يقصده حينها؟ لكن ما لا أستطيع فهمه حقاً حتى الآن هو لماذا أخفى عني حقيقة مَن أكون طوال هذه السنوات. وما الذي حدث له وللخالة جو ليقررا فجأة إلقائي في هذه المدرسة؟

لقد كان مُحقاً حين قال إنني أعرف ما يكفي للحفاظ على سلامتي هنا، لكن ما الفائدة من هذه المهارات إذا كنت لا أستطيع تمييزها؟ **لو أنني أستطيع التحدّث إليه وحسب**، قلت في سري، فجعلت هذه الفكرة قلبي يعتصر. لم يسبق لي أن شعرت بمثل هذا الحنين إلى أبي وإلى بلدتي من قبل.

30

كانت قاعة الطعام تضجّ بأصوات الطلاب عندما وصلت أنا وليلى، ورغم صعوبة قراءة لغة الجسد لدى هؤلاء الطلاب، كان واضحاً أنهم يسترقون النظرات إلينا.

حتى إن أنظار الأساتذة توجّهت إلينا على غير العادة، وها هما بلاكوود وكونر يجلسان معهم، وهو أمر غير مألوف أيضاً. كانت الأجواء مشحونةً، بحيث أن خطأً واحداً بإمكانه تلقائياً إشعال المكان بأكمله.

جلس آش في الجهة المقابلة لنا، وبدأ في الحال بملء طبقه بمعكرونة فيتوتشيني ألفريدو، وكأن كل شيءٍ طبيعي تماماً وهو يتضور جوعاً.

«هل ذكر أحدٌ أيّ شيءٍ عن الحارس؟»، سألته بصوتٍ خفيض.

هزّ رأسه نافياً. «بحسب ما سمعت، لم يتم استجواب أحدٍ حتى الآن، وهذا ليس من عادة بلاكوود، فهي لا تتأخر في معالجة المشاكل إطلاقاً».

«كما قلت وكررت»، قالت ليلى، «هناك خطب ما في هذا الوضع برمته».

دخلت فتاة وشاب وجلسا بجانبنا، فالتزمنا جميعاً الصمت.

جالتْ ليلى بنظراتها في أرجاء الغرفة بطريقة توحي بأنها منهمكة في التفكير، بينما استرق آش النظر بانتظام إلى حيث يجلس برندان وبقية الأُسود.

غمستُ بعض الخبز المحمص في صلصة الكريما في طبقي، وعدتُ بذاكرتي إلى الماضي لعلّي أعثر على شيءٍ قد يوضّح من أكون، ويساعدني في فهم القطع المفقودة. كنت أشعر بالأمان أكثر حين كنت أظن أنه قد أُتَّهَم بقتل ستيفانو، فعلى الأقل لم أكن أعتقد حينها أن هناك من يسعى لقتلي.

استرجعتُ مراراً حديثي مع آش حول كيف أن قرار الانتماء لاستراتيجيا ليس في يد المرء. هناك جزءٌ مني يرفض تصديق ذلك، لكني أعلم أن هذا الجزء على خطأ. فحتى لو تمكّنت من البقاء على قيد الحياة إلى حين عودتي إلى البيت ورؤية أبي، فلن أفلت منهم. يمكنني بذل قصارى جهدي للبقاء بعيدة عن الأنظار، وعيش حياة بسيطة بحيث لا يكترث أحدٌ بما أفعله لبقية حياتي، لكن إذا اخترتُ البقاء في بيمبروك، فسأحتاج إلى اتباع القوانين وإلا سأعرض نفسي والأشخاص المُقربين مني إلى الخطر. لكن حتى إذا اتبعت القوانين طوال حياتي، فهذا لا يعني أنني سأكون بمنأىً عن الخطر.

عليّ أن أُصّدق أنه لم يكن لدى أبي خيار آخر سوى إرسالي إلى هنا، وإلا لن أسامحه أبداً. قال إنه يجب عليّ الالتحاق بهذه المدرسة من أجل سلامتي. حسناً، هذا مضحكٌ. لم أعد أعرف ماذا أصدق، أو أين تكمن الحقيقة في كلامه. لكني متأكدة أن هذا سيتغير، مع إنجازي للبرنامج الدراسي المكثف الذي وضعته لي ليلى.

قرَّبتُ يديَّ من نار المخيم طلباً لبعض الدفء. كان الهواء مُنعشاً، اختلطت به نفحة الطقس البارد وأوراق الشجر، رغم أن لونها بدأ يتغير للتو.

«خالتي جو، لماذا لم أعهدكِ تواعدين رجلاً من قبل؟»، سألتها وأنا أنظرُ إليها، «أنتِ امرأة مرحة وقوية، ولا أصدق أن الرجال لا يتهافتون على التقرّب منكِ».

أخذت الخالة جو رشفة من عصير التفاح الممزوج بشراب الروم، الذي أشك أن معظمه روم في الحقيقة، ثم اتكأت إلى الخلف على كرسيها القابل للطي. «ليس كل الأشخاص الرائعون يعيشون علاقاتٍ طويلة المدى، يا نوفا. البعض منا ذكيٌ جداً بحيث يصعب تقييدنا. وأيضاً، هل تتخيلين أن أتحمل شيئاً كهذا لبقية حياتي؟»، قالت وهي تومئ برأسها نحو خيمة أبي التي صدر منها صوتُ شخيرٍ عالٍ. «تراودني فكرة أن أذهب وأرميه بحجرٍ في هذه اللحظة».

ضحكتُ. «لكنك لطالما قلت إنكِ كنتِ تحلمين وأنت فتاة صغيرة بأن يكون لديكِ خمسة أطفال».

«أجل، لكن ماتيلدا أنجبتكِ، وامتلأت حياتي حينها بتلك الوجنتين الورديتين وتلك الضحكة، تلك الضحكة...»، قالت وهي تهزّ رأسها، «دائماً ما جعلتني أبكي، أتعلمين ذلك؟ أراكِ تنظرين إليّ وكأنني حمقاء رقيقة المشاعر، وأظن أنني كذلك بالفعل، لكن كانت تلك الضحكة تدفعني إلى البكاء. كان والدك يدخل الغرفة ويجدنا نحن الثلاثة في حالةٍ هستيرية، أنتِ تضحكين، وأنا وأمكِ نبكي غير مصدقتين أننا أمام كل هذه الروعة. ولأنكِ كنتِ طفلةً مثالية، فقد أدركت حينها أنني إذا لم أنجب طفلاً مثلك تماماً، فسأضطر عندها إلى تسميته "سيكوندو"، الثاني، وجعله يرتدي ثيابكِ القديمة».

«أنت تمزحين، لن تفعلي»، قلتُ وأنا أضحك.

«هل تشكّين في هذا الوجه؟»، قالت وهي ترفع حاجبيها.

«أبداً»، قلتُ لها وأنا أُحرك عصير التفاح الساخن بعودٍ من القرفة.

«لماذا هذا الاهتمام المفاجئ بحياتي العاطفية، هه؟ هل تعيشين قصة عاطفية تريدين إخباري بها؟»، سألتني بمكر.

«ماذا؟ لا، أتمنى ذلك، أنا فقط... أنتِ تعرفين إيميلي، صديقتي المقربة؟ لدى إيميلي عائلةٌ كبيرة جداً، يقيمون تلك الحفلات الكبيرة في المناسبات، فأشعر بالغيرة أحياناً، وأتمنى لو أن لديّ عائلة كبيرة، هل تفهمينني؟».

نخرت وأخذت رشفةً من كأسها.

«ماذا؟ ألا ترغبين بعائلةٍ كبيرةٍ أيضاً؟»، سألتها.

«لا»، أجابتني وهي تسكب المزيد من الرّوم في كأسها، «لديّ أقارب في إيطاليا أتمنى لو أستطيع مسحهم من ذاكرتي. أولاً، هناك ذلك الأب الأناني، وهناك أيضاً بقية أفراد العائلة الذين لا يعترفون بأنه أناني، وهو ما يجعلهم أسوأ منه في رأيي». رفعت كأسها عالياً وقالت: «فليذهبوا جميعاً إلى الجحيم».

أردتُ أن أوضّح لها بأنني أقصد أني أتمنى لو كان لدينا المزيد من الأقارب الذين يشبهوننا، لكنني أذكى من أن أفعل ذلك وهي على هذه الحال، تلوم وتشتم أهلها، فهي تحمِّلُ والدها مسؤولية موت أمي، رغم أن الجميع أجمعوا ـ وتقرير الطبيب الشرعي أيضاً ـ أن موتها كان حادثاً عرضياً.

«ولا تدعيني أبدأ في الحديث عن عائلة كريستوفر»، قالت وهي تشير إلى جهة الشخير من جديد. «فجمع عائلتينا في مكان واحد للاحتفال معاً هو فكرة فظيعة، ولن ينجم عن ذلك إلا القتال».

«هل سبق أن كانوا على وفاق؟ أم أن عائلتك لطالما رفضت أبي؟».

«لقد بدأت الأمور بالتدهور منذ اللحظة التي ارتبط فيها والداكِ، وهي عداوةٌ مستمرة من قبل ولادتكِ».

«لكن هذه العداوة انتهت بعد وفاة والدَي أبي، أليس كذلك؟».

«غير مأسوفٍ عليهما».

اختنقت وأنا أشرب العصير الساخن. أتساءل أحياناً ما إذا كانت هناك أي خطوط حمراء لن تتخطاها الخالة جو. «ما الذي جعلك تختارين بروفيدنس من بين جميع الأماكن حين غادرتِ إيطاليا؟».

ابتسمتْ ساخرةً. «أرجوكِ أخبريني أنكِ تمزحين، يا نوفا. هل يُعقل أنك تسألين هذا السؤال؟ هل نسيتِ النصب التذكاري للرجل الحر؟ وحقيقة أن بروفيدنس تأسست على يد الثوار ومثيري الشغب؟ وإضافةً إلى ذلك، الطعام الإيطالي فيها لذيذٌ جداً».

نظرتُ إليها وأنا أتظاهر بالدهشة.

«ماذا هناك؟ لقد قلتُ إنني لا أحب عائلتي، لكن طعامنا رائع جداً».

دفعتُ المعكرونة بعيداً في طبقي. تمنيت لو بإمكاني سؤال الخالة جو عما يحدث هنا، وعن أمورٍ تخصُّ والديَّ، أردتُ أن أسألها لماذا اختارا العيش في بلدة صغيرة نائية، فبعد كل ما عرفته من آش وليلى، لا يمكن أن يكون هذا الخيار عشوائياً. وهذا يدفعني إلى التساؤل عما كانا يحاولان الهروب منه؛ عائلتيهما الصارمتين عامةً، أم أن هناك أمراً آخر؟ لطالما ظننتُ أن كره الخالة جو لعائلتها هو لمجرد الاستعراض، لكن بالنظر إلى ما رأيته هنا حتى الآن، فلومهم على موت أمي لا يبدو لي مستبعداً الآن، إذ تستطيع عائلات استراتيجيا أن تجعل موتاً يبدو كأنه حادث عرضي.

ولاشعورياً، نظرتُ من حولي بحثاً عن ماتيو. إذا كان لعائلة الدببة علاقة بموت أمي، وإذا كانت قد تجاوزت بعض قوانين استراتيجيا أو ما شابه ذلك، فمن المحتمل أن يكون أقارب ماتيو متورطين في ذلك القرار. أهذا هو سبب معرفته بمظهر أمي؟ أفلتُّ الشوكة من يدي لتُصدر صوتاً عالياً، فالتفتَ آش وليلى نحوي.

إلتقتْ عيناي بعينيّ ماتيو، فشعرتُ بغضب شديد. تراءى لي كمّ الظلم الذي تعرّضتُ له منذ وصولي إلى هنا، وما رأيته من أهوال مروعة، والشك الدائم والخوف اللذان سيطرا على مشاعري. كل ما رغبت به هو الصراخ بأعلى صوتي.

دفعتُ كرسيّ إلى الخلف، لم أكن غاضبةً من ماتيو وحسب، بل من المدرسة بأكملها. أراهن أن أمي أرادت المغادرة أيضاً، أرادت الهروب من استراتيجيا وألعابها القاتلة. لكن السؤال المطروح هو هل قتلوها بسبب ذلك.

«نوفمبر؟»، نادت ليلى.

«أريد استنشاق بعض الهواء النقي فحسب»، قلتُ لها، وابتعدتُ قبل أن يتمكن أحدهما من طرح أي أسئلة. كنت متأكدة أن آش سيدرك أنني تذكرتُ أمراً ما، وآخر ما أردت سماعه هو تحليل مفصّل عن تاريخ عائلتَي والديَّ، أو قتل أمي المحتمل. لا عجب أن الخالة جو كانت تستشيطُ غضباً عندما يأتي أحدهم على ذكر العائلة.

سرتُ بين طاولتَي الطعام في طريقي نحو الخارج، مبقيةً عينَيّ مركزتين على الباب لأتجنب النظر إلى ماتيو مرةً أخرى، كيلا أفعل شيئاً أندم عليه.

كنت على وشك الوصول إلى الباب حين أوقفني كونر. لم أنتبه حتى أنه نهض عن طاولة المدرسين. «نوفمبر، أريد التحدّث إليكِ»، قال وهو يمسّد لحيته.

«الآن؟»، سألته، ولم أحاول حتى إخفاء نبرة الانزعاج من صوتي.

«أجل، لديّ بعض... الأخبار»، قال، فتجمدتُ في مكاني.

«أي أخبار؟»، سألته في الحال، متسائلة ما إذا كان قد لاحظ استيائي وقرر أن الوقت مناسب لتدميري أكثر.

«هل يمكن أن تأتي معي إلى ـــ».

«لا، أخبرني وحسب»، قلتُ له وقد بدأت احتمالات رهيبة تدور في رأسي، ما جعلني أكثر توتراً.

«دعينا نغادر قاعة الطعام على الأقل»، قال ثم دفع الباب وخرج قبل أن أجيبه. لحقتُ به خارجاً، لكنه لم يتوقّف إلى أن وصل إلى منتصف الممر، حيث لم يكن أحد غيرنا. «لا تسأليني أيّ شيء بخصوص ما سأخبركِ به، فليس لديّ أي أجوبة. عادةً ما يقوم أفراد العائلة بنقل هذا النوع من الأخبار، لكن نظراً للظروف الراهنة، لا يُسمح لأحد بزيارتك».

تشنج جسدي. أردت أن أصرخ به أن يقول ما لديه فحسب.

نظر من حوله للتأكد أن لا أحد يسمعنا، ثم عاد لينظر إليّ. «لقد ماتت جو».

تجمّدت مكاني للحظة، محاولةً استيعاب كلامه. جو؟ **خالتي** جو؟ «لا»، قلت له وأنا أهزُّ رأسي، «لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً».

«لا يمكنني إخباركِ بالمزيد كما سبق وقلت لك. هذا كل ما أعرفه. لقد ماتت جو»، كرر وكأنه شعر بأنني أرفض تصديق الأمر.

هل قتل أحدهم خالتي؟ لقد ماتت خالتي. **ماتت**. راح المكان يدور بي، وانقبض صدري بحيث شعرت أن الأكسجين على وشك النفاذ. فاضتْ عيناي بالدموع، ومع كل نبضة قلب مؤلمة حد الوجع

تراجعت خطوة إلى الوراء. كان بإمكاني رؤية شفتيه تتحركان، لكني لم أعد أسمع كلمة مما يقوله.

إذا كان الدببة هم وراء مقتل أمي، فمن يمكنه الجزم أنهم ليسوا مسؤولين عن مقتل الخالة جو أيضاً؟ فهي لم تكن تعيش في أميركا وحسب، بل كانت **تكرههم** جميعاً. أخبرني آش أنه يُمنع عن المرء مغادرة عائلته. هل هذا ما حاول أبي إيقافه حين أرسلني إلى هنا؟ شددتُ قبضتي، وانفجر كل ما في داخلي من حزنٍ ممزوج بالغضب.

فجأة، ركضتُ مبتعدةً والدموع تنهمر على وجنتيَّ. فتحت الباب بقوةٍ عند عودتي إلى قاعة الطعام، فنظر كل مَن في القاعة إليّ كما لو أنهم تلقّوا إشارة ما، لكني لم أكترث إليهم، بل نظرتُ إلى ماتيو مباشرةً، وركضت نحوه بأقصى سرعتي، ثم وقفتُ على كرسيٍ قريبٍ منه وقفزت باتجاهه، فجحظت عيناه وأنا أصطدم به ونسقط على الأرض معاً. كان يلهث وهو يحاول دفعي بعيداً عنه، لكني كنت أصرخ وأتشبث به بكل قوتي. وللحظة وجيزة، رأيتُ كونر ينحني فوقنا، ثم شعرت بألم حاد في رأسي وغدا العالم معتماً من حولي.

بدأت معالم الغرفة تتوضّح رويداً رويداً؛ نور الشمعة، السقف الخشبي المقبب، وجه. فتذكرتُ ما حدث.

«نوفمبر؟»، قالت ليلى بنبرة بدا فيها القلق. أشحتُ بوجهي وأغمضتُ عينيَّ. «اخرجي من هنا».

* * *

بدأ أحدهم يهزّني. «استيقظي»، قال لي صوتٌ.

فتحتُ عينيَّ المتورمتين. «توقّف».

«سأتوقف عندما تستيقظين»، قال آش.

«لن أستيقظ، دعني وشأني فحسب»، قلت له ووضعت وسادة على وجهي، لكنه سحبها مني.

«لقد مضى يومٌ على ذلك. يُسمح للجميع بقضاء يوم في التحسر على أنفسهم، لكن لا يُسمح بيومين أبداً. عليكِ أن تنهضي، وتأكلي شيئاً، وتشربي الماء».

«أتحسر على نفسي؟ **أتحسر** على نفسي؟ تباً لك، يا آش»، قلتُ له بصوتٍ مرتعش. «أنا لا أكترث بهذه المدرسة اللعينة أو بأني فرد من استراتيجيا. لا أكترث لأي من ذلك».

تنهّد آش. «حسناً، سواء كنتِ تكترثين أم لا، أنتِ الآن مُستهدفةٌ أكثر من ذي قبل بسبب المغامرة التي قمتِ بها بالأمس في قاعة الطعام. فلا خيار لديكِ الآن».

كل ما أردته هو التخلص من هذا الإحساس الشديد بالحزن، أن تعود حياتي إلى ما كانت عليه قبل قدومي إلى هذه المدرسة، عندما كانت خالتي على قيد الحياة وننعم أنا وأبي بحياةٍ هادئة في بيمبروك. غطيتُ رأسي بالبطانية. «كانوا يحاولون قتلي أساساً، فكيف للأمور أن تكون أسوأ من ذلك؟».

«سوف ينجحون في ذلك»، قال آش وهو يسحب البطانية عني. رفعتُ يدي لأصفعه، لكنه أمسك بمعصمي. حاولتُ تحرير يدي من قبضته لكنه أمسك بيدي الأخرى.

«اتركني، يا آشاي».

«لا، لن أدعكِ تفعلين ذلك بنفسك».

«حسناً، لستَ أنتَ من يحق له اتخاذ هذا القرار».

ازدادت نبرته حدّةً. «وما القرار الذي تختارينه؟ البقاء في السرير إلى أن يأتي أحدهم ويذبحك؟ صدّقيني، يا نوفمبر، أنتِ لستِ في مأمنٍ من ذلك. أو ربما تريدين البقاء هنا إلى أن ترسلكِ بلاكوود إلى السجن أيضاً؟».

حاولتُ سحب معصمَي لأخلصهما من قبضته.

أطبق فكيه. «أنتِ الآن حزينة وغاضبة، ولا يمكنكِ تخطي مشاعرك. لكن هذه المشاعر ستتلاشى في مرحلة ما، وستدركين حينئذٍ أنكِ ارتكبتِ أكبر خطأ في حياتك. لكن سيكون الأوان قد فات».

كنتُ غاضبةً جداً، بحيث أردتُ أن أبكي أو أصرخ أو كليهما معاً. «ولماذا تهتمُّ لأمري أصلاً؟ ليس من المفترض بك أن تهتم لأمري».

«لكني أهتم له».

ضحكتُ بسخرية، وحاولت تحرير قدميَّ من البطانية.

لكن آش لم يستسلم، بل سحبني خارج السرير. ركلته، لكنه تصدى لذلك والتفت ليحول بيني وبين السرير، ثم أفلتَ معصمَي.

«حقاً؟ ستمنعني من البقاء في سريري؟»، قلتُ له وأنا أستشيط غضباً، وقد عاد ليتأجج داخلي كل الحنق الذي شعرتُ به تجاه ماتيو وهذه المدرسة.

حاولتُ تجاوزه، لكنه سدّ عليّ الطريق. دفعته، لكنه دفعني بالمقابل. كان قلبي يخفق بشدة، وشعرت بعينيّ تغرورقان بالدموع. أردت أن أمزّقه إرباً إرباً، هو، وهذه الغرفة، وهذه المدرسة.

«تريدين ضربي، أليس كذلك؟ هيا افعلي».

دفعني من كتفي.

«توقّف».

«دافعي عن نفسك»، قال آش، ثم دفعني ثانيةً.

«توقّف عن ذلك، يا آش».

«إذا لم تضربيني، فسوف أضربكِ أنا»، قال آش. «فأن تتصدي لي أو تفعلي أي شيء أفضل من وقوفك هكذا».

ودون أن أفكر، سحبتُ ذراعي إلى الخلف وسدّدت لكمة قوية على فكه، لم يحاول صدَّها.

وضعتُ يديَّ على فمي وتراجعتُ خطوة إلى الخلف. هززتُ يدي، التي كانت تؤلمني بشدة الآن، وحاولت التركيز عليها كي أمنع شفتيَّ من الارتعاش. لقد أفرغتُ غضبي في هذه اللكمة، والآن وبعد أن تلاشى هذا الشعور، لم يتبقّ في داخلي إلا ذلك الحزن العميق.

فرك آش وجهه. «لكمة لا بأس بها، أظن أنها ستترك كدمةً على وجهي».

بدأت دموعي تنهمر. «أنا آسفة، لم يكن يجدر بي فعل ذلك».

اقترب مني قليلاً، فراحت دموعي تنهمر بغزارة وتُخرج معها كل ما في داخلي من أسى. أحاطني بذراعيه وعانقني. حاولت إبعاده عني، لكنه لم يتركني، فوضعت رأسي على كتفه. شعرتُ بدفء ذراعيه حول جسدي، وبيده التي تُربت علي ظهري، فأدركت كم افتقرت حياتي هنا إلى أبسط العواطف الإنسانية. فلا أحد يلمس أحداً في هذه المدرسة إلا بقصد إيذائه.

«لست آسفة في الحقيقة، أنت تستحق تلك اللكمة»، قلت له.

ضحك ووجهُهُ لا يزال في شعري. وحين توقّف عن الضحك، التزم كلانا الصمت.

«لقد كانت شخصاً مُقرباً منكِ جداً»، قال آش بعد بضع ثوانٍ، لكن لم يكن هذا سؤالاً.

أومأت برأسي الذي كان لا يزال على صدره.

«أنا آسفٌ جداً»، قال آش، ثم ضمني إليه بقوةٍ أكبر.

أخذتُ نفساً عميقاً. «وأنا كذلك».

بقينا على هذه الحال لبعض الوقت إلى أن توقّفت دموعي ولم أعد أشهق بالبكاء. وحين أفلتني من بين ذراعيه أخيراً، كنتُ قد بدأتُ أشعر ببعض التحسن. لم يتضاءل إحساسي بالخسارة لفقدان خالتي، لكن الألم والشعور بالعجز خفّا قليلاً.

مسحتُ دموعي براحتَي يديّ. «هل تسمح لكل مَن شعر بالحزن في هذه المدرسة أن يلكمك على وجهك؟»، سألته لأنني لم أعرف ماذا أقول له غير ذلك، ولأن ممازحته بدت أسهل بكثيرٍ من الحديث عن مشاعري.

أشار إلى البقعة المُبلّلة على قميصه حيث كان وجهي، وقال وهو يبتسم بمكر: «فقط إذا كانوا سيمسحون أنوفهم بثيابي بعد ذلك».

«هل تسخر مني وأنا مكلومة؟ ألا تخجل من نفسك؟»، قلت له، لكن لم يكن هناك أي غضب في صوتي هذه المرّة.

«الشعور بالخجل غريب عني. أتعلمين، أنا لم أرَ فتاة ترمي بنفسها من فوق طاولة في قاعةِ طعامٍ مكتظةٍ بالناس على هذا النحو أبداً. كان ذلك أسطورياً. أعتقد أنكِ أرعبتِ ماتيو حقاً. كان عليكِ رؤية وجهه. لم يستطع تجاوز الموقف حتى بعد أن حملوكِ خارجاً، ولم يتحدث إلى أحدٍ بعدها».

«سيحظى بفرصته للانتقام، أنا متأكدة من ذلك».

هزّ آش رأسه. «لقد تسبب لكِ بالإغماء، فاعتبرتْ بلاكوود ذلك تعادلاً».

تحسّست جانب رأسي في مكان شعوري بالضربة أمس، وكان متورماً كما توقعت. «يا إلهي».

جلستُ على سريري.

«إياكِ أن تفكري بالاستلقاء على السرير من جديد».

أخذتُ رشفةً من كأسِ الماء الموضوع على منضدة سريري.

«إذا فعلت، هل ستسمح لي بأن ألكمك ثانيةً؟».

ابتسم وجلس إلى جانبي.

حدقتُ به. «لماذا فعلت ذلك؟».

«تقصدين إخراجكِ من السرير؟ من سيكون مغروماً بي إذا لم تكوني موجودة؟ سيكون الوضع مُحبطاً».

هززتُ رأسي. «هل تسببتُ في جعل الأمور أسوأ بالنسبة إليّ؟».

تلاشت ابتسامته. «أجل، مع بلاكوود، ومع الطلاب عامةً. فمع موت تشارلز وسجن نيكس، انقلبت المدرسة ضدك».

«سأكرر سؤالي: لماذا أنت هنا الآن، تسحبني من سريري... وتبدي كل هذا الاهتمام؟ هل تفعل ذلك لأنني أسكن مع أختك فحسب؟ هل تحاول حمايتها من عواقب وجودي معها؟».

«حسناً، هذا بالتأكيد السبب الذي جعلني أقضي الليلة الماضية هنا».

قضيتَ الليلة هنا؟ هذا ما فركت فيه، لكني قلت له: «إذا كنتُ عبئاً عليك إلى هذا الحد، فلماذا لا تطلب نقلي إلى غرفةٍ أخرى فحسب؟». ندمتُ في الحال على ما تفوّهت به، فأنا لا أريد الابتعاد عن ليلى، ولا التوقف عن قضاء الوقت برفقة آش، لكنني في الوقت نفسه لا أريد العيش في خوفٍ دائم من أنهما قد يتخليان عني حين أكون بأمسّ الحاجة إليهما. لطالماً عرفتُ مكانتي لدى الناس، ومن هم الأشخاص الذين يمكنني الاعتماد عليهم، لكن الأمر مختلفٌ في هذه المدرسة، فأنا هنا لا أعلم شيئاً.

«لماذا أنتِ صعبة المراس إلى هذه الدرجة؟».

«عليك توجيه هذا السؤال إلى صديقتي المُقربة، فهي لديها قائمة طويلة من الأسباب».

ابتسم، لكنها ابتسامة مشوبة بالحزن.

«اسمعني، أنا لا أقول إنني لست ممتنّة. أنا ممتنّة جداً لكَ ولليلى. حسناً... لا أعرف ماذا كنت سأفعل من دونكما. وحين كُشف أمر خروجنا في تلك الليلة بعد حظر التجول، كان من الطبيعي أن تقفا إلى جانبي. لكن الآن، وبعد كل ما حدث، لا أفهم لماذا تستمران في مساعدتي، لا سيما إذا كان الأسود أقوياء إلى الحد الذي قلتماه».

«كما قلتُ لكِ من قبل، تعيش ليلى وفق معايير أخلاقية مُبالغٍ فيها، كما أنها فضوليةٌ جداً، لهذا، حين تحوّل هذا الوضع إلى لغز، كانت ستعمل على حله سواء كان الأمر يخصكِ أم لا. إضافةً إلى، حسناً... هي تراك شخصاً مستفزاً، وهذه كما ترين»، وهنا مدَّ ذراعيه مشيراً إلى نفسه، «صفةٌ تروق لها». ضحك. «إنها تعتبركِ صديقتها الآن».

تنهدتُ، وشعرت بعينيّ تغرورقان بالدموع من جديد. أنا لم أرَ سوى العدوانية والقتل منذ أن وطئتْ قدماي هذا المكان، لذلك أثّرت بي هذه الكلمات اللطيفة كثيراً. فمنذ وقتٍ ليس بالبعيد، كنت أعيش حياةً ملؤها الحب والسعادة. «وماذا عنك؟».

بقي صامتاً لبعض الوقت وهو ينظر إلى يديه. «أنتِ تذكّرينني بشخصٍ».

«أوه».

«شخصٌ نشأتُ معه». رفع رأسه ونظر إليّ. «كانت فتاةً قوية وسريعة ومرحة إلى أبعد الحدود، توحي لك بشعور جميل بالحرية، وكأنها يمكنها أن تمتلك الكون إذا أرادت ذلك. لطالما شعرتُ بالغيرة منها، وكيف أنها دائماً ما كانت ترى الجوانب الإيجابية في الناس، حتى عندما كانوا يخيبون ظنها».

«وهل انتهت هذه الصداقة؟».

«لم تكن تنتمي إلى استراتيجيا»، قال بصوتٍ خافتٍ.

«ماذا تعني؟ هل أنهيت صداقتك بها لهذا السبب؟».

«هذا ما طُلب مني، وتم تحذيري منه»، قال ثم صمت قليلاً وتابع: «لكني كنتُ مجرد فتىً صغيرٍ. كنت عنيداً، وظننتُ أنني إذا أبقيتها بعيداً عن عائلتي إلى أن يحين موعد التحاقي بالمدرسة، فستكون الأمور بخير». تنهد. «لكن في أحد الأيام، تسللتْ إلى

منزلي بينما كانت العائلة في اجتماع، وكشف أبي أمرها فغضب جداً. أقسمتُ له أنها لم تسمع شيئاً، وقطعتُ له وعداً بأنني سأضع حداً لصداقتنا . . .».

شعرتُ بانقباضٍ في معدتي. «يا إلهي، لا!».

«اندلع حريقٌ في منزلها في اليوم التالي»، قال وهو يشيح بنظره عني، ثم مسح جبينه، وهي حركة معبّرة غير متوقَّعة منه أبداً. «وبعد مرور شهرٍ على ذلك، التحقتُ أنا وليلى بهذه المدرسة».

لم أكن بحاجة إلى سؤاله عما إذا كانت قد ماتت، لأني رأيت الشعور بالذنب مرسوماً على وجهه. أنا متأكدة أنه كان يحبها.

ابتسمتُ له.

قطب حاجبيه. «ألا تعتقدين أنه من غير اللائق الابتسام عند سماع قصة كهذه؟».

«ابتسمتُ لأن هذه القصة تعني أن خلف كل تلك النظرات المدروسة والمغازلة المشتِّتة للانتباه، أنت قادر على تكوين مشاعر حقيقية».

«لحظة، مغازلتي لا تشتت الانتباه، بل تأسر القلوب وتمتلكها».

«وابتسمتُ لأن هذه القصة تعني أيضاً أنكَ تعتبرني صديقة».

«أنا أفكر بكِ حقاً»، قال رغم أنني لم أقل ذلك. تبادلنا النظرات للحظة، ثم أشاح بنظره عني.

تنحنحتُ. «أين ليلى؟».

«في المكتبة».

شعرتُ بالذنب فجأةً. لا بد أنها تقوم بالبحث عن طريقةٍ لإخراجي من هذه الفوضى، بينما أنا أختبئ هنا في سريري.

«في قاعة الطعام بالأمس. . .»، قال وكأنه قرأ أفكاري.

«أجل. تذكرتُ شيئاً. حديث مع...». اختنق صوتي. «خالتي. شقيقة أمي».

أومأ برأسه، وقد بدا واضحاً أنه أدرك أنها الخالة التي توفيت.

«أخبرتني الخالة جو عن وجود خلاف بين عائلة أمي وأبي حتى قبل ولادتي. وبعد كل ما قلتَه لي عن الدببة و الأُسود... ».

«لا بد أن والدك ينتمي إلى عائلة الأُسود، وهذا أمر عقّد علاقتهما على التأكيد، كما أنه يفسّر لماذا اختار والداكِ تنشئتكِ بعيداً عن الشبكة. في الواقع، ربما كانت أمك تنتمي إلى إحدى عائلات الدببة المرموقة، فوافق أبوك على الانضمام إلى **عائلتها** حين تزوجا، وهذا ما يفسّر بدوره كيف تمكّنتِ من الالتحاق بهذه الأكاديمية في وقتٍ متأخرٍ جداً». كان يتحدث بسرعة، وعيناه تلمعان.

«قد يكونون أخذوا مكانة أمي العائلية بعين الاعتبار عندما قبلوني هنا، لكن لماذا وافقوا عليّ بشكلٍ استثنائي وأنا أفتقر إلى التدريب الذي تلقاه كل الطلاب الآخرين منذ ولادتهم؟».

نظر إليّ وهو يفكر في السؤال. «ربما نشأتِ بعيداً عن ثقافة استراتيجيا، لكن من الواضح أنك تلقّيتِ تدريباً جيداً، فقد هزمتِ نيكس في الظلام، كما أنكِ بارعة في تسلق الأشجار، وتمكنتِ من اكتشاف كذبتي بحدسكِ، ونجحتِ أيضاً في إنقاذ آريا وأختي معاً في آخر تحدٍ شاركتِ فيه، ناهيكِ عن مهاراتكِ في استخدام السكاكين والسيوف. أنتِ مُرَشحة مثالية لهذا المكان، حتى لو كنتِ ضعيفة في التخطيط الاستراتيجي والتاريخ. لكن لماذا التحقتِ بصفّ الطلاب المتقدمين، وفي منتصف الفصل الدراسي...». اتكأ على مرفقه. «كما أن هناك حقيقة أن ماتيو تعرّف عليكِ، ويكنّ لكِ ضغينة شرسة لسبب ما».

«هل تعتقد أن الدببة قتلوا خالتي؟»، سألته بنبرةٍ جديّة.

قطب حاجبيه للحظة. «لا يمكنني الجزم في ذلك، لكن من الواضح أنك تعتبرين ذلك احتمالاً معقولاً، وإلا لما قمتِ بذلك الهجوم البهلواني في قاعة الطعام للنيل من أهم شخصيةٍ من الدببة هنا. لكن هناك الكثير من الخيوط المفقودة في هذه الفرضية، مثل السبب الذي يدفع الدببة لقتل بعضهم بعضاً وحمل كل هذه الضغائن».

هززتُ رأسي وتجنبتُ النظر في عينيه، فأنا لا أريده أن يرى قتامة مخاوفي. أنّ أبي والخالة جو كانا يعلمان أن هناك من يطاردهما، ما جعل أبي يرسلني إلى هنا. والآن وقد ماتت الخالة جو، لم يتبقَّ لهم سوى أبي ليعثروا عليه. نهضتُ ورحتُ أذرع الغرفة جيئةً وذهاباً. قد يكونون اقتربوا من مكانه الآن. صفعتني خطورةُ الوضع.

«ماذا الآن؟»، قال آش.

«أنا أتصرف كطفل أناني يتمرغ. علينا أن نعرف مَن أكون، وأن نوقف مَن يقوم بقتل الناس في هذه المدرسة. وبسرعة».

«هذا ما وصلتِ إليه أخيراً؟».

- «لا... أعني أجل، أعني... سواء كان الدببة أو الأُسود من قتلوا خالتي، الأمر مرتبط بما يحدث هنا، أنا واثقة من ذلك. ولا يمكن أن أبقى جالسةً هنا أنتظر أن يقوم أحدهم بقتل أفراد عائلتي الواحد تلو الآخر».

ابتسم وكأنه وصل إلى ما يريده أخيراً. «استغرقتِ وقتاً طويلاً».

«أنا جادة، يا آش، قل لي ماذا علينا أن نفعل وسأفعله».

«حسناً، علينا أولاً الذهاب إلى قاعة الطعام لتناول وجبة العشاء من دون أن نهاجم أحداً، فأمامنا ليلة طويلة».

32

وأنا أظفر شعري أمام مرآتي الصغيرة، صُدمتُ من مظهري؛ كانت ملامحي مُنهكةً، بدوت جافةً، كما كانت تقول والدة إيميلي حين كانت تبكي إحدانا إلى أن تجف من الداخل. في ذلك الوقت، حين كنتُ أعيش لحظات صعبة بسبب فتى أو امتحان معقد، كنتُ ألجأُ إلى منزل صديقتي، حيث تترك لي إيميلي حرية ذرف الدموع، وحين أفرغُ من البكاء، نتناول المأكولات السريعة ونشاهد الأفلام إلى أن نغطَّ في النوم على الأريكة. أما في هذا المكان، وبعد أن فرغت من البكاء، فعليّ البدء بجمع المعلومات عن قتلة قد يحاولون القضاء على عائلتي فرداً فرداً. ولست متأكدة حتى كيف أتعامل مع الأمر.

طرقت ليلى باب غرفتي برفق، ففتحتُ لها الباب.

«أنا جاهزة»، قلتُ لها، فناولتني عباءتي.

ارتديتُ العباءة ولحقتُ بها إلى غرفة الجلوس حيث كان آش منبطحاً على الأرض ينظر عبر الشق تحت بابنا الخارجي.

«هل هو ينتظر مرور الحارس؟»، سألتُ ليلى هامسةً.

«لدينا بضع ثوانٍ فقط عند تبديل الحراس، لذلك تأهبي وحافظي على هدوئك»، همست ليلى.

أومأت لها برأسي، لأخبرها أنني مدركة تماماً لخطورة الوضع، وأنني لن أتصرف بتهور.

نهض آش وراح يعدُّ سبع ثوانٍ على أصابعه، ثم فتح الباب دون أن يُصدر صوتاً. خرجنا جميعاً وأغلقنا الباب خلفنا دون أي صرير، وقطعنا الردهة وصولاً إلى السلالم. لم يكلف آش نفسه عناء الإنصات إلى الأصوات عند اجتيازنا الطوابق كما فعلتُ حين كنت وحدي، فلا بد أنه يعرف أماكن الحراس.

توقّفنا عند أسفل الدرج. كان هناك حارسٌ في الردهة يتجه إلى الفناء الخارجي، وفور إغلاقه الباب خلفه، ركضنا جميعاً عبر الأرضية الحجرية نحو الممر بالقرب من قاعة المدرسين، واجتزناه إلى نهايته حيث كان هناك باب مغلق. كان ظلام المكان يغلفنا، ولا صوت يصدر منا سوى صوت أنفاسنا. لكن لو استدار أحدٌ فجأة، فلم يكن هناك من مكانٍ نختبئ فيه.

أخرجت ليلى أداة تشبه مشبك الورق المطوي الذي استخدمته آينس في التحدي الأخير، لكنها أكثر تعقيداً. جثت على ركبتيها لتتحكم بالقفل جيداً، وحشرت تلك الأداة في ثقب المفتاح فيما كنتُ أراقب الممر. سمعت صوت قعقعة معدن، فقفز قلبي خوفاً، قبل أن أدرك أن مصدر الصوت هو القفل وليس أحد الحراس.

وفي أقل من أربع ثوانٍ، فتحت ليلى الباب، فعبرناه لنجد أنفسنا في ظلام حالك. رفعتُ يديَّ لأتحسس طريقي، فلامست أصابعي الستائر الثقيلة التي تغطي المداخل في هذا المكان. **هل هذا الباب يؤدي إلى الخارج؟** سمعت صوت القفل من جديد، وحبست أنفاسي استعداداً لما هو قادم.

أزاح آش الستارة قليلاً، وتحت ضوء القمر الخافت، رأيتُ السور المحيط بالمدرسة. نقرت ليلى على معصمي وتحركنا مجدداً،

فعبرنا الستارة ومشينا على طول المبنى المحاط بالأشجار. اجتزنا بابين وتوقفنا عند الثالث، فأخرجت ليلى أداة الأقفال من جديد. أنا لا أتذكر أنني رأيت هذه الأبواب من الداخل من قبل، ولستُ متفاجئة أن تكون هناك أماكن في هذه القلعة لا يمكنك الوصول إليها إلا من الخارج، لكني تساءلت عن شدة العقوبة التي ستُفرض علينا إذا ما أمسكوا بنا نتسلل إليها.

تمكنت من رؤية السور الخارجي على نحوٍ أوضح من خلال الأشجار. إنه سورٌ عالٍ يحيط بالقلعة المؤلفة من أربعة طوابق، ترتفع في زواياه أربع أبراج مستديرة، وتحيط به الأشجار لتشكل من حوله مظلةً عالية تشبه كثيراً فناءاتنا الداخلية. كم شخصاً حاول تسلق هذه الأسوار على مرّ السنين للهروب من هنا، يا تُرى؟ لا بدّ من وجود كمائن في أعلى السور، ولن ينجو من الأذى أي شخص يسقط من ذلك الارتفاع الشاهق.

وقفت ليلى وفتحت الباب قليلاً، ثم أومأت لنا لنلحق بها. ولدهشتي، وجدتُ نفسي في مطبخٍ كبير ذي سقفٍ مقبب تتقاطع فيه عوارض خشبية. كانت هناك رفوف على طول الجدران، تحمل مئات المرطبانات التي تحوي التوابل، والأطباق المكدسة، كما كانت هناك أوانٍ من جميع الأحجام معلَّقةٌ من سنانير حديدية، فيما تُركت بعض النشابات وأطباق التقديم على طاولة كبيرة لتُستخدم في الغد. لطالما كان المطبخ مكاني المُفضّل في أي منزل، أما هذا المطبخ، فبدا وكأنه مأخوذٌ من إحدى قصص الخيال.

أيقظني من أفكاري الحالمة صوت مفتاحٍ يدور في قفل أحد الأبواب، فركضتُ لألحق بآش وليلى عند بابٍ مقابلٍ للجدار الأيمن. رفعت ليلى المزلاج، وأصبحنا بلمح البصر داخل الغرفة المظلمة.

أغلقت ليلى الباب برفقٍ، وسمعنا في نفس اللحظة الباب الخارجي يُفتح، فدفعنا آش جميعاً بمحاذاة الجدار، حيث كانت كتفاي ملاصقتين لكتفه وكتف ليلى. كانت درجة الحرارة أبرد بكثير منها خارجاً بحيث كان بالإمكان رؤية أنفاسي لو أن هناك ضوءاً فقط. أخذت نفساً عميقاً لتهدئة نبضات قلبي، وثبتُّ قدميَّ بحيث أبقى متوازنة.

حبستُ أنفاسي عند سماع صوت رفع مزلاج الباب، ولم أجرؤ على التحرّك قيد أنملة. تسرّب ضوء خافت داخل الغرفة وارتسم معه ظلٌّ طويل ومخيف لحارسٍ قوي البنية. لو أن الحارس فتح الباب أكثر لاصطدم بليلى، ولو أنه تقدّم خطوة أخرى من ناحية الباب لرأى آش بالتأكيد.

تابع الحارس تقدمه، فأضاءت الشمعة التي يحملها الغرفة، وكدت لا أصدق أنه لم يسمع صوت دقات قلبي. انعكست ومضاتٌ من الضوء على الرفوف المليئة بأواني البورسلان الملفوفة بقطع من القماش، ثم اختفى الضوء بنفس السرعة التي ظهر بها، وأُغلِقَ الباب، ليتركنا في الظلام من جديد.

لم تكن ليلى تمزح حين قالتْ إنه لدينا بضع ثوانٍ فقط للتحرك، فلو أنها تأخرتْ في فتح أحد الأقفال، أو كانت هناك لحظة تأخير في أي حركة، لكنا وقعنا بين أيديهم بكل تأكيد.

أبعدَ آش كتفه الملاصقة لي بعد أن سمع الباب الخارجي يُغلق ثم يُقفل، وتنفستُ الصعداء أخيراً، فيما أشعلت ليلى على يساري عود ثقاب وأضاءت شمعة.

توجّه آش نحو ما بدا وكأنها خزانة خشبية كبيرة بخمسة أبواب، أربعةٌ منها مربعة الشكل والباب الخامس طويل وضيق. خفق قلبي بشدة. **درجة الحرارة المنخفضة. . . يا إلهي، لا، أرجوك.** هزرت

رأسي، كما لو أنني أستطيع إقناع آش عن طريق التخاطر ألا يفتح الصندوق الطويل في الخزانة. كانت هناك طاولةٌ طويلة قرب الخزانة، وجحظت عيناي عندما وقعتا على مجموعتين مما تبدوان وكأنهما ثيابٌ ملطخةٌ بالدماء، وأحذية، وبعض المعدات الطبية القديمة.

فتح آش المزلاج على باب الصندوق الطويل وأمرني صوتٌ في داخلي بأن أغلق عينيّ، لكني لم أستطع إلا أن أنظر، وكما خشيت، كانت جثة الحارس ذي الندبة تقف منتصبةً في الداخل، متجمدةً هناك بعينين نصف مغمضتين. تراجعتُ خطوتين إلى الخلف وأنا أرتجف وأغطي فمي بيدي.

قرَّبت ليلى الشمعة من وجهه، فظهرت ملامحه المتجمّدة بوضوح.

«ليست هناك أي كدمات أو جروحٍ»، همس آش، ثم تفحّص يديّ الحارس. «لا علامات على مفاصل أصابعه، ما يعني أنه لم تكن هناك مقاومة قوية. هل هاجمه أكثر من شخص؟».

«لا أثر لأيِ ضربةٍ على الوجه كذلك»، همست ليلى، ثم اقتربت منه لتلقي نظرة فاحصة على جرحٍ في عنقه.

«هذا غريبٌ»، قالت، «الجرح ليس مستوياً، لم ألاحظ ذلك عندما كان مغطىً بالدماء في الممر».

«ماذا يعني ذلك؟»، سألتها، «هل استخدم القاتل شفرة مسننة؟».

«لا»، أجابت، ثم قطبت حاجبيها. «الجرح ليس منتظماً بما يكفي ليكون ناتجاً عن أداةٍ مسننة».

اقترب آش من جثة الحارس، فجحظت عيناه. ظهرت عليه علامات الدهشة للمرة الأولى. «إنه زجاج، يا ليلى. أراهن أنهم

استخدموا زجاجاً - حاداً بما يكفي لإحداث جرح عميق بسهولة، ومسنناً بما يكفي ليكون الجرح فوضوياً».

شعرتُ بضيقٍ في صدري، وبدا لي فجأةً تفسير آش منطقياً.

«الزجاج المكسور من غرفتي. هل تعتقد...»، قلتُ وصوتي يخبو.

«أجل، لا بد أن أحدهم أخذ قطعةً منه قبل أن ترميه بيبا»، قالت ليلى وهي تومئ برأسها.

«لحظة... لا أعلم ما إذا كان الأمر مهماً»، قلتُ لهما، «لكني رأيتُ جرحاً في راحة يد فيليكس عندما كنا في درس السموم، وأذكر أنني قلت لنفسي إن يده لم تكن مجروحة في حصة المبارزة في اليوم السابق، لأنني كنت أبحثُ يومها عن جراح بسبب الرسالة التي كُتبت بالدم على أرضية غرفتي».

«آش، ابحث في جدول فيليكس وانظر إن كان هناك سبب لذلك الجرح، هل يمكنك ذلك؟»، قالت ليلى، «وانظر ما إذا كان قد حضر أي درسٍ يتضمّن القتال بين حصتَي المبارزة والسموم، أو إن كانت هناك أي مناسبة أخرى قد تسبب له جرحاً».

أومأ آش برأسه، لكنه بقي واقفاً في مكانه يتفحّص جثة الحارس باهتمام.

«علينا فحصه من الخلف»، قالت ليلى، «إذا كان بإمكانكما أن تميلاه إلى الأمام قليلاً، فسألقي نظرة».

التفتا إليّ، وتطلّب الأمر مني أن أستجمع كل ما تبقى لديّ من ضبط النفس كي لا أرفض طلبهما، فليس هناك وقتٌ لحساسيتي المفرطة، لذلك أجبرتُ نفسي على الاقتراب من الجثة. كان آش قد وضع يداً على الكتف اليمنى للحارس، ويداً على صدره لتحمل وزنه.

وضعتُ يدي داخل صندوق الثلج المبطّن بالمعدن، ولمست

بحذرٍ الذراع اليسرى للحارس التي كانت متيبسة ومغطاة ببلورات من الصقيع تشبه تلك التي نراها داخل حافظات المثلجات القديمة.

«جاهزة؟»، سألني آش.

بلعت ريقي. «أجل».

وضعتُ يدي الأخرى على صدر الحارس، وأماله آش إلى الأمام قليلاً. كدت أسقط تحت ثقل وزنه لكني سرعان ما استعدتُ توازني، فساعدت آش على وضعه على شكلٍ أفقي. جثونا على الأرض لنسند جسده المتيبّس.

ألقت ليلى نظرة متفحصة على مؤخرة رأس الحارس ومرّرت يدها عليها، باحثة عن أي كدمات قد تكون أفقدته الوعي. «لا شيء»، قالت، ثم مرّرت الشمعة فوق ظهره فاستوقفها شيءٌ عند لوح كتفه الأيسر.

«آها»، قالت، فتوجّهت أنظارنا إليها. «لديه وشمٌ على كتفه، لكن هناك ندبة فوقه...».

انحنيتُ إلى الأمام لأرى الندبة عن كثب، فاقشعر بدني. بدت وكأنها حرق.

«هل يمكنكِ تحديد سبب الندبة؟»، سأل آش.

قرّبت ليلى الشمعة إلى جلد الحارس، وانحنت نحوه أكثر. التزمتْ الصمت لبضع ثوانٍ مستغرقةً في التفكير، وهي تحرك الشمعة للحصول على رؤيةٍ أوضح من عدة زوايا.

ثم وقفتْ وعضّت على شفتها السفلى. «هيا، أعيداه إلى مكانه»، قالت، وبدأتُ برفعه قبل أن تُنهي كلامها. أوقفناه من جديد، وأعدناه إلى داخل الصندوق المعدني، ثم أغلق آش باب صندوق الثلج.

مسحتُ أصابعي المبللة ببنطالي، وتمنيت لو بإمكاني الاستحمام

في الحال. لكن لا توجد حمامات في هذا المكان، وعليّ الانتظار حتى صباح الغد لأطلب من بيبا إحضار بعض الماء الساخن للاستحمام. قمتُ بهزّ يديَّ لعل ذلك يُشعرني بأنها أنظف.

رنت ليلى بنظرها بعيداً، شاردةً في أمرٍ ما.

«ليلى؟»، ناداها آش، «تعلمين أنني لا أحب أن تتركيني في هذه الحالة من التشويق».

لكن ليلى لم تجب، بل راحت تخطو جيئةً وذهاباً في الغرفة الصغيرة وكأنها تتحدث إلى نفسها.

بدا واضحاً من ملامح آش أنه لا يتحلى بالصبر. لكن خفّف عني هذا المشهدُ الاستياءَ الذي شعرت به كل مرة قابلتني فيها ليلى بالصمت.

وبعد مرور لحظاتٍ بدت طويلة جداً، وقفت ليلى والتفتت إلينا. «ماذا لو كنا مخطئين؟»، سألتنا.

«مخطئون في ماذا؟»، ردّ آش بانزعاج.

«الحارس»، قالت ليلى وهي تشير إلى الصندوق حيث توجد جثته. «ماذا لو أنه لم يقصد تهديد نوفمبر حين قال لها ''أنتِ التالية''؟».

نظرتُ إليها بريبة. «ما الذي تقولينه؟».

«أقول إن الحارس قد خاطر كثيراً حين تحدّث إليك، فقد سبق وأخبرتكِ أن الحراس لا يخالفون هذه القاعدة **أبداً**. فلماذا يخاطر بتوجيه تهديدٍ لفظي لك فيما هناك طرق غير لفظية كثيرة يمكنه أن يهددكِ بها؟».

«ليلى، **ما نوع الوشم الذي يحمله؟**»، سأل آش.

لكن ليلى لم تجب، بل رفعت يدها مشيرةً لآش بأن يصمت.

«لا تنسي أنه هو من أبلغ بلاكوود وكونر عني في الليلة التي عثرتُ فيها على جثة ستيفانو»، قلت لها.

«أذكر ذلك، كما أذكر أن كونر قال **لكِ** إن الحارس قد غيَّر مساره في تلك الليلة، واتفقنا جميعاً على غرابة الأمر»، قالت ليلى.

حدقتُ بها وأنا أحاول أن أفهم ما ترمي إليه.

«**ليلى**»، ناداها آش بإلحاحٍ.

لم تلتفت إليه بل واصلت التحديق بي. «نحن نشك الآن بأن مَن قتل ستيفانو كان يقصد في الحقيقة قتل ماتيو وإلصاق التهمة بكِ، ولأنكِ من عائلة الدببة، تكون جريمةً **كاملة**، لأنها تحقق التخلص من اثنين من الدببة بحجر واحد». أومأتْ برأسها مشيرةً إلى الثلاجة. «يشير الوشم على كتف الحارس إلى انتمائه لعائلة الدببة. أجل، لقد سلك مساراً مختلفاً في تلك الليلة، لكن على نحوٍ ما، انتهى به الأمر أمام باب غرفتكِ في نفس اللحظة التي وصلتِ بها. ثم أبلغكِ برسالةٍ، وانتهى به المطاف مقتولاً في الليلة نفسها، **أمام باب غرفتكِ**».

تراجعتُ خطوة إلى الخلف، وراح قلبي يخفق بشدة. «كانت بيبا معجبةً به كثيراً»، همستُ لهما.

«هذا دليلٌ آخر يُثبت وجهة نظري»، قالت ليلى، «لنفكر بالأمر قليلاً: لم يكن أمام هذا الحارس سوى الإبلاغ عنكِ في ليلة الجريمة لأنك رأيتِه أيضاً. لكن ماذا لو كان **يفترضُ بكِ** رؤيته يومها؟»، سألت ليلى، «ماذا لو كان يحاول إبلاغكِ برسالة ما، لكنك قمتِ بإغلاق الباب في وجهه قبل أن يستطيع ذلك؟».

«يا إلهي... هل تريدين القول إنه لم يكن يهددني على الإطلاق، بل كان **يحذرني**؟ ويتتبّع أثري طوال الوقت؟»، قلت وأنا أحرك يديّ بتوتر.

«كان يحميك،» قالت ليلى، «وإذا كان الأمر كذلك، وهو ما أُرجّحُه، فهنالك احتمالٌ قوي أن يكون مات لهذا السبب». نزلت كلماتها عليّ كالصاعقة.

«هل تقصدين أن أحدهم كان قادماً ليذبحني **أنا**؟». كان من الصعب عليّ تقبُّل فكرة أن يكون الحارس قد قُتِل وهو يحاول حمايتي. شعرتُ فجأةً بالحزن والغثيان في آنٍ واحد.

«أجل»، قالت ليلى، وأوحت جديّة نبرتها بأنها تدرك خطورة الوضع أيضاً.

فرك آش جبينه.

«لكن لماذا؟»، سألتُها، «لماذا قد يقرر الحارس حمايتي؟».

«أعتقد أنها تقصد أن الحارس كان على صلةٍ بأحد أعضاء الهيئة التدريسية، وإلا لما تجرّأ أبداً على التحدّث إليكِ. وقد يكون ذلك الشخص هو من **طلب** منه حمايتكِ»، قال آش بنبرةٍ مشوبة بالقلق. «وهذا يعني أنه مهما كانت هناك من أمور خفية لم نفهمها في كل الفوضى التي حصلت هنا مؤخراً، ما يجري هنا يتعدى نطاق الطلاب بكل تأكيد».

وقفنا لوهلة ننظر إلى بعضنا البعض، ونستوعب ثقل هذه الاستنتاجات.

«لقد قضيت بعض الوقت خارجاً مع ستيفانو في الليلة التي قُتِل فيها»، قالت ليلى برقّة. «كان لديه اعتقادٌ بأن شبكة نفوذ الأسود تمتدّ في المدرسة، وأنه سريعاً لن يكون هناك مكان آمن للدببة أو لأي عائلةٍ أخرى تقف في وجه الأُسود. حسناً... ربما هذا أمر جيد. ربما يعني ذلك أن أحد أعضاء الهيئة التدريسية قرر الوقوف في وجه الأسود عن طريق هذه المدرسة»، قالت بنبرة صوتٍ مؤيدة.

«كنتِ برفقة ستيفانو ليلاً قُبيل مقتله؟»، سألها آش بطريقةٍ غريبة جعلتني أنظر إليه، «وكان يعطيكِ معلوماتٍ عن **الأُسود؟**».

«أجل، هذا ما حصل»، أجابت ليلى، ورغم أن المكان مظلم،

إلا أنني لاحظت أنها احمرّت خجلاً، وتجنّبت النظر إلى آش مباشرةً.

وبينما كنت أُحدِّق فيها، بدأت الصورة تتضح أمامي فجأة. ياللهول. إذا كانت ليلى تقضي وقتاً مع ستيفانو ليلاً، فلا بد أنها كانت تخرج بعد أن أخلد إلى النوم، لأنها كانت توجد في غرفتها عند حظر التجول. هذا يعني أنها كانت تتسلل إلى الخارج. ولا بد أنهما كانا مقربين ليخبرها بالأسرار، مقرّبين أكثر بكثير مما كان آش يعتقد. هل كانت ليلى **تواعد** ستيفانو؟ ومن التعابير على وجهه، بدا لي أن آش يسأل نفسه السؤال نفسه.

انتابني شعور بالذنب فجأة. تذكرت كيف أنني أُصبت بالذعر حين لمستُ دم ستيفانو وأنا أبحث تحت ذلك السرير، وكيف تحدثتُ عنه وكأنه جثة هامدة، فيما كانت ليلى طوال هذا الوقت تقاسي في صمتٍ فقدان شخصٍ قريبٍ إلى قلبها. بل ربما قريب جداً.

كان آش وليلى يتبادلان النظرات.

بادرتُ في الحديث لكسر التوتر بينهما. «لكن لماذا، يا ليلى»، سألتها. «لماذا يلاحقني الأُسود أنا بالذات، فيقتلون ستيفانو ويحاولون إلصاق التهمة بي أولاً، ثمَّ يلجؤون إلى نيكس، ثم يرسلون شخصاً ليذبحني؟ وفي المقابل، لماذا يحاول أحدهم حمايتي؟».

«تماماً»، قالت ليلى. «هذا هو السؤال. وإذا لم نصل إلى الجواب سريعاً، فأعتقد أننا سنندم على ذلك».

ظلّ آش صامتاً، يحدّق بأخته.

مكتبة
t.me/soramnqraa

33

عند دخولي درس التاريخ برفقة ليلى، فاجأني أنني صرت أقوم بالأمور نفسها التي بدت لي غريبة جداً في يومي الأول هنا - السير بصمتٍ، مراقبة الطلاب الآخرين خلسةً، والتحدث بصوتٍ خافت. ومنذ أن استيقظنا هذا الصباح، ها هي ليلى تلتزم الصمت مجدداً، لكن ليس الصمت الذي تلجأ إليه عند التفكير بأمرٍ ما. بدت قلقةً ومستاءة، لكنها رفضت التحدّث في الأمر. تساءلتُ عمّا إذا كان لذلك علاقة بالإفصاح عن علاقتها بستيفانو، ورغم حداثة معرفتي بها، إلا أنني أعلم أن الأمر صعب عليها، كما أنني أعلم جيداً أنني إذا تحدثت في الموضوع، فسأزيد الطين بلة.

كان برندان في الصف، وبدا عليه قلة النوم مثلي تماماً، كما بدا التجهم على وجه ليلى، وبدا الجميع في حالة توتر ملموسة. كان الجو مشحوناً إلى درجة تجعلك تلتفت من حولك خوفاً، أو تجفل فزعاً إذا ما لمسك أحدهم عن طريق الخطأ.

«هل يمكننا البدء؟»، قالت كارتال، إلا أنه لم يكن ذلك سؤالاً في الواقع. كانت تقف وتنقر بأصابعها على مجسم الكرة الأرضية أمامها، بينما يأخذ الطلاب مقاعدهم.

كان فيليكس وآريا آخر الواصلين، وأوحت لي لغة جسديهما بأنهما كانا يتشاجران.

«اجلسي»، قالت كارتال لآريا، ويمكنني الجزم بأنها لا ترغب في ذلك.

شدّت على قبضتيها، لكنها تهاوت على كرسيّها.

«والآن... كان فرسان الإسبتارية مُدرَّبين على القتال حتى آخر جندي، بغضّ النظر عن الصعاب التي تواجههم»، قالت كارتال، ثم نظرت إلى آريا. «وكانوا مبرمَجين على ذلك في عام 1271 عندما هاجمهم السلطان بيبرس في قلعة الحصن في سورية. وفي غضون شهر، تمكّن السلطان من محاصرة الفرسان داخل أسوار القلعة، لكنه كان يعلم أنهم لن يستسلموا أبداً، لذلك فكّر بحيلةٍ ذكية، فأرسل إليهم رسالةً مزورة، يفترض بها أن تكون من السيد الأكبر للفرسان».

صمتتْ وجالتْ بنظرها في أنحاء الغرفة، وتوقفت عيناها عليّ لحظة. «أعطت الرسالةُ الفرسانَ الإذن بالاستسلام، حتى أنها تضمنت تعليماتٍ حول كيفية القيام بذلك. ولكم أن تتوقعوا ما حدث؛ وقع الفرسان البواسل في الفخ، ومقابل استسلامهم، أبقاهم السلطان على قيد الحياة». ابتسمت كارتال وتابعت: «أُحب هذا النوع من قصص التاريخ، قصص تظنون أن نهايتها واحدة حتمية، لكن لا ينتهي الأمر على هذا النحو. في ظاهر الأمر، واجه السلطان ما بدا أنه وضع متصلب، لكنه تصرّف بفطنة وذكاء. لم يقتصر تفكيره على القتال فحسب. فما هو الدرس هنا؟ ما الذي فعله السلطان والذي يمكننا التعلم منه؟».

ساد صمتٌ غريب في الصف. ففيما كانوا يتسابقون عادةً إلى الإجابة والتقدّم بعضهم على بعض، ها هم الآن شاردو الذهن

ومُنهكون. وفي ضوء كل ما حدث، تساءلت ما إذا كانت هناك رسالةٌ خفية في القصة التي روتها كارتال.

«نوفمبر؟»، نادت كارتال.

عدتُ بتركيزي إلى الدرس. «لم يأخذ ما يعرفه عن الفرسان كأمرٍ مُسلَّم به».

«وضّحي أكثر رجاءً».

«حسناً، كما ذكرتِ، كان معروفاً عن الفرسان أنهم يقاتلون حتى آخر جندي»، قلت وأنا أحاول تحليل الأمور من الجانب النفسي كما تفعل ليلى عندما تتحدث عن التاريخ. «التصرف الطبيعي في هذه الحالة هو أن يعتبر المرء ذلك حقيقةً ثابتة ويستعد لمواجهتهم في المعركة. لكن ما فعله السلطان كان مميزاً، فهو أعطى الفرسان فرصةً للتصرف على نحوٍ مختلف، فغيّر ما كان يعتقد الجميع أنه ثابت لا يتغير».

قامت كارتال بتدوير مجسم الكرة الأرضية أمامها. «أجل، تماماً، لا يتعلق الأمر دائماً بوضعٍ ثابتٍ كما قلتِ، بل بطريقة تعاطي الناس مع هذا الوضع. وفي أغلب الأحيان، نحتاج إلى النظر في الأمور من زاويةٍ مختلفة».

فُتِحَ الباب فجأة فالتفت الجميع. دخلت بلاكوود يتبعها اثنان من الحراس، فارتفع مستوى التوتر في الغرفة.

«ليلى ونوفمبر»، قالت بلاكوود، تعاليا معي.

تصبب جبيني عرقاً في الحال، ورمقتني آريا بنظرة خبيثة. وقفنا ولحقنا ببلاكوود إلى الردهة. وحين مررتُ بمحاذاة الحارسين، توقعتُ أنهما سيشكان حقنة في ذراعي ثم يلقيان بي في السجن، لكن هذا لم يحدث، بل سارا خلفنا بصمتٍ بدلاً من ذلك.

استرقتُ نظرةً إلى ليلى، لكنها كانت تنظر أمامها مباشرةً،

وبدت مُحبطةً كما كانت حالها طوال الصباح. تزاحمت في ذهني كلُّ القوانين التي خالفناها وصورةُ الحارس المقتول أمام بابنا، وقد تكون كلُّها أسباباً محتملة لإخراجنا من الصف. لقد تقصدّت بلاكوود القيام بذلك في العلن، وكأنها تريد أن تجعل منّا عبرةً للجميع.

أخذت أتنفس بعمق لإبطاء ضربات قلبي والتخفيف من تشنج جسدي كما توصي كتب فنون الخداع، فلا أريد أن أُفسد جهود ليلى التي ستحاول بالتأكيد إخراجنا من هذا المأزق، بإظهار خوفي وقلقي.

فتح أحد الحارسَين باب مكتب بلاكوود فدخلنا وجلسنا في أماكننا؛ بلاكوود خلف مكتبها، وأنا وليلى على الكرسيين أمامها.

«حسناً»، قالت بلاكوود بعد أن استغرقت وقتاً طويلاً في النظر إلينا، «أنا متفاجئة، يا ليلى، وأنا شخص لا يتفاجأ بسهولة».

نظرتُ إلى ليلى، وكان وجهها خالياً من أي تعبير.

«لقد تحدثتُ إلى الدكتور كونر منذ بضعة أيام، هل تعرفين ماذا قال لي؟»، سألتْ بلاكوود. أوه، هذا لا يبشر بأي خير.

«قال لكِ إنه رآنا آتيتين من ممر مهجع الفتيان»، قالت ليلى بسرعة وكأن بلاكوود تسألها كيف كان طعام الإفطار. «هو لمّح لنا أنه لم يقتنع بجوابنا حين سألَنا عن الأمر».

«هو لم يقتنع فعلاً، كما ينبغي له»، قالت بلاكوود.

لم تنطق ليلى ببنت شفة، ولا ألومها على ذلك. فإذا قالت إننا ذهبنا إلى غرفة آش فستجيب بلاكوود أنها تعرف أن آش لم يكن في غرفته، وإذا قالت إننا كنا نتمشى فحسب، فسيبدو الأمر تبريراً مبتذلاً يوحي بأننا مذنبتان.

«هل كنتِ تعلمين أن ماتيو كان لديه درس وكان في الصف، بعكسك؟»، سألت بلاكوود.

«نعم»، قالت ليلى ووجهها لا يزال خالياً من أي تعبير.

«بعد أن رآكما الدكتور كونر آتيتين من ذلك الممر، ذهب وفحص غرفة ستيفانو، وقد لاحظ شيئاً غريباً على منضدة السرير. هل تعرفين ما سأقوله الآن؟»، قالت بلاكوود.

هزّت ليلى رأسها، ولم يسعني إلا أن أتذكر غوبتا، وكيف كان ليلاحظ أن ليلى أجابت على كل الأسئلة بجواب لفظي ومن دون حركة من رأسها، وكيف أن هذا تغيّر فجأةً.

«قال إن هناك عود ثقابٍ مفقود، وإن ماتيو وخادمه أكّدا أنهما لم يستخدماه»، قالت بلاكوود وهي تنظر إلى ليلى، فاستغربتُ أنها تنظر إلى ليلى وتخاطبها وحدها، دون الاكترات لي على الإطلاق.

«قضية عود الثقاب المفقود، دن، دن، دن»، قلتُ بصوتٍ عالٍ. كانت حدة بلاكوود تجاه ليلى تشعرني بالتوتر، فما بالك بليلى؟! كان بإمكاني على الأقل أن أمنحها بعض الوقت لتستجمع أفكارها.

ونجحتُ في ذلك، إذ التفتت بلاكوود إليّ وقالت: «هل تظنين ذلك مُضحكاً؟».

«لا، على الإطلاق، ظننتُ فقط أننا بحاجةٍ إلى تلطيف ــــ».

رفعت بلاكوود يدها، وكان واضحاً أنها انزعجت. «سأعود إليكِ، لكن حتى ذلك الحين، عليكِ التزام الصمت»، قالت بنبرة قاسية.

«عُلِم»، قلت لها، وأقسم لو أن عينيها تطلقان النار لكنتُ ميتة الآن.

عادت بلاكوود للتركيز على ليلى، وكانت تعابير وجهها لا تُفسَّر. «عندما وقعت أولُ جريمة قتل الأسبوع الماضي، ظننتُ أن المجرم شخصٌ واحد، لكنني أعلم الآن أن هذه الفرضية خاطئة،

فهناك شبكة من الأشخاص مسؤولة عن كل ما حدث هنا مؤخراً، وأعلم أيضاً أنه إذا فَلَتَ مني شخصٌ واحد فسوف تستمر هذه الفوضى والجرائم لا محالة. الأشياء الغريبة تحدث أحياناً لسببٍ معين، فالمصادفات ليست مصادفات».

ضاق صدري. لقد سبق لكارتال أن ذكرت نفس هذه الكلمات تقريباً في درسي الأول معها - الأشياء الغريبة تحدث لسببٍ معين. وكانت تقول إن المصادفات ليست مصادفات في الحقيقة. انتابني شعور غريب بالارتياح لأني علمت أن ثمة رسالة أو شيفرة ما وراء هذه القصص، وأن الأمر لا يتعلق بإطلاقي العنان لشعوري بالارتياب. لكني أتساءل الآن عما فاتني أو عما غفلتُ عنه حين تعاملتُ مع هذه الرسائل المبطنة باستخفاف. كان أبي يقول لي حين كنا نلعب معاً: «**ابحثي عن التفاصيل الدقيقة المختلفة، عن نمطٍ معيّن، وستقودك هذه إلى الاتجاه الصحيح**».

«لم أكن غافلة، يا ليلى، عن محاولتكِ التقرب من ماتيو وستيفانو في الشهور القليلة الأخيرة»، قالت بلاكوود وأيقظتني من شرودي.

تشنجتت ليلى.

«ومن المثير للاهتمام أن تتقربي من شريكتك في الغرفة، رغم أن ماتيو يكرهها بشدة»، قالت بلاكوود، «وأن تتواجدي، ياللغرابة، في قاعة الطعام وهما يتقاتلان في الممر». دحرجت بلاكوود قلم رصاصٍ على مكتبها، وكان ذلك الصوتَ الوحيدَ في الغرفة، إلى جانب صوت احتراق الخشب في المدفأة. «ثم تقفين في صف شريكتكِ الجديدة في السكن التي تكادين لا تعرفينها. تبدو لي هذه تصرفاتٍ غريبة ممن يفترض أنها صديقة ماتيو».

نظرت بلاكوود إلينا، وبدت كصقرٍ على وشك الانقضاض على

فريسته. «أين كنتِ حين كان آش ونوفمبر في فناء الكرمة تلك الليلة؟».

«نائمة»، قالت ليلى بالنبرة الهادئة نفسها، لكني شعرت باختلافٍ طفيف في صوتها، وكأنها أكثر تشنجاً الآن، ورغم قدرتها الكبيرة على التحكم بنفسها، إلا أن بعض التوتر تسلل إلى صوتها.

«صحيح، طبعاً، هذا ما قلتِه المرّة الفائتة».

كنت أرغب في التدخل والدفاع عن ليلى، لكن ملاحظة مني الآن قد تزيد الأمور سوءاً.

التفتتْ بلاكوود نحوي. «نوفمبر، هل كسرتِ كوب الماء في غرفتك في اليوم السابق لمقتل الحارس؟».

يا إلهي. «أجل».

تراجعتْ بظهرها إلى الخلف، وكأنها تعلم أنها انتصرت. «هل ساعدتكِ ليلى في تنظيفه؟».

لقد رأت بيبا ليلى وهي تساعدني، فلا مجال لنفي الأمر. «أجل».

«هل رأيتِ ليلى تأخذ أياً من ذلك الزجاج»، سألت بلاكوود وهي تضم يديها.

«تأخذ أياً منه؟ لا، بالتأكيد لا»، قلت لها.

قامت بلاكوود بتسوية الكشكش على أكمام قميصها. «لقد ذُبحَ الحارس الذي قُتلَ أمام بابكما بقطعة زجاج»، قالت بلاكوود، ولو كنت من النوع الذي يُغمى عليه، لكان أُغمي عليّ في تلك اللحظة. «وكوبكِ هو الكوب الوحيد في المدرسة الذي انكسر على مدار العام».

شعرتُ بليلى خائفة الآن.

«هل أخذتِ أنتِ أياً من ذلك الزجاج، يا نوفمبر؟»، سألتني بلاكوود.

«لا»، أجبتها بسرعة.

«ليس أمامي إذاً سوى الاستنتاج أن ليلى مَن فعلت ذلك».

«لا، لم تفعل»، قلت لبلاكوود. «لم تأخذ ليلى أي زجاج، وأنا أيضاً لم أفعل. أنا واثقة أن ليست ليلى من فعل ذلك». كنت مدركة أن كلامي لن يساعد في شيء، وأن لا دليل لديّ على أقوالي، لكن لم يكن بإمكاني الجلوس هناك فحسب، والتفرج إلى ليلى وهي تُحاصَر من قِبل بلاكوود.

«بقدر ما أود الاستماع إلى ترهاتك التي لا تنتهي، يا نوفمبر، إلا أنه عليّ البت في الأمر. ليلى، ستذهبين إلى السجن بتهمة قتل حارس من حراس الأكاديمية»، قالت بلاكوود، فكدتُ أسقط أرضاً.

«ماذا؟»، قلتُ وأنا أستشيط غضباً، «ليس لديك أي دليل على أن ليلى فعلت أي شيء!».

كان الشرر يتطاير من عينَي بلاكوود. «ستكونين مخطئةً جداً إذا ظننتِ أنني بحاجة إلى تبرير أيٍّ من قراراتي لكِ. وإذا استمررتِ في مجادلتي، أعدكِ أن هذا سيجعل الأمور أسوأ بالنسبة إلى ليلى»، قالت ثم أشاحت بنظرها منهيةً المحادثة وصاحت: «أيها الحراس!».

فتحوا الباب ونظرت ليلى إليّ بعينين يملؤهما الخوف، فقفزتُ لأقف أمامها، قاطعةً الطريق على الحراس. نظر الحراس إلى بلاكوود فأومأت لهم، وبغضون ثوانٍ، كانوا قد أمسكوا بنا وغرزوا حقنتين في ذراعينا.

شعرتُ برؤيتي تتغبش ثم تحوّل العالمُ من حولي إلى ظلام.

تحسّست رأسي، كان يؤلمني كما لو أنني سقطتُ عليه. كنت مستلقية على الأريكة في غرفة الجلوس، والستائر مُسدلة، والنار تستعر في المدفأة كما هي العادة حين توقدها بيبا كل مساء. **لكن كيف وصلتُ**. . . تذكرتُ كل ما حدث بعد الظهر دفعة واحدة.

نهضتُ بسرعة ورحتُ أفرك عينيّ لأصحو. **ليلى**. يجب أن أساعد ليلى. كل هذا خطئي. **أنا** من تسللتُ خارجاً في تلك الليلة **وأنا** مَن ورطتُ ليلى معي. حدّقتُ في نار المدفأة وأنا أسترجع كل الأحداث الفظيعة التي جرت خلال الأسبوعين المنصرمين. ليلى تقبع في السجن، وخالتي جو ماتت، وهناك من يحاول قتلي. ولا أعلم شيئاً عن مكان أبي، فقد يكون مطارداً ويحاول النجاة بحياته.

«نوفمبر؟»، ناداني آش بصوتٍ خفيض، ثم ظهر عند باب غرفة ليلى.

لم أجفل هذه المرة. أردتُ الاعتذار له عما حدث لليلى، وإخباره أنني حاولتُ منع الحراس من اقتيادها، لكن لا جدوى من الاعتذار الآن. «لقد أمرت بلاكوود بإرسال ليلى إلى السجن»، هذا كل ما استطعتُ قوله.

«أعلم ذلك». نظر إليّ بحدّةٍ مجدداً، لكني لا ألومه. «عندما

سمعتُ أثناء الغداء أن بلاكوود أخرجتكما من الفصل ولم تعودا بعدها، أتيتُ إلى هنا بحثاً عنكما، لكنني لم أجد سواكِ، مخدَّرةً على الأريكة. عرفتُ عندها أن ليلى في السجن على الأرجح، وأنهم قاموا بتخديرك لأنك حاولتِ منع الحراس من أخذها».

أومأتُ برأسي وتنفست الصعداء. إنه يعلم أنني حاولتُ الدفاع عنها على الأقل.

«أخبريني عن المحادثة التي دارت بينكما وبين بلاكوود، أريد معرفة كل التفاصيل».

فأخبرته بالتفصيل الممل عمّا دار بيننا في ذلك الاجتماع، من البداية حتى النهاية، وأصغى إليّ حتى انتهيت من الكلام دون أن يقاطعني.

«ثمة أمرٌ يحيرني»، قلت لآش، «لم يكن هناك من سببٍ لتقوم بلاكوود بمعاقبة ليلى أمامي. كان من الأسهل أن تتركني في الصف».

راح آش يفكر في كلامي. «ربما أرادت بلاكوود أن تسمعي وتعلمي أن الدكتور كونر اكتشف أمر عود الثقاب المفقودة، وأن تعلمي بقطعة الزجاج».

«لكن لماذا؟»، سألته، «إلا إذا كانت تريدني أن أعلم لأنها هي من طلبت من ذلك الحارس أن يعتني بي. هل يُعقل أن تكون بلاكوود عضوَ هيئة التدريس الذي تكهنت ليلى بأنه يحارب الأُسود؟ لكن كيف يُمكن أن تكون هي، وتأمر في الوقت نفسه بإرسال ليلى إلى السجن؟».

هزّ رأسه، وبقينا كلانا صامتَين لبعض الوقت.

نظرتُ إليه. «هل توصلتَ إلى أي شيء بخصوص الجرح في يد فيليكس؟».

«نعم ولا. لم تكن لديه أي دروس تتضمن أنشطة قد تسبب له جروحاً، وهو ما يجعل الأمر مريباً. إلا أنني لم أستطع الحصول على الكثير من المعلومات عنه أيضاً. قد لا يكون شخصاً بارزاً في عائلة الأُسود، لكنه يبقى منهم، ولا أحد يتجرأ على الكلام عنهم حالياً».

«أتفهّم ذلك، لكن السؤال المهم هو: ماذا حدث للزجاج بعد أن أُخرج من الغرفة؟ وهل هناك من طريقة لإخراج ليلى من السجن؟».

هزّ آش رأسه. «علينا أن نعثر عليه أولاً. يوجد السجن إما تحت القلعة، أو تحت أحد جدران السور الخارجي ربما. ولهذا السبب هم يلجؤون إلى التخدير كلما سُجن أحد، فهم لا يريدوننا أن نعرف مكانه».

«حسناً، دعنا إذاً نعمل على المعلومات كل واحدة على حدى. وبسرعة، قبل أن يُقتل شخص آخر. سوف تحضر بيبا بعد قليل لترتيب الغرف وإعادة ملء الأكواب بالماء. انتظر هنا، وحاول أن تعرف منها كل شيء بخصوص ذلك الزجاج، لأن إذا كلانا غادر، فسنفوّت علينا فرصة التحدث إليها».

نظر إليّ باستغراب. «**كلانا** غادر؟ إلى أين أنت ذاهبة؟».

بلعت ريقي. «سأبحث عن ماتيو»، أجبته وأنا أحاول الحفاظ على نبرة الهدوء في صوتي.

نظر إليّ مطوّلاً وكأنه يحاول اتخاذ قرارٍ ما، أو ربما يتأمل فكرة أنني خائفة وأنني سأفعلها رغم ذلك.

«انتبهي لنفسك»، قال بصدقٍ فرفرف قلبي.

مرت لحظة صمت بيننا ثم أومأتُ له.

استدرتُ لأُخرج عباءتي من الخزانة، ثم اتجهت خارجاً إلى

الممر. لكن برودة الطقس وفكرة مواجهة ماتيو جعلتا القشعريرة تسري في جسدي.

* * *

بعد بضع دقائق، كنت أقف أمام باب غرفة ماتيو ويدي تهمُّ بطرقه، وقلبي يخفق بقوة. المشكلة هي أنني إذا طرقتُ الباب وأغلقه في وجهي، فسأفشل في مهمتي.

سمعتُ صوت وقع أقدامٍ تصعد الدرج، فلم أتردّد - رفعتُ المزلاج ودخلتُ الغرفة فوراً.

كان ماتيو جالساً على أريكته، يحدّق في المدفأة. «أخرجي من هنا»، قال دون أن ينظر إليّ. زادت رؤيته من توتري. خطوت داخل الغرفة، إلا أنني بقيت قريبة من الباب، من باب الاحتياط.

«سأخرج إذا أخبرتني بما تعرفه عني». بدا صوتي أقوى وأكثر ثقة مما توقعت.

التفتَ نحوي وبدا مندهشاً للحظة. «لقد سئمت هذه الألاعيب معك، يا نوفمبر. وفّري علينا الغضب وغادري في الحال»، قال لي، لكن ليس بالاشمئزاز الذي يبدو عليه عادةً عندما يتحدثّ إليّ. بدا مُنهكاً شيئاً ما.

لديّ فرصة واحدة. «أعرف أنك لا تثق بي، لكن فكّر بالأمر: ليلى تثق بي، وأنت تعلم أكثر مني كم كانت تحب ستيفانو. هل تعتقد حقاً أنها ستثق بشخصٍ قتل صديقها؟ بالطبع لا».

شدّ ماتيو قبضتيه ثم أرخاهما من جديد. إنه يحاول ألا يغلب عليه الغضب.

«منذ مقتل ستيفانو ونحن نحاول معرفة السبب الذي جعل تشارلز يقوم بفعلته تلك. ليلى، وآش، وأنا تسللنا إلى أرجاء هذه

القلعة المريبة، وخاطرنا بحياتنا ونحن نحاول **المساعدة**». ازدادتْ نبرة صوتي إصراراً. «وأقل ما يمكنك فعله هو التوقف عن جعل الأمور أكثر صعوبة!».

نهض ماتيو عن الأريكة بسرعة لدرجة أنني تراجعتُ خطوة إلى الخلف. عَبَرَ الغرفة ببضع خطوات طويلة.

«كيف تجرئين على اقتحام غرفتي وتُملين عليّ ما يجب وما لا يجب عليّ فعله؟ إذا كان كل ما يحدث سببه شخص ما، فهو **أنتِ**»، قال ماتيو وهو يتنفس بسرعة. «ما الذي جعلك تظنين أنه يمكنك دخول هذه المدرسة بكل بساطة، وأنتِ نسخة طبق الأصل عن والدتك؟ هل تظنين أن أحداً لن يلاحظ الشبه بينكما؟ لا يمكن أن تكوني بهذا الغباء. كلّ مَن عرفها عَلِمَ على الفور أنكِ ابنتها. أنت من تسببتِ بهذه الفوضى!».

نظرتُ إليه عن كثب، وأنا أحاول استيعاب كلامه. «هذا ما أقصده **بالضبط**. أنت تفترض أنني أعرف شيئاً أنا في الواقع لا أعرفه. كيف يعرف الناس هنا أمي؟».

اتّقدت عيناه غضباً، وكأنهما تأمرانني بالتراجع. «أنا أضغط على نفسي كي لا أقتلك هنا والآن، لكنكِ تجعلين الأمر صعباً عليّ. كان عليك أن تبقي في ذلك المكان النائي الذي كنت تختبئين فيه».

«هل تمازحني؟»، قلت بنبرة الغضب نفسها، «بكل سرور! هيا، احجز لي تذكرة على أول طائرة. أنا لا أريد أن أكون في هذه المدرسة المجنونة بالقدر الذي لا تريدني فيها، لكن رفضت بلاكوود طلبي العودة إلى المنزل. يمكنك أن ترتاب مني قدر ما تشاء، لكن هذا لن يغيّر حقيقة أننا عالقان معاً في هذا المكان، وأن واحداً منا فقط يعرف عن تاريخ عائلتي، وهذا الشخص ليس أنا».

تراجع خطوة إلى الوراء لينظر إليّ جيداً. «هراء».

«لا، ليس هراءً، وأتمنى لو كنتُ مثلما تظنون جميعاً. أتمنى لو أنني جزءٌ من اللعبة الآن، أتلاعب بالآخرين بمهارة وأخطط بمكرٍ لخطوتي القادمة، لكني عشتُ في الظلّ طوال حياتي، وها أنا الآن أحاول التأقلم مع هذا المكان وتفادي محاولات القتل كيفما تحركتُ، وكل ذلك بسبب أمرٍ يتعلق بوالديّ لا أعرف عنه شيئاً. وبحسب ما فهمت - أشرتُ إليه - **أنتَ** الوحيد الذي يعرف على نحوٍ موثوق من أكون، لكن في اللحظة التي رأيتني فيها، لكمتني في وجهي. لذا أنا أتخبط وحدي الآن، في حين يُفترَض بك أن تساعدني، كفردٍ من عائلة الدببة».

تغيرّ شيءٌ في تعابير وجهه، لكن صَعُب عليّ قراءة ما يجول في خاطره.

نظرتُ مليّاً في عينيه حتى يعرف أنني جادةٌ فيما أقول. «لقد مات ستيفانو»، قلت له بنبرة أكثر هدوءاً، «ولولا مساعدة ليلى وآش، لكنتُ الآن ميتةً أيضاً. لهذا، أجل، أنا في غرفتك، أصرخ طالبةً منك شرحَ بعض الأمور لي. لأن بحسب ما فهمت، كل ما حدث في الآونة الأخيرة يدور حولي وحول والديّ، وحولك **أنتَ** أيضاً على الأرجح. لن أقبل ألا أتلقّى الأجوبة بعد الآن، والسبيل الوحيد لخروجي من هذه الغرفة من دون الحصول على تفسير هو أن أموت فيها».

قطب حاجبيه وصمتَ طويلاً بحيث تساءلت ما إذا كان يفكر في كلامي أو يتأمل فكرة قتلي فعلاً.

«عندما هاجمتِني في قاعة الطعام»، قال ماتيو بصوتٍ بدا أقل غضباً من ذي قبل، «كان أحدهم قد مات في ذلك اليوم. من الذي مات؟».

«خالتي»، أجبته بأسىً وقد تصورتُ وجه الخالة جو. «شقيقة أمي».

جحظت عيناه دهشةً ومرر يده في شعره. «ماغدالين؟».

سعقني سماعُ اسم خالتي يخرج من فمه. «هي... حسناً، في الواقع هي تُعرف باسم جو، هي...». تلعثمت. أربكتني معرفته الشخصية بواحدة من أعز الناس بالنسبة إليّ.

«... أطلقت على نفسها هذا الاسم بعد أن قرأت رواية أميركية بعنوان **نساء صغيرات**»، قال مكملاً جملتي.

اغرورقت عيناي بالدموع وأجبرت نفسي على حبسها. آخر ما أريده هو أن أبكي أمامه.

«أجل»، قلتُ بهدوءٍ. «كيف عرفتَ ذلك؟».

«كانت أمي تروي تلك القصة»، أجاب.

نظرتُ إليه مليّاً. «هل كانت أمك تعرف خالتي جو؟»، سألته وأنا أحاول فهم ما قد يعنيه ذلك.

«كانت تعرفها؟! أمي هي **شقيقة** جو. أمي هي الصغرى بين الثلاث»، أجابني، وشعرت كأن كل الأكسجين نفذ من الغرفة.

«أنت تكذب»، قلت له وأنا أضع يدي على صدري لأهدئ من خفقان قلبي، وأتحسس الصدع الذي شعرت به يتشكل فيه.

هزّ رأسه.

كانت لأمي ولخالتي جو أختٌ ثالثة. كانت لديهما أختٌ صغرى، وماتيو... «أنت ابن خالتي؟»، قلتُ له، فيما تصاعد ارتباكي وغضبي من جديد. هززتُ رأسي لكبح دموعي، لكنها أكثر غزارة الآن. «متى عرفت؟ وكيف أمكنك ألا تخبرني؟»، سألتُه وأنا أتقدم نحوه غاضبةً. «يا إلهي، لقد لكمتني!».

رفعتُ يدي لأضربه لكنه تفادى ضربتي.

«لقد جعلتَ مني هدفاً!»، صرخت وأنا أحاول ضربه من جديد.

أمسك بمعصمي. «لقد جعلتِ **منا** هدفاً!»، صرخ في وجهي ثم ترك يدي. «لقد مات ستيفانو بسبب قدومكِ إلى هنا، فلا يحق لك الكلام عما فعلته بكِ».

كلما أمعنتُ النظر إليه، لاحظتُ الشبهَ بينه وبين أمي والخالة جو. كيف لم أنتبه إلى ذلك من قبل؟ «لماذا عاش والداي في الولايات المتحدة؟».

نظر إليّ بحذرٍ.

«أنا جادّةٌ. أخبِرني لماذا كان والداي مختبئين في ذلك البلد. أخبرني لماذا لم أكن أعلم أنني إحدى أعضاء استراتيجيا».

قطّب جبينه. «لم تكوني تعلمين أنكِ ـــــ».

«لا. وأرجوك وفّر عليّ أجوبة من قبيل ''هذا ليس منطقياً''، فأنا أكثر من يعلم أنه ليس منطقياً، لكن من حقي أن أعرف مَن أنا ولماذا نشأتُ على هذا النحو. ولا تقل إنك لا تعرف، لأن وجهك يقول غير ذلك».

«لن أبوح لكِ بأسرار العائلة»، قال ماتيو.

«إنها **أسراري** أيضاً! ولدي الحق في معرفتها أكثر منك، وأنت تعلم ذلك».

نظر ماتيو إليّ بتردد.

أخذتُ نفساً عميقاً وقلت: «اسمع، لقد ماتت أمي حين كنتُ في السادسة من عمري، ورغم أنه لطالما قيل لي إنه كان حادثاً عرضياً، إلا أن الخالة جو كانت مقتنعة تماماً بأن هذا الكلام غير صحيح. والآن قُتلت خالتي - **خالتنا**. وأظن أن مَن يحاول القضاء على عائلتي سيستهدف أبي الآن، هذا إن لم يكن قد فعل ذلك. وإذا

كان ما يحدث في هذه المدرسة مرتبطاً بموت أمي وخالتي، وأنا شبه متأكدة أنه كذلك، فعليّ أن أعرف هذه الأسرار. كلّ ما أعرفه الآن هو أن الأسود يكرهوننا لأننا نحاول منعهم من السيطرة على استراتيجيا».

ضحك ماتيو بسخرية، وقال: «أنتِ تنتمين إلى عائلة الأُسود».

فغرتُ فمي من الدهشة، ثم أغلقته من جديد. فرغم أن كلامه أكد شكوكي بخصوص أبي، إلا أنني صُدمت. هل يعقل أن أمثّل كل هذه الهويات التي تعني الكثير للجميع هنا دون أن أعرف شيئاً عنها؟

«لكني أنتمي إلى عائلة الدببة أيضاً»، قلتُ له، ورفعت رأسي. «تماماً مثل أمي وخالتي. ورغم أن أبي ينتمي إلى عائلة الأسود، إلا أنه لم يكن مثلهم في قلبه».

ابتعد ماتيو عني قليلاً، وللحظة قصيرة، شعرتُ بالخوف من أن يتركني هناك ويدخل غرفته، لكنه اتجه نحو المدفأة وراح يحدّقُ في النار، وبقي على هذه الحال طويلاً بحيث اقتربتُ منه بضع خطوات.

أومأ برأسه وكأنه اتخذ قراره أخيراً. «قبل خمس وعشرين سنة، كان في هذه المدرسة مجموعةٌ من الطلاب كانوا الأفضل في تاريخها».

«لقد سمعتُ المدرّسين يتحدثون عنهم».

«هذا صحيح»، قال ماتيو. «كانت المجموعة تتألف من أمكِ، وأمي، والخالة جو، وبلاكوود، ووالدكِ، وبعض الطلاب الآخرين. لكن كان هناك طالبان أكثر تميّزاً عن بقية المجموعة: والداكِ».

«ماذا؟». استغرق مني الأمر بضع ثوانٍ لأستوعب كلامه. «هل. . . تقصد تلك المخطوطة في المكتبة؟»، سألته وقد عادت بي الذاكرة إلى تلك الزيارة برفقة آش. «هل هما مَن تم ذكرهما فيها؟».

أومأ ماتيو برأسه، ثم نظر إليّ وكأنه يطلب مني التزام الصمت

كي يُكمل كلامه. «والداكِ هما الابنا البكر لعائلتيهما، الدببة والأُسود، وقد انتسبا إلى أكاديمية أبسكونديتي في السنة نفسها. وقالت أمي إن الجميع توقّع منهما أن يتقاتلا، باعتبار أن هذا ما تفعله عائلتانا. وقد حدث ذلك في بادئ الأمر، لكن مع مرور الأيام وقعا في الحب أيضاً».

تشنجت معدتي على نحوٍ مُزعج. لم يكن والداي الأفضل وحسب، بل كان كلّ منهما الابن البكر لعائلته؟ كان كمّ المعلومات الذي أخفاه أبي عني مهولاً.

«أخبرتني أمي أن والديكِ اعتقدا أن بإمكانهما تغيير سياسات استراتيجيا إلى الأفضل، لكنهما سرعان ما أدركا أن عقوداً طويلةً من الصراع بين الأسود والدببة، وقروناً من الاختلال في توازن القوى بين العائلتين، ستجعل الأمر شبه مستحيل. رفض جدودك في بادئ الأمر إبرام اتفاق حول شروط ذلك الزواج، إذ طلب جاغ من والدك ووالدتك أن يعيشا مع عائلته وأن تتخلى والدتك عن انتمائها لعائلة الدببة، فيما طلبت عائلة والدتك العكس. تقاتلوا بضراوة لأشهرٍ طويلة، لكن وبعكس كل التوقعات، وافقت العائلتان أخيراً على الجلوس معاً ومحاولة التوصّل إلى اتفاق».

جاغ هو جدّي. يا إلهي. «وماذا حدث بعد ذلك؟»، سألته بتلهُّف وأنا أشعر بالدهشة من أن والديّ كانا يحاولان معالجة الأمور. «هل استطاعا أن يجعلا عائلتيهما تتفقان؟».

تنهد ماتيو وكأنه فهم ما يرمي إليه سؤالي. «في ذلك الوقت، اعتقد البعض أن والديك سيعيدان النظام وسيضعا حداً للاغتيالات التي يرتكبها الأُسود بحق العائلات الأخرى».

«من نبرة صوتك، يمكنني التكهّن بأني على وشك أن أكتشف كيف انتقلا من محاولة توحيد عائلتيهما إلى الاختباء».

«قَتلتْ والدتُكِ شقيق جاغ ــــ».

«لحظة، ماذا قلت؟».

رفع ماتيو يده. «الصبر ليس من شِيَمكِ، أليس كذلك؟». صمتَ قليلاً وكأنه يتحدّاني أن أقاطعه من جديد. ابتلعتُ ريقي وهززت رأسي. «كنت أقول إن والدتك قتلت شقيق جاغ، وقضت بذلك على أي اتفاق يمكن أن يُبرم بين العائلتين».

أمي. **قاتلة؟**

بدا وكأنه شعر بصدمتي، فواصل كلامه بسرعة وكأنه يحاول طمأنتي. «لطالما قالت أمي إن الأسباب وراء ذلك معقدة، وحتى لو كانت تعرف المزيد، فهي لم تخبرني أبداً عما حدث بالضبط. لكن لا داعي للقول أن الأسود قرروا قتل والدتك».

حتى وهو يتكلم، كنت أتخبط مع استحالة أن تكون هذه أمي، هذه **عائلتي**.

«أما والدكِ، فقد حارب جاغ وبقية الأُسود، وكلّفه ذلك أن يصدر أمرٌ بقتله هو الآخر. لذلك هربا». هزّ ماتيو كتفيه وكأن الهروب من قتلةٍ مدرّبين هو ما يفعله الجميع حين تسوء الأوضاع. «أما عن عائلتنا، فقد شعر الدببة بالخيانة لأن والدتكِ رحلت بدلاً من العودة إلى الديار. لذلك... رفضوا حمايتهما».

جحظت عيناي. هذا هو إذاً سبب إلقاء الخالة جو اللوم على عائلتها في موت أمي.

«ما سمعته هو أن الأسود القتلة عادوا خائبين الواحد تلو الآخر دون أن يعثروا على أيّ من والديك. أو لم يعودوا أبداً. ولحفظ ماء الوجه، أقنع الأُسود بقية العائلات بأن والديكِ قُتلا على نحوٍ مأساوي، لكنهم استمروا في مطاردتهما»، اختتم ماتيو.

«وتمكّنوا من قتل أمي في النهاية»، قلتُ بهدوء.

«أجل»، قال ماتيو بصوتٍ يشوبه الأسى، «لكن لم تعلم العائلاتُ الأخرى بذلك، بل فقط الأسود والدببة علموا بالأمر. ومنذ ذلك الحين، ازدادت العداوة بين العائلتين. وحين ضربتكِ خارج قاعة الطعام في ذلك اليوم، كنتُ...». صمت ماتيو وعاد بنظره إلى المدفأة.

«لا بأس»، قلت له بصوتٍ رصين، «شكراً على إخباري بالحقيقة».

«العفو...»، قال ماتيو دون أن ينظر إليَّ. كان يُخفي حزناً عميقاً تحت كل ذلك الغضب والتبجّح.

«يجب أن تعلم»، قلت له وأنا أحاول أن أطابق صراحته بحقيقة أخرى، «أنّ تشارلز لم يكن ينوي قتل ستيفانو، بل قتلكَ أنت وإلصاق التهمة بي. وبعد ما شرحتَه لي الآن، من البديهي أن يحاول الأسود تفرقتنا. وأظن أنك يجب أن تعلم أيضاً أن الحارس الذي قُتل خارج باب غرفتي مات مذبوحاً بقطعة من الزجاج، وبحسب معلوماتي، هذه القطعة لا تزال في حوزة أحدٍ ما، لذلك... كن حذراً».

رفع ماتيو رأسه وقد اشتد حزنه. «كانوا يحاولون قتلي **أنا**؟».

أومأتُ برأسي ببطء. انتابني شعورٌ فظيع لأنني أخبرته. تخيلت كيف سيكون شعوري لو حدث أي مكروه لإيميلي، خاصة إذا كان لي يد في الموضوع. لكن بعد كل ما باح لي به، **لا** يمكنني إخفاء ذلك عنه. فهناك احتمالٌ كبير أن يحاولوا قتله مجدداً.

«كيف عرفتِ هذه المعلومات بخصوص ستيفانو؟»، سألني ماتيو وأنا أكاد أسمع قلبه ينفطر.

أخبرته عن الدم تحت سرير ستيفانو، والوشم على جثة

الحارس، وكل التفاصيل الغريبة التي كشفناها. أصغى إلى كل ما لديّ من معلومات، وعندما أنهيتُ كلامي، كان فكاه مطبقين بإحكام، وجبينه مجعداً من شدة التفكير.

«كان يُفترض بي يومها أن أعود إلى غرفتي بعد الدرس، لكن بلاكوود كانت قد سجلت ملاحظةً ثالثة بحقي لأنني لكمتك، وأرسلتني خارج الأسوار لأتلقى عقابي».

«هذا ما افترضته ليلى».

راح ماتيو يفرك عنقه وينظر إليّ وكأنه يحاول أن يبت في أمرٍ ما. تنهّد أخيراً وأرخى ذراعه ثم قال: «لن أفترض أنني الشخص الوحيد هنا الذي يعرف من هما والداكِ، فلا بد أن بلاكوود تعرف ذلك، وربما كونر. أما برندان ونيكس فكانا مقرّبين من تشارلز، لذا هما يعرفان بالتأكيد، وكذلك فيليكس. وأنا متأكد أن هناك غيرهم».

«فيليكس؟»، سألته باستغراب. وتذكرتُ فجأةً كيف همس «أنا أعرف» في أذني بشكلٍ مُريب في أول غداءٍ لي هنا.

«أجل»، قال ماتيو مؤكِّداً، ثم فرك عنقه ثانيةً. «في الحقيقة...» - صمتَ للحظة وكأنه في حيرةٍ من أمره حيال مواصلة كلامه، فجلستُ ساكنةً آملة بأن يفعل - «كان والد فيليكس أحد القتلة الذين أُرسِلوا لقتل والديكِ. أحد الذين لم يعودوا. وهناك على الأرجح أسود آخرون هنا أيضاً فقدوا أقارب حاولوا اغتيال والديكِ. لكن لم يكن أحدٌ يعلم بوجودك، إلى أن ظهرتِ هنا».

جفَّ فمي فجأة ولم يعد بإمكاني بلع ريقي. هل يُعقل أن والديَّ **قَتلا** والد فيليكس؟ لا عجب أنه يكرهني. صحيح أن والده كان يسعى **لقتلهما**، لكن حتى لو... كان من المفترض أن أشعر بالحماس لأنني حصلت على قطعة جديدة من الأحجية، إلا أن هذا الحديث ملأ روحي رعباً. قدومي إلى هذه المدرسة كان أشبه بشرارة

أشعلت النار في الهشيم فخرجت هذه النار عن السيطرة. ناهيك عن أنني أُذكّر الناس بالماضي في أسوأ صوره.

«نوفمبر؟»، قال ماتيو.

«نعم؟»، قلت ثم نظرتُ إليه وقد أيقظني من شرودي.

«يجب أن تعلمي أنني لم ألكمكِ غضباً»، قال ماتيو، «فرغم ما حدث مع أمك. . . أنتِ لا تزالين من الدببة. لقد لكمتكِ لأنني تلقيتُ أمراً بذلك».

«من طلب منك ذلك؟»، سألته وقد بدأت الأفكار تدور في رأسي مجدداً. «هل هو فيليكس؟».

«لا يمكنني إخباركِ»، أجابني، فعلمت من تعابير وجهه أنه لن يفعل. «لكنني فكرتُ أنه ينبغي أن تعلمي فحسب».

فتحتُ فمي لأجادله، لكنه بدا غارقاً في أفكاره، ورجّحت أنه كان يفكر بستيفانو.

«حان الوقت لأن تغادري»، قال لي، وهذا ما فعلت.

وأنا أغلق الباب ورائي، تمنيت لو أن الأمور مختلفة. كان لديّ أخيراً فرد من عائلتي يشبهني أكثر مما قد أقر به، لكنه لا يرغب في الاقتراب مني. لا أستطيع أن ألومه. إنه مُحقّ. فلولا قدومي إلى هذه المدرسة، لكان ستيفانو على قيد الحياة الآن.

«آش؟»، ناديت حالما عدت إلى غرفتي. انتظرت قليلاً، لكن لا جواب.

تحققتُ من النافذة ومن تحت الأَسرَّة ثم عدتُ إلى غرفة المعيشة الخالية حيث كُتب بالرماد على الأرض أمام المدفأة: **سأعود بعد قليل.** ابتسمتُ لذكاء هذا التصرف، ومسحتُ الرسالة بأسفل حذائي.

دارت أفكاري حول حديثي مع ماتيو. كان والداي التاليين في خط الخلافة لقيادة عائلتيهما، وكانا الأفضل في هذه المدرسة. لا يمكنني حتى أن أتخيل كيف كانت حياتهما قبل أن يُنجباني وقبل أن يصبحا أشهر عاشقين في استراتيجيا. يجب أن أتحدّث إلى أبي. لديّ الكثير من الأسئلة، والكثير من التفاصيل المفقودة في قصة ماتيو أنا بحاجة إلى ملئها.

لا معنى لإرسالي إلى الأكاديمية على الإطلاق. كانت عائلتي **مختبئة**، فلماذا وضعي تحديداً في المكان الذي سأواجه فيه الأشخاص الذين يمثلون تهديداً لي؟ كان ماتيو مُحقاً في حقيقة أنني أشبه أمي، وإذا كان قد تعرّف عليّ بسبب ذلك، فهنالك حتماً آخرون تعرفوا عليّ أيضاً. فكرت بكلام بلاكوود القائل بأن الأشياء الغريبة

تحدث لسببٍ معين. قال ماتيو إن بلاكوود تعرف مَن أنا، وهو أمر متوقع بما أنها التحقتْ بهذه المدرسة في الوقت نفسه الذي التحق فيه والداي. لكن ما الذي دفعها لقبولي؟ لا بدّ أنها كانت تُدرك الفوضى التي ستعقب تعرُّف الدببة والأسود عليّ.

توجّهت إلى مائدة الإفطار وسحبتُ كرسياً لأجلس عليه.

لكن بلاكوود أخبرتني أيضاً عن الزجاج وعود الثقاب، واقتبست من كلام أستاذة التاريخ. كما أخبرني آش بأنها تنتمي إلى عائلة الدببة. أخذتُ أنقر بأصابعي على الطاولة. لا بدّ أن يكون هناك سبب لكلامها، رسالة كانت تحاول إيصالها. لا شيء يحدث صدفةً في استراتيجيا، لقد تعلمتُ هذا الدرس على الأقل. أنا لم أميز النمط بعد، ذلك الاختلاف الدقيق كما قد يقول أبي.

عدتُ بذاكرتي إلى أول درس تاريخ حضرتُه هنا، حين قالت كارتال إن أشياء غريبة تحدث لسببٍ معين. تحدّثتْ يومها عن المصادفات في السياقات التاريخية وكيف يميل البشر إلى تصديقها والمبالغة فيها. وقالت أيضاً إنه إذا استطعتَ ارتكاب جريمة وجعلها تبدو كأنها مُصادفة، فسيكون ذلك إنجازاً بارعاً. هل كانت تحاول أن تقول لي شيئاً؟ ماذا لو كانت تلمّح إلى جريمة القتل التي تلت وصولي مباشرةً، ورغبة الناس في ربطها بي والمبالغة في التفاصيل - وهو ما اتضح لاحقاً أنه صحيح؟

ثم جاءتْ قصة الجثة التي أُلقيت للإسبان خلال الحرب العالمية الثانية ومعها خطة كاذبة لغزو اليونان. اعتمدت الخطة برمتها على أن الأشخاص الذين وجدوا الجثة لن يتحققون من الأمور التي يُفترض بهم التحقق منها. تماماً مثلما لم أتفحّص ستيفانو بدقة حين عثرت على جثته، كما كانت لتفعل ليلى. ولم نكتشف أن ستيفانو قُتِلَ قبل عدة ساعات ثم وُضع بعدها في ذلك الممر إلا بعد طرح ليلى

للأسئلة المناسبة، ما أدى بنا إلى تفتيش غرفته، وإلى حقيقة أن تشارلز كان في الواقع ينوي قتل ماتيو.

راح نبضي يتسارع. جاء بعد ذلك درس السموم، حيث قالت هيساكاوا إنّ التسميم أمر بديع حين لا يترك أثراً وراءه. وإذا عرفتَ كيف تتحكم بها، فإن أفضل السموم على الإطلاق هي السموم العاطفية والنفسية. هل كانت تقصدني أنا وماتيو؟ من الواضح أنه هناك من كان يحاول أن يحرض أحدنا ضد الآخر منذ البداية، ولو لم أُجبر نفسي على التحدث إلى ماتيو لما عرفتُ حقيقة والديّ، وهي معرفة أساسية لفهم كيف بدأت كل هذه الفوضى.

ضربت الطاولة بقبضتي. لماذا لم أنتبه إلى كلامهم أكثر؟ لقد أخبرني آش سابقاً أن التعليم في الأكاديمية لا يتعلّق بالجانب الأكاديمي، بل يتعلّق بتعلّم قراءة الإشارات. لكنني كنتُ غارقةً في مخاوفي وخيبتي بحيث لم أرَ ما كان أمام عينَي تماماً.

وضعتُ رأسي بين يديّ. استرجعت شريط الدروس في رأسي لحظة لحظة. حديثُ كارتال عن السلطان الذي أرسلَ تلك الرسالة للفرسان، وكيف منحهم فرصةً للتصرّف على نحوٍ مختلف، فغيّر ما افترض الجميع استحالة تغييره.

رحتُ أقضم أظافري بغضب. مَن أو ما هو الأمر المتصلب الذي ينبغي مقاربته على نحوٍ مختلف؟ هنالك الكراهية الأزلية بين الدببة والأُسود، لكن هذا ليس أمراً يمكنني إصلاحه في هذه المدرسة. لا بدّ أنه أمر محدد أكثر.

فُتح الباب ودخل آش الغرفة.

«أوه، جيد، أنتِ هنا»، قال آش وقد تبدّد القلق من عينيه.

«لقد تحدثتُ إلى بيبا»، قال وهو يجلس إلى الطاولة قبالتي.

«في البداية، قالت إنها لم ترَ أحداً وإنها أخذت الزجاج إلى المطبخ على الفور لتتخلص منه، لكن بعد إلحاحي عليها اعترفت بأنها توقّفت بضع مرات لتتفقّد غرفاً أخرى. طلبت منها أن ترافقني عبر الطريق الذي سلكته يومها، ويمكنني القول إنه كانت هناك فرصٌ سانحة كي يسرق أحدهم قطعة منه، رغم ادعائها بأنها راقبته عن كثب».

«أراهن أنه فيليكس»، قلتُ بتأففٍ.

تراجع آش قليلاً ونظر إليّ. «ما الذي تعرفينه وأجهله أنا؟».

«يدور كلُّ ما حدث حول محاولتهم قتلي، أليس كذلك؟»، سألته. «قتل تشارلز ستيفانو وفي نيّتهِ إلصاق التهمة بي، ولو نجح في ذلك لجرى إعدامي بدلاً منه. ثم حاولتْ نيكس طعني بالسيف. وبعد ذلك أتى أحدهم ليذبحني بقطعة زجاج لكن انتهى به الأمر بذبح الحارس بدلاً مني. وكما قالت ليلى، من النادر أن يفعل برندان شيئاً بنفسه. ومن بين كل المشتبه بهم المُحتملين، لدى فيليكس دافع واضح للانتقام مني، فقد قتل والداي أباه».

جحظت عينا آش. «كيف عرفتِ؟».

«أخبرني ماتيو».

«أخبرك ماتيو»، قال آش كأنه لا يصدِّق ذلك. «تحوّل ماتيو فجأةً من شخصٍ يلكمكِ إلى شخصٍ يبوح لكِ بالأسرار؟».

«أنا لا ألتمس له الأعذار، لكن طُلبَ منه أن يلكمني».

«طُلب منه؟ لماذا قد يُطلب. . . هل يُعقل أن كونر هو من طلب منه ذلك؟ قد يكون ذلك أسلوب تقييم جديد»، قال آش وقد عاد القلق ليشوب صوته.

«ربما»، قلت له، «لكن هذه اللكمة تسبّبت له بملاحظة ثالثة أدّت إلى معاقبته خارج الأسوار، وهي عقوبة أقرتها **بلاكوود** وقد

تكون أنقذت حياته. أظن أنها كانت تحاول إبعاده عن الخطر. ربما أرادت أن تحافظ على سلامته واختباري في الوقت نفسه».

نظرَ إليّ آش نظرة استفسار للحظة. «لقد باح لكِ بأكثر من ذلك، أليس كذلك؟».

أومأت برأسي ببطء، وبالكاد بدأتُ أنا نفسي أستوعب كل ما أخبرني به ماتيو.

انتظرني آش أن أقول شيئاً، وعندما لم أفعل، قال: «هل أخبركِ من أنتِ؟».

«أجل، أبي أسد كما ظننّا»، قلتُ وأنا أمدّ كلامي ليتسنى لي التفكير في بقية جوابي. «وبالنظر إلى ما فعله والداي، فمن المنطقيّ أن يرغب الأسود بقتلي بكل هذا الإصرار»، أردفتُ. أردتُ إخباره أن ماتيو هو ابن خالتي، وأن أشرح له لماذا يتم استهدافي، لكنني أردتُ التفكير في الأمر أولاً. إن أكثر ما تعلمته من آش هو أن أي معلوماتٍ شخصية تُعتبر خطيرة وينبغي توخّي الدقة والحذر عند البوح بها لأحد.

ضحك ضحكةً متكلفة. «انظروا من يُخفي الأسرار العائلية الآن، لقد أصبحتِ استراتيجيا حقيقية الآن».

«ليس الأمر أنني لا أريد أن أخبرك، سأفعل بالطبع، لكن أنا نفسي لم أفهم كل شيء بعد». صمتُّ قليلاً، ثم قلت: «وعلاوة على ذلك، ألستَ مهتماً أكثر الآن بإخراج ليلى من السجن؟».

«بحسب اعتقادي، إن الأمرين مرتبطان، وكوني لا أُظهر مشاعري لا يعني أنني لستُ قلقاً، أنتِ تعرفين ذلك جيداً». رجع بظهره إلى الخلف وعدّل في جلسته، واكتسى صوته بعض الحدة وكأنه شعر بالإهانة.

«آسفة، لم يكن ينبغي أن أقول ذلك»، قلت له، «أنا متوترة

وحسب وأشعر بأن الوقت يداهمنا. أقصد، متى سيحاولون قتلي من جديد، برأيكَ؟ الليلة؟ لا يزال فيليكس طليقاً، وكذلك برندان، والله يعلم من غيرهما متورط أيضاً».

أخذ آش نفساً. «مفهوم».

قمتُ بفرقعة أصابعي. «ماذا عن آريا؟».

«ماذا عنها؟».

«أغلب الظن أن فيليكس متورط في الأمر، لكن حدسي يقول لي إن آريا ليست كذلك، أو ليس بالطريقة نفسها على الأقل. في الحقيقة، بحسب ما رأيته من تصرفاتها مع برندان، يمكنني التخمين أنها تكره الأُسود». صمتُّ قليلاً لأفكر ملياً. «وهناك آينس أيضاً».

نظر آش إليّ وكأنه لا يعلم إلى أين سأصل باستنتاجاتي، أو ربما يعلم لكن لا يروق له ذلك.

«الأُسود يقتلون الطلاب المُتميزين، أليس كذلك؟ وآينس هي واحدة من الأفضل هنا، وهي صديقة آريا المُقربة. ألن ترغب آريا بحماية أعزّ صديقاتها؟ ربما يمكننا إقناعها بالوقوف في صفنا، ومساعدتنا من خلال مشاركتنا ما لديها من معلومات بخصوص الوضع برمته»، قلت له.

هزّ آش رأسه. «لن تفعل آريا ذلك أبداً، صدقيني. فلو كنتُ أعتقد أن هناك أي أمل في أن تتعاون معها، لكنت طلبتُ منها ذلك».

«لكن لا يمكنك أن تعلم ذلك يقيناً ما لم تحاول»، قلتُ بإصرار. «لم يخطر لي يوماً أن تكون هناك طريقة تجعل ماتيو يتحدث إليّ، لكني تدبّرت الأمر مع ذلك».

«آريا وماتيو شخصان مختلفان تماماً. فماتيو سريع الغضب وتغلب عليه انفعالاته، لكنه شخصٌ طيب. ولم أكن لأسمح لكِ

بالذهاب بمفردكِ إلى غرفته لو كان غير ذلك. لكن في فترة السنتين ونصف التي قضيتها في الأكاديمية، لم أرَ آريا تفعل شيئاً لأحد سوى لنفسها. ستغتنم أي فرصةٍ تمنحيها إياها للانقلاب عليكِ»، قال آش، فتذكّرتُ فجأةً قصة السلطان.

«الشخص المتصلب. . . »، قلتُ هامسةً.

«المتصلب ماذا؟»، سأل آش، لكنني كنتُ قد نهضت من مكاني.

من بين كل الأشخاص الذين قد يبدون راسخين وعنيدين ومستعدّين للقتال حتى الموت، آريا هي أكثر شخص ينطبق عليها هذا الوصف. لا أدري كيف لم أُفكر بها من قبل.

«أعلم أن الأمر قد يبدو جنوناً، لكن حدسي يُنبئني بأن كسب آريا إلى صفنا هو أمر أساسي»، قلتُ له وأخذتُ نفساً عميقاً وقد تغيرّت نبرة صوتي من الإحباط إلى الحماس. «لا أعلم ما الذي يمكنها أن تقدمه لنا بالضبط، لكني أعلم أنه عليّ إقناعها بأن تخبرني بما لديها».

تأوه آش. «لا أعرف كيف أوضح لكِ ذلك: **آريا لن تساعدك.** سوف تجد طريقةً لإيذائكِ فحسب»، قال بنبرةٍ جديّة، ولا بدّ أنه جاد. فلو لم يكن آش متأكداً من أنها متصلبة، لما كانت آريا خصماً ينبغي التعامل معه على نحوٍ مختلف. فكما قالت كارتال: علينا رؤية الأمر من منظورٍ جديد.

توقفتُ عن المشي ونظرتُ إلى آش. «هل تعتقد أن آريا تهتم لأمر آينس أكثر مما تهتم لأمر فيليكس؟».

«نوفمبر. . . »، قال آش وهو يهمُّ بالوقوف، وبدا واضحاً أنه يريد مُجادلتي.

«لقد أخبرتَني ذات مرة أن فيليكس مغرم بآريا، لكن قلت إن

هذا لن يسفر عن شيء، لذلك أجب عن سؤالي: هل تهتم آريا لأمر آينس أكثر؟».

«إذا كان عليّ أن أخمّن، سأقول أجل»، أجاب آش.

«حسناً، هذا جيد»، قلت له ثم أسرعت إلى غرفتي، سحبتُ ورقة من درج منضطة السرير وكتبت:

آينس في خطر. قابليني عند الأشجار بعد حظر التجول مباشرةً وسأشرح لك.

آمبر

اعتقدت أنني إذا استخدمت هذا الاسم السخيف فستعرف بالتأكيد أنني مَن كتب الرسالة. سلّمت الورقة لآش. «هل يمكنك تسليمها هذه؟ أعلم أنك ماهرٌ في هذه الأمور بسبب تلك اللعبة بينك وبين ليلى في اليوم الأول لي هنا».

نظر إلى الورقة، ثم نظر إليّ. «أنتِ لستِ جادةً في ذلك، أليس كذلك؟ إذا كان ثمّة شخص يجب أن يتحدث إلى آريا، فهو أنا».

هززتُ رأسي. «لا يمكنكَ ذلك، يا آش. يجب أن أكلّمها أنا. أنت لا تراها كما أراها أنا».

«لا، أنا لا أراها كما ترينها بالفعل»، قال آش وقد بدا أكثر انزعاجاً الآن. «أنا أراها على حقيقتها، وأجيد قراءتها، فأنا أعرفها منذ سنوات، وقد رأيتُ كثيرين يحاولون النيل منها مراراً وتكراراً، لكنها دائماً ما تنتصر عليهم لأنها قاسية وماهرة. أنتِ فتاةٌ متسامحة، يا نوفمبر، وتثقين في الآخرين بسهولة. وقد سبق أن حذّرتكِ ليلى من أنكِ لا تستطيعين مواجهة آريا، وأنا أقول لكِ إن لقاءكِ معها عند الأشجار ليلاً هو أسرع طريقة للموت».

أخذتُ نفساً عميقاً في محاولةٍ للحفاظ على هدوئي. «أعلم أنكَ تراني على هذا النحو، ولهذا السبب بالتحديد أنا مَن يجب أن

أتحدث إليها. أنا لا أقول إن الأمر يخلو من أي مخاطرة، لكن إذا كان هناك احتمال بسيط أن تكون بحوزتها معلومات نحن بحاجة إليها، فلا يمكننا الانتظار. أتفهّم أنك تحاول حمايتي، وأنا أقدِّر لك ذلك، لكن عليّ القيام بهذا الأمر».

«رؤية آريا من منظورٍ أكثر تسامحاً ليس سبباً كافياً»، قال آش.

«برأيي، لقد جعلتني بلاكوود أشهد عقاب ليلى في مكتبها فقط لتفصح لي عن معلومات بخصوص قطعة الزجاج وعود الثقاب. كما أن...».

«هل يعني ذلك أنك تظنين أن بلاكوود تحاول مساعدتك؟ لماذا ستسجن أختي لتساعدكِ؟ إنها تتلاعب بكِ»، قال آش.

«تساعد أو تتلاعب - لا فرق بينهما حقاً. الفكرة هنا أنها زودتني بالمعلومات. وليست بلاكوود وحدها. فهناك أيضاً ذلك الحارس الذي حاول حمايتي، وكارتال وهيساكاوا، جميعهم ذكروا أشياءَ تتعلق بالجريمة مباشرةً وبوضعي أنا وماتيو. كما ذكرتْ كارتال في درسها الأخير شيئاً عن أخذ سلوك الآخرين على أنه أمر مسلَّم به. ولم تقصد ذلك بالمعنى العادي، بل بمعنى أن مَن تراهم قساةً وأشراراً، يمكن لك ألا ترى أنهم يتصرفون على هذا النحو. قالت إن رؤية شخصٍ ما من منظورٍ جديد هي الطريقة الوحيدة لإحداث أي تغيير. وإذا أردت رأيي، هذا ينطبق على آريا تماماً»، قلت خاتمةً كلامي.

صمتَ آش طويلاً، وتراقصت المشاعر في عينيه مثل أضواء على سطح الماء. «دعيني أفهم ذلك جيداً. أنتِ ستخاطرين بحياتك لأنك تعتقدين أن المدرسين يبعثون لكِ برسائل خفيّة أثناء دروسهم؟».

«أجل، تماماً. ولو أن أحداً غيري قال ذلك، لما شككتَ

بكلامه. أنت تشكك بي فقط لأنني لم أنشأ بالطريقة التي نشأتم بها جميعاً، لكن هذا لا يعني أنني على خطأ. لهذا إذا لم تشأ تسليم الرسالة، فسأقوم بتسليمها بنفسي»، قلت ومددتُ يدي كي يُعيد لي الورقة.

اتّقدت عيناه غضباً. «تعلمين جيداً أنها لن تأتي بمفردها، لذلك حتى إذا افترضنا حدوث معجزة ولم تحاول آريا قتلك، فقد يحاول شخص آخر».

«أعرف ذلك. ولهذا السبب اخترتُ لقاءها عند الأشجار. فالأشجار هي ملعبي. إنها الأفضلية الوحيدة التي يمكنني أن أمنحها لنفسي. إضافةً إلى إمكانية الاستيعان بك هناك طبعاً».

جحظت عيناه وكأنه لا يصدّق ما سمعه. «هل ظننتِ أنني لن أكون هناك؟».

«كنتُ آمل ذلك».

أخذ يفرك جبينه. «كيف تفهمين أموراً كثيرة أحياناً، وفي أحيان أخرى لا تفهمين شيئاً البتّة؟».

«اسمع، إذا لم تسِر الأمور على ما يرام، وألقت بي آريا من فوق الشجرة، فسأعترف أنني كنت مخطئة وتتولى أنت قيادة الأمور لبقية الليلة، لكنك تضيّع الوقت الآن ويجب أن نسلّم هذه الرسالة».

طوى آش الرسالة ثم نظر إليّ كأنه يريد أن يقول شيئاً، لكنه عدل عن ذلك وغادر الغرفة.

36

استعرضت الخطة التي وضعتُها مراراً وتكراراً في ذهني، رغم أن رسم خطة لشخصٍ مثل آريا أمرٌ صعب. نظرتُ للمرة المئة نحو الباب، كان من المفترض أن يكون آش قد عاد الآن.

علاوةً على القلق من لقاء آريا ومن شبكة الأشخاص الذين ينوون قتلي، كنت أفكر بوالديَّ أيضاً وبكل ما لا أعرفه عنهما. كيف كانا وهما في مثل عمري، وهل كانا راضيين لكونهما ينتميان إلى استراتيجيا، كم من القتلة اضطرا إلى قتلهم ليحافظا على حياتهما وحياتي، أين كنت من القرارات التي اتخذاها. تبّاً، هذا أكثر من قدرتي على التحمّل.

فُتِحَ باب الغرفة فقفزتُ من مقعدي بالقرب من المدفأة.

عاد آش بتعابير القلق نفسها التي ارتسمت على وجهه عندما غادر. «تمّت المهمة»، قال بهدوء وهو يغلق الباب خلفه.

«هل قالت أي شيء يدل على أنها ستأتي؟»، سألته وأنا أحاول أن أستشفّ الإجابة من وجهه.

«لا، لكننا نتحدث عن آريا هنا، وهذه فرصة لها للانفراد بكِ، وأشك أنها ستفوّتها».

خلع آش عباءته وشمَّر عن ساعديه، فرمقته بنظرة مستفسرة. هل يتحضر ليتعارك معي يا ترى؟

رددتُ ضفيرتي وراء كتفي، وأثناء فعلي ذلك، سدّد آش لكمةً إلى بطني. تصديتُ للضربة وعدّلت وضعيتي في الحال بحيث لا أكون هدفاً سهلاً أمامه. حسناً، أظن أنني تلقيتُ الإجابة عن سؤالي.

«دفاع ضعيف»، قال آش ثم وجّه لكمة إلى وجهي هذه المرة.

تفاديت قبضته.

«لو كانت آريا من يضربك، لأصابتكِ هذه اللكمة، لا يمكنك أن تكوني بهذا البطء»، قال آش. «وإذا بادرت بالقتال وأنتما بين الأشجار، فسوف تستخدم يديها على الأرجح. قد توجّه لكِ ركلةً إذا استطاعت ذلك، لكن عليكِ توقّع الهجوم على الجزء العلوي من جسدك».

وجهتُ له ضربةً، لكنه خطى جانباً وتفاداها بسهولة حتى قبل أن أصل إليه وأَمسكَ بمعصمي، ما جعل توازني يختل، فترنحتُ إلى الأمام. لفّ ذراعه حول عنقي وشدَّني نحو صدره وكأنه يخنقني.

«لا تردّي إلا إذا كنتِ مضطرة إلى ذلك، لقد سبق وقلت لكِ ذلك»، قال بحدّة ثم أفلتني. «سوف تضعين نفسك في موقف ضعفٍ على الفور، أنتِ سريعة وتتعلمين بسرعة، لكن عليكِ أن تكوني متأهبة دائماً. وعليكِ الانتباه للإشارات البصرية».

«لكنني رأيتُ كتفك تتحرك و ــــ».

«أنا لا أتحدث عن ذلك»، قال آش، وبدا واضحاً أنه لا يزال مثبطاً من لقائي بآريا. «أعطيتُك ثلاث إشارات توحي بأنني أتأهب للقتال، فقمتِ بتسوية شعرك بدلاً من أن تتخذي وضعية الدفاع».

أوه. إنه غاضب جداً.

«حسناً، ما هي هذه الإشارات؟»، سألته والحنق ظاهر في صوتي، «تشميرك عن ساعديك؟».

رفع حاجبه. «أنتِ مُنفعلة الآن، هذا جيّد، ربما ستنتبهين أكثر الآن».

تمنّيتُ لو أستطيع تحسين مهاراتي القتالية بلمح البصر لأهزمه هنا والآن.

«لقد سبق وعلّمتكِ ما يجب الانتباه إليه أثناء القتال: أي قدم تكون إلى الخلف، أين تتجه أنظار خصمك قبل توجيه الضربة، أي عضلات تتشنج، لكن ما تجهلينه هو الإشارات التي تُخبركِ أن الشخص يتأهّب للقتال».

«هل تصلك أيّ من تلك الإشارات الآن؟ لأنه من المُفترض أن تصلك».

رفع حاجبه من جديد. «ركّزي على بروز ذقن الخصم أو إطباق فكّه. هكذا»، قال وهو يصرّ أسنانه و يرفع فكه باتجاهي. «كثيراً ما يصرّ الأشخاص على أسنانهم حين يغضبون، ورَفْعُ الذقن هو إيحاءٌ واضح، إشارة بأن الشخص على وشك الانقضاض عليك. وبما أن هذه الإشارات لن تكون سهلة المُلاحظة عند أفراد استراتيجيا كما هي الحال عند الأشخاص العاديين، فعليكِ أن تكوني متيقّظة لالتقاط أدق الإشارات».

أومأت برأسي. «يبدو هذا منطقياً، فقد فعل تشارلز ذلك قبل إلقاء السكين عليّ».

«تماماً»، قال آش. «راقبي أيضاً توسّع فتحتَي الأنف، إنها إحدى آليات البقاء وهي تساعد على إدخال المزيد من الأكسجين إلى الرئتين وتعزز تدفق الدم قبل القتال. والأمر نفسه ينطبق على توسّع

بؤبؤ العين، إذ يتوسّع بؤبؤ العين لاإرادياً لتسجيل أكبر قدر من المعلومات عن الخصم وعما يحيط به».

«فهمت»، قلتُ وأنا أومئ برأسي.

«هناك أمر آخر ينبغي الانتباه إليه. قد ينفخ الشخص نفسَه ليبدو مهيباً قدر الإمكان، فكلما شغل جسد الشخص مساحة أكبر، زاد إفرازه لهرمون التستوستيرون الذي يمنح الرجال والنساء على السواء القوة والسرعة. إذا دقّقتِ جيداً واستطعتِ رصد بعض هذه الإشارات، فعليكِ التحرك في الحال. لا تتركي مجالاً لآريا لأن تضربك، فستندمين كثيراً إذا فعلتِ».

«وماذا لو التقطتُ إشارةً واحدة فقط؟».

قطّب آش حاجبيه. «إشارة واحدة لا تكفي، فقد تعني فقط أنها غاضبة، فيما هي لا تنوي مهاجمتك بالضرورة. لذلك، وبغضّ النظر عما تفعلينه، تجنبي تقليد أي من سلوكها. هذا سيفاقم الوضع فحسب. حافظي على وضعية مسترخية ومفتوحة على كل الاحتمالات».

«يمكنني فعل ذلك».

«وأكرر، لا تردّي إلا إذا كنتِ مضطرة إلى ذلك. اهربي منها فحسب وسأتولى أنا الأمر».

أومأتُ برأسي. «أقدّر لك ذلك، رغم مزاجك السيء الذي يوترني».

«مزاجي السيئ؟!». جحظت عيناه. «أنت لا تأخذين الأمر على محل الجد بما يكفي».

«ليس صحيحاً»، قلتُ بالنبرة المُحبَطة نفسها، «لم أكن يوماً جديّة كما أنا الآن. أعلم أن ما أقوم به محفوف بالمخاطر، وأعلم

أن هناك مَن يحاول قتلي. كلّ ما في الأمر أنني لا أريد أن أتحسّر على شيء لم يحدث بعد، وإلا فسأتوتر وأفسد كل شيء».

فتح فمه ثم أغلقه، وكأنه لا يعلم بماذا يجيبني.

«وأن تكونَ غاضباً مني لا ينفع على الإطلاق»، قلتُ له.

«غاضب منكِ؟ نوفمبر، أنا لستُ غاضباً منكِ»، قال ثم صمت قليلاً. «أنا قلقٌ عليكِ. أنا...»، قال ثم أشاح بنظرهِ.

«ماذا؟»، قلت له.

نظر في عينيّ، فرفرف قلبي أكثر هذه المرة، ومن دون أن أفكر، اقتربتُ منه خطوةً.

تحوّلت تعابيرُ وجهه من الإحباط إلى الرغبة، ثم العكس، كأنه في صراعٍ داخليّ بشأني. «أنا أهتم لأمركِ»، قال آش بصوتٍ هادئ، «أنا أهتمّ بما قد يصيبكِ، وآخر ما أريده هو أن تتعرضي للأذى». تكلم بهدوء وبكلماتٍ موزونة. شعرتُ بأنه لم يهتم لأمر أحدٍ منذ وقتٍ طويل إلى درجة أنه خائفٌ من الاعتراف بذلك، لأن الاهتمام لأمرِ شخصٍ ما يحمل معه مسؤوليات قد تغدو عبئاً ثقيلاً. ابتسم ابتسامةً صغيرة مزّقت قلبي. «لا أعرف ماذا سأفعل إذا خسرتكِ».

نظر إلى شفتيّ للحظة كأنه يسألني.

تسارعت دقات قلبي وأنا أحدّق به، تائهة تماماً في عينيه. أردت أن أقول له إني أبادله نفس الشعور، وإني لا أعلم ما يعنيه كل ذلك، وإني لم أعِش شيئاً كهذا من قبل. لكني اقتربتُ منه أكثر بدلاً من ذلك.

رفع يده وداعب خدي بأطراف أصابعه برقّةٍ، فسرت قشعريرةٌ لطيفة في عنقي. وبدوري، وضعتُ راحة يدي على صدره، وشعرتُ بقلبه تحت قميصه الكتاني، يدقُّ بسرعةٍ مثل قلبي. مرّر أصبعه على شفتي السفلى ووضع يده الأخرى خلف عنقي.

حملت اللحظة التي التقت فيها شفاهنا مشاعر ساحرة اجتاحت جسدي، فلم تعد ساقاي قادرتين على حملي. شدّني إليه ورفعتُ ذراعيّ لتلتفا حول عنقه.

راح يمرر يديه في شعري وعلى ظهري، واقتربت منه أكثر. كلّ تلك المرات التي تحدّثت فيها إيميلي عن المشاعر التي تجتاحنا جرّاء قبلة لم أفهمها حتى هذه اللحظة. كانت لحظة غامرة، وكأن باباً قد فُتح على مصراعيه أمام فيضٍ من المشاعر لم أكن أعلم بوجودها.

أفلتني فجأةً قبل أن أستعيد توازني، وقد كنت مرتعشة الجسد، وعاجزة عن الكلام. رمشت وأنا في حيرة من أمري.

خيّم الصمت للحظة.

«لم أقصد أن. . .»، قال وقد بدا متأثراً. «أنا آسف».

«لماذا أنت آسف؟».

ابتسم وهزّ رأسه. «أنتِ محقة، لا أعرف لماذا قلتُ ذلك».

ابتسمتُ. «لا بد أن فكرة أنك شعرت بعاطفة حقيقية أصابتك بالذعر».

ضحك لكني رأيت مسحةَ حزن على مُحيّاه. «ربما أنتِ محقة».

«حسناً، لستَ الوحيد الذي يخاف من مشاعره في هذه اللحظة»، قلتُ له وقد شعرتُ بوجنتيَّ تحمرّان من جديد.

لم يجب على الفور. نظر إليّ فحسب، بعينين تشعّان بأفكار تمنيت لو أنني أعرفها. «نوفمبر، ثمّة أمر. . .».

انتظرتُ للحظة.

«آش؟»، قلتُ لأحثه على إكمال جملته.

فتح آش فمه ليجيب لكن قبل أن يتمكّن من التفوه بكلمة،

سمعنا صوت وقع أقدام من جهة الممر. كان هناك حارسٌ يقوم بجولته.

«حان الوقت»، قال آش، وعادتْ فجأة كل المخاوف التي تناسيتها معه.

أحضر آش عباءتي من الخزانة ووضعها على كتفيَّ. «هذه آخر فرصة للعدول عن رأيكِ أو السماح لي بالذهاب بدلاً عنكِ»، قال وهو يسحب ضفيرتي من تحت الياقة. هززتُ رأسي رافضةً، وانسابت قشعريرة في جسدي من تلك اللمسة البسيطة.

«عنيدة»، همس لي، ووقفنا للحظة يحدِّق أحدنا في الآخر.

ارتدى عباءته أيضاً، وخاطبني بنبرة جادة. «لن أسلك الطريق نفسه كي لا تراني آريا. سأدور حول المبنى وأدخل من جهة استراحة الحديقة».

«حسناً»، قلت له، وكرهت أن مجرد ذكر اسم آريا جعل صوتي يختنق. أحكمتُ لفّ عباءتي حول رقبتي ورفعت غطاء الرأس بما يكفي للتخفّي في الظلام ولكن مع السماح لي بالتمكّن من الرؤية.

فتح آش الباب. «ابدأي بالعد، وعند الرقم خمسة وعشرين انطلقي». نظر إليّ مطولاً مرة أخيرة. «توخّي الحذر»، قال لي قبل أن يتسلل إلى الممر بصمتٍ.

رحتُ أتنفس بعمق لأحصل على المزيد من الأكسجين لعضلاتي كما قال لي آش، ولأتمكن من تركيز أفكاري.

إلى الأمام.

عبرتُ الباب ومشيتُ بصمتٍ عبر الممر ثم نزلتُ طابقين. وقفتُ أنتظر في الظلمة بينما كان الحارس الموجود في البهو يخرج من باب الفناء، وانتظرتُ برهةً قصيرةً قبل أن أتسلل خارجاً.

وقفتُ في المدخل المظلم، كانت حجارة الممر المقبب باردة تحت أصابعي الدافئة، وانتظرت بضع ثوانٍ كما فعل آش. عندما تيقنتُ أن الحارس أصبح بعيداً، تسللت خلف الستارة بهدوء لئلا يُصدر القماش حفيفاً، ثم خرجت إلى الفناء الحالك.

كان العشب طريّاً تحت قدميّ، فلم تُصدر خطواتي أي صوتٍ وأنا أجري باتجاه الأشجار. توقفتُ عند أشجار الكرمة قرب منتصف الجدار الخلفي الذي استخدمتُه أنا وآش تلك الليلة وتفحّصتُ الأغصان الداكنة فوق رأسي، لكن لا أثر لآريا.

تسلقتُ إحدى الأشجار ورحت أشقّ طريقي بين الأغصان بوتيرة محسوبة، مع توخّي المزيد من الحذر لموطئ قدميّ والإصغاء إلى أدنى صوتٍ من حولي. وصلتُ إلى أعلى الأشجار وأسندت ظهري إلى أحد الجذوع بحيث خففت عني اتجاهاً لمراقبته. جلست باسترخاء بالرغم من أن أعصابي كانت تطن مثل خلية النحل. تفحّصتُ كل الأغصان من حولي، تلك التي يمكنني الوصول إليها والتي يمكنني الإمساك بها في حال اضطررت للهروب.

«حسناً، لم تكن الرسالة كاذبة»، قالت آريا ثم هبطت من غصنٍ عالٍ.

كاد قلبي يتوقف. رنّت في رأسي تحذيرات آش عن مهارات آريا وقسوتها.

«لم تكوني لتقطعي كل هذه المسافة لو كنتِ تظنين أن الرسالة كاذبة، أليس كذلك؟»، قلتُ لها وأنا أحاول التظاهر بالهدوء والارتياح.

وقفتْ على ساقٍ واحدة وكأنها تسير على الحبال. «إنها ليست كل هذه المسافة حقاً. كان عليكِ طلب اللقاء في السجن لو أردتِ الأمر تحدّياً حقيقياً».

نظرتُ إليها شزراً.

ابتسمتْ ابتسامةً عريضة وجلستْ على بعد مترٍ مني تقريباً. «يمكنني أن أرى من تعابير وجهك» - وأشارت إليّ وهي تحرك إصبعها على نحوٍ دائري - «أن أحدهم قد أخبركِ أنه لا يعرف مكان السجن... آش ربما؟». أخذت نفساً عميقاً وكأنها تقول: «ألا تخجلين من أن تكوني بهذه السذاجة؟».

شعرت بمعدتي تعتصر. هل يعلم آش بمكان السجن ولم يخبرني؟ **لحظة، هذه آريا... ذكّرتُ نفسي، لا تسمحي لها بتشتيت انتباهكِ منذ الوهلة الأولى.**

«آينس...»، قلتُ لها لأستعيد التحكّم بزمام الحديث.

«نعم، آينس، لنتحدث عن آينس». رأيتُ الخطر يشعُّ من عينيها.

الحديث إلى آريا أشبه بالسير على حبلٍ مشدود.

«الجميع يعلم أن الأُسود يقتلون أفضل الطلاب من العائلات التي لا تخضع لهم»، قلتُ وأنا أحاول الحفاظ على نبرة حيادية.

كانت آريا تنزع لحاء الأغصان بأظافرها وكأنها لا تكترث لشيء. «هل طلبتِ مني الحضور إلى هنا لتخبريني بأشياء أعرفها مُسبقاً؟ لقد تخيلتُ أسباباً مثيرة لهذا اللقاء، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فسأحتاج لإيجاد طريقة أخرى للتسلية»، قالت ثم التفتتْ للنظر إليّ وكأنها قطة عثرت على فأرٍ للتوّ، فأجبرت نفسي على إسناد ظهري إلى الجذع لأبدو مسترخية قدر الإمكان.

«آينس من أفضل الطلاب في الأكاديمية»، قلت لها، «أعرف

أنك تعلمين ذلك. هذا يضعها في دائرة الخطر. ليلى متيقّنة مِن أن ثمة شخصاً يحاول منع الأسود من قتل الطلاب. وأريد أن أعرف مَن هو».

التفتت آريا إليّ، وعلمتُ أنني استحوذت على انتباهها أخيراً.

«لكن ليلى في السجن الآن بسبب اعتقاد بلاكوود أنها مَن قتلت ذلك الحارس ـــ».

ضحكت آريا بسخرية. «أجل، صحيح، هذا سبب سجنها بالتأكيد».

نظرتُ إليها بارتباك. «هل تعرفين شيئاً لا أعرفه عن سبب سجن ليلى؟».

نظرت آريا إليّ وكأني حمقاء. «الجميع يعلم أن ليلى لم تقتل ذلك الحارس».

قطبت حاجبيّ. «لماذا ألقتْ بها بلاكوود في السجن إذاً؟».

قلبت آريا عينيها.

«أنتِ لا تعلمين إذاً»، قلت لها وهززتُ كتفيَّ باستهجان، «أنتِ تدّعين بأن لديك معلوماتٍ لا أعرفها فحسب».

عبرت عينيها ومضةُ انزعاج، فعرفتُ أنه لم يعجبها أنّني شكّكت بها. ثم ما لبثتْ أن هدأت تعابيرُ وجهها. «يجدر بكِ أن تسألي صديقكِ لماذا سُجنت أخته، أو إنكما لا تتحدثان عن الاتفاقات التي يعقدها مع المديرة؟».

انقبضت معدتي، ولا بدّ أنه ظهر شيءٌ من ذلك على وجهي لأنها بدت مستمتعة للغاية.

«يبدو أن شجاراً على وشك الحدوث. ليتني أحضرتُ معي بعض الفشار»، قالت ضاحكة، «هل ترغبين بالبقاء وحدك دقيقةً؟ هل ترغبين بالبكاء؟».

شددتُ قبضتَي. لا يمكنني السماح لها بإثارة غضبي بهذه الطريقة. «هل تريدين الحديث عن الصداقات الفاشلة؟»، سألتها، «ماذا عن فيليكس؟».

اتسعت عيناها قليلاً. «ماذا عن فيليكس؟»، قالتْ ثم هبّت واقفة على قدميها فجأةً.

ركزتُ انتباهي على الحفاظ على رباطة جأشي. «أقول فقط إنه لا بدّ أن يكون من الصعب أن تجمع بينكما صداقةٌ في حين أنه منحاز للأسود، الذين قد تكون آينس على قائمة أهدافهم...».

أدركتُ تماماً أنني أصبتُ وتراً حساساً عندما لاحظتُ توسّع فتحتَي أنفها، فرحتُ لاإرادياً أبحث عن آش.

«هل تظنّين أن آش سيهبُّ لإنقاذك قبل أن أتمكّن من لكمكِ على قصبتك الهوائية؟»، همستْ آريا بخبث، وكرهت قدرتها على قراءة أفكاري. «لأنني أشك أنه سيفعل».

كان قلبي يخفق بقوة جنونية. «لا، لا أظن ذلك»، قلتُ لها ببرود، لإنها الحقيقة ولأن تهديدي لها لن يفيد بشيء. «لكِ أن تصدّقي ما تريدين، يا آريا، لكن قبل كل شيء، عليكِ أن تعرفي هذا: الحارس مات مذبوحاً بقطعة زجاج مكسور، وظهر فيليكس في الصباح التالي وفي يده جرحٌ. قد يكون هناك تفسيرٌ ما لهذا الجرح، وقد لا يكون».

تقدمتْ نحوي قليلاً فجفلتُ. لم أستطع أن أعرف مِن تعابير وجهها ما إذا كانت قد صدقتني. وحتى لو صدقتني **فعلاً**، فقد لا تكترث للأمر وتقف إلى جانب فيليكس مهما فعل. لكن فيليكس من الأُسود. هل تعتقد حقاً أنه سيتوانى عن تقديم المساعدة لعائلته إذا ما طلبوا منه ذلك؟

«بحسب علمي، كنتُ أنا المُستهدفة في جريمة الذبح هذه،

وليس الحارس. قد لا يهمكِ أمري، ولا بأس في ذلك، لكن إذا كان برندان وبقية الأسود يضغطون على فيليكس، فكم في رأيك سيمضي من الوقت قبل أن يدفعوا به لإيذاء آينس؟».

«لن يفعل أبداً»، قالت بحزمٍ، ورفعت ذقنها وكأنها تقول إنها حتى وإن كانت تعتقد أن فيليكس لن يؤذي آينس، إلا أنها لن تجادلني بخصوص دوره كأسد.

«قد لا يفعل»، قلت بسرعة، ثم وقفتُ وفتحتُ يديَّ لترى أنني لست هنا لأتحدّاها. «لكن طالما يملك الأُسود شبكةً قوية داخل الأكاديمية، فسيكون الأشخاص أمثال آينس في خطر. سأفعل كل ما بوسعي لإيقافهم، لكنني أحتاج منك أن تبعدي فيليكس عني».

راحتْ تضحك، وفاجأتني ردّة فعلها بحيث كدتُ أسقط عن الغصن. إلا أن ضحكتها لم تحمل أي فكاهة، بل حملت خبثاً في طياتها. «أنا مصدومة، ألم يخبركِ آش أنني لا أعقد اتفاقاتٍ كهذه أبداً؟ ولا بعد مليون سنة. وأيّاً يكن العالم الخيالي الذي تعيشين فيه والذي يجعلكِ تظنين أنني قد أقدّم لكِ المعلومات، فهو عالمٌ مسلٍّ، لكنه شاذ تماماً - وإن كنتُ أنا من أقول ذلك، فعليك أن تتخيلي!».

بقيتُ أنظر في عينيها بشكلٍ مباشر وبثباتٍ رغم أنني كنت كتلةَ من الأعصاب. «هذا بالضبط ما قاله لي آش، وقلت له إنه مخطئ بشأنك. لقد أنقذتْ آينس حياتكِ في قاعة المدرسين تلك الليلة. إنها تهتم لأمرك. وأنتِ تهتمين لأمرها أيضاً. لا أفهم لماذا يتصرف الجميعُ في هذا المدرسة العجيبة وكأن الاهتمام أمر مُعيب. **يجب عليكِ** أن تهتمي لأمرها. هذا ما يفعله الأصدقاء. وأجل، أعلم أنكِ غريبة الأطوار، لكنني أعلم أيضاً أنكِ من القلائل الذين لم ينحنوا للأُسود. أنتِ فتاةٌ شجاعة، و **تهتمين لأمر لآخرين** رغم أنكِ تدّعين العكس. فحتى كونر ــــ».

«إذا كنتِ تظنين أنه بإمكانك إيقاف كونر في حين أن حتى بلاكوود عجزتْ عن ذلك، فأنتِ مجنونة حقاً»، قاطعتني آريا قائلةً. «هذا التفاؤل الأعمى لم يعد مُجدياً، عليكِ إيجاد تمثيليةٍ أخرى».

جحظت عيناي. كونر؟ التزمتُ الصمت للحظة، خاصة وأني كنتُ على وشك أن أقول إن كونر كان قد حذرني من الوثوق بأي أحد. لكن ليس هذا ما تقوله آريا على الإطلاق، بل هي تشير إلى أن كونر يقف في صفّ الأسود. هذا يعني أنه إذا كان بعض أعضاء الهيئة التدريسية يحاولون تحذيري ببعثهم بعض الإشارات، فإن آخرين - من أمثال كونر - يعملون في الاتجاه المعاكس، وقد تكون لديهم نوايا شريرة. نظرتُ إلى آريا وأنا أتساءل ما إذا كانت تقول لي الحقيقة. كان كونر يساعد في التحقّق من السيوف يوم حاولت نيكس طعني. وفي اليوم الذي وُجِّهت فيه تهمةُ القتل إلى تشارلز، أُقسم أن كونر رمقني بنظرةِ لوم. في الحقيقة، حين توقفتُ لحظة لأفكر في الأمر، بدا لي واضحاً أن كونر كان متورطاً بشكلٍ أو بآخر في كل مشكلة حدثت منذ وصلت إلى هنا. زعزعني ثقلُ هذا الإدراك .

«رائع، هل يجب أن أكلّف نفسي عناء الانتظار حتى تستوعبي مدى حقارة كونر؟». بدت آريا وكأنها على استعداد لرميي من أعلى غصني. «دعينا نواصل. قلتِ إن فيليكس حاول قتلكِ. ما الدافع؟ لا بد أن يكون هناك دافعٌ ما».

لم أتردّد. «الانتقام. لقد أُرسل والدُ فيليكس لاغتيال والديّ، فقتلاه».

نخرت آريا. «هذا ليس دافعاً. يعرف الجميع المخاطرة التي يقومون بها حين يذهبون في مهمةٍ كهذه، ويصعب عليّ تصديق أن فيليكس قد يساعد الأسود لمجّرد أن والده أخفق في أداء مهمته».

بدت غاضبة. نظرتْ إليّ ثم لعقت شفتيها. «لا، أظن أن هناك ما هو أكبر وأهم من ذلك».

حاولت جاهدةً أن أبدو هادئة قدر الإمكان.

«ثمة شيءٌ لا تريدينني أن أعرفه»، قالت آريا وأمالت رأسها وكأنها تحاول رؤيتي من زوايا مختلفة. «فيليكس يعرف من أنتِ، أليس كذلك؟ ولا بد أنه أمرٌ رهيب، وإلا لما كنتِ هنا الآن تحاولين عقد اتفاقاتٍ سخيفةٍ معي».

مرّت بضع ثوانٍ مخيفة لم أعرف ماذا أقول فيها، فلم يتسنَّ لي استيعاب كل ذلك أنا نفسي.

«أصبتُ الهدف!»، قالت آريا، «أعترف أني مستاءةٌ قليلاً من أنه أخفى عني اكتشافه هذا، لكني متأكدة أن بإمكانه تصحيح ذلك»، قالت ثم وقفتْ والتفتت.

تباً، تباً، تباً.

«انتظري»، قلتُ لها وأنا أمسك بذراعها رغم إدراكي أنها فكرة سيئة. استدارتْ بسرعة ودفعتْ بي إلى جذع الشجرة وهي تمسك بذراعي وتلويها، فشعرت بألمٍ فظيع في ذراعي. أعلم أنه إذا حاولتُ التحرّر من قبضتها أو التعارك معها، سيحضر آش على الفور وسأفوّت فرصتي في التحدّث إليها.

«إذا غادرتِ بعد ما أخبرتكِ به عن فيليكس»، قلت لها وأنا أشد على أسناني من شدة الألم، «فسيكون هذا بمثابة مساعدة الأسود، وستكونين أنتِ المسؤولة إذا ما قرروا استهداف آينس بعد ذلك».

ضغطت آريا على ذراعي أكثر، فأجبرت نفسي على التحمّل كي لا أصرخ من الألم.

«لن أساعد الأُسود أبداً. هل تسمعينني؟»، قالتْ بغضب ثم تركتْ ذراعي في اللحظة التي أيقنتُ فيها أنها ستنكسر.

سحبتُ ذراعي. «أنتِ غاضبة من الأسود، ومع ذلك لن تخبريني بما تعرفينه وتساعديني على إيقافهم؟ ولا تكلّفي نفسكِ عناء القول إن ليست لديك أي معلوماتٍ قد تساعدني، لأنكِ أذكى من أن تستخدمي هذا العذر الواهي».

«لن أتعامل مع سذاجتك على أنها أمرٌ مسلٍّ. أنا لست ليلى»، قالت آريا.

خفق قلبي بقوة. أكاد لا أصدق أني أفعل ذلك. «تريدين أن تعرفي مَن أنا؟ هل يهمّكِ ذلك كثيراً؟ حسناً، سأخبرك إذاً، ربما يجعلكِ ذلك تتخلصين من أنانيتكِ».

نظرتْ إليّ وكأني كائنٌ غريب لم تسمع به مِن قبل. «ستخبرينني مَن أنتِ رغم أنك لم تحصلي على وعدٍ مني أني سأساعدك؟». بدت مشوشة حقاً، لكني شعرتُ من نبرتها بأنها تصغي إليّ على الأقل.

كنت مدركةً للمخاطرة التي أخوضها ولكوني ألعب ورقتي الأخيرة. «أجل، تماماً. لأن حتى وإن لم تقومي بالتصرف الصحيح، فأنا سأفعل. جميع الطلاب المتميزين الذين لم يرضخوا للأسود هم في خطر في هذه المدرسة. آينس في خطر، وليلى في خطر، وأنتِ كذلك. وأنت تعرفين ذلك أكثر مني. وإذا كنتُ عاجزةً عن إنقاذ نفسي، فربما يمكنني على الأقل إنقاذهما، وإنقاذك أيضاً».

عبست آريا.

كنتُ أتصببُ عرقاً رغم نسيم الليل البارد، فمسحتُ جبهتي وأخذتُ نفساً عميقاً لتهدئة قلبي قليلاً. «والداي هما صاحبا الألقاب على المخطوطة المعلَّقة في المكتبة. الإبنا البكر لعائلتَي الأُسود والدببة اللذان وقعا في الحب وهربا سوياً».

فتحتْ فمها لتقول شيئاً، لكني تابعت كلامي. «لحظة، أعرف أنكِ لن تصدّقيني، وأتفهّم ذلك. لكن يمكنكِ أن تسألي فيليكس،

أو ماتيو وبرندان، أو بلاكوود، أو كونر. لقد سألتِني في إحدى المرات كيف التحقتُ بهذه المدرسة في منتصف العام الدراسي وأنا بعمر السابعة عشرة، وها أنت قد عرفتِ السبب: كان والداي أكثر طالبين تميّزاً في استراتيجيا على مدى الأجيال. ومع ذلك، لم يعلم أحدٌ بوجودي إلى أن أتيتُ إلى هنا. حتى أنا نفسي لم أكن أعلم حقيقة والديَّ». بلعتُ ريقي، وطرفتْ عينا آريا فأدركتُ أنها تصغي إليَّ. «لماذا يحاول كل هؤلاء قتلي برأيكِ، قتل فتاةٍ مجهولة لم يسمع بها أحدٌ من قبل؟»، تابعت قائلة. «ليس لأن والديَّ وقعا في الحبّ، بل لأن والدتي قتلت شقيق جاغ، فاضطر الأسود لإخبار الجميع أن والديّ ماتا للتغطية على حقيقة فشلهم في النيل منهما. إلا أنهم نجحوا في النهاية. لقد قتلوا أمي عندما كنتُ في السادسة، فأخفاني أبي عن الأنظار منذ ذلك الحين... إلى أن أرسلني إلى هنا».

أخذتُ نفساً عميقاً ونظرتُ إليها بتركيز. «لا يمكنني تغيير الماضي، لكن إذا كان هناك أمرٌ سأقوم به قبل مغادرة هذه المدرسة، فسيكون منع الأسود وحلفائهم من تصفية أفضل الأشخاص في استراتيجيا. لأن عالماً من دون أمي، ومن دون ليلى، أو آينس، أو برندان، هو مكان مروع، يصعب العيش فيه. لذلك أنا، وبصفة شخصية، سأقف في وجههم وأقاتلهم». لم أصدّق أن هذه الكلمات خرجت من فمي، لكن في اللحظة التي نطقت بها، أيقنتُ أنني أعنيها حقاً.

حدّقت آريا بي طويلاً حتى ظننتُ أنها تجمّدت.

«آريا؟».

«اخرسي، يا نوفمبر، اخرسي وحسب».

بلعتُ ريقي وتساءلتُ ما إذا كانت تفكر بتوجيه لكمة إلى حلقي

الآن، لكن بعد بضع لحظاتٍ من الصمت القاتل، تنهّدتْ وأرخت كتفيها.

«لقد اقتحمتُ مكتب كونر منذ فترة قريبة، فأنا لم أثقْ يوماً بهذا الوغد. أمسكتْ بي بلاكوود يومها، لكن على حدّ علمي هي لم تُخبر كونر بذلك، ولطالما تساءلتُ عن السبب». صمتتْ قليلاً. «إنه يحتفظ بسكينٍ تحت مكتبه، ولديه قارورة سم في أحد الأدراج، ليس من تلك السموم التي يستخدمها المبتدئون والتي تسبب ألماً في المعدة، بل سمٌّ حقيقي». نظرتْ إليّ وكأنها توقعت مني ردّة فعلٍ قوية، وعندما رأت برودي قلبت عينيها وكأني حمقاء غبية. «من المعروف أنه لا يُسمح للطلاب بالاحتفاظ بالأسلحة، لكن لا يُخفى على أحدٍ أننا نحاول كسر هذه القاعدة أحياناً. أما أعضاء الهيئة التدريسية فلا يُسمح لهم بامتلاك الأسلحة **بتاتاً**، لأن هذا يجعل منهم مصدر تهديد ويخالف فكرة الحفاظ على سرية هذا المكان. كما أنه **رئيس قسم التقييم**. لا مشكلة لديّ عادةً مع الأمور الغريبة، لكن هذا أكثر مما يمكن أن أتقبّله».

حوّلتُ نظري من آريا إلى الأغصان المتشابكة من حولي، وأنا أحاول استيعاب كلامها. كانت قوانين هذا المكان غريبة عني بحيث لم أرَ في الفرق بين أن يحتفظ الطلاب أو الأساتذة بسلاحٍ أمراً مهماً. لكن إذا كان هذا شيئاً يخيف آريا، فلا بدّ أنه يبعث على الذعر.

طقطقت آريا أصابعها أمام وجهي فنظرتُ إليها. «هناك بابٌ خلف طاولة المكتب يربط بين غرفة نوم كونر ومكتبه، فإذا شعر بأنكِ تطاردينه، فلا تستبعدي أن ينتظرك في مكتبه حيث يحتفظ بالأسلحة، وستكونين عندئذٍ في عداد الموتى».

وقفتُ أحدّق فيها بذهول. لم يكن لديّ أدنى شكّ بأنها ستجد

طريقة لإيذائي باستغلال المعلومات التي كشفتُها عن عائلتي للتوّ، لكنها أخبرتني بأمورٍ لم تكن مضطرة للبوح بها. فتحت كل ذلك الخبث، كان لديها ضمير حيّ.

«وإذا علمتُ يوماً أنكِ نطقتِ بكلمة مما أخبرتكِ به يا آمبر، فسأجعلكِ تندمين على ذلك»، قالت آريا ثم استدارتْ لتغادر المكان.

بلعتُ ريقي فيما تسلّقتْ هي غصناً عالياً واختفت في سواد الأشجار.

38

نزل آش عن أعلى الشجرة إلى الجذع حيث كنت أقف. لديّ الكثير لأخبره به، عن كونر وعن شكوكي المتزايدة حول كل ما حدث في هذه المدرسة مؤخراً، لكني قلتُ له بتجهّم بدل ذلك: «أريد أن أسألك عن أمرٍ».

«علينا مغادرة هذا المكان أولاً».

تجاهلتُ كلامه. «هل تعرف مكان السجن؟».

«ماذا؟»، قال كأنه ليس متأكداً من سؤالي، لكن عينيه كانتا تحدقان بي مثلما تفعلان حين يحاول قراءة أفكاري.

«أنا جادةٌ. قلتَ لي إن لا أحد يعرف مكان السجن، لكن هل تعرفه أنت، يا آش؟ هل كذبت عليّ؟». لكني لم أكن بحاجة لجوابٍ، لأني رأيته واضحاً على وجهه.

زفر بهدوء. «لم أكن أريدكِ أن تتشبثي بفكرة إخراج ليلى من السجن على أنها الحل، كان ذلك سيعرضك للخطر».

«لأنكَ أنتَ من عقد الاتفاق لإدخالها السجن أساساً؟»، قلت ثم نظرت إليه نظرة استفسار.

«الأمر ليس بهذه البساطة، دعيني ـــ».

«تركتني أتحسّر عليها فيما كنتَ على اطلاعٍ بما يحدث طوال الوقت؟»، قلت بنبرةٍ أكثر غضباً.

راح يفرك جبينه. «دعيني أشرح لكِ ـــ».

«هل يُفترض بي أن أثق بك الآن، يا آش؟ ما الذي يضمن لي أنك لم تكذب بشأن كل شيء؟». توقّعتُ أن يجادلني ويحاول إقناعي بأنه كذب لسببٍ وجيه، وأنه كان صادقاً في كل ما قاله لي عدا ذلك، لكنه اكتفى بالوقوف صامتاً.

«هناك أمرٌ يجب أن أخبركِ به، يا نوفمبر»، قال ببطء أخيراً، «أنا فقط. . . أريدك أن تعلمي بدايةً أن لديّ خطة، وأني سأقوم بإصلاح الأمر».

«ما الذي تريد أن تخبرني به؟ وما الذي تريد إصلاحه؟»، سألته دون تروٍ.

«سأخبرك بكل شيء، لكن أرجوكِ اسمعيني أولاً ـــ».

أعلم أن آش يريدني أن أصغي إليه، لكنه كان يتحدثُ بجدية جعلت ذهني يسارع في محاولة فهم ما يجري، فتكلمت من جديد. «أجبني عن هذا السؤال: هل كنت تعلم أن كونر يساعد الأُسود في قتل الطلاب؟». لم أكن متأكدة من أني أصدق ذلك قبل أن أتفوه بهذه الجملة. لكن المعطيات تؤكد أن أحد أعضاء الهيئة التدريسية كان يساعد الأسود، وبعد ما أخبرتني به آريا بخصوص مخبأ الأسلحة السري في مكتب كونر، بالإضافة إلى لقاءاتي المتكررة معه، بدا لي ذلك منطقياً جداً.

«هيا بنا نعود إلى الداخل»، قال آش وهو يحاول التحدّث بهدوء، إلا أن اضطرابه بدا واضحاً في عينيه. «لا يمكنني شرح ذلك على عجل».

تراجعتُ إلى الخلف. «يا إلهي. كنتَ على علمٍ بأمر كونر إذاً؟ **ولم تقل شيئاً؟**». تسارع نبضي. «ربما ستخبرني الآن أنك كنت تساعده»، قلتُ بتأفف وكأني أعلم أن هذا غير معقول طبعاً، لكن ظل آش يحدق بي بسكون.

«هذا ليس...»، قال آش وهو يمرر يده على وجهه.

«أنت لا تنكر الأمر، لماذا لا تنكره، يا آش؟»، سألته وقد تسلل الذعر إلى صوتي.

«إذا هدأتِ قليلاً وأتيتِ معي، فسأخبركِ بكل ما ترغبين معرفته»، قال آش مبرراً.

«لن أذهب معك إلى أي مكانٍ قبل أن تجيبني. **هل كنت تساعد كونر؟**».

تنهّد ونظر إليّ بأسى. «كما قلت لكِ، الأمر ليس بهذه البساطة».

كان قلبي يدق بقوةٍ وصلت حد الألم، وشعرتُ فجأة بالعجز عن التقاط أنفاسي، فتمسكتُ بأحد الأغصان كي لا أتهاوى. كل ما فكرت فيه عن آش، كل ما شعرت به تجاهه - كان كله مبنياً على كذب.

«يوم وصلتِ إلى هنا»، قال آش بهدوء، «جاء إليّ كونر ليخبرني بأنه تلقّى معلومة مفادها أن أختي مُدرجة على قائمة اغتيالات الأسود بما أن عائلتي لم تعقد تحالفاً معهم». كان صوته مشوباً بالخوف، لكني منعتُ نفسي من التأثر بأي من ذلك. «ليلى فتاةٌ بارعة، ومن أكثر الطلاب ذكاءً في هذه المدرسة، فلطالما كانت هدفاً مُحتملاً. ظننتُ في البداية أنه يتلاعب بي بفكرة التهديد هذه، لكني قرأت أفكاره، يا نوفمبر. كان يعني كل كلمةٍ قالها. أخبرني بأنه في موقعٍ يسمح له بشطب اسمها عن قائمة الاغتيالات، إلا أنه سيكون هناكَ

ثمن لذلك، وأنه عليّ القيام بشيء في المقابل، وتبيّن أن هذا الشيء هو... أن أتلاعب بك».

«فماذا فعلتَ؟ توددت إليّ، وجعلتني أثق بكَ، لتتمكّن من تسليمي لهم؟». ضاق حلقي وأنا أحاول ابتلاع الألم الذي كاد يخنقني. «الليلة التي مات فيها ستيفانو، ذلك الممر ـــ».

«أجل، طلبتُ منكِ سلوك ذلك الممر، لكني لم أكن أعلم ما ينتظركِ هناك. أقسم لكِ»، قال فيما كانت عيناه تتوسلان إليّ بأن أفهمه. «الدكتور كونر لم يخبرني بشيء».

شعرتُ بالغثيان. «هل شاركتَ في المخطط لقتل ستيفانو؟ الشاب الذي تستلطفه **أختك؟**».

«لا! لم أكن أعلم أن ستيفانو سيُقتل طبعاً، ولم أكن أعلم أيضاً أن المستهدف كان ماتيو. لم أكن لأوافق على مساعدة الدكتور كونر لو كنت عرفت أياً من ذلك».

حدّقتُ في آش برعبٍ وأنا أستعيد في ذهني كل ما حدث في الأسبوعين الأخيرين. «لو لم يقم الحارس بتغيير مساره العادي ليحميني، هل كان سيكون في ذلك الممر؟ هل كانوا سيقبضون عليّ مع جثة ستيفانو؟».

«أجل»، همس آش.

وضعتُ يديّ على وجهي، عاجزةً عن استيعاب ما يقوله لي.

«نوفمبر ـــ»، قال وهو يمدّ يده نحوي.

«إياكَ أن تجرؤ على الاقتراب مني»، قلتُ له وأنا أرتجف من الغضب. «حين أرسلتني عبر ذلك الممر، لم تكن تعلم ما الذي ينتظرني. لربما كان أحدهم هناك ومعه سكين ليقتلني! أنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟».

«أجل»، قال، حتى أنه لم يحاول الإنكار.

رحتُ أمشي جيئةً وذهاباً، فتحتُ فمي لأقول شيئاً لكني أغلقته من جديد. طوال هذا الوقت، الحلقة المفقودة، الأمور التي تعذّر عليّ فهمها - كانت من صنع آش. كنت أعرف ذلك في قرارة نفسي. شعرتُ منذ البداية بأنه لا ينبغي بي أن أثق به، ومع ذلك سمحتُ لنفسي بالوثوق به. «لقد أتيتَ إليّ إذاً وعرضتَ المساعدة في كشف القاتل في حين كنت تعلم منذ البداية من هو. لماذا؟ للحصول على معلوماتٍ مني ثم نقلها لكونر والأسود؟ أنت... خذلتني».

«**لم أكن أعلم** أن تشارلز يخطط لشيء. لم يخبرني كونر بشيء عن الخطة سوى أنه عليَّ استدراجكِ خارجاً بعد حظر التجول، وإرسالك عبر ذلك الممر في طريق العودة»، قال آش بصوتٍ أكثر تأثراً.

«كل تلك الأسئلة التي طرحها عليَّ كونر عنك... وهو يعلم أنك تخدعني»، قلت وصوتي يرتجف، فضغطتُ على شفتيَّ محاولةً استعادة رباطة جأشي.

نظرتُ إلى آش. بدا وكأنه يريد الاقتراب مني، وهو ما زاد من استيائي.

«وفي ذلك الاجتماع، حين رمى تشارلز السكين عليّ؟ هل تصديتَ لتلك الضربة لتكسب ثقتي ويتسنى لك لاحقاً السؤال عن أبي؟». اختنق صوتي فحاولت يائسةً أن أنفض عن نفسي أي مشاعر.

«لا، طبعاً لا»، قال آش بصدقٍ واضح جعلني أرغب بتصديقه. لكن كيف لي ذلك؟ «لقد تصدّيتُ لتلك السكين بملء إرادتي. أما المعلومات عن والدكِ، فأنا من كنت مهتماً بها. كنت أحاول أن أفهم لماذا يتكبّد كونر كل هذا العناء لقتلكِ. كانت محاولة اتهامك بقتل ستيفانو أمراً مفهوماً، ولكن مع محاولة تشارلز ثم نيكس قتلك،

بدا واضحاً أن كونر مصمم على التخلص منك، أو ربما الأسود، أو كليهما معاً».

«وماذا الآن؟»، سألته باستياء. «هل يُفترض بي أن أصدّق أنك لم تعد تعمل مع كونر؟». بدا الاشمئزاز واضحاً في صوتي. «ماذا عن ذلك الاتفاق لوضع ليلى في السجن بهدف إبعادها عن الخطر؟ هل عقدتَه مع كونر أيضاً؟».

«لا، لقد عقدتُ هذا الاتفاق مع بلاكوود»، قال آش بنبرة حيادية. «أعتقد أنكِ محقّة في أن بلاكوود تحاول وضع حدٍ للدكتور كونر، لكن فكّري في الأمر: لا يمكنها استبعاده من المدرسة، في ظلّ إحكام الأسود قبضتهم على المكان. وإذا قامت بقتله، فسيؤدي ذلك إلى اندلاع حربٍ على نطاقٍ أوسع بكثير. لهذا عقدتُ معها اتفاقاً بأن أتكفّل بحمايتك إذا ما تكفّلت هي بحماية أختي».

«وهل وافقت على ذلك؟».

«لم توافق أول الأمر. لقد ضحكتْ في البداية. قالت إنكِ لستِ بحاجة للحماية، وإنك أشدّ فتكاً مني. فوعدتها بدلاً من ذلك أن أفعل كل ما بوسعي لوضع حدٍّ للأسود. فما دام الدكتور كونر حيّاً، فإن الأسود لن يتوقفوا عن محاولة النيل منك».

شعرتُ بالدوار. «هل قالت بلاكوود إنني أشد فتكاً منكَ؟ هذا مستحيل. وإياك أن تقول إنك فعلتَ ذلك **لتساعدني**»، قلت بصوتٍ مختنق.

«لهذا أنا لم أخبركِ»، قال آش، وبدا وكأنه يريدني أن أفهم حقيقة نواياه. «أنت ترين الأمور من منظور الخير والشر، الصواب والخطأ، وكونكِ أحد أفراد استراتيجيا يعني أن تعيشي في حياة عبارة عن تدرجات من اللون الرمادي، حيث المساومات هي العرف السائد».

هززتُ رأسي، ولا يزال شعور الغضب عالقاً في حلقي.

«وبالتأكيد فعلتُ ذلك **لأساعدكِ**»، قال بإصرار. «أتمنى لو أنني لا أهتم لأمركِ. أتمنى لو كان بإمكاني تسليمكِ للأسود والانتهاء من الأمر برمّته. لكنني لا أستطيع ذلك. ولن أفعل ذلك. حين أخبرتكِ عن مشاعري تجاهك، لقد قلّلتُ من شأن الموضوع. فأنا لا أُجيد إظهار مشاعري تجاه الآخرين. لم أُشجَّع على أن يكون لديّ أصدقاء مقربون مثلما كان الأمر بالنسبة إليك. لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لأيٍّ منا. الصديقة الوحيدة التي حظيتُ بها دُفنت حيةً في سريرها. لذلك أعترف أنني لا أجيد ذلك. نعم، لقد تسببتُ بفوضى عارمة، لكنني في المقابل فعلتُ ما بوسعي لحمايتكِ أنتِ وليلى. لا أعرف كيف أقولها، أو كيف أشرح لكِ، أو كيف أخبركِ، بعد أن عرفتكِ لفترةٍ وجيزة فحسب، أنني ــــ»، قال آش ثم توقّف عن الكلام فجأة.

أخذ نفساً عميقاً. «لو كان بإمكاني التراجع عما قمتُ به لفعلت. لقد تسببتُ بفوضى عارمة، لكنني أقسم بأنني سأصلح كل شيء، يا نوفمبر. امنحيني فرصة فحسب».

نظرتُ إليه ملياً وأنا أقاوم سيل المشاعر المتضاربة داخلي التي أوشكت على الانفلات.

«حسناً»، قلت له وأنا أحاول السيطرة على صوتي قدر الإمكان. «لقد قلتَ ما لديك، سأغادر الآن».

كانت عيناه حزينتين جداً بحيث صعُب عليّ النظر إليه. انحنى وسحب خنجراً من حذائه ثم ناولني إياه.

هززتُ رأسي بعنادٍ لكنه أمسك بكفِّي ووضع الخنجر فيها، فسحبتُ يدي منه ووضعت الخنجر في حذائي، لا لأنني أردتُ الخنجر، بل لأن لا يمكنني البقاء هنا ثانية أخرى والتجادل معه.

«أرجوكِ فقط ـــــ»، قال، لكني رفعت يدي لأقاطعه.

«لا تقل شيئاً»، قلت ثم أمسكت بأحد الأغصان بيدين مرتجفتين وبدأت النزول، وأنا أكابد كي لا أنفجر بالبكاء.

تقدمتُ بين الأشجار ببطء، وكلما ابتعدت أكثر، زادت الغصة في قلبي أكثر. ولم يسعني إلّا أن أتساءل عن مقدار ما تعرفه ليلى من كل ذلك.

كنت على وشك الوصول إلى الأرض حين سمعتُ طقطقة غصنٍ فوق رأسي. نظرتُ إلى أعلى لكن آش لم يكن هناك، كما أني أعلم يقيناً أنه لن يُصدر صوتاً كهذا، فآش يتسلق الأشجار بصمتٍ تام مثلي تماماً.

سمعتُ حفيف أغصانٍ على يميني، فارتعشتُ خوفاً. بدا كلُّ شيء غارقاً في الظلام وسط الضوء الخافت والأشجار الكثيفة. كنت على وشك الصراخ من الإحباط، وكل ما أردته هو الابتعاد من هذا المكان والعمل على تخطي هذه الليلة الفظيعة. لكن إذا كان هناك أحدٌ ما أعلى تلك الأشجار، فسيواجهه آش وحيداً. وبقدر ما كنت غاضبةً، لم يكن بإمكاني أن أهرب وأدعه يقاتل وحده.

ضربتُ غصناً بقبضتي وأغمضت عينيّ. **تباً. أنا حقاً أكرهك، يا آش.** وعندما فتحت عينيّ ثانيةً، أمعنتُ النظر في الأشجار في الاتجاه الذي أتت منه الطقطقة بحثاً عن أيّ إشارة على الحركة.

كان ضوء القمر خافتاً، لكن كانت الريح ساكنة أيضاً مما أتاح سماع الأصوات بوضوح. أخذت نفساً عميقاً ورحتُ أركز جيداً وأصغي السمع. ولبضع ثوانٍ، لم يكن هنالك شيء سوى طنين الحشرات في الغابة. ثم سمعت فجأةً ضربة قريبة ووقع أقدام على جذع شجرة.

التفتُ يميناً، فلمحت طيفاً يتحرك بين الأغصان من فوقي.

كنت أزحف بصمتٍ على أحد الأغصان حين سمعت صوت ضربة أخرى، لم يكن صوت وقع أقدام هذه المرة، بل صوت لكمة بلا شك، تلاها صوت ارتطام وشهقة.

توقّفت في الحال، ورأيتُ آش يتصارع مع شخصٍ يرتدي عباءة فوق غصن صغير في الأعلى. كاد قلبي يتوقف حين تذكّرت **أنه لا يحمل خنجره.** رأيتُ آش يضرب خصمه ويلقي به إلى غصنٍ في الأسفل، فنزل آش خلفه وغاب عن نظري.

تحركتُ بين الأغصان بسرعة إلى أن وصلت إلى وسط الفناء ثم أمسكتُ بغصنٍ وتسلقته بسرعة كبيرة بحيث تأذت يداي. رأيتُ آش من جديد وهو يسدّد ركلة، أردتُ أن أناديه وأخبره أنني قادمة لكن تشتيت انتباهه الآن هو أسوأ ما يمكنني فعله.

استعاد خصم آش توازنه وعاد للعراك، فاشتبك الاثنان وسقطا على غصنٍ في الأسفل.

اندفعتُ بسرعة بين الأغصان إلى أن وصلتُ غصناً على بعد بضع أمتار فوقهما، فانحنيتُ وأنا قريبة بما يكفي لأرى وجه الشخص الآخر في الظلام. إنه **فيليكس**. نهض واقفاً على قدميه، ولكن آش لم ينهض. **انهض، يا آش!** دقّ قلبي دقةً مدوّية.

تراجع فيليكس وركل آش ركلةً قوية لدرجة أنني سمعت صوت قدمه على أضلاع آش، الذي أسقطته قوةُ الضربة من فوق الغصن. تمسّك بإحدى العرائش لينتقل سريعاً إلى غصنٍ آخر ويسقط إلى الأسفل في الظلام.

«لا!»، صرختُ، فالتفتَ فيليكس إليّ والتقتْ أعيننا. لكني لم أبالِ أنه رآني، فقد تمت مطاردتي طوال فترة وجودي في هذه المدرسة، **وطفح كيلي**.

قفزتُ إلى الأسفل حيث الغصن الذي يقف عليه فيليكس.

مسح الدم عن فمه براحة يده ثم نظر إليّ بعجرفة. «حسناً، لقد وفرتِ عليّ عناء سحبكِ من غرفتكِ».

رأيتُ كتفه اليمنى ترتعش وتصديت لضربته، فأتبعها بلكمة بيده اليسرى لكنني تمكّنتُ من تفاديها أيضاً.

«لنأمل أنكَ أفضل من أبيكَ حين واجه والديّ»، قلتُ وأنا أسحب خنجر آش من حذائي وأوجهه نحوه.

تفادى الضربة وهو يشتم. «ولنأمل أنكِ أفضل من أمكِ الميتة»، قال وهو يوجّه لي ضربةً أخرى، فانحرفتُ يساراً وشطبته بالسكين على كتفه.

لكن لم يبدُ عليه الغضب أو الألم، بل ابتسم في وجهي. وللحظة، بدا لي مشوّشاً. **ما الذي يحدث بحق الجحيم؟** كان ينظر إلى ساقي، فتبعتُ نظراته لأرى إبرةً مغروزةً في فخذي. تباً.

راحتْ الأغصان تتراقص أمام عينيّ فسقطت السكين من يدي في اللحظة التي كان يوجّه فيها ركلةً إلى بطني. لكن بدلاً من محاولة تفاديها، تلقّيتُ الضربة المؤلمة وتمكنتُ من لف ذراعيّ حول ساقه والتشبث بها. إلا أنني فقدت توازني وبدأت أترنح، ففقد توازنه هو الآخر ليسقط كلانا من فوق الغصن.

«سآخذك معي»، تمتمتُ وأنا أتشبثُ بساقه.

أمسكَ بأحد الأغصان ليبطئ من سرعتنا، لكننا بقينا نهوي بسرعة نحو الأرض ونحن نصطدم بالأغصان. حاولت يائسةً إبقاء عينيّ مفتوحتين والتمسّك بساقه، لكن أجفاني خذلتني ورمشتْ مرةً أخيرة ثم تحوّل العالم من حولي إلى ظلام.

39

عندما استعدتُ وعيي، رأيت ألواناً تتراقص أمام عينيّ، وشعرتُ بألمٍ حاد في كتفيَّ ورأسي وضلوعي. وضوضاء تخبو وتعلو. بالكادِ استطعت فتح عينيّ فرأيت قماشاً كستنائياً. . . أريكة ربما؟

حاولت الجلوس، لكني كنتُ جالسةً بالفعل. حاولتُ جاهدةً فتح عينيّ، واستغرق الأمر مني بعض الوقت لأتبين ما حولي. رأيتُ ذراعيّ اللذين تغطيهما الندوب والجروح، ومعصميّ المقيدين بإحكام إلى ذراعيّ كرسيٍ خشبي. وبما أنني لا أستطيع تحريك قدميّ، فأغلب الظن أن كاحليّ مربوطان بأرجل الكرسي أيضاً، وإذا ما حاولت تحرير نفسي، فسوف تؤذيني القيود.

شممتُ فجأةً رائحة كريهة تشبه الأمونيا، وبدأتُ أصحو شيئاً فشيئاً. هناك رجلٌ يقف أمامي وبيده قارورة زجاجية يمررها تحت أنفي. كان ظهر الكرسيّ الذي أجلس عليه محاذياً للجدار، واستطعتُ رؤية طاولة مكتب كبيرة على يميني ومدفأة على يساري.

بدأتُ أسعل وأبعد أنفي عن الرائحة، وقد صحوتُ تماماً.

أغلق الرجل القارورة ووضعها في جيب سترته. ركّزت عليه وأدركت فجأة أين أنا ومن يكون. أوه، **لا!**

كان كونر يراقبني عن كثب وأنا أستعيد ذكريات الليلة الماضية: آريا، آش، فيليكس. . .

«حسناً، ها أنتِ هنا»، قال كونر بكل تلقائية.

«ماذا فعلتَ؟ أين آش؟». كان الخوف واضحاً في صوتي ولا بدّ أنه لاحظ ذلك.

ابتسم كونر. «أن تقلقي على شخصٍ كان يتآمر **لقتلكِ** أمرٌ يثير دهشتي»، قال بنبرة ساخرة وكأن الأمر مُعيب. «إنها مثل والدها تماماً»، قال مغمغماً، لكنني عرفتُ أنه كان يتقصّد أن أسمع ذلك.

تجمدتُ عند ذكره أبي.

نظر إليّ نظرةً تنم عن المعرفة. «وهذا أمرٌ آخر عنكِ. أنت شخصٌ من السهل قراءته، وهذا في الحقيقة مخيب للأمل، فقد يظن المرء أن دم استراتيجيا الذي يجري فيك سيكون أكثر تأثيراً، لكن للأسف». شبك يديه خلف ظهره. «أجل، أنا أعرف والدك، يا نوفمبر. وحين رأيتكِ وأنت صورة طبق الأصل عن والدتك، توقعتُ أن تكوني أكثر مهارةً وفطنةً، أن تكوني خصماً حقيقياً، لكن أنتِ؟!». ضحك. «أنا لا أقول إنكِ لا تشبهينهما. ففي النهاية، لقد ورثتِ **أسوأ** صفاتهما».

كرهتُ الطريقة التي تحدث بها عن والديَّ. كان من الواضح أنه يحاول إثارة غضبي.

«هل يغضبك أن أتحدث عن والدك؟»، قال كونر وكأنه يقرأ أفكاري، ثم نفخ صدره. «حسناً، في هذه الحالة، لا أظن أنكِ ستستمتعين بالوقت الذي سنقضيه معاً».

أطبقتُ قبضتي حتى انغرزت القيود في جلدي وآلمتني.

«والآن، يا نوفمبر»، قال ببطء، «أين والدك؟».

كنت أعاني بسبب القيود، تباً للألم. «لا أعرف»، أجبته، لأنها الحقيقة.

نظرتُ إلى مكتبه على يميني، لكنه كان أبعد من أن أتمكّن من أخذ السكين المخبأة تحته التي أخبرتني عنها آريا.

تنهّد كونر. «قد لا تعرفين أين هو الآن، لكن يمكنكِ إخباري أين تسكنين».

ضاق نفسي فجأة. إذا أعطيته عنواني في بيمبروك، فسيتعرض مَن أحبهم للخطر؛ أبي وإيميلي.

ابتسم كونر. «أرى أنكِ فهمتِ سؤالي الآن. بناءً على تقييمي لك ولمهاراتك، يمكنني التكهّن بأن والدك أخبأكِ في بلدة هادئة في الأرياف، لم تغادريها. وأنه يمارس على الأرجح عملاً عادياً لا يلفت الأنظار. في مكان بالقرب من غابةٍ ما - حيث الكثير من النور والأشجار».

جفلت وأنا أتذكّر كيف اخترت اللونين الأصفر والأخضر في اختبار الألوان في أول يومٍ لي هنا - ماذا كشفتُ من معلوماتٍ أيضاً في تلك المقابلة معه؟

«لم يكن العثور على خالتك بالأمر السهل، رغم أنها كانت تعيش في مدينةٍ صغيرة»، قال بعفوية وكأنه يتحدث عن أحوال الطقس. «أما والدك. . . فقد نجح في مراوغتنا لوقتٍ طويل جداً. فلطالما تميّزت عائلتنا في أمور الخداع والتمويه».

ضاق صدري عندما أتى على ذكر الخالة جو، واغرورقت عينيَّ بالدموع. «سوف أقتلك!»، صرختُ فيه.

«أجل، أجل. ستكون هذه فكرةً ممتازة»، قال كونر وقد بدت عليه تعابير التسلية نفسها التي تعلو وجهه حين يظنّ أنه كشف كذبي. «الآن وبعد أن قلتِ ما لديكِ، دعينا نعود إلى سؤالنا».

لم أرغب بإيذاء أحدٍ من قبل بقدر ما رغبت بإيذائه في تلك اللحظة. كانت كل ذرةٍ من جسدي تخزني من شدة رغبتي بضربه. لكن لم يكن كونر الوحيد القادر على قراءة الآخرين. فكلما اعتقد أنه سبّب لي مزيداً من الألم، ازداد هو سروراً. لذا فإن الاستسلام للغضب لن يفيدني بشيء. إذا كنتُ قد تعلمتُ شيئاً في هذا المكان، فهو أنك لن تستطيع التفكير بمخرج لمشكلةٍ ما إذا تركت العاطفة تسيطر عليك. أخذتُ نفساً عميقاً وبدأتُ أستجمع أفكاري. **هو لا يعرف مكان أبي**، قلتُ مطمئنةً نفسي، **ولا يعرف شيئاً عن بيمبروك.**

«الصمت؟ هل هذا خيارك؟»، سألني.

فكرتُ بحرق القيود، لكن المدفأة بعيدة، وحتى لو تمكّنتُ من الوصول إليها بطريقةٍ ما، فسأحرق نفسي قبل أن تبدأ القيود بالذوبان.

مسّد كونر لحيته وهو يخطو جيئةً وذهاباً أمامي. بدا مرتاحاً. «عرفتُ حين عرضتُ عليك تينك الكرسيين في اجتماعنا الأول أنكِ لا تحبين الجلوس وظهرك إلى الباب - لا تحبين أن تكوني عرضةً للمجهول. تحبين التفاصيل والمعلومات. ترصدين المحيط والمخارج من حولك تماماً كما تفعلين الآن. ورفضتِ أيضاً الكرسيّ الذي كنتُ أقف خلفه - لا تحبين أن يدفعك الآخرون أو يتحكموا بك بأي شكلٍ من الأشكال. لذلك قمتِ بابتكار كرسيّ لنفسك في الأخير».

بلعتُ ريقي. ذكّرني ذلك بكلام أبي عن أهمية التفكير على نحوٍ مختلف. كان يعلم أنني سأواجه جماعة استراتيجيا يوماً، والميزة الحقيقية الوحيدة التي كان بإمكانه أن يقدمها لي هي **ألا** أفكر مثلهم، و**ألا** أقاتل مثلهم.

أريدكِ أن تفكّري بحلولٍ مختلفة ومبتكرة. وأريدكِ أن تنظري إلى العالم من حولكِ بمنظوركِ الخاص الفريد. إذا تعلمتِ الضرب بطريقة معينة في الملاكمة أو القفز بطريقة معينة في الووشو، فسيلجأ لهما عقلكِ تلقائياً كردٍّ جاهز. لا أريدك أن تعتمدي على نفس الردود التي يعتمد عليها الآخرون. أريدكِ أن تبتكري ردكِ الخاص. إذا تعملتِ مقاربة قتالٍ ما من زاوية غير متوقعة، فستصبحين السلاح الذي لا يمكن لخصمك التنبؤ به.

«سأعطيكِ خيارين من جديد»، قال كونر وهو يراقبني، «لكن لن يُسمح لك أن تختاري كرسيك الخاص هذه المرة».

«أتعلم، يبدو هذا غريباً»، قلتُ له في محاولة لكسب الوقت، «أنت تقول إنني خصمٌ ضعيفٌ، لكنك فشلتَ في قتلي ثلاث مرات مع ذلك. وأجل، لقد اكتشفتُ أنك مَن يقف وراء كل تلك المحاولات قبل أن تأتي بي إلى هذا الكرسي. لذا، إن كنتُ أنا ضعيفة، فلا بد أنك فاشلاً حقاً».

زمّ كونر شفتيه وصفعني على وجهي. هوى رأسي إلى الجانب وطنّت أذناي لكني حافظت على رباطة جأشي؛ لم أصدر أي صوتٍ ولم أُظهر له أنه آلمني. امتلأ فمي بالدم فما كان مني إلا أن بصقت في اتجاهه.

«لدينا متسع من الوقت، يا نوفمبر»، قال كونر وقد بدا عليه بعض الاستياء. «أنت مَن تحددين كم تريدين جعل هذا مؤلماً».

اتجه كونر إلى خلف مكتبه وضغط على لوحةٍ هناك، ففُتح بابٌ خلفه كما ذكرتْ آريا بالضبط. ظلّ كونر يراقبني بينما دخل فيليكس الغرفة وهو يعرج ويجرُّ آش.

شددتُ قبضتي على الكرسي بقوة حتى انغرزت أظافري في الخشب.

كانت يدا آش مُقيدتين خلف ظهره وكاحلاه مُكبلين، كما تلطّخ جسده بالدم وغطّته الجروح والكدمات، لكنه كان يتنفس. ألقى به فيليكس على الأرضية الحجرية على بعد ثلاثة أمتارٍ مني تقريباً.

صدرت عن كونر ضحكةٌ خافتة اقشعر لها بدني. «يبدو أن آشاي خاننا نحن الاثنين، لكن بالنظر إلى القلق البادي على وجهكِ، فأنا أقل تسامحاً منك بكثير».

أخبرني آش أن علينا مغادرة الفناء، وأن لديه خطة لإصلاح الأمور، لكنني لم أصغِ إليه ووقفت أجادله بإصرارٍ هناك. عنادي أعطى فيليكس الفرصة ليَتمكّن من آش، والآن...

حاولت التخلص من القيود التي تكبل قدميّ، لكن دون جدوى.

«سأعطيك خياراً سهلاً هذه المرة»، قال كونر رافعاً طرف شفته قليلاً - نفس التعبير الصغير عن الازدراء الذي أظهره برندان في درس فنون الخداع. اتجه إلى مكتبه وفتح دُرجاً، وراقبته وهو ينزع أرضية الدرج ويسحب من تحتها قارورة زجاجية خضراء صغيرة. **هذا ما حذرتني منه آريا**. تشنجت معدتي من الخوف.

اقترب كونر من جسد آش المُلقى على الأرض وأخرج قارورة الأمونيا من جيب سترته، نزع الغطاء عنها وقرّبها من أنف آش. رمشتْ جفون آش قليلاً.

«سيتعين عليكِ اختيار كرسي هذه المرة، يا نوفمبر، فلا خيار لابتكار كرسيك الخاص»، قال كونر. «سؤالي لك هو: هل ستتركين آش يتلوى من الألم ويموت ببطء؟ أم أنكِ ستخبرينني عن مكان وجود أخي؟». لفظ الجزء الأخير من كلامه ببطءٍ، ليتأكد من أنه يحظى بكامل انتباهي.

ضاق نفسي ورحت أتنفس بصعوبة. صعُب عليّ فهم كلامه.

«**أخوك؟**»، قلت وأنا أختنق بالكلمة. «لكن لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، أنا لستُ... أنت لستَ... لا».

لمعت عينا كونر فرحاً، وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة منذ زمنٍ طويل.

«ليس لوالدي أخ»، قلتُ وأنا أتمنى أن أكون قد أخطأت الفهم، فأنا أرفض أن يكون هذا المُختل فرداً من عائلتي.

للحظة خاطفة، بدا على كونر نفس الارتباك الذي يتملّكني. «حسناً، هذا مُحبط»، قال ثم مرّر قارورة الأمونيا تحت أنف آش ثانيةً، فرمشت عيناه أكثر هذه المرّة.

نظر كونر إليّ بغضب والشرر يتطاير من عينيه. «لقد هرب مع تلك الساحرة الشريرة من عائلة الذببة بعد أن قتلتْ عمّنا... **أمام عينيّ**. هذا ما حصل. وعلى مَن وقع اللوم لعدم إيقافها برأيكِ؟ ثم اختارها **هي** وتخلّى عن أخيه، ليتركني مُحطماً، ومدمَّر السمعة في عائلتنا. ويجرؤ بعدها على **الادعاء أنني غير موجود؟**». راح صوته يعلو تدريجياً، وثمة شيء مخيف في الطريقة التي ينظر إليّ بها، وكأنه لا يراني أنا، بل يرى شخصاً آخر.

وقف كونر وركل آش في بطنه. جفلتُ وأردتُ أن أصرخ به ليتوقف، لكني أعلم أني سأزيد الأمر سوءاً إن فعلت. سعل آش فركله كونر ثانيةً، بقوة أكبر هذه المرة. تأوه آش وفتح عينيه.

بدأتُ التحدّث بسرعة، في محاولةٍ لجذب انتباهه إليّ من جديد. «لا. إطلاقاً. لم يأتِ على ذكرك أبداً. أقصد، أنا لا ألومه حقاً، فلم أكن لأذكرك أنا أيضاً».

رمى كونر قارورة الأمونيا لتتحطم على الجدار بقربي، فتطاير رذاذ السائل اللاذع على جسدي مُسبباً حروقاً شديدة لجروحي إلى

درجة أن عينَي اغرورقتا بالدموع. نظرتُ إلى قطع الزجاج المتناثرة على الأرض فتتبع كونر خطَّ نظري، ثم أومأ لفيليكس.

اقترب فيليكس مني دون أن ينظر في عينيّ، إلا أن يده اليمنى ارتعشت قليلاً، فتأهبتُ لتلقّي لكمة على بطني، كانت من القوية بحيث قطعتْ أنفاسي للحظة.

«نوفمبر؟»، تمتم آش وقد جحظت عيناه.

«الآن»، قال كونر بنبرة أهدأ هذه المرة وهو يمسد شعره وكأنه لم يفقد أعصابه لتوه. «كما سبق وقلت، مذا تختارين؟ المكان أم آش؟».

حوّل آش نظره مني إلى القارورة الزجاجية في يد كونر، وقد بدا إدراكُه لما يحدث واضحاً على وجهه. «لا تفعلي، يا نوفمبر»، قال آش، وعرفت من نبرة صوته كم كان يتألم. «مهما فعلتِ، ومهما فعل بي، لا تخبريه أبداً بما يريد معرفته».

أومأ كونر وكأن الأمور تسير وفق مخططه تماماً. «هل ستتركين شخصاً يهتم لأمرك إلى هذا الحد يموت؟».

«آش...»، قلت بأنفاس متقطعة.

«لا»، قال آش بحزم، «إنه خطئي، أنا من أفسدت الأمور، وها هو الآن يتلاعب بنا. انظري إليه. الأمر واضحٌ على...».

ركل كونر آش مجدداً، فانكمش على نفسه من الألم.

«إنه خيارٌ بسيط»، قال كونر وهو يفتح قارورة السمّ.

فتحتُ فمي لكن لم يصدر منه أي صوت. لن أسامح نفسي أبداً إذا تركت آش يموت. لكن إذا أخبرت كونر عن بيمبروك، فقد يعثرون على أبي وينتقمون بقتل مَن أحبهم هناك.

«لا أسمعكِ»، قال كونر، ثم توقف عن الكلام فجأة إذ سُمع صوت خدش من جهة الباب.

وضع فيليكس يده على فمي وأنفي بسرعة ليمنعني من الصراخ.

«إياكِ أن تنطقي بحرف وإلا قتلته»، همس كونر، «أتفهمين؟».

أومأت براسي، فأبعد فيليكس يده عن فمي.

عاد صوت الخدش ثانيةً، وكأنها قطة تحاول الدخول.

«تعامل مع الأمر»، قال كونر، فاتجه فيليكس نحو الباب.

فتح الباب قليلاً وألقى نظرة إلى الخارج. «لا يوجد أحد هناك»، قال بصوتٍ مُرتبك، ثم أغلق الباب ثانيةً. لكن في اللحظة التي أغلق فيها الباب، سمعنا صوت الخدش مجدداً.

فتح فيليكس الباب على نحوٍ أوسع هذه المرة، فامتدت يدٌ وأمسكت بياقة فيليكس وضربت رأسه بجانب المدخل، فجحظت عينا كونر فيما تهاوى فيليكس على الأرض.

أغلق كونر زجاجة السم وعاد ليجلس إلى مكتبه بسرعةٍ.

«حسناً، هل أقمتم حفلةً لم أُدعى إليها؟»، قالت آريا بلكنة رعاة البقر الفظيعة وهي تهبط من أعلى المدخل وتتكئ على الباب المفتوح وكأنها لا تبالي بشيء.

مرر كونر يده تحت طاولة مكتبه.

«هل تبحث عن هذه؟»، سألته آريا، ولوحتْ بسكينٍ في يدها.

تشنج فكّ كونر. «لا تريدين دخول هذا القتال، يا آريا»، قال كونر، «هناك أشخاص في هذه المدرسة لا ترغبين في فقدانهم».

أومأت آريا برأسها. «أنت محقّ، لا أريد دخول هذا القتال»، قالت ثم سحبتْ ذراعها إلى الخلف، لكن بدلاً من رمي السكين باتجاه كونر، استدارت ورمتها نحوي. شهقتُ وأنا أرى السكين تستقر في ذراع الكرسي، قريبة من معصمي الأيسر بما يكفي لكي أمرّر على نصلها القيد وأفكه.

«لكن هي تريد ذلك»، قالت آريا.

وثب كونر باتجاه آش، فأمسكتُ السكين بسرعةٍ وقطعتُ القيود المتبقية، ثم وقفت وأنا أترنح والسكين في يدي، فيما أمسك كونر بفكّ آش وفتح فمه بالقوة وقرّب زجاجة السم من شفتيه.

«فكري مليّاً، يا نوفمبر»، قال كونر، «لن يتسنى لك اتخاذ هذا القرار من جديد».

ركزتُ نظري على كونر.

«هل يستحقّ الأمر أن تقتلي آشاي من أجله؟»، قال كونر، وقد بدا شخصاً عقلانياً فجأة.

«ارمي السكين، يا نوفمبر»، قالت آريا.

لا تقاتلي مثلهم يا نوفمبر، قاتلي بأسلوبكِ الخاص.

زفرتُ وأسقطتُ السكين من يدي ببطء، فهبطت أرضاً واستقر مقبضُها على الطرف الأمامي لحذائي.

تقدمت آريا.

«توقّفي، يا آريا»، أمرتها بحزمٍ، ففعلت.

نظر كونر إليّ وكأني حمقاء. «قد تكوني على حقّ. لا أدري كيف يُعقل أن نكون أقرباء». وضع طرف الزجاجة عند فم آش وضغط على أنفه وفمه لإجباره على ابتلاع السم.

«لا!»، صرختُ عالياً.

راح آش يسعل ويلهث على الأرض، ووقف كونر في اللحظة التي ضربتُ فيها بقدمي نصل السكين لأقذف بها في الهواء وأمسك بمقبضها وأرميها بسرعة بحيث لم يتسنَّ لكونر الاقتراب مني. كانت تسديدة موفقة، فقد استقرت السكين عميقاً أسفل كتفه.

جحظت عيناه وهو يترنح مُحاولاً التقدم خطوة إلى الأمام. ركضتُ نحوه وركلته على ركبتيه ملقيةً به أرضاً. سقط على ظهره بقوة، وبلمح البصر، كانت آريا بجانبي تثبته على الأرض.

أمسكتُ زجاجة السم المُلقاة قرب آش الذي كان يعاني آلاماً لا تُحتمل.

«أنتَ من عليكَ الاختيار الآن»، قلتُ لكونر، «الموت أم الحياة؟»، وسكبتُ السمّ المُتبقي في فمه.

سحبتُ السكين من صدره وهو يحاول ألا يصرخ من الألم.

«اتركيه يا آريا،» قلت لها، فبدتْ مترددة إلا أنها تركته رغم ذلك.

تقوّس ظهر كونر وجحظت عيناه، ومدّ يديه المرتجفتين على الفور إلى جيب سترته الداخلي وأخرج منه قارورة صغيرة.

فتح القارورة بصعوبة ووضعها على فمه ليرتشف منها رشفةً سريعة. انتزعتُ الزجاجة من يده على الفور وأنا أراقبه عن كثب لأتأكد من أنه ترياقٌ وليس مزيداً من السُمّ.

بدأ وجهه يستعيد حيويته تدريجياً، فيما كانت عينا آريا تلمعان وكأن هذه أفضل لعبة لعِبتها منذ دهر.

هرعتُ نحو آش وجثوت بقربه، ورفعتُ رأسه برفق. «تماسك، تماسك فحسب، يا آش، إياك أن تموت»، قلت وسكبت ما بقي من الترياق في فمه فكاد يختنق وهو يبتلعه.

حين تأكدت أنه ابتلع الترياق، رحت أقطع القيود عن يديه وقدميه. كانت آريا تراقب كونر وهو يحاول جاهداً إيقاف نزيف الجرح الذي سببته السكين.

«هل تقوم بجلسة تقييم متأخرة، يا دكتور كونر؟»، قال صوتٌ مألوف، فنظرت أنا وآريا في اتجاهه ورأينا بلاكوود واقفةً عند المدخل المفتوح وخلفها حارسان، تراقب المشهد كاملاً. خطتْ فوق جسد فيليكس الغائب عن الوعي، لكن لم يتبعها الحارسان.

لا أدري ما إذا كنتُ قد ارتحت لرؤيتها أم أنني كرهتها لأنها لم

تظهر إلا بعد أن قضي الأمر. لقد سبق وقال لي آش إنها لن تتحمّل أي مسؤولية عما حدث كيفما آلت الأمور.

«سأتولى الأمر الآن، أيتها الفتاتان»، قالت بلاكوود.

جلس آش بصعوبة، وقد تبدّد بعض الألم من عينيه، لكنه بدا منهكاً تماماً. حاولتُ مساعدته على النهوض لكنه هزّ رأسه ونهض بمفرده.

«عنيد»، تمتمتُ لنفسي.

وقفت بجواره كي أسنده في حال سقط أرضاً. بدا أنه يستعيد قواه بالتدريج، لكنه لا يزال مترنحاً.

«سآخذ **هذا** معي»، قالت آريا ثم أمسكت بكاحلَي فيليكس.

«يتوقّف ذلك على ما قام به»، قالت بلاكوود، «هل كان يساعدكما أم يساعد كونر؟».

«لا هذا ولا ذاك، في الحقيقة»، قالت آريا وقد بدا عليها الضعف لأول مرة. «لقد وجد نفسه في موقفٍ لا يستطيع التعامل معه، فكالأحمق ــــ»، أضافت آريا ثم توقفت عن الكلام فجأة وسعلت.

التفتت إليّ بلاكوود.

نظرتُ إلى آش. لقد كان يوماً في الجانب الخطأ من كل هذه القصة أيضاً، لكن هذا لم يمنعني من بذل كل ما بوسعي لإنقاذ حياته. كان من الممكن جداً أن يكون في الموقف الذي فيليكس فيه الآن.

نظرتُ في عينيّ آريا وأومأتُ برأسي. «الأمر كما أخبرتْكِ آريا تماماً، لقد وجد نفسه عالقاً وسط ما يحدث، خاصة وأن ابتزاز الناس هي عادة معروفة لدى كونر».

أومأت بلاكوود لآريا، التي سرعان ما سحبت فيليكس عبر الممر متجاوزةً الحارسَين، وهي تصفر مبتعدةً.

اقتربت بلاكوود من كونر، الذي كان يجر جسده على الأرض تاركاً شريطاً من الدم خلفه.

«سنعثر على والدك بطريقةٍ أو بأخرى»، قال كونر وهو يكزّ على أسنانه، «وعندها ستتمنين لو أنني قتلتك في هذه الغرفة».

«كلمات أخيرة مؤثرة جداً، لكنني أظن أن النقطة الأساسية هنا هي أنّه أيّاً يكن من سيجد والدها، فهو حتماً لن يكون أنت»، قالت بلاكوود وهي تحدّق في كونر باشمئزاز وكأنه كائن طفيلي مُقرف تفكر ماذا تفعل به.

لم أكلف نفسي عناء النظر إليه مجدداً. كانت الخالة جو محقّة بخصوص عائلة أبي. **غير مأسوفٍ عليهم**.

«بعد أن تأخذي آشاي إلى المستوصف، يا نوفمبر»، قالت بلاكوود بصوتٍ خافتٍ من دون أن ترفع عينيها عن كونر، «أريدك أن تلاقيني في مكتبي. . . أما الآن، فأغلقي الباب خلفكِ».

مكتبة
t.me/soramnqraa

40

كان آش قد غفا في المستوصف. لقد حاول البقاء مستيقظاً للتحدّث معي، لكن أياً كان ما أعطته تلك الممرضة، فهو أفقده وعيه. لقد تمتم بضع كلماتٍ غير مفهومة فحسب، ثم أغمض عينيه.

شاهدتُ صدره يعلو ويهبط، وتنهدتُ تنهيدة مسموعة. لو لم تظهر آريا في الوقت الذي ظهرت فيه، أنا لا أعلم حجم الخسارة التي كنت سأتعرض لها هذه الليلة. حياتنا نحن الاثنين على الأرجح، وربما حياة أبي أيضاً.

«علينا تعقيم جروحكِ»، قالت الممرضة، فالتفتُّ إليها. كان شعرها الأسود الطويل المضفور يصل إلى خصرها، فيه خصلة رمادية واحدة قرب صدغها تجعلها تبدو كالساحرة. كانت صغيرة البنية، لكن صوتها أجش وقيادي.

«أعلم ذلك، وأعدكِ بأنني سأعود، لكن المديرة بلاكوود طلبت مني الذهاب لمقابلتها أولاً»، قلت لها، فرمقتني بنظرةٍ صارمة.

«اذهبي إليها إذاً»، قالت الممرضة، وغادرتُ في الحال.

توجهتُ إلى مكتب بلاكوود عبر الممرات الغارقة في الصمت، ومررتُ أمام ثلاثة حراسٍ، نظروا إليّ جميعاً، لكن ليس وكأنه لا

ينبغي أن أكون هناك، ما جعلني أعتقد أنهم على علمٍ بما حدث مع كونر.

صعدتُ الثلاثة سلالم ببطء، وقد ازدادت آلامي وكدماتي مع مرور الوقت. وحين وصلتُ مكتب بلاكوود، كان هناك حارسان يقفان أمام بابها المقبب. فتح أحدهما الباب لي، لكنهما لم يتبعاني إلى الداخل. لا بد أن بلاكوود تريد خصوصية مطلقة، ولا يمكنني لومها بالنظر إلى دورها في كل ما حدث.

فاحت من المكان رائحة دخان الحطب المألوفة. جلستُ على الكرسي نفسه الذي جلستُ عليه يوم وصولي إلى هنا، ونطقتُ بأول جملة تبادرت إلى ذهني. «هل حاولتِ أن توصلي لي الرسائل بواسطة بعضٍ من أساتذتي؟».

رفعت بلاكوود حاجباً ونظرتْ إليّ باهتمام. «قد أكون اقترحتُ بعض الدروس لمساعدتكِ على التأقلم».

كان ردها المُلطّف ليضحكني في الأحوال العادية، إلا أن التعب والألم جعلاني عاجزة عن الضحك. «وعندما لكمني ماتيو ــــ».

قاطعتني بلاكوود. «أعلم أنه يتبادر إلى ذهنكِ أسئلة كثيرة الآن، وللأمانة، يحق لك طرحها، لكن أتمنى منك الاستماع إليّ أولاً»، قالت لي وأسندت ظهرها إلى الكرسي.

ظننتُ أن ما جرى هذه الليلة سيجعلها أكثر لطفاً في التعامل معي، إلا أنها أبقت على طريقتها الرسمية نفسها. أومأتُ لها بالموافقة.

شبكت بلاكوود يديها في حضنها. «لقد اتصل بي والدك عندما قُتلت خالتك، كان يبحث عن مكانٍ آمن لك في أسرع وقت».

انقبض قلبي. حين نقل لي كونر خبر موت الخالة جو، تساءلتُ

ما إذا كنتُ قد علمتُ بالخبر فور مقتلها، أم أنها قد قُتلت قبل ذلك. وفي حال مقتلها قبل قدومي إلى هنا، فهذا يفسّر لماذا أرسلني أبي إلى هنا من دون سابق إنذار، ومن دون أن يترك لي فرصةً لأودّع إيميلي أو أصدقائي الآخرين. لا بد أنه كان على درجةٍ عالية من التأهب طوال الوقت، يفكر بطريقةٍ لإخراجنا من هناك قبل أن يتمكن أحدهم من اقتحام منزلنا. ارتعشت من فكرة وصول استراتيجيا إلى بيمبروك، ورغم أنها خطرت لي من قبل، إلا أنها تحوّلت إلى رعبٍ فعليٍّ الآن.

«كما قلت لكِ يوم وصولكِ إلى هنا، نحن لا نقبل طلاباً في مثل سنّكِ عادةً، لكن الأمر لم يجرِ بالطرق المُعتادة معكِ. لقد قمنا في الماضي بمنح بعض الاستثناءات لطلابٍ من عائلات قيادية، ورغم أنك لا تحظين بمكانة بعد في أوساط استراتيجيا، إلا أنكِ تنحدرين من عائلتين قياديتين، وليس واحدة».

بلعت ريقي. لقد كنت مقتنعة تماماً بعدم انتمائي إلى هذا المكان بحيث إنني لم أفكر حقاً بمكانتي في هرمية استراتيجيا.

«هل كان أبي يعلم أن أخاه ـــ».

رمقتني بلاكوود بنظرةٍ حادة فأغلقت فمي. «لقد عقدتُ اتفاقاً مع والدك. أخبرتهُ بأن أخاه يعمل هنا وأن شكوكاً تراودني حول ضلوعه في مقتل عدد من الطلاب. وفي مقابل حمايتكِ، وافق على أنكِ ستساعديننا في التخلص من الدكتور كونر، تحت إشرافي طبعاً».

هززتُ رأسي وأنا أحاول بصعوبة استيعاب ما قالته للتوّ. «مهلاً، انتظري قليلاً، هذا بالتأكيد ليس السبب الذي اعتقدتُ أني أتيت من أجله إلى هنا. أبي عقد اتفاقاً لأتخلص من كونر؟ ما

الجدوى من إرسالي إلى هنا بهدف حمايتي إذا كنتُ سأتعرض لخطر مختلف؟».

«لا يمكنني أن أتحدث نيابةً عن والدك»، قالت بلاكوود، «لكن ما يمكنني قوله هو أنكِ نجحتِ في هذه المهمة بامتيازٍ. فأنتِ لم تؤكدي شكوكي حول الدكتور كونر فحسب، بل فضحت تورطه بما لا يَدَعُ مجالاً للشك. وأنت تعرفين بالتأكيد سياستنا في التعامل مع التعديات التي تُرتكب ضد شخصٍ آخر».

كنت أرغب بالرد على كلامها، لكنني لم أجد الكلمات المناسبة. **العين بالعين. ما يعني أن كونر الآن... وكنتُ أنا مَن...** عجز عليّ فهم ذلك. كان كونر يشكّل تهديداً، أنا أدرك ذلك. لكني أنا مَن رميتُ السكين والباقي... حسناً، أظن أن فقط بلاكوود والحراس يعلمون التفاصيل.

ولا أعرف كيف أتعامل مع حقيقة أن أبي وبلاكوود يعتبرانني واحدةً منهم، فرداً من استراتيجيا.

«لطالما كان والدكِ بارعاً في قراءة الناس، وفي حين أنك قد تفتقرين إلى المهارة في هذا المجال، فأنا لا أرى ما يراه فيكِ فحسب، بل أعتقد أن لديك مواهب خفية لم يتسنَّ لها الظهور بعد».

دسستُ شعري خلف أذني، وقلتُ بارتباك: «لماذا لم يأخذني معه إذاً؟ كان بإمكانه أن يشرح لي الأمور، أن يساعدني في تعلّم الأمور».

تنهّدت بلاكوود. «على الرغم من تلقّيكِ تدريباً جيداً بالنسبة لشخصٍ نشأ بعيداً عن مجتمعنا، وامتلاككِ أسلوب مُتفرّد في التفكير، إلا أنكِ تفتقرين إلى المعرفة الحقيقية لأسلوب الحياة في استراتيجيا. فكان هذا المكان هو الأفضل لكِ للتأقلم. كما أنها الطريقة التي تعلّم بها والدك ووالدتك أيضاً».

أردتُ أن أجادلها، لكني أعرف أنها على حق. كان أبي مضطراً لاتخاذ قراره بسرعة، فقام بالأمر الوحيد الذي رأى أنه سيضمن حمايتي وجهوزيتي.

نظرتُ إلى بلاكوود بتمعّنٍ. «كنتِ على معرفة بأبي من قبل، أليس كذلك؟».

ترددتْ للحظة، ثم تنهّدتْ. «لم أتواصل معه منذ أكثر من عشر سنواتٍ، لكن أجل، كنتُ على معرفة جيدة بوالديكِ في مرحلةٍ ما».

خمنتُ من نبرة صوتها أنها لم تكن تعرفهما فحسب، بل أنهما كانا مقرّبين منها. «لماذا يكره كونر والديَّ إلى هذا الحد؟».

أومأت بلاكوود برأسها وكأنها كانت تتوقع هذا السؤال. «كان والداكِ متميّزين. اعتقدا أن بإمكانهما إعادة التوازن والمساواة إلى استراتيجيا، وكانا ينويان حقاً تكريس حياتيهما لتحقيق ذلك، كقائدين لعلائلتيهما. وقد حقّقا بعض التقدم بالفعل في الفترة الوجيزة التي تلت مغادرتهما هذه المدرسة. لقد تمكنا من تحقيق المستحيل - لقد توصلت عائلتاهما إلى اتفاق. لكن، وكما يمكنكِ أن تتوقعي، كان هناك في كلا الجانبين أفرادٌ غير راضين عن هذا الاتحاد، رأوا أن تحقيق التوازن أمرٌ مستحيل أو أنهم سيضطرون إلى التنازل عن جزءٍ من قوتهم. وكان الدكتور كونر وشقيق جاغ من بين هؤلاء».

«هل هو العم الذي قتلته أمي؟»، سألتها.

«الذي اتُّهمت بقتله»، صححتْ بلاكوود. «لا أحد يعلم ما الذي حدث حقاً. الشيء الوحيد الذي نعرفه هو أن الدكتور كونر كان موجوداً. كانت هناك الكثير من الشكوك حول ملابسات الحادثة، ولا سيما أن الدكتور كونر خرج منها من دون أدنى خدش ومن دون أن يواجه والدتك. ألقى جاغ باللائمة على الدكتور كونر لعدم منعها من قتل شقيقه، ونعته بالعار على العائلة. ونتيجةً لذلك،

لم تقم العائلة بتعيين كونر وريثاً لقيادتها بعد اختفاء والدك، رغم أنه كان التالي في تسلسل القيادة. فتحوّل إلى شخص منعزل، وتمّ إقصاؤه من مجتمع استراتيجيا. كما أنه تغيّر كثيراً حتى أنني لم أتعرّف إليه في البداية حين عُيِّن موظف التقييم هنا».

جلستُ هناك لبضع لحظاتٍ، أحاول فهم تاريخ عائلتي المعقّد، التي لا يتوقّف أفرادها عن قتل بعضهم بعضاً. «شكراً لتوضيح الأمور»، قلتُ لها، ثم سألتها عن أكثر ما أتوق لمعرفته. «هل تعلمين أين يوجد أبي الآن؟».

هزّت رأسها وقطبت حاجبيها قليلاً. «لم أسمع عنه شيئاً منذ قبولكِ هنا».

عبستُ. «حسناً، هل يمكننا التواصل معه ومعرفة مكانه إذاً؟»، سألتها وقد تضاعف خوفي من وصول استراتيجيا إلى بيمبروك.

هزّت بلاكوود رأسها.

راح قلبي يخفق بقوة. «حسناً، هل ترك لي أي معلوماتٍ؟ رسالة؟ أي شيء يمكن أن يساعدني في العثور عليه؟»، سألتها باندفاع.

«لا، أنا آسفة».

وقفتُ وقد غمرتني هواجسي، لا أدري كيف أتصرف. «لكن قد يكون الأسود يطاردونه الآن»، قلت بنبرة يشوبها القلق.

«لقد أتممتِ اتفاقنا»، قالت بلاكوود ببطء.

نظرتُ إليها نظرة استفسار. «ماذا يعني ذلك؟».

«هذا يعني أنه بإمكانكِ البقاء هنا ومواصلة دراستكِ بناءً على رغبة والدك، أو يمكنكِ المغادرة في حال شعرتِ بضرورة ذلك».

«يمكنني المغادرة؟ هل تسمحين لي بالمغادرة؟»، سألتها وأنا أكاد لا أصدق ما أسمع.

تردّدت بلاكوود. «عملياً، يمكنك المغادرة. لكن من واجبي أن أنصحكِ بأنه لا يزال لديكِ الكثير لتتعلّمينه، وتحتاجين إلى صقل مهارات تتعلق بمجالاتٍ عدة. لكن الأهم من ذلك هو أنك لا تعرفين سوى القليل جداً عن عالم استراتيجيا الشاسع».

«قد تكونين على حقّ، لكن لا يمكنني البقاء هنا بينما أبي في الخارج بمفرده، لا سيما بعد أن عرفتُ ما أعرفه الآن»، قلتُ لها. «فيبدو أن ما حدث هنا مع الدكتور كونر هو نموذج مصغر عما يجري خارجاً».

«المدرسة لا تتدخل في الأمور السياسية الخارجية»، قالت بلاكوود، رغم أن كلتينا تعلم أن ما حدث بينها وبين كونر هو أمرٌ سياسيٌّ بامتياز. «أكرر لكِ أنه سيكون من الحكمة أن تُنشئي المزيد من التحالفات هنا، وأن تتعلّمي كل ما يمكنك تعلّمه قبل أن تغادري».

نظرتُ إليها مليّاً. كان شعرها مشدوداً كالعادة، ومظهرها الخارجي لا يشي بشيء كما كانت الحال في اليوم الأول، إلا أني أعلم الآن أن قميصها الأبيض المزركش الذي يظهر تحت سترتها السوداء يجسّدها تماماً كشخصٍ. فهي تحاول مساعدتي، وتحاول إخباري بما ينبغي عليّ فعله، لكنها لن تقول ذلك بشكلٍ صريح.

«حسناً»، أجبتها رغم أنني لست متأكدة بعد من قصدها.

41

حين استيقظتُ أخيراً بعد نومٍ طويل، كانت الستائر مُسدلة على نوافذ غرفتي، وكانت هناك شمعة مشتعلة بجوار سريري. لم أستغرب من أنني نمت يوماً كاملاً. رفعتُ الأغطية عني، وتفحّصت الضمادات على ذراعيّ وساقيّ. كانت الجروح والكدمات تغطي جسدي. جفلتُ من الألم حين نهضتُ من السرير.

مشيتُ ببطء إلى غرفة المعيشة وجسدي كله يؤلمني، إلا أن الألم كان يمكن احتماله أكثر مما ظننت. فقد يكون عدد الأشجار الذي سقطتُ منها جعل جسدي أكثر مقاومةً.

النار مُتّقدة في المدفأة، والغرفة دافئة. توقفتُ فجأة حين رأيت آش وليلى يلعبان الورق على الطاولة بجوار النافذة.

ليلى! وضعت الورق من يدها وسارت نحوي.

وقفنا هناك للحظة ونحن مرتبكتان، وبدت وكأنها ترغب في معانقتي لكنها لا تعلم كيف تقوم بمثل هذه التصرفات اللطيفة.

«كم مضى من الوقت وأنا نائمة؟»، سألتها بصوتٍ أجش بسبب النوم.

«إنها الثامنة مساءً»، قالت ليلى، ثم رفعت ذراعيها قليلاً، إلا أنها عادت وأنزلتهما من جديد.

وددتُ أن أضحك بسبب ارتباكها، لكني امتنعت عن ذلك كي لا تؤلمني ضلوعي. «اسمعي، يا ليلى، إذا لم تعانقيني الآن وتطلقي العنان للأنثى التي بداخلك، يمكنكِ اعتبار صداقتنا منتهية»، قلت لها أخيراً وأنا أرفع حاجبي.

اتسعت ابتسامتها، ولفّت ذراعيها حولي بحذر، وكأنها لم تعانق أحداً من قبل. إنها بنفس حجم إيميلي تقريباً، ومجرّد التفكير بإيميلي وبيمبروك جعل قلبي يعتصر ألماً.

«شكراً لإنقاذكِ أخي الغبي»، همستْ في أذني.

أومأتُ ورأسي على كتفها، وبقينا على هذا الوضع لبضع ثوانٍ.

أفلتتني ثم أشاحت بوجهها كي لا أرى عينيها اللتين اغرورقتا بالدموع. «اجلسي على الأريكة»، قالت ثم مشت إلى جانبي في حال احتجت الاتكاء عليها.

جلستُ على الوسائد بتأنٍ، واقترب آش للجلوس معنا، فبدا مصاباً ومتأذياً مثلي. التقتْ أعيننا أثناء جلوسه. بدا سعيداً حقاً لرؤيتي فشعرت برفرفة في معدتي.

«كيف أمكنك أن تستأنف نشاطك بهذه السرعة؟»، سألته وأنا أنظر إلى الضمادات التي تكسو جسده.

ابتسم بشقاوة. «هل تظنين حقاً أن بعض السمّ وهذه الجروح الصغيرة ستؤثر بي؟».

قلبت ليلى عينيها. «ما يعنيه هو أنه جاء إلى هنا كي أعتني به، وكي ينتظركِ حتى تستيقظي».

لكن لم يردّ آش على أخته ممازحاً كما كان ليفعل عادةً، بل نظر إليّ وكأنه لا يصدّق عينيه.

نظرتْ ليلى إليّ ثم عادت لتنظر إلى آش، ثم تنحنحت. «لقد أتتْ بيبا لتحضر لكِ العشاء، وطلبتْ مني أن أُعلمها حال

استيقاظكِ»، قالت ثم وقفت. «لذا، سوف... أذهب لإخبارها».
كان من الواضح أنها تريد مغادرة الغرفة للسماح لنا بالتحدّث معاً، كما أننا لم نطلب منها البقاء.

أغلقت ليلى الباب خلفها، وبقيت أنا وآش جالسين على الأريكة. راح يحدق بي، فأشعلت نظراتُه الحادة عينَي.

تنهّدتُ. «لقد عرضت عليّ بلاكوود خيارين»، قلت وأنا غير متأكدة كيف أفاتحه بالموضوع. «قالت إن بإمكاني البقاء هنا أو المغادرة، إنني قمت بدوري في الاتفاق الذي عقدَتْه مع أبي، لذلك فإن الأمر متروك لي».

أومأ آش برأسه وكأنه توقع ذلك. «هذا منطقيّ».

«هل يبدو لك ذلك منطقيّاً حقاً؟»، سألتهُ وأنا أقطب حاجبي. «فهو لا يبدو لي كذلك».

«حسناً»، قال آش، «لقد أخبرتْ آريا المدرسة بأكملها مَن هما والداكِ، كما أخبرتهم عن قصة بطولاتها التي أنقذت حياتكِ، مع التشديد على كلمة **بطولاتها**. وهي الآن تزمجر في وجه برندان كلما صادفته في أحد الممرات».

«أوه»، قلتُ له، غير متأكدة من وَقْعِ الخبر عليّ. «وماذا عن فيليكس؟».

«حسناً، هذا الأمر غامض شيئاً ما. لم توضّح آريا مدى تورطه، رغم اعتقادي أن الناس تساورهم الشكوك بهذا الخصوص. لكن الجميع يعلم أن الدكتور كونر كان شريراً. قد يكون فيليكس حمل ضغينة ضدك بسبب ما حدث لوالده، لكني أظن أن الدكتور كونر كان يهدده بشيءٍ ما، تماماً مثلما استغل سلامة ليلى ليتلاعب بي».

«هذا ما اعتقدته»، قلت له، «ولهذا السبب لم أبلغ عنه لبلاكوود، رغم أنها تعلم الحقيقة بكل تأكيد. وعلى ذكر بلاكوود،

قالت لي أيضاً إنني لم أتلقّ التدريبات الكافية، وأنه يتوّجب عليّ عقدُ التحالفات. هل تعرف ماذا تقصده بذلك؟».

ابتسم آش بمكرٍ. «تقصد أنه وبالرغم من أنك جيدة - بارعة حتى - إلا أنك لست مستعدّة للخوض في غمار عالم استراتيجيا الخارجي بمفردكِ. ستحتاجين إلى مساعدة الدببة وربما بعض العائلات الأخرى أيضاً»، قال وهو يلمّح لي بأنه يعلم أنني قرّرتُ المغادرة، رغم أني لم أخبره بذلك بعد.

أخذتُ نفساً عميقاً. «يجب أن أعثر على أبي»، قلتُ له، «لن أسامح نفسي أبداً إن لم أفعل وأصابه مكروه». ورغم شعوري بالرضا عن قراري، إلا أنني كنت حزينةً أيضاً، إذ كنت أدرك أن هناك احتمالاً ألا أرى آش وليلى ثانيةً.

صمت كلانا للحظة.

«أعرف ذلك»، قال آش.

شعرتُ بغصّة في حلقي، حاولت ابتلاعها. «آش ــــ».

«حسناً، متى سنغادر؟»، قال بخفّة، وظننتُ للحظة أنني أسأت السمع.

حدّقتُ به وأنا مصدومة.

«ماذا بكِ؟». علت وجهَه ابتسامةٌ شقية. «هل تعتقدين أنني سأتركك تعبثين وحدك مع الأسود؟ إضافة إلى ذلك، أنتِ بحاجة إلى التحالفات، كما قالت المديرة».

لم أعرف ما إذا كان عليّ أن أُقبّله أم أن أبكي. «لا يمكنني أن أطلب منكَ مغادرة هذا المكان الذي كافحت من أجل الالتحاق به، والأهم من ذلك، أن تترك ليلى».

«حسناً إذاً، من الجيد أنك لم تطلبي مني ذلك، بل أنا مَن تطوعتُ»، قال مبتسماً.

«أنا جادةٌ فيما أقول».

«وأنا كذلك»، قال آش، «كنت أخطط أنا وليلى أن ندير أمور عائلتنا سوياً، كفريقٍ. فهي حفظت كل درسٍ تلقيناه هنا، ودائماً ما تمدني بالمعلومات التي تفوتني. والآن وقد تخلصنا من الدكتور كونر، أصبحتْ بأمانٍ في هذه المدرسة أكثر من أي وقتٍ مضى».

«حسناً، لكنك تعلم أن ثمة احتمالية كبيرة ألا نخرج من هذه المغامرة على قيد الحياة،» قلت له.

«وأن ثمة يقيناً بنسبة مئة في المئة بأنكِ لن تنجي إذا لم أذهب معك»، ردّ آش، «فأنتِ لا تعرفين أيّاً من بيوت استراتيجيا الآمنة في أوروبا، ولن تعثري عليها بمفردكِ لأنها مخفيّة. إضافةً إلى أنك لا تعرفين مِن أين يمكنكِ الحصول على المعلومات، ومَن هم الأشخاص الذين يمكنك الوثوق بهم».

هذا ما قصدته بلاكوود إذاً عندما قالت إنني لست مُهيأة.

«لماذا، يا آش؟ لماذا تفعل ذلك؟».

«هل أنت حقاً بحاجة لأن تسألي؟»، قال وراح ينظر إلى شفتيّ، فشعرتُ بتلك الفرفرة في معدتي من جديد. «Amantes sunt amentes».

وقبل أن أحاول تخمين معنى تلك الكلمات، ابتسم وقال: «العشاق مجانين»، ثم مرر أصابعه برقّةٍ في شعري وشدّني إليه. قرّب فمه من فمي فبعثت أنفاسه الدفء في شفتَي، فشعرتُ بقلبي يهوي وكأني في سقوطٍ حر.

«لقد أفسدتَ قبلتنا الأولى»، همستُ له، «لا تُفسد هذه أيضاً».

ابتسم. «أعدك أن أستمر في التدرّب إلى أن أتحسّن»، قال لي، ثم اقترب مني لتلتقي شفاهنا.

شكر وامتنان

مكتبة
t.me/soramnqraa

استيقظتُ ذات صباحٍ بعد أن رأيت حلماً عن هذه القصة، وكان قرصاني هو مَن أنصت إليّ وأنا أبلور أفكاري، وهو مَن شجعني على تحويل فكرتي إلى هذا الكتاب. في الواقع، هو لطالما أصغى إليّ وشجعني، ولطالما كان أول مَن قرأ أعمالي. نحن معاً منذ اثنتي عشرة سنة الآن، وما زالت روعتُه تدهشني كل يوم. وأتمنى أن نبقى معاً اثني عشر مليار سنة أخرى (فأنا أخطط للبقاء معه حتى في الحياة الآخرة).

وهناك أمي بالطبع، وهي جزء لا يتجزأ من كل كتاب أؤلفه. فهي تعتني بي حين تقترب مواعيد التسليم، وتدعم كل أفكاري الغريبة، وتحضّر لي ألذّ الوجبات الخفيفة أثناء الكتابة! إنها جزء مشرق من حياتي، وأشكر اللّه على وجودها كل يوم.

كما هناك رو، وهي أفضل وكيلة أدبية على هذا الكوكب. والأهم من ذلك أنها صديقةٌ رائعة وإنسانةٌ استثنائية، ومعرفتي بها هي نعمة تستحق الشكر.

وهناك مِل، محررتي اللطيفة، التي تنشر سحرها على كل كتابٍ تضع يدها عليه، فتضفي عليه لمستها الرائعة. قد يكون بإمكاني تأليف الكتب من دون مساعدتها، لكني لا أرغب في ذلك.

كما أن هناك العزيزين كيري كليتر وجِف زنتنر، اللذين ليسا بارعين فحسب، بل كريمان أيضاً. فقد طلبتُ منهما أكثر من مرة قراءة نصٍّ في وقتٍ قياسيّ، ولم يترددا في مساعدتي. أنا حقاً ممتنّة لوجودهما إلى جانبي.

وهناك كالي والاس وأودري كولثرست اللذان ألجأ إليهما لمساعدتي على ترتيب أفكاري وتجاوز الصعاب التي تواجهني أثناء الكتابة، أو حين لا ينفع شيئاً، على تحضير كوكتيلات لذيذة، على غرار مشروب رافينكلو.

وهناك آنيا ريميزوفا، الحاضرة دائماً، والتي تصغي إليّ دون كلل ولا ملل وأنا أتحدث بلا توقّف عن الكتابة، وحتى الجوانب الغريبة منها. إنها صديقة حقيقية، وأنا فخورة بأنني أعرفها.

كما أن كلَّ فريق راندوم هاوس أناسٌ رائعون. إنهم يُضفون البهجة على عالَمي، ويمكّنونني من القيام بأكثر نشاط أحبه - رواية القصص.

وكليمنتين غيزمان، التي لا يسعني إلا أن أبتسم حين أقرأ رسائلها الإلكترونية.

وجيسون درافيس، الذي يحمل كتبي ويذهب بها في مغامرات جديدة.

وفوق كل هؤلاء الأشخاص الرائعين، لديّ عائلة هي الأجمل والأكثر دعماً لي، عائلة مفعمة بالحب، تمدّني بالإلهام، وبالأفكار والتكتيكات الغريبة أحياناً، كما يفعل العم روب.

ولن أنسى قرائي المحبين ومجموعة المعجبين، الذين يضيئون حياتي بحماسهم للكتب وبلطفهم الدائم.

شكراً لكم جميعاً على مساهمتكم، فلم تكن كتبي لتكون على هذا النحو من دونكم، وأنا كذلك.

أدريانا ماذر

قَتلُ نوفمبر

«في بعض الأحيان، أرى فيكِ أسوأ كاذبة قابلتها في حياتي، وفي أحيانٍ أخرى، أرى فيكِ عبقريّة».

في أكاديمية أبسكونديتي الدولية، وهي مدرسةٌ متواريةٌ في مجاهل غابةٍ كثيفةٍ ومحاطةٌ بالفخاخ، حيث لا كهرباءَ ولا إنترنت، وحيث ثمة نظامُ عقاب يُطبِّق مبدأ العين بالعين، يتنوع نطاقُ الفصول الدراسية بين رمي السكاكين، وعلوم السموم، وفنون الخداع. أما الطلاب، فهم أبناءُ نخبة العائلات في العالم - يتدربون ليصبحوا مستشارين، وجواسيس، ومُنتحلي شخصيات محترفين.

تنتقلُ نوفمبر أدلي لتخوض غمار هذا العالم، وتكتشفُ سريعاً أن الأصدقاءَ قلّة في مدرسةٍ حيث البوح الشخصي مسألة غير مستحبة، وحيث المنافسةُ هي كل شيء. وإذ يُقتلُ طالبٌ، تتجهُ كل الأنظار إلى نوفمبر، التي سيتعيّن عليها أن تعرف كيفَ تتأقلمُ مع ألعاب الاستراتيجية الغريبة في المدرسة قبل أن تُدان بالجريمة... أو أن تُصبح ضحيةَ القاتل التاليةَ.

مكتبة
t.me/soramnqraa

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
markaz.casablanca@gmail.com